





# عصر المأمون

بقلم

الدكتور

أحمد فريد زفاعي

مدير إدارة المطبوعات بوزارة الداخلية

المجلد الثالث

( حقوق الطبع محفوظة للزلف )

[ الطبعة الثالثة ]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م







# عصر المأمون

---

بقلم

الدكتور

أحمد فرید زفاعی

المفتش بوزارة الداخلية

---

المجلد الثالث

---

( حقوق الطبع محفوظة للزلف )

---

[ الطبعة الثامنة ]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٤٦ - ١٩٢٨ م







# فهرست

## المجلد الثالث من عصر المأمون

### ملحق الكتاب الثالث - عصر الأمين والمأمون

باب المشور : صفحه

١	نصوص كتب الأمين والمأمون - نص خطاب الأمين الى المأمون
٢	نص خطاب الأمين الى أخيه صالح
٥	القول بحلق القرآن (ما كتبه المأمون الى ولاته)
١٧	عهد طاهر بن الحسين
٢٦	رسالة الجيس (ما كتبه المأمون الى أهل حراسان)
٣٨	ما كتبه السيدة زبدة الى المأمون - ما كتبه المأمون اليها
٣٩	رسالة أحمد بن يوسف

### رسائل سهل بن هارون :

٤٨	وصف وتاريخ حياته - ما كتبه لحداد
٤٩	حكاه دعل اناراض السارح
٥٠	كتبه وطريقته في التأليف
٥٢	من كلامه ، كتابه ثعلبه وعمره
٥٣	ما كتبه الى صديق له أهل من ضعف - رساله في الحيل
٥٧	شيء من شعره

### رسائل عمرو بن مسعدة :

٥٩	وصف وتاريخ حياته
٦١	من كلامه - ما كتبه الى الحسن بن سهل - ما كتبه الى المأمون
١٧٠	من حكمه



صفحة

٦٤	ما كتبه الى بعض الرساء
٦٥	فى من شعره
٦٦	حكاية له
٧٠	ما قاله أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمى فيه

رسائل الجاحظ :

٧٢	وصفه وتاريخ حياته — رسالته فى بنى أمية
٨٠	ما كتبه الى بعض إخوانه فى ذم الزمان
٨٢	وصفه لتريش وبنى هاشم
٨٣	ما كتبه فى الاعتذار — ما كتبه فى الاستعطاف
٨٤	ما كتبه فى ذم الحسد — دفاعه عن مؤلفاته
٩٢	ما كتبه فى أخذ البرى بذبب الملتب
٩٨	ما كتبه فى أقسام البيان
١٠١	ما كتبه فى مدح الكتب
١١٥	ما كتبه فى الترغيب فى اصطناع الكتب

باب الرسائل :

١٢٨	الفصول المختبة من الرسائل المختارة فى كل قرن — كتب رجل الى صديق له
١٣١	فصل لسعيد بن حميد
	فصل فى هدية — فصل فى تفاعلة — فصل لرجل عيسى — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٣	فصل فى الصفح لأبن علق — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٤	فصل لعقال بن شبة — فصل فى التوديع — فصل فى الصفح — جواب فى صبح
١٣٥	فصل فى الصفح عن الجفاء — فصل فى الاعتذار
١٣٦	الى المأمون من عامل — فصل لأبن الكلى
١٣٧	فصل لابراهيم بن اسماعيل بن داود
١٣٨	فصل لعمر بن سعدة
١٣٨	فصل لعيسى بن واضح الى الفضل بن ربيع — فصل لجبل بن يزيد
١٣٩	وله فى الخطر — وله الى بعض إخوانه
١٤٠	فصل لأبن أمين كاتساندران — فصل لأبن الكلى — فصل لعلى بن عبيدة الى ابن الكلى
١٤١	فصل لعامة — فصل لسعيد بن عبد الملك



صفحة

- ١٤٢ ... .. فصل لجبل بن يزيد الى بعض اغوائه — وله الى بعض اغوائه أيضا ... ..
- ١٤٤ ... .. فصل في شكر ... ..
- ١٤٥ ... .. فصل في صفه الجند ... ..
- ما كتبه جعفر بن محمد الأشعث الى رجل لم يكتبه — ما كتبه الفضل بن يحيى الى رجل
- ١٤٦ يشاوره في أمر حدث — ما كتبه أحمد بن يوسف الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي — توسل
- ما كتبه طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل — ما كتبه محمد بن الجهم — ما كتبه
- ١٤٧ محمد بن مسعر — ما كتبه ابن وهب في الاحتذار ... ..

التحاميذ :

- ١٤٨ ... .. التحميد الأول — التحميد الثاني ... ..
- صدر تحميد مفرد — صدر تحميد آخر — تحميد مختار لكتاب خزينة بن خازم في فتح
- ١٤٩ الصنارية — تحميد لأحمد بن يوسف الى الولاية عن الخليفة ... ..
- تحميد لابراهيم بن العباس في فتح اسماحيل بن اسحاق — التحميد الثاني — تحميد له مبتدأ
- ١٥٠ مقام بين يدى الخليفة ... ..
- ١٥١ تحميد ثان — تحميد ثالث ... ..
- ١٥٣ تحميد في فتح لابن العباس ... ..
- ١٥٣ وله في فتح ابن البعث لما ظفربه ... ..
- ١٥٤ وله صدر كتاب الخنيس في تحميد الله وتحميده ... ..
- ١٥٥ تحميد لأحمد بن يوسف في صدر رسالة الخنيس التي كانت تحرقاً بخراسان ... ..
- ١٥٦ تحميد للعباس في مقام له بين يدى المأمون — تحميد لعبد الحميد في أبي العلاء الحارثي ... ..
- تحميد في فتح الى أمير لقامة — صدر تحميد لسان بن عبد الحميد في خطبة موبرة — تحميد
- ١٥٧ لعبد الحميد في فتح ... ..
- ١٥٨ تحميد ثالث ... ..
- ١٥٩ تحميد لأنس بن أبي شيخ — تحميد لعبد الحميد في فتح يمثل فيه أمر الاسلام ... ..
- ١٦٠ تحميد لعبد الحميد أيضا ... ..
- ١٦١ تحميد لقامة — تحميد لزيد بن علي — تحميد في الاسلام ... ..
- ١٦٢ تحميد لأبي عبيد الله ... ..
- ١٦٣ صدر رسالة في الخنيس لابراهيم بن المهدي ... ..
- ١٦٤ تحميد في الاسلام وما امت به على أهله ... ..
- ١٦٥ تحميد في الجهاد وما بث به النبي صلى الله عليه وسلم ... ..



صفحة

- ١٦٨ ... .. محمد في فتح لمعد بن حيد
- ١٦٩ ... .. محمد لابن المقفع ...
- ١٧١ ... .. محمد لسان بن عبد الحميد — محمد لأحد بن يوسف في فتح السند ...
- ١٧٢ ... .. محمد لأبي عبد الله — محمد لمعد بن حيد ...
- ١٧٣ ... .. فيما يقرظ به الخليفة ...
- ١٧٧ ... .. محمد لأبي عبد الله ...
- ١٨٠ ... .. ما يكتب به في الخافعين وقت الهزيمة ...
- ١٨١ ... .. ما يكتب به في صفة الخالعين ...
- ١٨٤ ... .. ما يكتب به في الصلاة — ما يكتب به في مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم ...
- ١٨٧ ... .. وصف الأولياء في الكتب ...
- ١٨٨ ... .. ما يقرظ به أمير المؤمنين في أواخر الكتب — سعيد بن حيد ...

التحاميد في أواخر الكتب :

- ١٨٨ ... .. محمد لمعد بن نصر — محمد لإبراهيم بن العباس — محمد لأبي عبد الله ...
- ١٩٢ ... .. الهداء لأمر المؤمنين في أواخر الكتب ...

مختار ما كتب من باب التهانى في كل فن :

تهنئة خليفة بظفر — ما كتبه إبراهيم بن المهدي الى المعتصم بهته بخروجه عن أرض الروم

- ١٩٣ ... .. بعد فتح عمورية ...
- ١٩٤ ... .. ما كتبه أحمد بن يوسف الى عبد الله بن طاهر بهته بظفر — تهنئة خليفة بحج ...
- ١٩٥ ... .. تهنئة بولاية — تهنئة لمعد بن حيد الى بعض اخوانه ...
- ١٩٧ ... .. ما كتبه محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار ...
- ١٩٨ ... .. تهنئة بزل حامل عن عمله ...
- ١٩٩ ... .. ما كتبه محمد بن مكرم الى إبراهيم بن المدهبر ...
- ٢٠٠ ... .. تهنئة بتزوج وبناء بأهل ...
- ٢٠١ ... .. تهنئة بمولود كتبها العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون ...
- ٢٠٤ ... .. ما كتبه ابن المقفع الى صديق له ولدت له حارية ...
- ٢٠٥ ... .. تهنئة لمحمد بن مكرم الى صهراني أسلم ...

باب المنظوم :

- ٢٠٦ ... .. أونوناس ...
- ٢٤٩ ... .. العنابي ...



صفحة	
٢٥٥	دعبل ... ..
٢٦٥	حسين بن الصحاك ... ..
٢٧٨	محمد بن عبد الملك الزيات ... ..
٢٨٣	ابن البواب ... ..
٢٨٦	الخصري ... ..
٢٩٥	عبد الله بن طاهر ... ..
٢٩٨	ما قيل في هجاء الأيمن ووثائقه ... ..
٣٠٣	هجاء يحيى بن أكرم ... ..
٣٠٥	وصف ثورة بغداد ورسوقها ... ..







# طَلْحَقْهُمْ

## الكتاب الثالث

### باب المشور

#### (١) نصوص كتب الأمين والمأمون

١ - نص كتاب الأمين الى المأمون؛ وهو الكتاب الذي أشرنا اليه في الجزء الأول .  
إذا ورد عليك كتاب أخيك - أعاذه الله من فقدك - عد حلول ما لا مرّة له  
ولا مدفع، مما قد أخلف وتنازع الأمم الخالية، والقرون الماسية، بما عزّاك الله به .  
وأعلم أن الله جلّ شأنه، قد اختار لأمر المؤمنين أفضل الدارين، وأجرّل الحظين،  
فعبّضه الله طاهراً زائكاً، قد شكر سعيه، وغفر ذنبه، إن شاء الله . فقم في أمرك ميام  
ذی الحزم والعزم، والتأظير لأخيه ونفسه، وسلطانه وعامة المسلمين . وإياك أن يغلب  
عليك الجزع، فإنه يمحط الأجر، ويغيب الوزر؛ وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً،  
وإنّا لله وإنّا إليه راجعون . وخذ البيعة على من قبلك، من قوادك وجُندك، وخاصتك  
وعامتك، لأخيك ثم لنفسك، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها لك  
أمير المؤمنين : من نسخها له وإثباتها، فإنك مُقلّد من ذاك، ما قلبك الله وخليفته .  
وأعلم من قبلك رأيي في صلاحهم، وسدّ خلتهم، والتوسعة عليهم، من أنكرته عند  
بيعتي، أو آتممتي على طاعته، فاعتث إلى رأسه مع خبره . وإياك وإقائته، فإنّ البار أولى



به . وأَكْتَبُ إلى خَمَال مُنُورِكَ ، وَأَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ ، بِمَا طَرَقَكَ مِنَ المَصِيبَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعْلَانِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ الدُّنْيَا لَهُ ثَوَابًا ، حَتَّى قَبِضَهُ إِلَى رُوحِهِ وَرَاحَتِهِ وَجَنَّتْهُ ، مَغْبُوطًا مَحْمُودًا ، قَائِدًا لِجَمِيعِ خُلَفَائِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَمُرَّمَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا الْبَيْعَةَ عَلَى أَجْنَادِهِمْ ، وَخَوَاصِهِمْ وَعَوَاتِمِهِمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ، مِنْ أَخْذِهَا عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَوْعِزِ إِلَيْهِمْ فِي ضَبْطِ قُوَّتِهِمْ ، وَالْقُوَّةِ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، إِنِّي مُتَقَدِّمٌ حَالَتِهِمْ ، وَلَا أَمَّ شَعْتَهُمْ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا آتٍ فِي تَقْوِيَةِ أَجْنَادِي وَأَنْصَارِي . وَلَتَكُنْ كُتُبُكَ إِلَيْهِمْ كُتُبًا عَامَةً لِنُقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَا يَسْتَكُنُّهُمْ ، وَيَسْطُطُّ أَمْلَهُمْ . وَأَعْمَلْ بِمَا نَأْمُرُ بِهِ لَنْ حَضْرِكَ ، أَوْ نَأْيَ عَنْكَ مِنْ أَجْنَادِكَ عَلَى حَسَبِ مَا تَرَى وَتُشَاهِدُ . فَإِنَّ أَخَاكَ يَعْرِفُ حَسْنَ اخْتِيَارِكَ ، وَصِحَّةَ رَأْيِكَ ، وَبَعْدَ نَظْرِكَ ، وَهُوَ يَسْتَحْفِظُ اللَّهَ لَكَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَسُدَّ بِكَ عَضُدَهُ ، وَيَجْعَلَ بِكَ أَمْرَهُ ، إِنَّهُ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ . وَكُتِبَ بِكَرْبِنِ الْمُتَمَيِّزِينَ بِدَى وَإِمْلَائِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ

٢ — وَهَذَا كِتَابُ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ إِلَى أَخِيهِ صَالِحٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا ، عِنْدَ وَقُوعِ مَا قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ ، وَنَقَذٍ مِنْ قَضَائِهِ ، فِي خُلَفَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَجَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، فَقَالَ : ( كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) . فَاتَّخِذُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ عَظِيمِ ثَوَابِهِ وَمُرَافَقَةِ أَنْبِيَائِهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَإِلَيْهِ نَسْأَلُ أَنْ يُحَسِّنَ الْخِلَافَةَ عَلَى أُمَّةٍ نَبِيٍّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ كَانَ لِمِ عِصْمَةِ وَكُهْفَا ، وَبِهِمْ رَهْوَفَا رَحِيمًا .

فَنَحْزُرُ فِي أَمْرِكَ ، وَإِبَاكَ أَنْ تُلْقَى بِيَدِكَ ، فَإِنَّ أَخَاكَ قَدْ أَخْبَارَكَ لِمَا آسَتْهَنْضَكَ لَهُ ، وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ مَوَاقِعَ قُدْرَاكَ ، فَنَحْنُ طَنْهُ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ . وَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ، مِنْ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَوَالِيهِ وَحَاصِنِهِ وَعَادَنِهِ مُحَمَّدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ أَعْبَدَ اللَّهُ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، نَمَّ لِقَاسِمِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي جَعَلَهَا



أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من فسحها على القاسم أو إثباتها . فإت السعادة وإئتمن في الأخذ بهذه الميضي على مناجهه .

وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيي في استصلاحهم ، ورد مآلهم ، وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم ، وأعطياتهم عليهم . فإن شغب شاغب ، أو نمر ناعمر ، فأسقط به سطوة بجعله نكالا لما بين يديه وما خلفها وموعظة للتقين . وأضمت إلى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ، وممره بالمسير معهم فيمن معه ، وجنده ورباطته ، وصير إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ، فإنه ثقة على ما يلي ، مقبول عند العامة ، وأضمت إليه جميع جد الشرط ، من الروابط وغيرهم ، إلى من معه من جنده ، وممره بالحد والتيقظ ، وتقديم الحزم في أمره كله ، ليلة ونهاره . فإت أهل السداوة والفاق لهذا السلطان يتقنون مثل حلول هذه المصيبة ، وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، وممره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ، فإنه من لا يعرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها ، بما قد من الله ، مما قلتم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء ، وممره الخدم بإحضار روابطهم ، من يسد بهم وباجتادهم مواضع الخلل من عسكرك ، فإتهم حد من حدودك ، وصير مقتمك إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، وسأقتك إلى يحيى بن عاذ ، فيمن معه من الجنود ، وممرهما بما وبنتك في كل ليلة .

وأزعم الطريق الأعظم . ولا تعدون المراحل ، فإت ذلك أرفق بك ، وممر أسد بن يزيد ، أن يتخير رجلا من أهل بيته أو قواده ، فيصبر إلى مقدمته ، ثم يصير أمامه ، لتبتهئة المنازل ، أو بعض الطريق ، فإن لم يحضر في عسكرك بعض من سميت ، فاختر لمواضعهم من يتق بطاعته ، ونصيحته وهيبته ، عند العوام ، فإت ذلك لن يوزك ، من قوادك وأنصارك ، إن شاء الله .

وبالك أن تنفذ رأيا ، أو تهرم أمرا ، إلا برأي شيخك ، وبقية آبائك ، الفضل بن الربيع ، وأقر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ،



ولا تُخْرِجَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ، مِنْ ضَمَنِ مَا عَلَيَّ، إِلَى أَنْ تَقْدَمَ عَلَيَّ . وقد أوصيت بكر بن المَعْتَمِر  
بما سَأَلْتَهُكَ ؛ وَأَحْمَلُ فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا تَشَاهَدُ وَتَرَى . وإن أمرت لأهل العسكر بَعْطَاءٍ  
أَوْ رِزْقٍ فَلْيَكُنِ الْفَضْلُ بِنِ الْرَبِيعِ الْمَتَوَلَّى لِإِعْطَائِهِمْ ، عَلَى دَوَاوِينَ يَتَّقُهَا لِنَفْسِهِ ، بِمَحْضٍ  
مِنْ أَصْحَابِ الدَّوَاوِينَ ؛ فَإِنَّ الْفَضْلَ بِنِ الْرَبِيعِ لَمْ يَزَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَهْمَاتِ الْأُمُورِ . وَأَنْفِذْ  
إِلَيَّ عِنْدَ وَصُولِ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ إِسْمَاعِيلَ بِنِ صَبِيحٍ ، وَبَكْرَ بِنِ الْمَعْتَمِرِ ، عَلَى مَرَكَبَيْهِمَا  
مِنَ الْبَرِيدِ ؛ وَلَا يَكُنْ لَكَ عُرْجَةٌ وَلَا مُهْلَةٌ ، بِمَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، حَتَّى تَوَجَّهَ إِلَيَّ  
بِعَسْكَرِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخِزَائِنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . أَخُوكَ يَسْتَدْفِعُ اللَّهُ عَنْكَ ، وَيَسْأَلُهُ لَكَ  
حَسَنَ التَّأْيِيدِ بِرَحْمَتِهِ . وَكُتِبَ بِكَرْبِنِ الْمَعْتَمِرِينَ يَدَيَّ وَإِهْلَائِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ .



\_\_\_\_\_

أما الكتاب فهو :

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، وموارث النبوة التي أودعهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيته، والشمير لطاعة الله فيهم؛ والله يسأل أمير المؤمنين، أن يوقه لعزيمة الرشد وصريته، والإسقاط فيما ولّاه الله من رعيته، برحمته وميثقه؛ وقد عرّف أمير المؤمنين أنّ الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر، من حشو الرعية، وسفلة العاقبة، ممن لا نظره ولا روية، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، ولا استنصاء بنور العلم وبرهانه، في جميع الأقطار والآفاق، أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به، وتكويب عن واضحاته وأعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفترقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم، ونقص عقولهم، وجفائهم عن التفكير والتذكر؛ وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى، وبين ما أنزل من القرآن، فاطبقوا مجتمعين، وآتفقوا غير متماجين، على أنه قدّم أول، لم يخلق الله، ويُحدثه ويُنزله، وقد قال الله عز وجل في مُحكم كتابه، الذي جعله لِمَا في الصدور شفَاءً، وللمؤمنين رحمةً وهدى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾. فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾. وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾. فأخبر أنه قصص لأُمور أحدثه بعدها، وتلا به مُتقدِّمها، وقال: ﴿الرَّكِبُ أَحْكَبُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. وكل مُحكم مُفصل، فله مُحكم مُفصل، والله مُحكم كتابه ومُفصله، فهو خالقُه ومُبتدعه؛



ثم هم الذين جادلوا بالباطل ، فدعوا إلى قولهم ، ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته ، مبطل قولهم ، ومكذب دعواهم ، يرّد عليهم قولهم ويحلتهم ، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطالوا بذلك على الناس ، وغرّوا به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السمّة الكاذب ، والتشعّع لغير الله ، والتعشّف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ، ومواطنتهم على سيّئ آرائهم ، تزيّناً بذلك عندهم ، وتصنعاً للرياسة والمداولة فيهم ، فترسّوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم ، فقيلت بركبتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم ، على دغل دينهم ، ونقل أديبهم ، وفساد نيّاتهم ويقينهم ، وكان ذلك غايهم التي إليها جروا ، وإياها طلبوا في منابهم ، والكذب على أولادهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ، ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمّهم الله ، وأعمى أبصارهم ، **إِنَّا أَفْلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** . فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ، ورموس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد حفظاً ، والمختسوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان لابلّس الناطق في أوليائه ، والهاطل على أعدائه ، من أهل دين الله ، وأحق من يؤمّم في صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومن عي عن رشده وحظه ، من أهل الإيمان بالله وبتوحيده ، كان عما سوى ذلك من عمله ، والقصّد في شهادته ، أعمى وأضلّ سبيلاً ، ولعمراً أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب في قوله ، وتخصّص الباطل في شهادته من كتب على الله ووجيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وأن أولادهم برّد شهادته ، في حكم الله ودينه من ردّ تنهاده الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله ، فاجمع من يحضرك من القضاة ، وأقرا عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، فأبداً بامتحانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون ، في خلق الله القرآن وإحاديثه ، وأهلهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا وائقي



فَاعْلَمَهُ اللهُ، وَاسْتَحْفَظَهُ مِنْ أَمُورِ رَجِيئِهِ بَنَ لَا يُوَثِّقُ بَلَدِيهِ، وَخُلُوصَ تَوْحِيدِهِ وَيَقِينِهِ، فَإِذَا أَتَوْا بِذَلِكَ، وَوَاقَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ، وَكَانُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالنَّبَاةِ، فَرُفِّعَ بَنَصُّ مَنْ يَحْضُرُهُمْ مِنَ الشُّهُودِ عَلَى النَّاسِ، وَمَسْأَلَتُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، وَتَرْكُ إِثْبَاتِ شَهَادَةِ مَنْ لَمْ يُقْرَأْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُخَدَّثٌ وَلَمْ يَرَهُ، وَالْإِمْتِنَاعُ مِنْ تَوْعِيحِهَا عِنْدَهُ؛ وَأَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَأْتِيكَ، عَنْ قَضَاةِ أَهْلِ عَمَلِكَ فِي مَسْأَلَتِهِمْ، وَالْأَمْرُ لِمَنْ يَمْتَلِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَشِيرَفْ عَلَيْهِمْ، وَتَقَعَّدْ أَثَارَهُمْ، حَتَّى لَا تُتَفَدَّ أَحْكَامُ اللهِ، إِلَّا بِشَهَادَةِ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فِي الدِّينِ، وَالْإِمْلَاحِ لِلتَّوْحِيدِ، وَأَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَكُتِبَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٢١٨ هـ .

وَكُتِبَ الْمَأْمُونُ، إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فِي إِشْخَاصِ سَبْعَةِ أَفْرَاقٍ مِنْهُمْ : مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ كَاتِبِ الْوَاقِدِيِّ، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُسْتَعْلَى يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَيَحْيَى بْنُ مُعِينٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ أَبُو خَيْثَمَةَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ دَاوُدَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ التَّوْرَقِيِّ، فَأُشْخِصُوا إِلَيْهِ، فَاثْنَتْنِمْ، وَسَلَّمَهُمْ عَنْ خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَجَابُوا جَمِيعًا أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَأُشْخِصَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَأَحْصَرَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ دَارَهُ، فَشَهَّرَ أَمْرَهُمْ وَقَوْلَهُمْ بِحَضْرَةِ الْعُقَبَاءِ، وَالْمَشَاشِخِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَأَتَوْا بِمَلٍّ مَا أَجَابُوا بِهِ الْمَأْمُونُ غُلَى سَبِيلَهُمْ، وَكَانَ يَفْعَلُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذَلِكَ بِأَمْرِ الْمَأْمُونِ .

وَكُتِبَ الْمَأْمُونُ مَدَّ ذَلِكَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَى خُلَفَائِهِ فِي أَرْضِهِ، وَأَمَلَاتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، الَّذِينَ ارْتَضَاهُمْ لِإِقَامَةِ دِينِهِ، وَحَمَلَهُمْ رِعَايَةَ حَافَةِ، وَإِهْضَاءَ حُكْمِهِ وَسُنَنِهِ، وَالْإِتِّمَامَ بِمَدْلِهِ فِي بَرِيَّتِهِ، أَنْ يَجْهَدُوا اللهُ أَنْفُسَهُمْ، وَيَنْصَحُوا لَهُ فِيمَا أَسْنَحَفَظَهُمْ وَقَلَدَهُمْ، وَنَادَّوْا عَلَيْهِ — تَبَارَكَ اسْمُهُ — وَتَعَالَى — بِفَضْلِ الْعِلْمِ الَّذِي أَوْدَعَهُمْ، وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي جَعَلَهَا فِيهِمْ، وَيَهْدُوا إِلَيْهِ مَنْ زَاغَ عَنْهُ، وَيُرِدُّوا مَنْ أَدْبَرَ عَنْ أَمْرِهِ، وَتَهْجُوا لِرِعَايَاهُمْ تَمَّتْ نَجَاتُهُمْ . وَيَقْفُوهُمْ عَلَى حُدُودِ إِيْمَانِهِمْ، وَسَبِيلِ فُوزِهِمْ وَعَصَمَتِهِمْ، وَيَكْسُوهُمْ لِمَنْ عَنْ مُقْطِعَاتِ أُمُورِهِمْ، وَمُسْتَبْهَاتِهَا



عليهم ، بما يدفعون الريب عنهم ، ويعود بالضياء والبهنة على كآتهم ؛ وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذ كان جامعا لفنون مصانهم ، ومتظما لحظوظ طاجلتهم وأجلتهم ، ويتذكروا أن الله مُرْصِدٌ من مسألتهم عما حُمِّلوه ، ومجازاتهم بما أسلفوه ، وقتلوا عنده ، وما توفيقُ أمير المؤمنين ، إلا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به . ومما بينه أمير المؤمنين برويته ، وطالعه بفكره ، قيتين عظيم خطره ، وجليل ما يريخ في الدين من وكفه وضرره ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم ، وأثرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، واشتباهاه على كثير منهم ، حتى حُسِّنَ عندهم ، وترين في عقولهم ، ألا يكون مخلوقا ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله ، الذي بان به عن خلقه ، وتهدد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكته ، وإنشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليته ، التي لا يُبْلَغُ أولاها ، ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه ، خلقا من خلقه ، وحدثا هو المحدث له ، وإن كان القرآن ناطقا به ، ودالا عليه ، وقاطعا للأختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى ، في أدعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق ، إذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ . وتأويل ذلك : إنا خلقناه ، كما قال جل جلاله : ﴿ وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ . ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ . فسوى عز وجل ، بين القرآن ، وبين هذه الخلايق ، التي ذكرها في شبة الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ . فقال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يُحَاطُ إلا بمخلوق ، وقال لنبهه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمِجَّلَ بِهِ ﴾ . وقال : ﴿ زَمَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾ . وقال : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ . وأخبر عن قوم ذمهم بكنبهم ، أنهم قالوا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . ثم أكنبهم على لسان رسوله ، فقال لرسوله : ﴿ فَمَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ . فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا . وإيمانا ونورا وهدى وباركا وعرييا



وقصصا، فقال : ( نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ) .  
 وقال : ( قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ) .  
 وقال : ( قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ) . وقال : ( لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
 وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ) . بفعل له أولا وآخرا، ودل عليه، أنه محدود مخلوق، وقد عظم هؤلاء  
 الجهلة بقولهم في القرآن، القلم في دينهم، والخارج في أمانتهم، وسهلوا السبيل لعدو  
 الإسلام، وأصغروا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا، ووصفوا خلق الله وفعله  
 بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به، والإشابه أولى بخلقهم، وليس يرى أمير المؤمنين،  
 لمن قال بهذه المقالة خطأ في الدين، ولا نصيبا من الإيمان واليقين، ولا يرى أن يُحِلَّ  
 أحدا منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة، ولا صِدْقٍ في قول ولا حكاية، ولا تولية  
 لشيء من أمر الرعية؛ وإن ظهر قصد بعضهم، وعُرف بالسادس مُستدْفِهم، فإن الفروع  
 مردودة إلى أصولها، ومحولة في الحمد والذم عليها، ومن كان جاهلا بأمر دينه، الذي  
 أمره الله به، من وحدانيته، فهو بما سواه أعظم جهلا، وعن الرشيد في غيره أعمى وأضل  
 سبيلا .

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين، بما  
 كتب به إليك، وانصصهما عن عليهما في القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين  
 على شيء من أمور المسلمين، ألا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا نوحيد لمن لم يُقَرَّ  
 بأن القرآن مخلوق، فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم البها في امتحان من يحضر  
 مجالسهما، بالشهادات على الحقوق، ونصهم عن قولهم في القرآن، فمن لم يقل منهم أنه  
 مخلوق، أبطلأ شهادته، ولم يقطعا حكما بقوله، وإن ثبت عفاقه بالقصد والسادس في أمره،  
 وأفعل ذلك بمن في سائر عمالك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافا يزيد الله به ذا البصيرة  
 في بصيرته، ويمنع المرتاب من إغفال دينه، وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك  
 في ذلك إن شاء الله .



ثم لنتظر ما حصل بعد ذلك مما يرويه لنا الطبري قال :

فأحضر إصحاق بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر  
أبا حسان الزياتي ، وبنو بن الوليد الكندي ، وعلى بن أبي مقاتل ، والفضل بن فاضل ،  
والدبيل بن الهيثم ، وسجادة ، والقواريري ، وأحمد بن حنبل ، وثيبة ، وسعدويه الواسطي ،  
وعلى بن الجعد ، وإصحاق بن أبي إسرائيل ، وأبن الهريش ، وأبن حنبل الأكبر ، وبجي  
ابن عبد الرحمن العمري ، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب ، كان قاضي الرقة وأبا نصر  
التمار وأبا ميمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح المضرابي ، وابن  
الفرخان ، وجماعة منهم النضر بن شميل ، وابن علي بن عاصم ، وأبو العوام البزاز ، وابن  
سجاء ، وعبد الرحمن بن إصحاق ، فأدخلوا جميعا على إصحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا  
مرتين ، حتى فهموه ، ثم قال لهنس بن الوليد : ما نقول في القرآن ؟ فقال : قد صرفت  
مقاتلي لأمر المؤمنين غير مرة ، قال : فقد تجد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال :  
أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك من هذا ، أخلق ؟ و : قال : الله خالق كل شيء ،  
قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فخلق ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس  
أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استمهدت  
أمير المؤمنين ألا أتكلّم فيه ، وإيس عندي غير ما قلت لك ، فأخذ إصحاق بن إبراهيم رقعة  
كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا  
لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا  
وجه من الوجوه ، قال : نعم ، وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكتاب :  
أكتب ما قال .

ثم قال لعل بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين  
في هذا غير مرة ، وما عندي غير ما سمع ، فامض به بالرقعة ، فأتز بما فيها ، ثم قال : القرآن  
خلق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله وإن  
أمرنا أمير المؤمنين بنى سمعا وأطعنا ، فقال للكتاب : أكتب مقاله .



ثم قال للذيال نحواً من مفااته لعل بن أبي مقاتل ، فقال له مثل ذلك . ثم قال لأبي حسان الزبائدي : ما عندك ؟ قال : سأل عما شئت ، فقرأ عليه الرقعة ، ووقفه عليها فأتى بما فيها . ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء ، وما دون الله مخلوق ، وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلده الله أمرنا ، فصار يُقيم حجتنا وصلاتنا ، وودى إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامة ، وإن أمرنا اتقنا ، وإن نهانا آتينا ، وإن دعانا أجبتنا ، قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مفااته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالة أمير المؤمنين ولا يأمرك بها الناس ، ولا يدعوهم إليها ، وإن أخبرني أنك أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به ، فإنك الحق ، المأمون عليه ، فيما أبلغتني عنه من شيء ، فإن أبلغتني عنه بشيء صرت إليه ، قال : ما أمرني أن أبلغك شيئاً ، قال علي بن أبي مقاتل : قد يكون قوله باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفرائض والموارث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندي إلا السمع والطاعة ، فرفى آتياً ، قال : ما أمرني أن أمرك ، وإنما أمرني أن أمتعنك .

ثم طرد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله ، قال : المخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتحنه بما في الرقعة ، فلما أتى إلى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) وأمسك عن لا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر ، فقال — أصلحك الله — : إنه يقول : سمع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله سمع بصير ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري هو كما وصف نفسه ، ثم دعا بهم رجلاً رجلاً كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلا هؤلاء نفر : قتيبة ، وعبيد الله بن محمد بن الحسن ، وابن طلبة الأكبر ، وابن البكاء . وعبد المنعم بن إدريس



ابن بنت وهب بن مُنَبِّه، والمُظَفَّر ابن مُرَجَّا، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه، ولا يُعرَف بشيء منه، إلا أَنَّهُ دُثِرَ في ذلك الموضع، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة، وابن الأحمر، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن معمول لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۖ وَالْقُرْآنُ مُحَدَّثٌ لِّقَوْلِهِ : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾ ﴾ قال له إسحاق : فالمجمل مخلوق؟ قال : نعم، قال : فالقرآن مخلوق؟ قال : لا أقول مخلوق ولكنه معمول، فكتب مقائسه، فلما فرغ من امتحان القوم وكتب مقالاتهم أعترض ابن البكاء الأصغر فقال — أصلحك الله — : إن هذين القاضيين أئمة، فلو أمرتهما فأعادا الكلام ! قال له إسحاق : هما من يقوم بحجة أمير المؤمنين، قال : فلو أمرتهما أن يُسمِعانا مقالاتهما لَنُحْكِي ذلك عنهما ! قال له إسحاق : إن شهدتهما عندهما بشهادة فستعلم مقالاتهما إن شاء الله، فكتب مقالة القوم رجلا رجلا ووجهت الى المأمون، فكث القوم تسعة أيام ثم دعا بهم . وقد ورد كتاب المأمون . جوابُ كتاب إسحاق بن إبراهيم في أمرهم . وهاك هو ما منجمله خاما لكلماتنا .



بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جوابُ كتابه، كان اليك فيما ذهب إليه مُتَّصِنَةٌ أهل القبلة، وملتزمو الرئاسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة، من القول في القرآن، وأمرَكَ به أمير المؤمنين، من امتحانهم، وتكشيف أحوالهم، وإحلالهم محالهم . تذكر إحضارَكَ جعفر بن عيسى، وعبد الرحمن بن إسحاق، عند ورود كتاب أمير المؤمنين، مع من أحضرت ممن كان ينسب الى الفقه، ويُعرَف بالجلوس للحديث، ويتَّصِب نفسه للفتيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين، ومساالتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن، والدلالة لهم على حفظهم، وإطباقهم على نفي التشبيه، واختلافهم في القرآن، وأمرَكَ مَنْ لم يقل منهم إنه مخلوق بالإسلامك عن الحديث والفتوى، في السر والعلانية، وتهدُّمَكَ الى السُّنْدِي، وعباس مولى أمير المؤمنين بما



تَهْدَمَتْ بِهِ فِيهِمْ إِلَى الْقَاضِيَيْنِ بِمِثْلِ مَا مِثْلُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَمْتَحَانِ مَنْ يَحْضُرُ  
بِجَالِسِهِمَا مِنَ الشُّهُودِ ، وَبَثَّ الْكُتُبَ إِلَى الْقَضَاةِ فِي النُّوَاحِي مِنْ عَمَلِكَ بِالْقُدُومِ طَبِيعِكَ ،  
لِتَحْمِلَهُمْ وَتَمْتَحِنَهُمْ عَلَى مَا حُدِّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتُثَبِّتَكَ فِي آثَرِ الْكُتُبِ أَسْمَاءُ مَنْ حَضَرَ  
وَمَقَالَتِهِمْ ، وَفَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا اقْتَضَصْتَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ اللَّهَ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ ،  
وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ فِي التَّوْفِيقِ  
لِطَاعَتِهِ ، وَحَسَنِ الْمَعُونَةِ ، عَلَى صَالِحِ نَيْتِهِ بِرَحْمَتِهِ .

وَقَدْ تَدَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَتَبْتَ بِهِ مِنْ أَسْمَاءَ مَنْ سَأَلَتْ عَنْ الْقُرْآنِ ، وَمَا رَجَعَ  
إِلَيْكَ فِيهِ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ ، وَمَا شَرَحْتَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ ؛ فَأَمَّا مَا قَالِ الْمَغْرُورُ بِشَرِّ بْنِ الْوَلِيدِ  
فِي تَقْيِ التَّشْبِيهِ ، وَمَا أَمْسَكَ عَنْهُ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، وَأَدَّعَى مِنْ تَرْكِهِ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ  
وَأَسْتَعْمَادِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ كَذَّبَ بِمُتَرَفِي ذَلِكَ وَكُفَّرَ ، وَقَالَ الزُّورُ وَالْمُنْكَرُ ، وَلَمْ يَكُنْ  
يَجْرَى بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَهُ فِي ذَلِكَ ، وَلَا فِي غَيْرِهِ ، هَهُنَا وَلَا نَظَرَ أَكْثَرَ مِنْ إِيخْبَارِهِ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْتَادِهِ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْقَوْلَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَادَّعَى بِهِ إِلَيْكَ ،  
وَأَعْلَمَهُ مَا أَعْلَمَكَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْصَصَهُ عَنْ قَوْلِهِ فِي الْقُرْآنِ ، وَاسْتَبَيَّ مِنْهُ ،  
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى أَنَّ تَسْتَبِيحَ مَنْ قَالَ بِمَقَالَتِهِ إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ الْكُفْرَ الصَّرَاحَ وَالشُّرْكَ  
الْمُحْضَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا فَأَشْهَرُ أَمْرِهِ ، وَأَمْسَكَ عَنْهُ ، وَإِنْ أَصْرَ عَلَى شُرْكَهِ ،  
وَدَفَعْ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا بِكُفْرِهِ وَإِلْحَادِهِ ، فَاضْرِبْ عَقَبَهُ ، وَأَبْعَثْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
بِرَأْسِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ فَامْتَحَنَهُ بِمِثْلِ مَا تَمْتَحِنُ بِهِ بَشَرًا ، فَإِنَّهُ كَانَ  
يَقُولُ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ بِوَالِغٍ ، فَإِنْ قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَأَشْهَرُ أَمْرِهِ  
وَأَكْشَفُهُ ، وَإِلَّا فَاضْرِبْ عَقَبَهُ ، وَأَبْعَثْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْسِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي مُقَاتِلٍ فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَائِلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ تَحَالٌ وَتَحْرَمُ  
وَالْمُكَلَّمُ لَهُ بِمِثْلِ مَا كَتَبْتَهُ بِهِ ، مِمَّا لَمْ يَنْهَبْ عَنْهُ ذِكْرُهُ ؛ وَأَمَّا الذِّيَالُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ  
كَانَ فِي الطُّعَامِ الَّذِي كَانَ يَسِيرُ فِيهِ فِي الْأَنْبَارِ ، وَفِيمَا يَسْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَدِينَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ



أبي العباس ما يشقه، وأنه لو كان مقتضياً آثار سلفه، وسالكا مناهجهم، ومُتَحَذِّيا سبيلهم، لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه، وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العَـوَّام، وقوله إنه لا يُحَسِّن الجواب في القرآن، فأعلمه أنه صبيٌّ في عقله، لا في سنه، جاهل، وأنه إن كان لا يُحَسِّن الجواب في القرآن فسيُحَسِّنُه، إذا أخذه التأديبُ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله.

وأما أحمد بن حنبل، وما تكتب عنه، فأعلمه أنَّ أمير المؤمنين قد عَرَفَ حَقَّي تلك المقالة، وسبيلَه فيها، وأسْتَدَلَّ على جهله، وأقْبَه بها، وأما الفضل بن غانم، فأعلمه أنه لم يَخَفْ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر، وما أَكْتَسَب من الأموال في أَقَلِّ من سنة، وما تَجَبَّر بينه وبين المُطَلَّب بن عبد الله في ذلك، فإنه مَن كان شأنه شأنه، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته، فليس بِمُسْتَكْرَأٍ يبيع إيمانه طمعا فيهما، وإشارا لعاجل نفعهما، وإنه مع ذلك القائلُ لمولى بن هشام ما قال، والخائفُ له فيما خالفه فيه، لما الذي حال به عن ذلك، ونقله إلى غيره، وأما الزَّيَادِيَّة، فأعلمه أنه كان مُتَّعِلا لأقْوَلِ دَعْيٍ كان في الإسلام خُولِفَ فيه حَكْمُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وكان جديرا أن يسلك مسلكه فانكر أبو حسان أن يكون مولى لزيد، أو يكون مولى لأحد من الناس، — ودُكِرَ أنه إنما نُسِبَ إلى زيد لأمر من الأمور — وأما المعروف بأبي نصر التمار، فإن أمر المؤمنين شبه خسارة عقله بخسارة متجَرِّه، وأما الفضل بن الفرخان، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أَخَذَ الودائع التي أودعها لِيَأْهَ عبد الرحمن بن إصحاق وغيره، تَرَبَّصًا بمن استودعه، وطمعا في الاستكثار لما صار في يده، ولا سبيل عليه عن تقادُّم جهده، وتطاول الأيام به، فقل لعبد الرحمن بن إصحاق لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا، وإيمانك لِيَأْهَ، وهو معتقِدٌ للشرك، منسلخ من التوحيد.

وأما محمد بن حاتم، وابن نوح، والمعروف بأبي مَعْمَر، فأعلمهم أنهم مشاغل بآكل الربا، عن الوقوف على التوحيد، وأنَّ أمة المؤمنين لو لم يستعمل محاربتهم في الله ومجاهدتهم،



ألا لإربابهم، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم، لاستحل ذلك، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركاً، وصاروا للنصارى مثلاً؛ وأما أحمد بن شجاع، فأعلمه أنك صاحبُه بالأمس، والمستخرج منه ما أستخرجته من المال الذي كان استحلّه من مال عليّ بن هشام، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه؛ وأما سَعْدَوِيّ الواسطيّ فقل له: قَبِحَ اللهُ رجلاً بلغ به التصنُّع للحديث، والترين به، والحرصُ على طلب الرئاسة فيه، أن يمتنّى وقت المحنة فيقولَ بالتقرب بها: متى يُمتحنُ فيجلسُ للحديث؛ وأما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكونَ سَمِيعَ ممن كان يجالس من أهل الحديث، وأهل الفقه، الأولُ بأن القرآن مخلوق، فأعلمه أنه في شغله بإعداد النوى، وحكّه لإصلاح تجارته، وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وألهاه، ثم سلّه عما كان يوسف بن أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، يقولانه إن كان شاهدهما وجالسهما؛ وأما القواريريّ فقبيا تكشف من أحواله، وقبولة الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه، وسوء طريقته، وسخافة عقله ودينه، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولّى لجعفر بن عيسى الحسنيّ مسائله، فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه، وترك الثقة به، والاستئمانه إليه.

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمريّ، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب بفوايه معروف؛ وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من سلّته لم يتحلّ النحلة التي حَكَيْتَ عنه، وإنه بعدُ صبيّ يحتاج إلى تعلّم، وقد كان أمير المؤمنين وجهه إليك المعروف بأبي مُشِير، بعد أن نصّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، بجمعِ صنها، وبلّح فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف، فأقرّ ذمياً، فانصصه عن إقراره، فإن كان مقبياً عليه فأشهر ذلك وأظهره إن شاء الله؛ ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأُمير المؤمنين في كتابك، وذكره أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا، ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بسر بن الوليد، وإبراهيم بن المهدي، فأحلهم أجمعين، مؤثّقين



الى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم ، وحراستهم في طريقهم ، حتى يؤتيهم الى عسكر أمير المؤمنين ، ويسلمهم الى من يؤمر بتسليمهم اليه ، لينصمهم أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بُندارية ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية مُسجلا به ، تقربا الى الله عز وجل بما أصلد من الحكم ، ورجاء ما أحتمد ، وإدراك ما أمل ، من جزيل نواب الله عليه ، فأنفذ لما أتك من أمر أمير المؤمنين ، وعجل لإجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بُندارية مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله . وكتب سنة ٢١٨ هـ .



## (ج) عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور: ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبدالله ابنه هذا العهد، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه، وشاع أمره حتى بلغ المأمون، فدعا به وقرئ عليه، وقال: ما أبى أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا، والتدبير والرأى، وإصلاح الملك والرجة، وحفظ البيعة، وطاعة الخلفاء، وتقوم الخلافة الا وقد أحكمه، وأوصى به، وتقدم فيه. وأمر أن يكتب بذلك الى جميع المال في نواحي الأعمال. ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية أثرنا ذكره على ما فيه من طول رغبة منا في ألا يخلو كتابنا من هذا الأمر العظيم القيمة والخطير، وهما:

«عليك بتقوى الله وحده لا شريك له، وخشيتته ومراقبته ومزايلة تحفظه، وحفظ رعيته، وألزم ما أهلك الله في العافية بالذكر لمعادك، وما أنت صائر اليه، وموقوف عليه، ومستول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ويُنجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه، فإن الله قد أحسن اليك، وأوجب عليك الرأفة بمن أسترعك أمرهم من عباده، وألزمك العدل عليهم، والقيام بحقه وحدوده فيهم، والذب عنهم، والدفع عن حريمهم ويضيتهم، والحقق لدمائهم، والأمرن أسيلهم، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك، وموقفك عليه، ومسايلك، وميثيق عليه بما قدمت وأخرت، وفرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك، ولا يلحك عنه ذهل، ولا يسفلك عنه شغل، فإنه رأس أمرك وملاك شاك، وأول ما يوقفك الله به لرشدك، وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فمالك، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس، والجماعة عليها بالناس قبلك في موافقتها على سنتها في إسباغ الوضوء لها وأقتراح ذكر الله فيها، وترتل في قراءتك، وتمكن في ركوعك وسجودك وتسهدك، ولتصدق فيها لربك نيتك، وأحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك، وأدأب عليها فإنها كما



قال الله تأسر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمثابرة على خلافته، وأقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقهواه، ولزوم ما أنزل الله في كتابه، من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وإتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قم فيه بما يحق لله عليك، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت، لقريب من الناس أو بعيد، وأثر الفقه وأهله، والدين وسمّته وكتاب الله والعاملين به، فإن أفضل ما تزين به المرء نفسه في دين الله، والطلب له والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والآمر به، والنهى عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة الله، عز وجل، وإجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوفير لأمره والهيبة لسلطانك، والألفة بك والثقة بك. وعليك بالاعتصام في الأمور كلها فليس شيء أيقن نفعاً ولا أحضر أمناً ولا أجمع فضلاً من القصد، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق متقاد إلى السعادة، ويقوم الدين والسنن الهادية بالاعتصام، فأثره في دنياك كلها، ولا تقتصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة، والسنن المعروفة ومعالم الرشد، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته، ومراقبة أوليائه، في دار كرامته.

وأعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز، ويحصن من الذنوب وأنك لن تحوط نفسك ومن يليك، ولا تستصلح أمورك، بأفضل منه، فاته، وأهتد به تم أمورك، وترد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعائتك، وأحسن الظن بالله عز وجل، تستقم لك رعيته، والنفس الوسيلة إليه في الأمور كلها، تستمد به النعمة عليك، ولا تفيض أحداً من الناس، فيما تولّيه من عملك، قبل تكشف أمره بالتهمة، فإن إلقاء التهم بالبراءة والظنون السيئة بهم مأثم، وأجعل من شأنك، حسن الظن بأصحابك، وأطرد عنك سوء الظن بهم، وأرفضه عنهم، يئسك ذلك على أصحابناهم ورياضتهم، ولا يحدك عدو الله الشيطان في أمرك مغمراً،



فإنه انما يكفى بالقليل من وَهَيْكَ فَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّمِّ ، فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مَا يُنْقِصُ عَلَيْكَ  
لَذَّةَ عَيْشِكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، قُوَّةَ وَرَاحَةٍ ، وَتُكْفَى بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتِهِ مِنْ  
أُمُورِكَ ، وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ ، وَالْإِسْقَامَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا لَكَ . وَلَا يَمْنَعُكَ حَسَنُ الظَّنِّ  
بِأَصْحَابِكَ ، وَالرَّافَةُ بِرَعِيَّتِكَ ، أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْئِلَةَ وَابْحَثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ  
الْأَوْلِيَاءِ ، وَالْحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالنَّظَرَ فِي أَعْمَالِهَا وَيُصْلِحُهَا ، بَلْ لِيُكْنِيَ الْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ ،  
وَالْحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ ، وَحَمَلَ مَوْثِقَاتِهِمْ ، آثَرَعَتْكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ  
أَقْوَمُ لِلدِّينِ ، وَأَحْيَا لِلسَّنَةِ ، وَأَخْلَصُ لِنَيْتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا ، وَتَفُزُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ ، تَفُزُ مِنْ  
يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْتَوْحِلٌ عَمَّا صَنَعَ ، وَهَجَزَتْ بِمَا أَحْسَنَ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدِّينَ حِزًّا وَعِزًّا ، وَرَفَعَ مِنْ  
أَتْبَعِهِ وَعِزُّهُ ، فَاسْلُكْ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ ، نَهْجَ الدِّينِ ، وَطَرِيقَةَ الْهُدَى ، وَأَقِمْ حَدُودَ اللَّهِ  
فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ ، وَمَا أَسْتَحَقُّوه ، وَلَا تُعْطِلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَونُ بِهِ ، وَلَا  
تُؤَخِّرْ عِقَابَهُ أَهْلَ الْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ ، لِمَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حَسَنَ ظَنِّكَ ،  
وَأَعِزُّمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَجَانِبِ الشُّبَّةِ وَالْبِدْعَاتِ ، يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ،  
وَتَقُمُّ لَكَ مَرْوَةٌ ، وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا قَبْلَ بِهِ ، وَإِذَا وَعَدْتَ الْخَيْرَ فَأَنْجِزْهُ ، وَأَقْبَلِ الْحَسَنَةَ ،  
وَأَدْفَعْ بِهَا ، وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ دِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَشَدُّ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ  
وَالزُّورِ ، وَأَبْنِضْ أَهْلَهُ ، وَأَقْصِ أَهْلَ النِّيمَةِ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فُسَادِ أَمْرِكَ فِي طَاجِلِ الْأُمُورِ  
وَأَجْلُهَا ، تَقْرِيبُ الْكَذُوبِ ، وَالْجُرْأَةُ عَلَى الْكَذِبِ ، لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ ، وَالزُّورِ  
وَالنِّيمَةِ خَاتِمُهَا ، لِأَنَّ النِّيمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا ، وَقَاتِلُهَا لَا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَحِقُّ لِمَطِيعِهَا  
أَمْرٌ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالصَّلَاحِ ، وَأَعَنَ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ ، وَوَاوَصِلِ الضُّعَفَاءَ ، وَصِلِ  
الرَّحِمَ ، وَأَبْنِغْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ . وَعِزَّةُ أَمْرِهِ ، وَأَلْتَمِسْ فِيهِ نَوَابِهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ ، وَاجْتَنِبِ  
سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ ، وَأَصْرِفْ عَنْهَا رَأْيَكَ . وَأُظْهِرْ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ ، وَأَنْتُمْ بِالْعَدْلِ  
سَيَاسَتِهِمْ ، وَقُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ ، وَبِالْمَعْرِثَةِ الَّتِي نَتَّبِعُ . إِنَّكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى ، وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ  
الغَضَبِ ، وَاتْرِكِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ . وَإِنَّكَ بِالْحِلَّةِ وَالطَّلَاسِ وَالْفُرُورِ فَمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، وَإِنَّكَ أَنْ



تقول : إني مُسلِّطٌ أفعل ما أشاء فان ذلك سريعٌ فيكَ إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلصُ لله وحده النية فيه ، واليقين به ، وأعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، ويقرعه من يشاء ولنْ نَجِدَ تَغْيِرَ النعمة ، وسلولِ النعمة ، إلى أحدٍ أسرع منه ، إلى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ، والميسوط لهم في الدولة ، اذا كفروا بنعم الله وإحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخارتك وكنوزك التي تَدْرُسُ وتَكْتَرُ ، البر والتقوى ، والمعدلة ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم ، والحفظ لسمائهم ، والإغاثة للملهوفهم ، وأعلم أن الأموال اذا كثرت ودُخِرَتْ في الخزائن ، لا تُثْمَرُ ، واذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، نمت ودبت ، وصلحت به العامة ، وترينت به الولاة ، وطالب به الزمان ، وأعتقد فيه العز والمصلحة ، فليكن كثر خزائنتك تهريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيته من ذلك حصصهم ، وتعهّد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فإنك اذا فعلت ذلك قوت النعمة عليك ، وأستوجبته المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية نراجك ، وجمع أموال رعيته وعملك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب نفسا بكل ما أردت ، فاجهد نفسك ، فيما حدثت لك في هذا الباب ، ولتَعْظُمَ حَسْبُكَ فيه ، فانما يبقى من المال ، ما أنفق في سبيل حقه ، وأعرِفَ للشاكرين شكرهم ، وأثبهم عليه ، وإياك أن تُنْسِكَ الدنيا وغروها هَوْلَ الآخرة ، فتهاونَ بما يحق عليك ، فان التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى ، وأزج الثواب ، فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد ، يزدك الله خيرا وإحسانا . فان الله يشيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حمل من النعم ، وألبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنبا ، ولا تمالئن حاسدا ، ولا ترجمن فاجرا ، ولا نصبتن كفورا ، ولا تداينن عدوا ، ولا تصدقن نماما ، ولا تأمنن غدارا ، ولا توالين فاسقا ، ولا تابعن ظوئيا ، ولا تحمدن



مُرَائِيًا ، ولا تُحِقِرُونَ إِنْسَانًا ، ولا تَرُدُّونَ سَائِلًا فَقِيرًا ، ولا تَجْهِنُونَ بِاطِلًا ، ولا تُلَاحِظُونَ  
مُضْحِكًا ، ولا تُخْلِفُونَ وَعْدًا ، ولا تَذْهَبُونَ نَفَرًا ، ولا تَظْهَرُونَ قَضَبًا ، ولا تَأْتِيَانِ بَلَاءًا ،  
ولا تَمْسِيَانِ مَرَحًا ، ولا تَرْكَبَانِ سَفَهًا ، ولا تُهْرِطُنِ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ، ولا تَدْفَعُ الْيَوْمَ عِيَانًا ،  
ولا تُفِيمُضْنَ عَنِ الظَّالِمِ رَهْبَةً مِنْهُ ، أَوْ خَافَةً ، ولا تَطْلُبُنِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرَ  
مُشَاوَرَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَأَسْتَعْمِلَ نَفْسَكَ بِالْحِلْمِ ، وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ  
وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا تُدْخِلْ فِي مَشُورَتِكَ أَهْلَ الدَّقَّةِ وَالْبُخْلِ ، وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا ، فَإِنَّ  
ضَرَرَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهِمْ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فَسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِي أَمْرِ رَحِيَّتِكَ مِنَ  
الشُّعْخِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا ، كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ ، قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ ، وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ  
لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنَّ رَحِيَّتَكَ إِنَّمَا تَصْقُدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ ،  
وَتَرْكِ الْجُورِ عَلَيْهِمْ ، وَيَدُومُ صَفَاءُ أَوْلِيَاكَ لَكَ ، بِالْإِنْفِصَالِ عَلَيْهِمْ ، وَحَسَنَ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ ،  
فَاجْتَنِبِ الشُّعْخَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ ، وَإِنَّ الْعَاصِيَ بِمُتْلَةِ نَحْرِي ،  
وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ﴿ وَمَنْ يُؤْكَلْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ  
بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلْ لِلسَّامِعِينَ كُلِّهِمْ مِنْ يَتِّكَ حِظًّا وَنَصِيبًا ، وَأَيِّضًا أَنْ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ  
الْعِبَادِ ، فَأَعِدِدْ لِنَفْسِكَ خُلُقًا ، وَأَرْضَ بِهِ عَمَلًا وَمُذْهَبًا ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ الْجَنَدِ فِي دَوَائِرِهِمْ ،  
وَمَكَاتِبِهِمْ ، وَأَدْرِ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ ، لِيُذِيبَ بِذَلِكَ اللَّهُ فُاقَتَهُمْ ،  
وَيَقُومَ لَكَ أَمْرُهُمْ ، وَيَزِيدَ بِهِ قُلُوبَهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ ، خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا ، وَحَسَبُ  
ذِي سُلْطَانٍ مِنَ السَّمَاعَةِ ، أَنْ يَكُونَ عَلَى جَنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، رَحْمَةٌ فِي عَدْلِهِ وَحِيطَةٌ وَإِنصَافُهُ  
وَعَنَايَتُهُ ، وَشَفَقَتُهُ وَرَبِّهِ وَتَوْسِيعَتُهُ ، فَزَايِلْ مَكْرَهُهُ لِمَدَى الْبَلَاءَيْنِ ، بِاسْتِئْثَارِ تَكَلُّمِ الْبَابِ الْآخِرِ  
وَلِزُومِ الْعَمَلِ بِهِ تَلَقُّ أَنْ شَاءَ اللَّهُ نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَفَلَاحًا .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ ، بِالْمَكَانِ الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ ، لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي  
تَعْتَدِلُ عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ فِي الْأَرْضِ ، وَبِقِيَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ الرِّعْيَةُ ، وَتُؤَمِّنُ  
السَّبِيلُ ، وَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ ، وَيَأْخُذُ النَّاسَ بِحُقُوقِهِمْ ، وَتَحْسُنُ الْمَعِيشَةُ ، وَبُؤْدَى حَقِّ



الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجري السنن والشرائع، وعلى تجارها  
يُتَجَرَّزُ الحَقُّ والمَدْلُ في القضاء . وأشند في أمر الله وتوزع عن النطق وأمض لإقامة  
الحدود، وأقل العجلة، وأبعد من الضجر والتلق، وأقنع بالقسم، وتَسْكُنُ رِيحُكَ،  
وَيَقْرَجَلُكَ، وانتفع بقبريتك، وانته في صمتك، وأسدد في منطقك، وأنصف الخصم،  
وقف عند الشبهة، وأبلغ في الحجّة، ولا يأخذك في أحد من رعيّتك عُجَابَةً ولا مُجَامَلَةً،  
ولا لوم لائم، وتثبت وثاق، وراقب وأنظر، وتدبر وعكّر، وأعتبر وتواضع لربك، وأزاف  
بجميع الرعيّة، وسلط الحق على نفسك، ولا تسيّر عن إلى سفك دم، فإن الدماء من الله بمكان  
عظيم انتهاكا لها بغير حقها، وأنظر هذا الخراج الذي استغامت عليه الرعيّة، وجعله الله  
للإسلام عزّا ورفعة، ولأهله سَمَةً وَنَمَةً، ولعدوه وعدوم كِبًا وَغِيظًا، ولأهل الكفر  
من معادتهم ذلًّا وَصَفَارًا، فوزّعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية، والعُوم فيه،  
ولا تدفن منه شيئا عن شريف لشرفه، وعن غنى لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد  
من خاصّتك، فلا تأخذن منه، فوق الاحتمال له، ولا تكلفن أمرا فيه شَطَط، وأحمل  
الناس كلهم على مُرِّ الحَقِّ، فإن ذلك أجمع لألْفَتِهِمْ، وألزم لِرِضَى العامة، واعلم أنك جعلت  
بولايتك خازنا وحافظا، وراعيا، وانما سمي أهل عملك رعيّتك، لأنك راعيهم، وقيّمهم،  
تأخذ منهم ما أعطوك، من عفوهم ومقدرتهم، وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم،  
وتقوم أودهم، فاستعمل عليهم في كُورِ عملك، ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة  
بالعمل، والعلم بالسياسة والعفاف، ووسّع عليهم في الرزق، فإن ذلك من الحقوق اللازمة  
لك فيما تعلّدت، وأسند اليك، ولا يسفلنك عنه شاغل، ولا يصيرفك عنه صارف، فإنك  
مضى آثرته، وقتت فيه بالواجب، استدعيته به زياده النعمة من ربك، وحسن الأحذوفة  
في عملك، واستعجرت به المحبة من رعيّتك، وأعنت على الصلاح، فدرت الخيرات  
ببلدك، وقشّت العمارة بناحيّتك، وظهر الخصب في كورك، وكثر خراجك، وتوفرت  
أموالك، وقويت بذلك على ارتباط جنسك، وإرضاء العامة، بإفاضة العطاء فيهم من



نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل في ذلك عند صدوك ، وكنت في أمورك كلها ، فاعدل وقوة ، وآلة وصلة ، ففأفيس في هذا ، ولا تقدم عليه شيئا ، محمد مقبة أمرك ، إن شاء الله ، وأجعل في كل كورة من عملك أمينا ، ينجرك أخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم ، حتى كأنك مع كل عامل في عمله ، مُعَيْنٌ لأمره كله ، وإن أردت أن تأمره بأمر ، فانظر في حواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن النفع ، والنصح والصنع فأمضه ، وإلا تتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره ، قد واثق على ما يهوى ، فقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر في حواقبه أهلكه ، ويُقَضِّض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد حَوْنِ الله بالقوة ، وأكثر استشارة ربك ، في جميع أمورك ، وأفرغ من عمل يومك ، ولا توتر نفسك ، وأكثر مباشرة بنفسك ، فإن نغيد أمورا وحوادث تُلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله أجمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تُعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله ، أرحت نفسك وبذلك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طوبيتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم ، وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحمل مؤوتهم وأصلح حالهم ، حتى لا يبعدوا لخبتهم مسأ ، وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظالمه إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيك ، وثمرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتأملهم وأراملهم ، وأجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداءً بأمر المؤمنين أعزاه الله في العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمرءاء من بيت المال ، وقدم حملة



القرآن منهم، والحافظين لاكثره، في الحراية على غيرهم، وأنصّب لمرضى المساكين دُورا  
تؤويهم، وتُؤاماً يرقون بهم، وأطباء يعالجون أَسقامهم، وأسقفهم بشهواتهم، ما لم يؤد ذلك  
إلى سرف في بيت المال، وأعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم، وأفضل أمانهم لم يُرضهم  
ذلك، ولم تطب أنفسهم، دون رفع حوائجهم إلى وُلاتهم، طمعا في نيل الزيادة، وفضل  
الرفق منهم، وربما يرم المتصفح لأُمور الناس لكثرة ما يرد عليه، ويشغل فكره وذنه، ومنها  
ما يناله به مؤونة ومشقة، وليس من يرضى في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل  
وفضل ثواب الآجل، كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله، وياتمس رحمة به، وأكثر الإذن  
للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكن لهم أحراسك، وأخفّض لهم جناحك، وأظهر لهم  
بشرك، وإنّ لهم في المسألة والمنطق، وأحلف عليهم بحدك وفضلك، وإذا أعطيت فأعط  
بساحة وطيب نفس، وأتمس الصديعة والأجر، غير مكدر ولا متأن، فإن العطية على ذلك  
تجارة مُربحة إن شاء الله، وأعتبر بما ترى من أمور الدنيا، ومن مضى من قبلك، من أهل  
السلطان والرياسة، في القرون الخالية والأهم البائدة، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله،  
والوقوف عند محبته، والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه، وأجتنب ما فارق ذلك  
وخالفه، ودعا إلى سخط الله، وأعرف ما تجمع عمالك من الأموال، ويُنفقون منها،  
ولا تجمع حراما، ولا تُفق إسرافا، وأكثرُ مجالسة العلماء، ومشاورتهم ومخالطتهم، ولكن  
هواك أتباع السنن وإقامتها، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها، ولكن أكرم دُخلائك وخاصتك  
عليك من إذا رأى عبا فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك اليك، في سرّ، وإعلامك  
ما فيه من النقص، فإن أولئك أنصح أوليائك ومُظاهريك، وأنظر عمالك الذين يحضرتك،  
وتُكاتبك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته  
وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيّتك، ثم فرغ لما يُورده عليك من ذلك  
سمّك وبصرك، وفهمك وعقلك، وكرّر النظر إليه والتدبر له، فما كان موافقا للحزم والحق  
فامضه وأسخر الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه،



ولا تمنن على رعيّتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا  
 الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تصنع المعروف إلا على ذلك ،  
 وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ،  
 فإن الله مع الصّالح وأهله ، ولكن أعظم سيرتك ، وأفضل رعيّتك ، ما كان لله رضا ،  
 ولبيته نظاما ، ولأهله عزّا وتمكيناً ، وللزمة والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يحسن  
 حوكمك وتوفيقك ، ورشدك وكلامك ، وأن يتزل عليك فضله ورحمته ، بتمام فضله عليك ،  
 وكرامته لك ، حتى يصلح أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأستاهم ذكراً وأمرأ ، وأن  
 يهلك عدوك ومن تأواك ونهى عليك ، ويرزقك من رعيّتك العافية ، ويحجز الشيطان  
 عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعمز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .



## (د) رسالة الخميس

من عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين، الى المبشرين على الحق، والناشرين للدين،  
من أهل خراسان وغيرهم من أهل الإسلام : سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يمد اليكم  
الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله .

أما بعد، فالحمد لله القادر القاهر، الباعث الوارث، ذى العز والسلطان، والنور  
والبرهان، فاطر السموات والأرض وما بينهما، والمتقدم بالحق والعدل على أهلها، قبل  
استحقاقهم لمثوبيته، بالمحافظة على شرائع طاعته، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته، دليلا  
هاديا لهم الى معرفته، بما أقامهم من الأبواب، التى يفهمون بها فصل الخطاب، حتى اقتنوا  
علم موارد الاختبار، وحققوا مصادر الاعتبار، وحكوا على ما بطن بما ظهر، وعلى ما غاب بما  
حضر، وأستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته، ومثقف صنعته، وحاجة مترايل خلقه ومتواصله،  
الى القوم بما يلمه ويصلحه، على أن له بارئا أنشاء وأبداء، ويتسربضه لبعض . فكان  
من أقرب وجودهم، ما يباشرون به من أنفسهم فى تصرف أحوالهم، وفنون آتقائهم،  
وما يظهرون عليه من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم، وتمت به أدواتهم، مع أثر  
تدبير الله عز وجل وتقديره فيهم، حتى صاروا الى الخلقة المحككة، والدورة المعجبة،  
ليس لهم فى شيء منها تلطف يحمونه، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم، فإنه قال تعالى  
ذِكْرُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا  
شَاءَ رَبُّكَ﴾ . ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات، وما يجرى فيها من الشمس والقمر  
والنجوم مسخرات، على مسير لا يثبت العالم إلا به من تصاريف الأزمنة التى بها صلاح  
الحرث والنسل، وإحياء الأرض، وإقلاع النبات والأشجار، وتماور الليل والنهار، ومر الأيام  
والشهور والسنين التى تُحصى بها الأوقات، ثم ما يوجد من دلائل التركيب فى طبقات  
السقف المرفوع، والمهاد الموضوع، باختلاف أجزائه وألوانها، ونحو الإنهار، وإرساء



الجبال . ومن البيان الشاهد ما أخبر الله عز وجل به من إنشائه الخلق ، وحدوثه بعد أن لم يكن متوقفاً في النشاء ، وتبأته إلى أجله في البقاء ، ثم محاربه مُنْقِضِيا إلى غاية القناء . ولو لم يكن له مُفْتَسِحٌ عدد ولا مُنْقَطَعٌ أمد ، ما ازداد ينشوء ، ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ؛ لأت ما لا حد له . ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة . ثم ما يوجد عليه متعمته من ثبات بعضه لبعض ، وقوام كل شيء منه بما يسره له ، في بده استعداده إلى منتهى نقاده ؛ كما أحسج الله عز وجل على خلقه ، فقال : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ مَنْ ظَلَمَ قَانَ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ . وكل ما تهلم من الأخبار عن آيات الله عز وجل ودلالته في سمواته التي بقی ، وأطباق الأرض التي دسا ، وآثار صنمه فيما برأ وذنأ ، ثابت في فطر العقول ، حتى يُسَخَّرَ أُولَى الزرع ما يُدْخِلُونَ على أنفسهم من الشبهة فيما يعملون له من الأضداد والانداد . جل عما يشركون . ولولا توحد بالتدبير ، عن كل مُعين وظهير ، لكان الشركاء جُدرأ أن تختلف بهم إرادتهم فيما يخلقون ، ولم يكن التخلف في إنباته وإزالته ليخلو من أحد وجهته ، وأيهما كان فيه فالعجز والنقص مما آتاه وبرأه . جل البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك وتعالى طوا كبيرا ؛ كما قال سبحانه : ﴿ مَا آمَنَّا بِاللَّهِ مِنْ قَبْلُ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَبَّيْ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ . ثم من عظيم نعمة الله عز وجل على خلقه آفتاده إياهم ، وأنه يُسَدِّدُهم ويُلْهم على مناقهم ، ويُجَنِّبُهم مضارهم ، ويَهْدِيهم لما فيه صلاحهم ، ويرْغِبُهم في المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ، الذي جملة عِصْمَةٍ لهم وحاجراً بينهم .

ولولا ما تقدم به من تلافيمهم واستندراكهم بفضل رحمته ، لاجتاحهم التلف ، لقصور معرفتهم عن التائي لأقواتهم ومعاينتهم ، ولم يكونوا ليقْتَصِرُوا على حفظوظلهم وأقسامهم عما بنوا عليه من الجمع والرغبة ، ولتألكوا ابني بعضهم على بعض ، وعدوان قوتهم على ضعيفهم ، ولكنته بعد معرفته إياهم مُلْكٌ قدرته وجلالة عزته ، بعث إليهم أنبياء ورسله مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ،



بِالآيَاتِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا أَيْدِي الْخَالِقِينَ ، فَرَضُوا بِمَا قَسَيْتُ بَيْنَهُمْ ، وَارْتَدَّوْا عَنِ التَّبَاجِي وَالنِّظَالِمِ ،  
لَمَّا وُعِدُوا مِنَ الثَّوَابِ الْجَسِيمِ وَخُوفُوا مِنَ الْعِقَابِ الْأَلِيمِ ؛ وَلَمْ يَكُونُوا لِيُطِيعُوا أَمْرًا  
لَا أَمْرًا وَلَا نَهْيًا لِنَاسٍ ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَبَيِّنُ بِهَا الْحَقُّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَخْوِيفٍ  
يُثَبِّتُونَ بِهِ مُقَارَفَةَ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ، وَرَجَاءٍ يَجْتَسِمُونَ لَهُ مَوْثُونَةٌ مَا تُعْبَدُوا بِهِ . فَافْتَتَحَ اللَّهُ عِزِّ  
وَجَلِّ بِأَيُّهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ -  
كَمَا أَقْصَصَ فِي وَحْيِهِ الْمُنَزَّلِ - وَكَرَّمَ وَلَدَهُ وَفَضَّلَهُمْ ، فَقَالَ جَلَّ وَعِزِّ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ  
وَحَلَّلْنَا لَهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .  
وَجَعَلَ مَا قَطَرَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ سَبَبًا لَمَّا أَرَادَ مِنْ بَقَائِهِمْ وَتَسْلِيمِهِمْ ،  
وَمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ حُجَّةً عَلَيْهِمْ ، لِيُتَحَيَّنَ طَاعَتَهُمْ ، وَيَتْلَوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ  
عَمَلًا . وَلَمْ تَزَلْ رُسُلُ اللَّهِ عِزِّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ تَتَرَى بِالنُّورِ السَّاطِعِ ، وَالْبِرْهَانِ الْقَاطِعِ ،  
لَا يَجِدُونَ لَمَّا يُورِدُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ الْقَاهِرِ مَرَدًّا وَلَا مَدْفَعًا ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عِزِّ وَجَلَّ :  
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِآيَاتِنَا فَاتَّبَعْتُمْهَا مِنَ الدِّينِ أَجْرُمُوا وَكَانَ  
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . فَلَمْ يَحِدْ الْمَكْتُبُونَ مَسَاغًا إِلَى دَفْعِ مَا أَقِيمَ عَلَيْهِمْ مِنْ لَازِمِ الْحُجَّةِ ،  
إِلَّا الْمَعَانِدَةَ وَالْمُجَاهِدَةَ . وَكَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، يُتَّبَعُونَ فِي أَصَارِ الْحَقِّ ،  
تُذَرُّ لَلَامِ ، حَتَّى خَتَمَهُمُ اللَّهُ عِزِّ وَجَلَّ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَشَّرَهُ فَرْدًا  
وَحِيدًا لَا عَاضِدَ لَهُ وَلَا رَافِدَ ، إِلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا بُمُكًا ، وَجِهَارَةً صَمًّا ، فَكَذَّبَ بِهِ  
الْقَوْمُ الَّذِينَ يُبْتَغَى فِيهِمْ أَوَّلُ مَا دَعَاهُمْ ، وَرَامَهُ مَلُوكُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ بِتَوْجِيهِ الْأَجْنَادِ ،  
وَمُرَافِقَةِ الْقُوَّةِ وَالْعِتَادِ وَبَنَى الْغَوَائِلِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلِ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ  
بِمَا أَمَرَهُ بِهِ ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . ثُمَّ جَاهَدَ بَيْنَ أَطَاعَةِ مَنْ عَصَاهُ ، وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ مَنْ خَالَفَهُ ، حَتَّى  
أَعَزَّ اللَّهُ كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ ، وَأَكْمَلَ لِعِبَادِهِ دِينَهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ . فَلِذَا اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ  
مَا لَدَيْهِ ، وَاخْتَصَّ بِهِمَا عِنْدَهُ : مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ ، وَالْجَزَاءِ الْكَرِيمِ ، بَعْدَ اسْتِقَامَةِ الدِّينِ



ودخول الناس فيه أفواجا، خلقه، إذ ختم به الأنبياء، بالبررة النجباء من أذانيه وحنثه، لإقامة الشرائع المفترضة، وإنفاذ حكم الله المقتل، وأقضاء السنة الماثورة وحفظها له في قرابته وبجبي دعوته، وإتماما لما أوجب له من الفضيلة، وقريب الوسيلة، وإنجازا لما وعده من إظهار ما بعثه به، من دينه الذي أصطفاه وأرتضاه. وكان اختيار أولى الفضل من حنثه وعصيته لإرث خلافته، ومن عظيم الزلف التي رغب إلى الله فيها أنبيأوه، وبما اقتص في منزل وحيه، وأخص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته تصير مودته في القربى جزاءه ممن تبعه على الرسالة، وهداه من الضلالة؛ فكانت فضيلتهم عزيمة من الله عز وجل، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألزمه تأديته إلى خلقه وألزمهم أدائه، فقال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره ليأهم وإذها به الرجس عنهم، على أصطفائه لهم؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وكان مما أوجب لهم به حق الوراثة في محكم تنزيله قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾. ثم قرن طاعتهم بطاعته، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وأحلهم من النجاسة والصيت بالهصل الذي أعل به أمرهم ورفع به ذكركم، لما أحب من النبيين في الدلالة عليهم، والهداية إليهم، فإنه يقول عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. ولو كان الأئمة المقلدون أمر عباده خاملة أنسابهم، متقطعة أسبابهم، غير مخصوصين بفضيلة يرثونها بها دون غيرهم، لم تعد طليبتهم عقد الخلافة لهم، وأن تكون من المفترضات على كافة الأمة، أو على بعض دون بعض، فإن كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم، فليس في أجناع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمع آخر أيام الدهر. وإن كان إلى خاصة دون عامة، فستحتاج العامة من طلب معرفة تلك الحال إلى منسل ما احتاجوا إليه في أممتهم، إذ لم يكن أهل الارتباب والطلب من أعلام الآفاق ليتواطسوا على اتفاق،



لنفاذ آجالهم قبل بلوغهم غاية الاجتهاد في الفحص والتكشيف ، وحاجتهم الى اختبار البلدان ، وتمحيص أولى الفضائل بالامتحان ، وما هو حاق عليهم من الشبه في اختيارهم ، والاختلاف فيمن صوّوا أن يحبوه ويُقدّموه ، حتى تهالك الرّعية بتظالمها بينها ، ويَطْرُق من يليها من الأئم لإيّاها ؛ إذ لا ذائد عنها ولا مُحامى . فإذا ألزمت الأئمة الحاجة إلى نصب الحكام لإقامة الدين ، وتقسيم الحقوق من المسلمين ، ومجاهدة عدوهم من المشركين ، لم يكن لهم في الإمام عليهم بَحَازٌ إلى التلّصص من حقّه إليهم ، ولا ريب عند المعرفة برأفة الله ورحمته ، ولطفه وحكمه ، في دفعه عن عباده ما لم يحصل في حيلتهم له وسُعا ، ولا في حيلتهم له نَدْرُكا ، وكفايته إيّاهم ما يُعجزهم من البحث والتقيب عن ولاية أمرهم ، بتعشيه إيّاهم ، وما رفعهم إليه من الدرجة التي أعلاها وأسانها ، إذ وصل نسبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرض موتهم على خلقه ، ولم يشنهم جهلهم للغرض الذي لزمهم له ، ولم يجب عليهم فرضٌ في معرفة من سواهم . ولم يزل سياقُ أئمة الهدى مطّردا ، ونظامهم مُتصلا ، يتلقاه كابرٌ عن كابر ، ويؤذيه أول إلى آخر ، حتى تساهى إلى أمير المؤمنين ، وهو حال دار دعوته ، وبين أنصاره من أهل ثُرَاسان ، فنظر به خيرهم ، وعرفوا ما تصرفت به أحوالهم ، وظهر لهم من بيان مُجته على من نازعه في الأمر ، وشاهدوا من إبلاظه في العذر ، وأستظهاره بالتأني والصبر ، ما أزاح عنهم الشبهة وكشَط الحيرة ، حتى استزلّوا نهوضه بحقه ، وخافوا الزيف على أديانهم فيما أعطوه من صفة أيمانهم ؛ وهو ماضٍ على عادته ، مستديمٌ للوادة ، مُتَلَوِّمٌ على المراجعة ، بالغ غابة ما في وسعه من الرخصة في دفع الولاية التي نهته بها الرّعية ، حتى ضاق عليه في دينه ترك القيام بما أنهضه الله به من يقبلها وقلده من حملها ، وخاف المخلوع فأنبت بالشرة والغرة ؛ فتناول أولياء الحق باغيا طاغيا ، لما أراد الله من تأييدهم عليه بالبيان والتمجّة التي يجب لها قلبه ، ويُنْت بها في عضده ، ويقبل الله ما شرفكم به من النصر والغلبة فيه التي جعلها الله للتقين . فاجتمع



لكم معشر أهل خراسان في دولة أمير المؤمنين ثلاث خلال اختصكم الله بفضيلتها، وسني صراتها، دون ثلاث شملتكم وغيركم .

أما الأولى من اللواتي خصكم الله بهنّ، فاقدمن لأسلافكم من نُصرة أهل بيت النبي، والقائمين بمراتبه من آباء أمير المؤمنين .

وأما الثانية، فما آثركم الله به من نُصرته في دعوته الثانية .

وأما الثالثة، فما تقدمتم به من صحة صفاتكم، ومحض بُناصحتكم .

وأما الثلاث اللواتي حق لكم ولنيركم :

فهنّ ما أكد الله لأمر المؤمنين في أعتاق المسلمين : من العهد الذي أخذ إصره، وألهمهم الوفاء به والتمسك بوثاقي عصمته، عند محاولة الخلوغ ماحول من الإعلان بالردة، والتمس من تبديل معالم الدين وتعفيه آثاره ، فلم يُفِر الرعية سُدى مهملين، لا جامع لأصرهم، ولا ضام لثغرهم .

ومنهنّ ما أفادكم الله وإياهم من العبر، عند حلول الغير بمنّ غدر وختر، تذكرة لأولى النهى، وحجة بالفئة على من أدبر وتولى، ليهنّدى متعير ويتعظ مزدرج، ﴿ وَيُخَصِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ ﴾ . ومنهنّ أجماع أهل الفضل من المسلمين : ممن لم يكن له نصرو ولا أزر في الدعوة الأولى على المشايمة في الدعوة الثانية؛ فاصبح دُعاة أمير المؤمنين من أهل الحرمين والمصريين ومدينة السلام والمشرق والمغرب ممن قار أو أنجد من المتمسكين بذمهم الموقفين بنذورهم، من إخوانكم؛ وإن كان الله قد قدّمكم في الأمرين جميعا بتفوق حاكم على غيركم، يمتدّون من معاضدتكم ومكانفتكم بما جعله الله عز وجل ألفة لكم ومودة بينكم، يبديها ما كان الشيطان يترغ به بين أهل التباعد في الأنساب، والتناث في الأوطان من إيقاع العداوة والبغضاء، والأنطواء على الأحقاد والدمن، وطلب هديم الإحن، وصار أهل السمو الى الدرجة العليا والاعتصام بالعروة الوثقى من أولياء أمير المؤمنين وشيعته، منشحة صدورهم بمكانفته، منبسطة أيديهم بمعاونته على حقّه،



منفسمة آمالهم في إذكاء ناره على مدقوه والإثخان في بلاده وأفتاح تمتع حصونه، بما جمعهم الله عليه من الألفة، ورفع عنهم من الحمية والعصبية؛ راجعين عودتهم إلى أحسن ماضى عليه سلفهم، في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم، من سلامة الصدور، وصلاح ذات البين، واجتماع القوى على مجاهدة من شاقهم؛ قد أفرد الله عنهم نفرة التعارب والتجاذب، وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الإعداد لبعض، زيادة في ريحهم، وحدًا في شوكتهم، لانتلافهم في دولة أمير المؤمنين المجدودة المؤيدة بصديق الضمائر، ونفاذ البصائر. وإلى الله يرضى أمير المؤمنين في إمامته على صالح نيتيه، وتبليغه منتهى سؤله وظاية همته، في اعزاز دينه وإذلال من صد عن سبيله؛ إنه سميع قريب.

ومن أقوى الأسباب إلى استدعاء الشكر على النعمة تذکر ما كانت عليه الحال قبلها، فاستدعوا الإفاضة فيما رفع الله من خصاصكم وأعلى من أقداركم، بنصرة أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم، وما أبلاكم الله في الدعوة الأولى مما لا يؤدى حقه إلا بعون الله وتوفيقه، فإنه ارتاح لهم بلطفه وتوفيقه، فأنا لهم رضايب الأقسام وسني الخطوات، ورفع درجاتهم ودرج خلوفهم وأعقابهم من بعدهم، بعد إذ هم مستضعفون يخافون أن يخطفهم الناس، مدعون بقهر مدوهم واستنثاره عليهم، ثم لم يلبثوا أن صاروا إلى الحال التي يرونهم بها من الغبطة والبهجة، إلا أنهم أخذوها بحقها، وكانت في أيدي الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم بحسنه الباطل وحنه الابتلاء، وليعلم الله من ينصره ورسله بالقياس إن الله قوي عزيز<sup>(١)</sup>. وليس أحد منكم بخارج من الحنة بما ألبس من النعمة، وإن كنتم أهلها الآخذين لها بحقها، بل الذي يلزمكم استدانتها والقيام بحفظها، على حسب ما أولاكم الله منها، فربما كان الذي يعقب أهلها من الغفلة والاعتقار ويلهيهم بها من حبورها وسرورها، أعظم إثما وحوبًا. مما يخاف على أهل البطالة والصبر من ضعف العزم وقلة الصبر، لما يستولى عليهم من استكانة الذللة، والاعتقار بالتقصير، والفرع إلى ربهم في تنفيس كربهم، فإنه



تبارك وتعالى قد وصف أهل الطبقتين فقال : ﴿ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَتَأَيَّ بِهَآئِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُوْدُعَايَ حَرِيْرِيْضٍ ﴾ . فاجتكم اذا انجح الله سعيكم واظفركم بطليحكم ، الى حياطة ما اودعكم الله من مننه وحراسة ما آتاكم من فضله ، بالشكر المتحرى للزيد . فتمهدوا معشر شيعة امير المؤمنين انفسكم بتذكر ما سهل الله لكم من الحزونة ، وذلك لكم من الصعوبة ، وحكم لكم به من النصر ، على مُرَّاقِ الملة ومُحَالِّى اهل القبلة ، واباحكم من ديارهم واموالهم ، فاصبحتهم بمن الله عليكم حُماة الدين ، وانصار الائمة الراشدين ، وحصون كافة المساميين ، بعد ما اجتت الله بكم قُرُون الفَاق ، واباد بكم صناديد الضلالة ، وشرد من لم تستعمله سيوفكم ، واضرع اليكم من اذن واستسلم ، وقد استشر فكم معشر شيعة امير المؤمنين اهل الشتان ، ولا حظوكم باعين الحسد والمافسة ، قين ذلك بجهر مُعَالِيْن ، ومُسْتَسِرِّ مَداهن ، وداخل في صدادكم ، وواج في سوادكم ، يرى اُمنه بين ظهوركم ، فطعنهُ عليكم في دولتكم بريسة القويه وخُدع التشبيه ، ايسر عليه كُلفهُ واعظم فيكم جرحا ونكايه ، فتوقوا هذه الطبقة اشد التوق ، فإك أكثر من يلجا الى استباحة الحيلة ، من عجز عن المباداة والإسحار ، وعند ظهور الحازم وغلبته يَحْتَرِز من لعيف الخُدع وخفى الاستدراج .

وأحذروا معشر شيعة امير المؤمنين من استمراء الطرامه ، والركون الى راحة الدعة ما قد رأيتم وباله عاد على اهلها ، وأورثتهم عواقبه طول الندم والحسرة ؛ فإنكم قد كنتم في حال المراقبة لعدوكم ، والخوف لباقيته متيقظين مُحَفَظِينَ لما كان يروهم به من ختله وحيله ، ثم انفضيت الى الهلج وقد جهدكم السعى وستمك النصب ، وسيلقى الشيطان في امانيتكم أن قد اكتفيتم بسالف ما قاسيتم ، ويحيد من ضعف العزائم مُعِينَا دَاعِيَا الى اعتنام الخفض ، والإخلاد الى الأرض ، ما لم تنصموا بما عايتم من الاعتبار ، وتمثلوا مواضى الآثار فيمن سلف من القرون الخالية ، وما أفضت به اليه العزة من زوال النعم ووقوع الخير ، فإك جميع ما خولكم الله وأفادكم مُرْتَبِن بما ألزمكم من حياطته واستمائاته ، فقد وجبت عليكم الحجة بما حضكم الله



عليه ، وعظمت عليكم المنّة بما هداكم اليه ، وأراكم من آياته ومثلاته فيمن خلا قبلكم ما فيه أبلغ الإضرار والإنتار لكم . ومن أجمع له اقتناء صواب من تقدمه الى ما يبعث من نفسه ، فكانه قد أختبر بالتجربة ، مع استعداده بما يستفيد ، ويستريد ما يفتح لبّه ورأيه ، وأيقنوا أنكم لن تصلوا الى من سواكم ، ممن هو أصر طاعة عليكم وأعذر بمعصيتكم ، حتى تبدموا باستصلاح أنفسكم ، وأنه لن يرضى لكم القوة على مجاهدة عدوكم حتى تقووا على مجاهدة أهوائكم ، فإن على كل امرئ رية من أمره ، وغطاء من غيبة ، لا يكشفه إلا صحة المعرفة ، والإذعان بالنصفه ، فهناك يؤمن عليه الجهل والمعادنة ، وإذا أمنت هاتان الخلفتان أنسدت بإذن الله تلم الآفات ، وقوت المكاره ، فإنه لا يخاف الضلال على من أهدى ، ولا اعتداد الجور على من أنتصف من هوى .

ولكن أول ما نتعهدون به أنفسكم ، وتنابرون عليه من صالح أدبكم تناصف الحق بينكم ، بتقديم أهل الفضائل والآثار المحموده منكم وتفخيم أمركم ، فقد علمتم أن منكم المبرز القائم الذي لا يدرك شأوه ولا يوازي بلاؤه ، حين كشف الإبلاء ضمائر القلوب وجلا مشتبهات الظنون ، فصرح بالمحاربة بعد التقدّم في المجته ، وفاء بمؤكّد العهد وركوبا منه هائل الخطر ، غير هائب مع محبة الحق ما برق لديه الناكس المخلوع ورعد ، ولا مستوحش فيما تهزّد به الى من تولى وأدبر ، حتى أتى الغاية التي أجرى اليها في الله عز وجل وفي خليفته ، ثم لرؤسائكم من أهل المشايعة والمكاثفة والنصرة والحظ الجزيل والأمر المبين ، نوابئهم واجب وحققهم لازم ، ثم منكم من يحفظ أسلفه وأوله من الآباء الذين يحفظون ولايتهم ، فإن الله عز وجل يقول في ذكر اليتيمين : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ الآية . وقال على لسان يعقوب لابنه يوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ الآية . وأمير المؤمنين يرى توريث الحكمة والذمام سنة عليه في أخلاقه التي يرعاها ويحافظ عليها ، كما أنه يرى ورائه التركة فريضة واجبة ، فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الفناء بأنفسهم ، ثم



يتلوهم من أكتدى [بهم] وأهتدى بهنهم . والسابق المتختم من اعتد بلاء نفسه الى بلاء سلفه ، ثم يتبعه بعد الميل بنفسه ، ثم يتلوها المتوسل بآبائه ، ثم الصاعد به هواه ورأيه ، طبقةً فطبقة ، فليقتصر كل أمرئ منكم على المرتبة التي أحلها بها مَعِيه ، وليسلك الى الازدياد فيها بالزيادة من نفسه ، فإن من القُتُوق العظيمة على أهل الدُول ما يترغ به الشيطان بينهم ، ويكثر عندهم ما يكون منه ، فيوافق من الحيف للائتمس ما يجد به مساذا الى ما يروم من إيقاع الشغناء بينهم ، وتثبيت الإحن في صدورهم ، بعد التآزر والتناصر . ومتى يجمع المرء لزمية من فوقه ، واغتراب من دونه كُفَى مآرك . ولن تخلص نياتكم . وتسلم ضمائرکم ، حتى تمحصوا شكر ما أوليه إخوانكم ، وتمتدوا ما نالهم شاملا لكم ، وتُجانبوا طريقة من اقتصر بأمنيته على خاصته ، وتعتب فيها أثر به أهل الفضل دونه . وكُفَى عِظَة فيها نهاكم الله عنه من ذلك ؛ يقول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية . ولا يَلْتَمِسَنَّ أحد مودته عن سوء نية بحسن مداراة في طاهر ، فإن الله مقلد كل امرئ رِبْقَة عمله ومُطَوِّق طوق سريره . ولا يغدرک فيها يلزمه لإمامه ؛ فإنه إنما يغدر في حقله ويخص قِسمه ، ويخص نفسه . ثم لا يقتصرک على استصلاحها حتى يتناول من كانت مِيتته عليه من أقربيه وحسويه ، فإن يسير ما هو مُعَانٍ من نأديتهم لا ينشأ أن يتجاوز أدنى المراتب الى أقاصيها ، وقربها الى مُشاهيها ، حتى يستفيض شاملا علما ، بعد أن بدا محلا خاصا .

واعلموا أن أمير المؤمنين متعقد من تضييكم وتقويمكم على صالح الأدب ومحمود السيرة ، ما لا يتفقد به من مِوَاكُم ؛ فإنه إن كان يُوجب على نفسه استصلاح الرعية وحملهم على ما فيه رُشدُهم وقوامهم ، لِمَا يلزمه من فضل العناية بالأخص والأولى فالأولى ، فإن في أخلاقكم من التقديم في التأديب والتمهيد ، وجوها من الضرر : منها : أنكم أولى بحسن الطاعة وسرعة الإجابة ، لالطف محلكم وقرب مكانكم عند أمير المؤمنين .



ومنها : أنكم يأنس بكم المؤمنون ويقتدى بكم التابعون ؛ ففى قصرهم وأخلطهم ، أقتضى  
 أثركم من نصيحتهم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تردوا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق يده ، بل كان  
 قينا أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سمعتموه ، ثم تجرى هذه العادة فى الطبقات ، حتى يطرد  
 السياق ، الى أن يستفيض الفساد فى حشوش الناس وعامتهم ، فلا تُفنى قوة ولا حزم ولا  
 شدة ، إلا السجَر والاضاعة ؛ ثم يجد الأعداء مساعدا الى الطعن والعيب ، فلا يملكون أن  
 يرهقوكم ويستولى عليكم الفشل ؛ فإن الأيدى إنما تُنسط بنماد العزائم ، والعزائم إنما تُنقذ  
 بثبات الحجة ، والحجة إنما تنهت إذا كانت عن الحق . وإذا أضيع أول هذه الرسوم ، التى  
 رسم لكم أمير المؤمنين ، تبعته تواليه وشفعه لواحقه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العورة ،  
 معلما فى إهمال ما كان يعدله من القوة ، ويتوفق به من ماهرة الفرصة ، وليكن ما تُفيضون  
 فيه وتعدونه ظهيرا على طاعين إن طعن فى دولتكم ، ما ألهم الله أمير المؤمنين : من شمول  
 رعيته بالعدل ، وفرش الأمر فى مضمراتها ومتقلبيها ، ورفع به عنهم من سائر الجود ، وبسط  
 به يده من إثابة أهل البلاء ، وتقدم الجرائم لأولى الزلل ، والإبلاغ فى دعاء من طأند وشاق  
 الى التوبة والإثابة ، وإقالة العثرة بعد القدرة ، والحقن لمباح السماء ، فلم تصلوه صبر محملا ،  
 ولا هتك لأحد ممن أظفروه الله به ستر ، ولا وقفه على عورة . ثم نولى الله أمير المؤمنين ،  
 فى حروبه شرقا وغربا ، التى أغناه الله عن الإطناب فى وصف صنع الله لكم فيها ،  
 لاستغاضة أخبارها فى دعامتكم ، مع ما أحب من مطالعته إياكم ببالغ أدبه وشفاف  
 عطفه ، أن ينتكب من الإسهاب ، فى غير ما حمد له ورأى من تقريع اسماعكم وأذنانكم ،  
 اوعى ما التمس أن تقوه من تبصيركم حقلكم ، وتبصيركم على رشدكم . وحسب أمير المؤمنين  
 فى نفسه وفيكم الله ، وكفى به مينا .

وإن أمير المؤمنين مع ما تقدم به اليكم لعل نقة من حياطة الله خلقة التى جعلها  
 عزرا لدينه وقواما لخلقه ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها آفئلال بل من خلج  
 ربقتها وأضاع حفظه منها ، جلب الخلة والحاجة وخسران الدنيا والآخرة . وإنما أتي



الْمُقْصَرُونَ فِي إِعْظَامِ حَقِّهَا مِنْ ضَعْفِ الرُّوْيَةِ عَنْ بُلُوغِ مَا تُقْضَى بِهِمْ إِلَيْهِ مَصَادِرُ الْعَوَاقِبِ ، وَتُؤَدِّيهِمْ إِلَيْهِ رَوَاجِعُ مَا قَدَّمُوا ، فَلَا يَكُونُونَ بِمَعْلَمٍ غَيْرِ مُتَجَاوِزِينَ بِهِمْهُمْ ، وَفِيهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ إِلَى مَا يَنْتَعِمُ<sup>(١)</sup> .

وَأَسْتَدِيمُوا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ سَابِغَ النِّعْمَةِ بِمُحَمَّدٍ مُوَلِّيَهَا وَالْمُتَطَوِّلَ بِهَا . وَقَدْ تَرَوْنَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ قَبْلَهَا وَمَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالٌ مِنْ سُلْبِهَا ، هُمْ يُعْقِبُ النَّدَامَةَ حِينَ لَا مُسْتَعْتَبٌ وَلَا نَفْطَرَةٌ يُمكنُ فِيهَا اسْتِقَالَةُ الْفَارِطِ بِتَقْصِيرٍ وَلَا هَفْوَةٌ زَالٍ . وَتَقْوَا مِنْ رِيَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٍ آثَارَكُمْ ، وَمَا مَضَى مِنْ بَلَاءٍ كُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ ، بَمَا نَطْمِشُنُونُ إِلَيْهِ وَنُتَوَقِعُونَ عَادَتَهُ ، بِأَسْنَى مَا تَرْفِيعُ إِلَيْهِ آمَالَكُمْ وَتَسْمُو إِلَيْهِ هَمَمُكُمْ ، إِلَى مَا يَذْخِرُ اللَّهُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِدَاهُ ، وَاعْتَصَمَ بِتَقْوَاهُ ، وَجَاهَدَ عَنْ حَقِّهِ ، وَأَمَّا بِأَمْرِ عَهْدِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَكَرِيمِ مَائِهِ ، إِلَى الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ : وَأَكْبَرُ تَفْضِيلٍ .

أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَمَهَّدَ بِعَظْمِيَّةِ تَجَبُّهِكُمْ عَلَى حَقِّكُمْ ، وَتُنْهَتْ مِنْ بَصَائِرِكُمْ ، وَتَقَطَّعَ مِنْ طَعْمِ الشَّيْطَانِ وَحَرِّهِ فِيكُمْ ، لِيَأْخُذَ بِعِلْبِهِ مِنْ إِرْشَادِكُمْ ، وَيَرْجُو مِنْ تَأْدِيَةِ حَقِّ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ ، وَلِيَأْخُذَ بِرَى مِنْ أَنْصَالِكُمْ بِجَبَلِهِ ، وَمَا بِشَمْلِهِ مِنَ الصَّنِيعِ فِيهَا وَلَا كَمُ اللَّهِ بِهِ ، وَتَوَلَّاهُ لَكُمْ .

وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَالِ اللَّهِ الَّذِي دَلَّ عَلَى الدَّعَاءِ تَطَوُّلًا ، وَتَكَمُّلَ الْإِجَابَةِ حَتَّى ، فَقَالَ عِزَّ وَجَلَّ : «رَأَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» ، أَنْ يَجْمَعَ عَلَى رِصَاةِ الْفَتْحِ ، وَأَنْ يَصِلَ عَلَى الطَّاعَةِ حَبْلَكُمْ ، وَأَنْ يُتِمَّعَكُمْ بِأَحْسَنِ مَا أَوْدَعَكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ، وَبِوَرَعِكُمْ عَلَيْهَا مِنْ شُكْرِهَا ، مَا يُوَاصِلُ لَكُمْ مِنْ بَدَنِهِ ، وَأَنْ يَكْفِيَكُمْ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ، وَحَسَدَ الْبَاغِينَ ، وَيَحْفَظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ مَا حَفِظَ بِهِ أَمَامَ هَدْيٍ فِي أَوْلِيَائِهِ وَشَيْعَتِهِ ، وَيَجْعَلَ عَنْهُ كُلَّ مَا حَمَلَهُ مِنْكُمْ . وَبِاللَّهِ يَسْتَعِينُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى مَا يَسُوءُ مِنْ حَرَائِكُمُ بِالْحَسَنِ ، وَحِيلِكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ، وَبِهِ يَرْضَى نَاصِرًا وَوَلِيًّا ، وَكُنْفَى بِأَلْفِهِ وَلِيًّا وَكُنْفَى بِأَلْفِهِ نَصِيرًا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



وللأُمون — لما كتبت إليه السيِّدة زُبَيْدة بعد مقتل ولدها الأمين خطاباً  
الآتى تستعطفه :

كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ . وَكُلُّ زَلٍّ وَإِنْ جَلَّ  
حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي حَوَّدَكَ اللَّهُ ؛ فَأَطَالَ مَدَّتَكَ ، وَتَمَّ نِعْمَتَكَ ، وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ ،  
وَرَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .

هذه رُقعة الوليِّ التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ، وفي الممات بليل الذكر . فإن  
رأيت أن ترحم ضَعْفِي ، وَأَسْتَكَانِي ، وَقَلَّةَ حِيلِي ، وَأَنْ تَصِلَ رَجْئِي ، وَتَحْتَسِبَ فِيَّ جَمْعَكَ  
اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ ، وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ .

فكتب إليها المأمون :

وَصَلَّتْ رُقْعَتُكَ يَا أَمَاءَ ، أَحَاطَ اللَّهُ وَتَوَلَّى بِالرَّعَايَةِ ، وَفَقَّطْتُ عَلَيْهَا وَمَسَاءَنِي — شَهِدَ  
اللَّهُ — جَمِيعُ مَا أَوْصَحْتَ فِيهَا ، لَكِنَّ الْأَقْدَارَ نَافِذَةٌ ، وَالْأَحْكَامَ جَارِيَةٌ ، وَالْأُمُورَ مُتَصَرِّفَةٌ ،  
وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ ،  
وَالْقَدَرُ وَالْبَقَى حَتْفُ الْإِنْسَانِ ، وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ  
لَكَ ، وَلَمْ تَمَقْدِي تَمَنٍّ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ . وَأَمَّا بَعْدُ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مَا  
تَخْتَارِينَ ؛ وَالسَّلَامُ .



(هـ) أحمد بن يوسف<sup>(١)</sup>

رسالة متممة لأحمد بن يوسف ذكرها ابن طيفور في اختيار المنظوم والمشور وهي :

أما بعد فالحمد لله القاهر القادر، الخالق الرازق، فاطر السموات والأرض، الذي أحاط بكل شيء علما، ونطق به خبرا، وأتقنه حكمة وعلما، وألف بين مختلفه ومختلفه، ليدل بقوام بعضه على بعض، على اتصال تدبير مشيئته ومبتدئه، وأنه أحد صمد، لا يضد له ولا يند، إذ قدر له حاجته ثم شدّها ببلاغها الى الغاية التي جعلها، فقال جل وعزّ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم؛ وحكى عن نبيّه موسى عليه السلام، ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَقَّهُ ثُمَّ هَدَى ))، وقال الله تعالى ((وَكُلُّ شَيْءٍ قَصْدًا فَاصْبِرْ)) ثم لم يكلف العباد من شكره كفاء نعمته، بل رضى منهم باليسير، وقبل منهم العفو، وجعل طاعتهم لراه عائدة عليهم بجزيل الحظ في دينهم ودنياهم، ليناه عن عبادتهم، وأنساع قدرته بالتطول عليهم، فتمنّينا وخاتما، وبدئا وعائنا .

والحمد لله الذي أصطفى عبدا صلى الله عليه وسلم، نبيا لرسالته، وأتممته على وحيه، وأنزل عليه كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تزييل من حكيم حميد، فأدّى الى خلفه الرسالة . واستنقذهم من الضلالة، وصدّع بأمر ربه وجاهد في سبيله، ونصح لأمته حتى أتاه اليقين من ربه، بعد أسناره الحق . وظهور الحقّة، فصلى الله عليه بسيرا ونذرا، وداعيا الى الله سبحانه وسراجا ميرا قد نلّافى من الهلكة، وجمع الألفة بعد الفُرقة، وأوضح الهدى بعد الدُّروس، ومعالّم الرشد بعد الظُّلوس، وكان بالمؤمنين رحيا .

والحمد لله الذي فقى على آبار المرسلين، والأئمة الراشدين، الهاديّ التقي، الطاهر الزكي، الإمام المأمون أمير المؤمنين، أعزّ الله نصره، فسّد بابهم، ورأب صدعهم وقلّده خلافتهم، وجعله لكافة المسلمين غيايا ورحمة، وجعل له أئمة من العدل والإحسان

(١) راجع ما كتبه عنه في الفصل السادس من الكتاب الأول والحد الأول .



اليهم، مِنَّةً عليه ورحمةً دَحَرها له، دون الخلفاء قَبْلَه، فيما أظهر من فضل زمانه على الأزمنة، وسياسة مَنْ تَهْدَمُه، ومنح الرِّبَا من عطفه ونَفَره، ما لا يحل عنهم أوبه ولا يؤدي عنهم شكره، الا هو لا شريك له، وأحسن الله جَزاءَ أمير المؤمنين ومثوبته، على صِلَة رَحِم رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي هي رَحِمه وقربته، واختياره لولاية عهده الأمير الرضى على بن موسى، حفظه الله، حين أحمد سيرته، ورضى محبته، وعرف استقلاله، بما قلده في هديته، ودينه ووفائه، بما أكد الله به عليه، من عهد أمير المؤمنين أيده الله، في أختيامة من ازده وأسأه بما شَقَّ رأيَه، وأنفذَ تدبيره، حين هم لاستصلاح ما استرطاه الله، من أمور عبادِه، لما أتتقى القاتم بدعوته، ورئيس شريعته، الأمير ذا الرِّياستين رحمه الله، فاتخذهُ مَكَانًا ظهيرا ووزيرا دون من سواه، فاتبع منهاج أمير المؤمنين أيده الله، وسار بسيرته، شرقا وغربا، وغورا ونجدا، مؤفيا بعهده، قائما بدعوته، مقتضيا لاثَره وسُئلته، فحسَمَ الله به الأدواء، وقمع به الأعداء، من حُتَاة الأمم، وطواغيت الشرك، وأباد على يده، أهل الشقاق والنفاق، في كل أُنْفى وطرف، بجِدِّ أمير المؤمنين أعرزه الله، وبركة سياسته ودولته، وتُجسَّع سعى من قام بُصرة من قام بحقه، وأثار برهانه، حتى توقاه الله عز وجل، حين بلغَ همته وفاقته، وحُمِّ أجلُّه، وأنفطعت مدته، سعيدا حبيدا، شهيدا فقيدا، عند إمامه أكرمه الله، وعند الخاصة والعامة، وكان من إجلال أمير المؤمنين، الحادث الذي نزل به، فأحيا آثاره، بوصف محاسنه، في مشاهدته وتجامعه، وترحمه عليه عند ذكره، وحفظه في ثمنته، وأهل حرُمته، وفيمن كان يمدح الله على طاعه ونصيحته، ما أتم به سمته، عندنا وعندكم معتر الشيعة، فقد أصبح أمره بكم منتصلا، وموقعه من جماعتكم متمكنا، فريضكم ماقبضه، وبسطكم ما بسطه من لومة المعصية، وحسن العقبي، وقد علمتم معشر أهل الحجاز والنهى، والطاعة لله عز وجل وحابسته. ودوى القماء والبلاء في دعوته من أهل خراسان وغيرهم ممن حضرمتم أمتح الله قلبه بواء العهد والاستبصار في حق أمير المؤمنين أبياه الله، والمجاهدة دونه، والصبر على مواطن الصدى والآلاء، والدَّبَّ عن البيضة والحريم،



والمتمتعين للنَّعَب، والمصائب التي أنجَلَتْ، حتى كان لم تكن، وبقي أجرها على الله عز وجل، ومحمودٌ ذكرها شاعرا في الناس، إن نِمَّ الله، قد جَلَّتْ ولُفَّتْ، وخَصَّتْ وعَمَّتْ، وطَّتْ وسمَّتْ، وتمَّتْ ودامت، حتى قصُرنا عن موازيناها، والإحاطة بأدائها، فإذا لم يكن لنا معشر إخواننا سببٌ إلى مكافأة بلاءه بالعمل، فنحن جُدْراء أن نجتهد في القول، ونُطْلِب في الوصف إن شاء الله جلَّ وعزَّ، فقد جعل ذكر النِّعم من أسباب الشكر، وقد جئناكم أمير المؤمنين أيده الله من الحياة والكرامة، وجزيل الحِيلة، وسني الرتبة التي قرئ بها عليكم كتابه ما يستغفرُ جَهْدنا، ويستفرغُ وسعنا، فترغب إلى الله عز وجل، وإلى الرغبة، ومُؤثي السُّؤل والطَّلبة، في إمانتنا على تأدية ما وجب له، فيا منحنًا من فوائده ونعمه، ثم نسترفدكم ونستعينكم على شكره، وإمدادنا بما بَلَّغته طاعتكم في السعي له فقد آدنا نَقْل ما حملنا، ونَقْل ما طَوَّقنا، وعظمت فافتنا إلى استعمال القوي من الأتقن والحامَّة، والخاصة والعامة، في جزاء ما جَلَّل أمير المؤمنين فينا من سُنَّته، وشيئنا من تالذ إباديه وطارفها، وقديميها وحديثيها، وكيف يُوجد إلى موازاة أمير المؤمنين سبيل يبذل جَهْد، أو بلوغ حَشْد، فأما نَقْدى بهداء، ونَعشُو بنوره في ديننا، ولبس عَجْزنا عن أن نخزي حقَّه، بواضح عنا مؤونة الذُّلُوب في التحزى لتأديته، وإن الله عز وجل، قد أخبر فضائل الشكر ومباقبه، وجعله من أسمائه، **وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**، وقد قال تعالى: **« مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ تَكَرَّرْتُمْ وَعَدَّيْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا »**. وقال تعالى: **إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا بُضَاعِفَهُ أَكْمَرُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ عَلِيمٌ**، ولولا أن الله عز وجل رَضِيه لنفسه، لأجلنا عن التسمية إذ كان أكثر ما نستعمله، ونعرفه في مكافأة من مَنْ وتَطَوَّل، ثم نحي بذكر فضله في العباد، فإن الله تبارك وتعالى أفتح أول ما علم خلقه بالحمد، وحمله بدء كتابه، وخاتمه دعوة أهل جنته، فقال عز وجل، **« وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »**، وخلق الله السموات والأرض، ومن برًّا وندرا في الحياه لِيَبْلُو عِبَادَهُ بِسُكُوبِهِ، وأعد الجنة في الآخرة لمن شكره، والنار لمن كفره. وقال الله تعالى: **« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لِلْكَافِرِينَ أَشَدُّ حَرًّا »**.



كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ))، وقال الله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَآتَمَّ أَخْلَةَ فَأَقْبَهُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))، فجعل التقوى واقعة، والشكر مرجوا ليدل على ارتفاع رتبته، وعلو درجته عنده، وقال لنبيه موسى عليه السلام : (إِنِّي أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ رِيسَالَتِي وَبِكَلَامِي أَخَذُ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) . فلم يكلفه الا اخذ ما أعطاه، والشكر على ما آتاه، وأخبر بعزته في العباد، فقال تعالى : (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ))، فأية نعمة أجل قدرا، وأسمى أصرا، معشر الشيعة من نعمة أمير المؤمنين، أيده الله، عند الأمير ذى الرياستين، ومراتبه التي رتبها بها، فإنه أعطاه رياسة الحرب، ورياسة التدبير، وعقد له على رأسهما علما في رواية دعوته، وقلده سيفهما وختمه بخاتم الخلافة، وخاتم الدولة، وجعل صلته بين صاحب حرسه، وصاحب شرطته، ومسيره بين أمير المؤمنين وبينهما، أمامه وخلفه، وصيره بالجلوس على الكرسي بمحضرة، في صدر كل مجلس جلس، الا أن يؤثر به من أحب من أبناء الخلفاء، وقدمه في دخول دار الأمير راجعا الى أقصى مكان ينهى إليه أحد من بني هاشم، لأنه منهم، وأعظمهم غناء عنهم، فسماه صاحب دعوته وسيفه على عذوه وبابه الذي يدخل اليه منه، وولاه خيوله في أقطار الأرض، ومقدمته بمحضرة، وقلده من الثغور ما قد علمت، بما أفرد في عهده، الى ما أنقذه من أمره، في جميع سلطانه ومملكه، من مشارق الأرض ومغاربها، وأين يأتي الوصف على ما فضله به، وقدمه وشرّفه على الناس كافة، ولكنا نخشى بذكره، ثم نكل السامعين الى ما يرجعون إليه من المعرفة التي لا تبلغها الصفة، ثم لم يكن ما أكرمه به في حياته بأعلى مما أكرمه به في وفاته، تولى غسله وتكفينه، ومباشرة لجهازه، الى حفرة بيده، وقامى من النقص، وبرحاء الحزن، وإدراء العبرة، وإراقة الدماء ما حال بينه وبين الكلام، وكاد يمنعه من القول والدعاء في صلته عليه، من الحكم، ويحفظ أهل الحرمة، به راية له فيهم، ووفاء بهده من بعده، وأقر خاصته، وقواده وعُمّاله . وكتبه على مرانهم، وحيد بمجده، ودّم بنقه، وجتد لجلده، ونل كريتته، نظرا وعطفا، فلم يبق قلبه في إحياء ذكره، وبلوع كل ما يحبه في حياته غايه الا أتى من وراثتها



وأمر بقراءة قُصَّوده، كما كانت تُقرأ على عهدِه، وأضاف كل ما حَدَّث من بعده الى ما تقدم من مَسْئله، وأخبر أنه كان سببه، والمفتَّح به، ووليَّ محمد بن الحسن خِلافته، ونَصَّبه مَنصِبِه، وأقامه مقامه الى أن جَدَّد العهد لي، فاستخفَّته على ما وليَّ بمحضرتِه، ثم تَنَابَّعت كُتُب أمير المؤمنين، أكرمَه الله بعد مصاب الأمير ذِي أَرِيَّاسَتَيْن، بما لا يقارب التفضيل، والإطلاق والتفويض الذي كنتم سمعتم به وبلغكم، فلم يكن يرى وراءه مجاراة، ولا فوقه مَصْعَدًا، حتى جَدَّد لنا من كرامته، ما قد قُرئ عليكم في كتابه، فبلغ بنا ما لم تكن المهم تبْلُغه، والأمانى يُتَحَيَّط به، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترقُّ في الفضل، الى ما تَقْصِر من دونه الأبصار، وتتقطع دونه الآمال، وإنما أقتصرنا وذكرنا ما أبلانا وأسطع عندنا من بلائه بدعائنا الى الله عز وجل، والى طاعته بالعدل والإحسان الى رعيته والنظر بالصنح، والأخذ بالفضل، والأمر بالمعروف، وصِلَّة المروءة بالوفاء بالعهد، والشكر لِلَّهِ، ورعاية الأخلاق المحمودة، وإحطاء أهلها، وإقامة سوقها، حتى تنافسوها وتنافسوا فيها، وصارت هي الدَّرَاعُ اليه، والوسائل عنده، فلو تأمل متأمل أهل الرِّفْقَة، والآثرة لديه، لو جَدَّ الأخص فالأخص، والأعلى قدرًا عنده هو الأفضل دينًا ومسروءة، فلو لم يكن في الحفظوه عنده إلا ليحياها لصاحبها محبة المحبة، والزاهة عن كل غِلْظَة، لكان فيها أعظم المِبطلة، وأعدل الشهادة والدلالة، وستقص عليكم بما أخبرناكم عنه إلا سبيل الى جَنِّه وإنكاره، بوضوح معالِمِه ومَنائرِه، أو ليس المجاهد عن دين الله، والمحامي عن بَيْضَةِ المسالين، والمؤاني لأغلظ عدوهم شوكة، وأخوفهم عداوة، والمنجِّح في بلادهم، بمن كان لا يرام، ولا يحاول لاستصعابه وشدة مُفاساته، حتى أذعن جيفويه بالعبودية له، ثم أباح حرمة حين تمرد عليه، حتى بلغ السَّيِّ الى ولده، وحاربوا به، وغالغلت خيولُه، حتى توصلت الى قُبْتِه، ومنتهى عزِّه، أو ليس مُسَكِّن التَّهيج بالمسرق، حتى خَبَّت التبران فيه، وأذعن رؤساؤها وقادتها . أو ليس غازي بلاد بابل حين طغى أميرها، وبذل، وتكث وهص، حتى أجتأت أرومُهُ، وأباح حربِه، وأراح المسالين من مَعْرَتِه، أو ليس سَادَةُ الثغور، ومُحَصِّن



عَوْرَاتِهَا ، وَالْمُبَاشِرَ لِتُدِيرِهَا ، وَالْمُسْتَعْدَّ لِمُكَايَدَةِ الْمُتَجَمِّعِ فِيمَنْ أَرَادَهَا ، وَقَالَ الْعُنَاةُ ، مَنْ رَقَّ  
 الْإِسَارُ ، وَنَاشِرَ الرَّحْمَةَ عَلَى قُرَّاءِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعْفَائِهِمْ وَأَهْلِ الْمُسْكِنَةِ ، وَانْقَلَبَ مِنْهُمْ ، وَقَاسِمَ  
 الصَّدَقَاتِ فِي أَهْلِهَا ، وَطَاسِرَ الْمَوْسِمِ وَمَحْصَنَهُ مِنَ الْآفَاتِ حِبَابَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي تَجَمُّعِهِمْ ،  
 وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى رَبِّهِمْ ، وَهَلْ أَقْرَنَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ مَا أَقْرَنَ لَهُ فِي الْمَلِكِ وَالِدَيْنِ وَالْعَزَّ ،  
 وَالتَّوَاضِعِ وَالسَّعَةِ ، وَالْبَلِّ وَالْقُدْرَةِ ، وَالْعِفْوِ وَالْفَلَظَةِ ، وَاللِّبَاسِ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَالنُّسْكِ مَعَ  
 الْحِمَّةِ ، وَالسُّطُوَةِ مَعَ الْإِقَالَةِ ، وَهَلْ تَرَكَ مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِخْوَانَ فِي الدِّينِ غَايَةً لَمْ يَسْمُ بِنَا إِلَى  
 شَرَفِهَا ، وَعَلَى مَرَاتِبِهَا ، وَمُسْتَرَادِ الْخَطِّ فِي عَاجِلٍ وَأَجَلٍ ، لَمْ يَبْلُغْنَاهُ وَنَخْتَارُ لَنَا خَاصَّ مَكْرَمَتِهِ ،  
 وَمُدَّتْ حَاقِبَتُهُ . أَرْشَدَنَا إِلَى الدِّينِ ، وَسَلَّكَ بِنَا سُبُلَ الْجَنَّةِ ، حَازَلَنَا الْمَلِكُ ، فَلَمْ يَبْقَ وَرَاءَهُ  
 مَا مَلَكًا غَايَةً ، وَوَرَدَ بِنَا الْحُرُوبَ وَسَاسَهَا لَنَا ، فَلَمْ يَدَعْ غَايَةً لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّدْرِيبِ ، سُلِّطَ عَلَيْنَا  
 بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَنَامَهُ فَلَمْ يَدَعْ غَايَةً فِي التَّقْلِيدِ وَالْفَقْهِ ، فَكَمَ عَلَيْنَا الْفَضَائِلُ ، ثُمَّ فَضَّلْنَا بِهَا ،  
 غَلَبَ لَنَا الْأَهَمُّ ، ثُمَّ خَوَّلَنَاهَا . عَلَّمَنَا طَرَائِقَ الشَّرَفِ ، ثُمَّ نَشَرَفْنَا بِهَا . أَخْبَرَنَا عَنِ الْأَنْبَاءِ فَكَمَّامَا  
 مَوْثُوقَةَ الْإِنَّمَايَا ، وَأَغْنَانَا بِمَا عِنْدَهُ فِيهَا ، أَخَذَ عَلَى أَيْدِينَا الْخَيْرَ لِلرَّعِيَّةِ ، فَوَهَّبَ لَنَا شُكْرَهَا ، وَصَدَّقَ  
 مَقَالَتَنَا عِنْدَ الشُّبُهَةِ ، وَأَتَمَّذَ أَمْرَنَا فِي التَّدِيرِ .

فِيَا أَيُّهَا الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ الْمَهْدِيُّ الرَّشِيدُ خُزِنَتْ فَضَائِلُ الْآبَاءِ ، وَأَهْتَدَيْتَ بِهَدْيِ  
 الْأَنْبِيَاءِ . أُنْشِرَكَ عَنْ الْإِسْلَامِ ، فَأَنْتَ الْقَائِمُ بِهِ الدَّاعِي لَهُ ، وَالنَّاصِرُ لِحَقِّهِ ، أَمْ نَشْكُرُكَ  
 عَنِ الْأَمْصَارِ ، فَأَنْتَ الْمُفْتَحُ لِمَتَعَمُّهَا عَنُودُ ، وَالْمُنْتَطَوِّلُ عَلَى أَهْلِهَا بِالرَّحْمَةِ ، وَالْمُنْعَطِفُ عَلَيْهِمْ  
 بِحَسَنِ الْعَائِدَةِ بَعْدَ مَا هَيَّجَتْ مِنْكَ سُورَةُ الْغَضَبِ ، فَاطْعَاتُ نَارِهَا . وَأَنْمَدْتَ لَهَا بِهَا ،  
 وَعُدَّتْ عَلَى مَنْ سَفِهَ . وَأَضَاعَ حِفْظَهُ ؛ أَمْ نَشْكُرُكَ عَلَى الْمَسَاجِدِ ، فَأَنْتَ الَّذِي أَسَسْتُهَا عَلَى  
 الْقَوَى ، وَعَمَّرْتَهَا بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَطَهَّرْتَ الْمَآبِرَ وَرَوَّجْتَهَا . بَعَلُّوْهَا صَائِمًا ، وَتَنْطِقْ عَلَيْهَا  
 صَادِقًا ، وَتَدْعُوا إِلَى الرُّشْدِ عَلَيْهَا مَحْمَدًا ، وَنَحْمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ بِهَا عَحْسًا ، وَتَتَلَوْا مِنْ قَوَارِعِهِ ،  
 مَا تَصْنَعُ لَهُ الْأُمَمَاءُ وَتَلَيْنَ لَهُ الْقُلُوبُ ؛ أَمْ نَشْكُرُكَ عَلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، وَالرَّكْنِ الْمَعْمَامِ ،  
 وَالْجَمْرِ وَزَمْزَمَ ، وَشَاعَرَ الْحَجِّ ، وَأَنْتَ ذَبَبْتَ عَنْهَا ، وَأَعَدَّتْ إِلَيْهَا عَهْدَهَا ، فِي مَبْعَثِ نَبِيِّهَا ،



صلى الله عليه وسلم ، فامتنع النازع اليها ، من كل فج عميق ، والحالين بها من الركوع  
والسجود ، أم نشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حفظت فيه من عزته ،  
بعفوك عن مجرمهم ، ومضايفتك ثواب محسنهم ، وإحيائك من أسرهم ، ما كان قد أندوس  
وأطمس ، بعد اللقاء بنبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقد راعيت منه في قرابته وقربتك ،  
وذوى رحه ورحك ، ماضية الناس . ووصلت منهم ما كان وصله ، إذ كان الله عز وجل ،  
قد قرض صلة الأرحام ، فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما قرض عليه . أم نشرك  
عن العوام . فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن ، وأذقتهم طعم السعة والرفاهة ، وصدلت  
بينهم بالإصناف ، وتوليت دونهم النصب ، وآثرتهم الراحة . أم نشرك عن الملوك والقواد  
والأجناد ، فانت الذي رفعت منازلهم ، ووفرت عددهم ، فلم يكن في دهر أحد من الخلفاء  
أسعد ولا أحظى منهم في سلطانك ، بما بذلت لهم من معاون ، ولويتهم من الثغور  
والأمصار ، وأدررت عليهم من الأرزاق والخواص . أم نشرك عن الأحكام والسنة ، فانت  
الذي أنهجت سبلها ، فأوجبت فرضها ، ونافست في أهلها ، أم نشرك عن الأعداء فانت  
الذي بدأتهم بالهجرة ، ودعوتهم الى القيظة والإجابة ، ثم شئت معقبا بالمغفرة ، ونشئتهم بعد  
البؤس ، وأكسبتهم من الوحشة ، أم نشرك على مكارم الأخلاق ، وأنت الذي ثبتت طاعتها ،  
ونفيت عنها أضدادها ، ولو نطقت بالفضل ، لنطقت بشرك ، في إزالتك إياها عن اللام ،  
وإخطائك من أعتى اليها . أم نشرك عن الثغور ، فانت الذي تميمتها ، وحصنت عوداتها ،  
أم نشرك عن السلف ، فانت الذي أشدت بقعالم . وحفظتهم في أبنائهم ، أم نشرك عن  
برء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الفضيب الذي شخص به . حتى جعلتها زينتك ،  
وسموت بهما في أعيادك ، عند حشدك ، على الظهر والركاة ، والنسك والتقوى ، أم نشرك  
عن المسلمين في رعايتك إياهم . وما ترعيتهم من جنابك ، وتسعى عنهم من الآفات ، وميل  
عنهم من جباة الكفر . وتفرض من جيوش الشرك والنكث ، ونفخ من الحصون  
المستصعبة ، وتسهل من الطرق الوعرة . أم نشرك عن تواضعك لله عز وجل ولصالح



المسلمين طلبا للرفعة عند الله . أم نشكرك عن الدين وقد جعلت السلطان عبدا وقائدا ومتقدا . وكان مأمورا بجماعة آسرا ، وآلة للقوة بفعلت القوة له آلة ، فيأمن أنصل شكره بشكره عند الله عز وجل ، ونعمته بنعمة الله تعالى وطاعته ، بطاعة الله فوهب الله لك شرف المنازل ، ورقاك درج الفضائل ، وجزاك الله عنا وعن غيرنا ، مما شكر من ناطق أو صامت ، جزيل الثواب ورفع الدرجات ، وأمتك ما أنالك وأمتع الأمة ما آتاهم منك ، والحمد لله ذي الرغبات ، ومتم الصالحات ، شكرا لرب العالمين ، فإنه مبلغ طاعتنا ، ومتمى جهدنا ، وبه نستعين على تأدية فرائضه ، أنه لا يعين على ذلك إلا هو . أحببت أن نشكر اليك أمير المؤمنين أيده الله ، إذ ورد على من أنعمه وأفضاله ، مالا يبلغه بالفعل ، وأن يكون ما أقتصصنا عليكم ، داعيا لكم ، إلى أن تشكروه عنا ، وعن أنفسكم ، وعن الإسلام والمسلمين ، ورجوت بما وقفتنا الله له ، فيما شرحنا وأوضحنا ، من الدلالة والبيان أن يكون مجتمعا يتنفع به من حضرنا ، ومن عسى أن يؤدي إليه الخبر عنا ، أو حدث بعدنا ، وضمنت بهذه المكرمة الرائعة ، والمائة البارة ، التي آدتها الله لأمر المؤمنين ، أعز الله نصره ، وأفرده بها ، دون الأمة والخلفاء ، أن تمر بالأسماع صفحا ، وتجتاز على القلوب سهوا ، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان ، لبقى ذكرها ونفعها في الخلود والأعقاب ، ونحن نسأل الله عز وجل الذي جمع بأمر المؤمنين — مد الله في عمره — ألفتنا ، وعلى طاعته أهواءنا وضمائرنا ، وأتانا من القبطة في دولته وسلطانه ، ما لم تحويه شيعة إمام ، ولا أنصار خليفة ، أن يتم نور أمير المؤمنين ، ويعلى كعبه ، ويتمتعنا ببقائه ، حتى يبلغه سؤله وهمته في الاستكثار من البر وآذخار الأجر ، واستيجاب الحمد والشكر ، وأن يلزم به الشعث ، ويرأب به الصدع ، ويصلح على يديه الفساد ويرتق به فوق هذه الأمة ، ويؤرخ بسياسة ونكايته في عدوها ، ويتابع الفتوح في بلدانهم حتى يؤتبه من ثبح السعى ، ورغائب الحظ في الدنيا ، ما يحزل عليه ثوابه في الآخرة ، وأرشد نجباءه واصفياءه ، الذين يقول لهم ، رَفَقَاتُكُمْ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .



ومن توقيعاته نقلا عن كتاب الصولى .

وقع الى عامل ظالم « الحق طريق واضح لمن طلبه تهديده محجته ولا تخاف دثرته  
وتؤمن فى السر مغبته فلا تستغلن منه ولا تعذلن عنه فقد بالنس فى مناصحتك فلا تموجنى  
الى معاودتك فليس بعد التقدمة اليك إلا سطوة الإنكار عليك » .

ووقع فى عناية بإنسان الى بعض العمال « أنا بفلان تام العناية وله شديد الرعاية وكنتم  
أحب أن يكون ما أريته طرفك من أمره فى كتابي مستودعا تتمك من خطاى فلا تعذلن  
بعنايتك الى غيره ولا تمنحن بعقدك سواء حتى تنيله لإرادته وتجاوز به أمنيته إن شاء الله » .

وفى كتاب ابن طيفور من توقيعات أحمد بن يوسف الشئ الكثير فارجع اليه  
إن شئت .



(و) رسائل سهل بن هارون<sup>(١)</sup>

من كلامه :

حكى الجاحظ قال : — لقي رجل سهل بن هارون فقال : هب لي ما لا ضررَ به عليك ؛ فقال : وما هو يا أحمى ؛ قال : درهم ؛ قال : لقد هَوَّنتَ الدرهم وهو طائع الله في أرضه

(١) هو من أبناء العرب وكان من رجالات البلاطة والمعلم والحكمة في دولتي الرشيد والمأمون ، وقد وضع كتابا حاكى به كتاب طلبة ردمة وسماه « ثمة وصرة » . وكان في بيت الحكمة (مدير دار الكتب) في عهد المأمون . ولد سهل بن هارون في مدينة ميسان بين واسط والبصرة ، وفي رواية في دسيمان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني تقديرا ، ولا يعرف من نسبه إلا أنه سهل بن هرون بن راهبون (راهبون) وكنيته أبو عمرو ، فارس الجنس ، أهوازي أو غوزي المولد ، عراقى المنشأ ، تحول إلى البصرة في سنٍّ لم تعرف ، وكانت البصرة إذ ذاك مدينة العلم في الدولة الإسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الإسلام ، ونزاة العرب » حوت من العلم الإنساني أصوله وفروعه ، ومن القائمين على تربيته مصافحه ولجوله ، فعنى روحه بيان مجالسها ومجامعها ، واستأثر عقله بما اقتسه من نور معارفها فخرج بلبائها ، ولا شك أنهم كانوا طبقة طالية جدا ، في كل مطلب من مطالب الآداب . وقيل : أن سهل بن هارون كان شيعيا ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الإطلاق معتزلة ، ولم يفرعه أنه تقص أحدا من الصحابة الكرام ، بل عرف بالأعتدال مع الأوثان ، إعتداله مع الأحياء ، وما أثره أنه حاض عمار .احت الكلام التي كانت على أشد حرارتها إذ ذاك ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد ، وأتهموه بأنه كان مع الشيعيين الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العمى فضلا ، وإذا صحت هذه التهمة فمن الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشوعية ومن يقول بالنسج ، على أخص الذي فسر به بعد قرون .

وصفه الجاحظ فقال : « كان سهل سهلا في صه ، عتيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيدا من العدامة (العي) معدل القامة ، مقبول الصورة ، يقتضى له بالحكمة ، قليل الخبرة ، وبرقة الذهن ، قليل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قليل الامتناع ، وبالنيل ، قليل الكشف (الظهور) » . وكان الجاحظ مازجه وقافته . وقيل لعراقى ولعله إبراهيم بن ذكوان كاتب الهادي ووزير ، يبتك وبس سهل بن هارون صداقة قائمة لما كان يعرف ، فقال : « هو كالخير ، وازن العلم ، واسع العلم ، إن حدث لم يكذب ، وإن عوج لم يهضب ، كالنيت أين وقع ، فجع ، وكالتمس حيث أولت ، أسحت ، وكالأرض ما حلتها حلت ، وكالماء ظهور للشمس ، وتابع لظه من أسر إليه ، وكأهواء الذي تحلف منه الحياة بالنسج ، وكالناوالى يمشي بها المقررور ، وكالبها التي قد حسنت بأصناف الثور » .٥٠١ . صورتان جيلتان في وصف سهل صورتان مصورتان مبدعان طائفا بقربه ، وهنما بخلفه وخلفه .

وأتهموا سهل بن هارون بالعلل وأوردوا له قصصا ونوادير ، وربما كان اتهامه بالبعيل مائلا فيه تراد به التكنة والبادرة .٥٠١ . من غاشرة للاستاذ الباحث السيد محمد كرم على ألقاها بالجميع العلوى العربى بدمشق ونشرها بمجلد الجميع والمتصنف .



لا يعصى ، وهو حُشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف دية المسلم ، ألا ترى الى أين أتى الدرهم الذى هوئله ، وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا أنصرافه لم يسكت .

وحكى دِمْحِيلُ الخُزَاعِيّ الشاعرُ قال : ألقا يوما عند سهل بن هارون ، وأطلنا الحليث حتى أضرب به الجوع ، فطعا بشذائه فَأَتَى بِصَحْفَةٍ فيها مَرَّقٌ تحته ديك هَرِمٌ ، فأخذ كسرة وتفقد ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ، ثم قال للفلام : أين الرأس ؟ قال : رميته به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك ناكله ، قال : ولم ظننت ذلك ! فوالله إني لأمقتُ من يرى برجله فكيف برأسه ! ولو لم أكره ما صنعت إلا للطيرة والقال لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس يتفاطل به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصبح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بصفتها المثل فيقال : شرابٌ كمين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكأية ، ولم أر عظما قط أهش تحت الأسنان منه ، وإن كان بلغ من ثُبُك أنك لا تأكله ، فسنذنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف البلتاح ومن رُئس العنق ! أنظر أين رميته ، فقال : والله ما أدري ، قال : أنا والله أدري ! إنك رميته به ، والله و بضمك . والله حسيك .

ومن مؤلفاته كتابُ البخلاء .

ولما صنف سهل كتابه فى البخل أهداه الى الحسن بن سهل وأسماعله . فكتب إليه الحسن : قد مدحت ما ذمّه الله ، ورحمت ما قبحه الله . وما يعوم بساد معتك صلاح لفظك ، قد جعنا ثواب مدحك فيه قبور قولك . فما تعطين نسيئا .

وأنهم سهل بن هارون البجل وأورد له فى ذلك قصص ونوادر وعده بالمحافظ من "تكملة البخل" وأسماء العلماء "قال : ... من أحد جرد فى البجل كتابا إلا سهل بن هارون ، وأبا عبد الرحمن الثورى . والبجل فى النرس غالب فى الجملة ، غلبة الكرم على



طباع العرب ، فاقضى ذلك التضييق الذى رآه سهل فى تبذير العرب ، أن يُنزل لقومه بأرائه المفرطة فى الاقتصاد والإسك . وما شُهد قط تضيقُ آلا وإلى جانبه إفراط .

كتبه وطرقته فى التأليف :

كان سهل بن هارون مُقطع القرنين فى صنوف العلم والآداب ، وناهيك بعالم كبير كالملاحظ كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى ، الحسن النظم ، فينسبُه الى نفسه فلا يرى الامماع تُصنِى اليه ، ولا القلوب تيمُّ نحوه ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقصُ منه مرتبةً وأقلُّ منه فائدةً ، فيحصلُه عبد الله بن المقفع ، أو سهل بن هارون ، فيُقبل الناس عليها ، ويسارعون الى نسخها .

ويقال إن طريقة سهل فى كتابته طريقة أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا يتكلف لكلامه ، فلا يُشاهد فيه الناقد أثر التعمُّل ، بل لا يكلف بغير إرسال النفس على صحتها ، فهو وأبن المقفع والملاحظ على غير واحد .

وقيل إن سهلاً كاتب سلاطين ، والملاحظ مؤلف دواوين . وكان كلامه نعمةً موسيقيةً تعرف انتهاءً بجملة من رتبتها بعد أن ملكت عليك مشاعرَكَ ، لا يُخفَل بالأصباح إلا إذا جاءت حقواً لخطير ، شأن بلغاء الصدر الأول . وكان يقول الشعر وأكثر شعره مما أملاه قلبه ، فى غرض من أغراض المجتمع . وعده الملاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الجبار المجلدة ، والسيرة الحسان المولدة ، والأخبار المدونة . ولقبه مرةً بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب فى ترفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم فى البلغاء وقال : إنه شاعرٌ مُقِلٌّ ، وعده فى الشعراء الكُتاب . وقال : إنه كان ممن يعمل الأستمار والخرافات على ألسنة الناس والطير البهايم هو وعبدُ الله بن المقفع وعلى بن داود كاتب زبيدة . وشعره نهمسون ورقة . أما الدهشة ففى تأليفه ، فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والشلب ، وكتاب اسباسيوس ( أسانوس ) فى اتخاذ الإخوان ، كتاب أسد بن أسد ، كتاب صحرة العقل ، كتاب مدير الملك والسياسة ، كتاب الى عيسى بن أبان



في القضاء، كتاب الفرس، كتاب الغزاليين، كتاب ندود وودود ولندود، كتاب الرياض، كتاب ثعلبة وضرعاء (وفي رواية ثعلبة وضرعاء) على مثال كتاب كليلة وديمنة، قلده في أبوابه وأمثاله .

وقال المسعودي : يزيد عليه أى على كليلة وديمنة في حسن قلمه وقد صنفه للأمن .  
ومن تأليفه : كتاب الهزلية والمخزومي ، كتاب الوامق والعندرا على غير ذلك من المصنفات التي لم تبق إلا أيام وبالأسف على واحد منها فيما علمنا .

دخل سهل على الرشيد وهو يضاحك المأمون ، فقال : اللهم زده من الخيرات ، وأبسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه مريضاً على أمسه ، مقصراً عن غده ، فقال الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لا يسجزه القول ؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننت أن أحداً تقدمنى الى هذا المعنى ، قال بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أميس خير بنى لوى . وأنت اليوم خير منك أميس

وأنت قدّاً تزيد الخير ضعفاً . كذلك تزيد سادة عبد شمس

وقد شهيد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧ هـ وحلت فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال : إن تجاعى الخطب ، ومجبرى القريض عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى ، ولو كان كلاماً يتصور درأ . ويحيله المنطق السرى جوهراً ، لكان كلامهما ، والمثقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديته وتوقيعاته في كتبه ، فثنين حين ، وجاهلين أميين ، ولقد عثرت معهم ، وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهم ، وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل إلا فيهم ، ولم تكن مقصورة إلا عليهم ، ولا آتاهت إلا لهم ، وأنهم محض الأنام . ولباب الكرام ، وبلغ الأيام ، عشق منظر ، وجودة مخبر . وجرالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاحت الدنيا بقليل أيامهم ، والمناوير



من خصّالهم ، كثير أيام من سواهم من لئن آدم أيهم الى النفخ في الصور ، وأبنتات أهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين ، لما باهت إلّا بهم ، ولا حولت في الفخر إلّا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم أعرافهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، وممسول مذاقهم ، وبهاء إشرافهم ، وتقوية أعرافهم ، وتهذيب أعرافهم ، واكتمال خلائ الخير فيهم ، الى ملء الأرض مثلهم في جنب حاسن المأمون كالنقطة (التفلة) في البحر ، والخرقة في المهمة الفقر .

قيل : وهذا الكلام على ما فيه من حقيقة في بيان مجايا البرامكة والرشيد والمأمون لم يختم بالنصفة الحقة ، ومال به سهل الى المصاحبة ، ونحوه على نحو مبالغة القُرس ، في الإطراء والمآلق لولى الأمر .

وروى بعض الرواة أن المأمون كان استقل سهل بن هارون ، وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم ، متكلم للمأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من كلامه أقبل سهل بن هارون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تتفنون ، وتُشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تُصِفون ! والله إنه ليعول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كجكم ، وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يُعرف بالدواء من لا ينسحر بالداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول ، وعرف أنه الرجل كل الرجل ، فقرّبه وأدامه على النحو الذي كان عليه في عهد والده .

ومن كلام له في كتابه نعمة وعقوبة :

”اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مُقَدِّمًا قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فإنّ تقديم النافلة مع الإبطاء في الفريضة شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير الرؤية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، ومخلٌّ بالاختيار . وإنس في دفع تمسك به عوض من فساد الموعظة ، وازوم النقيصة “ .



وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيْمَا يَنْسُوهُ • مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا  
مُدْلَلٌ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ فَيَرَّانَ تَرَى • مَكَارِهِ مَا تَأْتِي مِنَ الْعَيْشِ مَغْنَمًا

وكتب الى صديق له أبل من ضعف :

” بلغني خبر الفتره في المسامها وانحسارها ، والشكاية في حلولها وآرتها ، فكاد يشغل  
القلق بأوله عن السكون لآخره ، ونهل الحيرة في أبدائه ، عن المسرة في آتائه ، وكان  
تغيري في الحالين بقدرهما آرتياحاً للأولى ، وآرتياحاً للآخرى “ .



وكتب في البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم وجمع تتملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله . قال الأحف بن قيس :  
يا معشر بني تميم ، لا تسرعوا الى الفتنة فات أسرع الناس الى القتال أفلهم حياء من الفرار .  
وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة فامل عيائاً فإنه إنما يعيب الناس  
بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن يعيب العيب . وقبح أن تنهى  
مرشداً وأن تغري بمضيق . وما أردنا بك قلاً إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإصلاح فاسدكم ،  
وابقاء النعمة عليكم . وما أخطأ سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد آمنون  
أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم . وشهر ، به في الأفاق دونكم ؛ ثم نقول  
في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : زَوْءَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِعَكَ إِلَى مَا أَنْهَاكَ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ  
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا نَوْفِقِي إِلَّا أَقْدَ عَلَيْهِ وَكَلْتُ وَإِلَيْهِ أُتَيْبُ هَذَا كَانَ أَحَقُّنَا  
مِنْكُمْ فِي حُرْمَتِنَا بِكُمْ أَنْ تَرْغَوْا حَقَّ قَضَا بِذَلِكَ إِلَيْكُمْ عَلَى مَا رَعَيْنَاهُ مِنْ وَاجِبِ حَقِّكُمْ ؛  
فَلَا الْمُدَّرَ الْمَبْسُوطَ بَلَّغْتُمْ وَلَا وَاجِبَ الْحَرَمِ قُتِمَ . وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ الْعُيُوبِ يُرَادُّ بِهِ نَحْرُ لَرَيْنَا  
فِي أَنْفُسِنَا مِنْ ذَلِكَ شَغْلًا .



عَبْتُمُونِي بِقَوْلِي نَحْلُدِي : أَجَبْنِي السَّعِينُ فَهُوَ أَكْبَبَ لَطْمَهُ وَأَزِيدُ فِي رَيْبِهِ . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمْلِكُوا السَّعِينُ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّعِينِ .

وَعَبْتُمُونِي حِينَ خَسَمْتُ عَلَى مَا فِيهِ شَيْءٌ ثَمِينٌ مِنْ فَاكِهَةٍ رَطْبَةٍ يَهْبَةِ وَمِنْ رَطْبَةِ غَرِيبَةٍ عَلَى عَبْدِ نَهْمٍ وَصَبِيٍّ جَشِيعٍ وَأَمَةٍ لَكَمَاءَ وَزَوْجَةٍ مُضْبِعَةٍ .

وَعَبْتُمُونِي بَأَنَّهُمْ وَقَدْ خَسَمَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ عَلَى مِرْزُودٍ سَوِيْقٍ وَعَلَى كَهْسٍ فَارِغٍ . وَقَالَ : طَبْنَةُ خَيْرٌ مِنْ طَبْنَةٍ ، فَا مَسَكْتُمْ عَمَّنْ خَسَمَ عَلَى لَأْمِئَةٍ وَعِينْتُمْ مِنْ خَسَمَ عَلَى شَيْءٍ .

وَعَبْتُمُونِي أَنْ قُلْتُ لِلْفَلَاحِ : إِذَا زِدْتِ فِي الْمَرْقِ قَزْدَ فِي الْإِنْفِصَاجِ لِيَجْتَمَعَ مَعَ النَّادِمِ بِالْهَلْمِ طَيْبُ الْمَرْقِ .

وَعَبْتُمُونِي بِمُخَصِّفِ التَّعَلُّ وَبِتَصْدِيرِ الْقَمِيصِ وَحِينَ زَعَمْتُ أَنَّ الْمُخْصُوفَةَ مِنَ التَّعَلُّ ابْنِي وَأَهْوَى وَأَشْبَهَ بِالشَّدِّ وَأَنَّ التَّرْقِيعَ مِنَ الْحَزْمِ وَالتَّقْرِيطَ مِنَ التَّضْبِيعِ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرْقِّعُ نَوْبَهُ وَيَقُولُ : لَوْ أَهْدَى إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُحِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ . وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَمْ يَلْبَسِ الْخَلْقَ . وَبَسَتْ زِيَادُ رَجُلًا يَرْتَادُ لَهُ عُذْمًا وَأَشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا فَأَمَّا بِهِ مَوَاقِفًا فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتَ بِهِ دَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي يَوْمٍ قَانَطَ يَلْبَسُ خَلْقًا وَيَلْبَسُ السَّاسَ جَدِيدًا ، فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ . وَهَذَا طَبْنَةُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ مِثْلُ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَسَمًا بِهِ مَوْضِعًا كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجُلًا وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا . وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالسَّمِّ وَأَمَاتَ بِالْإِدْوَاءِ وَأَقْصَى بِالْمَاءِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدُ الْكَاسِيْنَ كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قِلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدُ الْبَسَارِيْنَ . وَقَدْ جَبَّرَ الْأَحْمَفُ بْنُ قَيْسٍ يَدَ عَتَرٍ وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

(١) الرِّيحُ : الْعَمَاءُ وَالرِّيَاذَةُ . (٢) إِمْلَاكُ السَّعِينِ : إِمَامٌ عَمَّهُ . (٣) الْكَمَاءُ : الْخَمَاءُ .

(٤) الْمُرُودُ : وَهَاءُ الزَّادِ . وَالسَوِيْقُ : طَعَامٌ يَخْدُ مِنَ الْحَطَّةِ أَوْ الشَّعِيرِ . (٥) - سَمِيتُ الْعَمَلُ : نَزَرَهَا .

(٦) تَصْدِيرُ الْقَمِيصِ : أَنْ يَصِلَ لِمُدْرِهِ سَلَاةً .



يَفْرَكُ النَّمْلَ . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بَيْضَةً ففد أكل دَجَاجَةً .  
ولبس سالم بن عبد الله جِلْدَ أُحْجِيَةٍ . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى إليك  
دجاجة . فقال : إن كان لابد فاجعلها بَيُوضًا .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السَّرَفِ فى الوجود الرخيص لم يعرف  
مواضع الاقتصاد فى المُنْتَعِ الغالى . ولقد أُتيتُ بماء للوضوء على مبلغ الكِفَايَةِ وأُشيدُ من  
الكِفَايَةِ ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء والى التوفير عليها من وَضِيعَةِ الْمَاءِ<sup>(١)</sup>  
وجدتُ فى الأعضاء فَضْلاً عن الماء ، فملتُ أن لو كنتُ سَلَكْتُ الاقتصادَ فى أوائله  
نلجِجَ آخرُه على كِفَايَةِ أوله ولكن نصيبُ الأول كنصيب الآخر ، فعبتمونى بذلك وشنتم  
على ؛ وقد قال الحسن وذَكَرَ السَّرَفَ : أما إنه لِيَكُونُ فى الماء والكَلَّا فلم يَرْضَ بذكر  
الماء حتى أُرْدِفَهُ الْكَلَّا .

وعبتمونى أن قلت : لا يَغْتَرِّقُ أَحَدُكُمْ بطول عمره وتقويس ظهره وَرِقَّةَ عَظْمِهِ وَوَهْنَ  
قُوَّتِهِ وأن يرى نحوه أَكْثَرَ ذُرِّيَّتِهِ ، فبدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده وتحويله الى مِلْكٍ  
غيره والى تحكيم السَّرَفِ فيه وتبسيط السهوات عليه ، فلعله يكون مُعْمِراً وهو لا يدري ،  
وممدوداً له فى السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يُرْزَقَ الولد على الدَّاسِ ويحدث عليه من آفات  
الدهر ما لا يَحْطُرُ على بال ولا يُدْرِكُه عقل ، فيستردّه ممن لا يرده ويُظهِرُ الشكوى الى من  
لا يرجحه أَصْعَبَ ما كان عليه الطَّلَبُ وأقبح ما كان به أن تَطْلُبَ ، فعبتمونى بذلك ؛  
وقد قال عمرو بن العاص : ” إِعْمَلْ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ سَبْسَبُ أَدَا ، وَأَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ  
تَمُوتُ غَدًا “ .

وعبتمونى بأن قلت : مَاتَ السَّرَفُ والبذر الى نال المواريت وأموال الملوك وأن  
الحفظَ لئال المكتسب والعنى المحتجب والى من لا يُعْرَضُ بِهِ نَهَابُ الدِّينِ وَاهْتِزَامُ  
العرض وَنَقْصِبُ البسطنِ واهتمام القلبِ أَسْرَعُ ومن لم يحسبُ نفقته لم يحسب دَخْلَهُ



ومن لم يحسب الدخْل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف الغنى قدره فقد أُوذِن بالفقر وطاب نفساً بالذل .

وعبتموني بأن قلت : إن كَسْب الحلال يضمن الإثاق في الحلال . وإن الخبيث يتزعج إلى الخبيث ، وإن العَلِيب يدعو إلى العَلِيب ، وإن الإثاق في الهوى يحجب دون الهدى ، فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرتبذيراً قط إلا وال جنبه حق مُضَيِّع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيماذا يُفِيقه فإن الخبيث إنما يُنْفَق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم وأتم في دار الآفات ، والجوائع غير مأمونات : فإن أحاطت بمل أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه . فاحذروا التَّكْم باختلاف الأمكنة فإن آليّة لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : قَرِّبُوا يَن المنايا . وقال ابن سيرين لبعض البعريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نُفَرِّقها في السفن فإن عَطِب بعضُ سَلَم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حُلنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : " تَحْسَبُهَا تَرْقَاءُ وَهِيَ صَنَاعٌ " .

وعبتموني بأن قلت لكم صد إشفاق عليكم : إن لاغنى لسكرًا ولإل انتوة<sup>(٢)</sup> فن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يربط المال لحوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : أيس أحد أقصر عقلًا من غنى<sup>(٣)</sup> ابن الفقراء وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :  
وَهَوْبُ بِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْزِبُهُ مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا

وعبتموني حين زعمتم أني أنذم المال على المال ، من المال به بمقاد العلم وبه تقوم النفس قبل أن تتبرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالتمصيل من القرع ، فقلتم :

(١) هذا مل بصرب لمن عل به العلم وهو وطن يقد . (٢) الزينة : الترة أو الوثبة .



كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأنون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم . فقلت : حالمها هي القاضية بينهما . وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ القنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إني لأبغض أهل بيت يُنفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لوآله : إذا بسط الله لك الرزق فابسط وإذا قبض فاقبض .

وعبتموني حين قلت : فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت إذا احتيج إليها استعملت وإن استغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحصين بن المنذر : وددت أن لي مثل أحد ذهباً لا أتضع منه بشيء . قيل له : فما كنت تفعل به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمني عليه لأن المال مخدم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ودأ في قاب صدرك لكان الحظ فيه جسيماً والتضع فيه عظيماً .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وعلماء الخلفاء ونأديب الحكماء لأصحاب الألبو . ولستم على تردون ولا رأيي تُفندون ، فهدموا النظر ببل العزم وأدركوا ما لكم قبل أن تدركوا ما لكم . والسلام عليكم .

وسهل هو القائل :

نَقَسْمِي هَمَانٍ قَدْ كَسَفَا بِالِي      وَتَدَرَكَا نَبِيَّ حَمَلَةَ بِبَالِ  
هَمَا أَذْرِيَا دَمَعِي وَلَمْ تُذِرْ صَبْرِي      رَهِينَةُ خَذَا ذَاكَ سَيْمِطٍ وَخَلَعَالِ  
وَلَا قَهْوَةَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الَّذِي      عَلَى أَنْ تُحَاكِيَ النُّورَ فِي رَأْسِ ذِيَالِ



تَحَلَّ مِنْهَا جُرْمُهَا وَتَمَاسَكَتْ \* لَهَا نَفْسٌ مَعْدُومٌ عَلَى الزَّمَنِ انْتِلَاقِي  
 وَلَكِنَّمَا أَبْيَى بَعِيْبٌ تَغْيِيَّةٌ \* عَلَى حَدِيثِ تَبَيُّكِ لَهُ عَيْنُ امْتِلَاقِي  
 فِرَاقُ خَلِيلٍ لَا يَقُومُ بِهِ الْأَمَى \* وَخَلَّةٌ حُرٌّ لَا يَقُومُ بِهَا مَالِي  
 فَوَاحِشَرَقَ حَقِّي مَتَى الْقَلْبُ مُوجِعٌ \* لَتَغْرُ خَلِيلِي أَوْ تَعْدُرُ إِفْضَالِي  
 وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلِي \* وَإِلَّا لِقَاءَ الْخِلِّ ذِي الْخُلُقِي الْعَالِي

وهو القائل :

إِذَا أَمَرْتُ ضَاقَ عَنِّي لَمْ يَضِقْ خُلُقِي \* مَنْ أَنْ يَرَانِي غَنِيًّا حَنَهُ بِالْيَاسِ  
 لَا أَطْلُبُ الْمَالَ كِي أَغْنَى بِفَضْلَتِهِ \* مَا كَانَ مَطْلَبُهُ فَقْرًا مِنَ النَّاسِ



( ز ) عمرو بن مسعدة<sup>(١)</sup>

كان كاتباً بليغاً، جزل العبارة وجيزها، سديد المقاصد، فضله شائع، وثبته زائع، أشهر من أن يُنسى عليه، أو يُبدل بالوصف إليه؛ قد ولي للأمون الأعمال الحليلة، وألحق بنبؤ المراتب النبيلة. وسماه بعض الشعراء وزيراً لعظم مقرته لا لأنه كان وزيراً، وهو قوله:

لقد أسعد الله الوزير بن مسعدة • وبث له في الناس شكر ومحمد

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول (بضم الصاد) كان رجلاً تركياً وكان ملك وأشوه فيروز مل جرجان وبجسا به التركية وثبها بالقرص .

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة حاملًا من الهال فظهرت كفايته وبلاغه، وبالإضافة توصل إلى الخليفة فعُد أحد أفراد للائل في رجاله، قال أحمد بن يوسف الكاتب: دخلت يوماً على الأمون ويسده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى، ويصده فيه ويصوب، فلما مرت على ذلك مدة من زمانه انفتحت لي وقال: يا أحد أراك مفكراً فها تراه مني، قلت: نعم، فقال: إن في هذا الكتاب كلاماً نظيراً ما سمعت الرشيد يقول في البلاغة، زعم أن البلاغة إنما هي التباعد عن الاطالة، والتقرب من معنى البنية، والله لاالة بالقليل من القبط، على الكثير من المعنى، وما كنت أقوم أن أحدا يقدر على ذلك. وقال: هذا كتاب عمرو بن مسعدة اليك، فشككت فإذا فيه: «تكلّم إلى أمير المؤمنين، ومن قبل من قواده، ورؤسا. أجداه، في الاقتداء والطاعة، على أحسن ما يكون طاعة جند تأثرت أرزاقهم، واقعاد كفاة تراخت أعطياتهم، فاخطت بذلك أحوالهم، والثالث معه أوردتهم. فلما قرأته قال: إن استحقاقاً إليك بنى أن أمرت لجنه قبله بأعطياتهم لسبعة أشهر، وأما على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعه. وفي رواية أن الأمون أمر لعمرو بن مسعدة يرزق عمانية أسهر وأنه قال لأحمد بن يوسف: لله در عمرو ما لجنه! ألا ترى إلى إدماجه المسألة في الأحبار، وإبعاده سلطاناً من الآثار.

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته أبو الفضل أبيض أحر الوجه. وكان الأمون يسبه الرضى لياض وجهه وكان يحضب وتوفى بأذنة سنة سبع عشرة ومائتين. ولم تصرف منشأ وولاه وأمانته ونفاة ما مرثاه أنه كان أحد إخوة أربعة أحسن أبوه — وكان كاتباً أيضاً — تربيتهم كل الإحسان حتى جرت من أحدهم هذه البلاغة النادرة التي كان من أنهما أن أصبح عشير الأمون، وكان هو يوسجد نائب بن يحيى يكتب بين يديه ويجلسوا معه ويمازحانه. ولكن يصل الرجل إلى هذا المقام مع مثل هذا التلبس العظيم في كل شيء يشب أن ينطوى على صفات طالية يمز منها في الأثران والآثران.

قال عمرو بن مسعدة: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي موع له علفانه ودية يستردونه في روايتهم فرى بها إلى وقال: أجب عنها فكُتبت: «قليل دأتم خير من كثير منقطع» فغضب بهده على ظيبي وقال: =



فهو كما كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سامة القاضي وقد احتاج الى رجل يؤمله  
بعض الأعمال فقال: إنه يريد رجلا جامعا لخصال الخير، ذا عفة ونزاهة طعنة، قد هدبته  
الآداب، وأحكته التجارب، ليس بظنين في رأيه، ولا بمطمون في حسبه إن أوتى على  
الأسرار قام بها، وإن قلد ميمما من الأمور أجزأ فيه، له من مع أدب ولسان، يُعقده  
الزرائع، ويسكنه الحلم، قد فسر عن ذكاه وفطنة، وعرض على قارحة من الكمال، تكفيه  
الحظلة، وترشده السكنة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكماها، وقام في أهور فحيد فيها، له  
أناء الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء، لا يبيع  
نصيب يومه بجرمان ضده، يكاد يسرق قلوب الرجال بحلاوة لسانه، وحسن بيانه، دلائل  
الفضل عليه لأخيه، وأمارات العلم له شاهدة، مضطلعا بما استنص، مستقيلا بما حمل.

== أى وزير في ذلك. وقد تده لعمري بن مسعدة اللالة أحيان الأمان في عصره ومنهم الفصل س سهل فقال به :  
إنه أبلغ الناس، ومن بلاعه أن كل أحد اذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله فاذا رآه مد عليه . وهذا كاقيل لأحد  
العلماء : ما حد اللالة \* فقال : التى اذا سمعها الحاهل ظن أنه يقدر على ظنها ، فاذا رآها استصحت عليه .  
وله يؤثر من عمره أنه ألف في موضوع خاص وأمرد مسألة في التأليف . وطه ابن الديلم في التعمراء الكتاب  
ولم يذكر إلا أن له ولأخيه محتات نحسين ورقة من التمر وهي من الصانع أيضا . والغالب أن مهام الدولة  
لم تترك له وقتا يصرفه في درس خاص ، أو وضع كتاب أو رسالة : وما خلفه العلماء والأدباء . من كلامه ،  
فهو مما صدره بالمساعات ، ورواه له المحدثون ، وما أعلم المحدثون منه . والمحدثون أن لو كانت تحت  
له رسائله على إيجازها لكان منها ديوان كبير ، لأن من صرف أعواما طويلة وهو قابض على راسه يبالغ بها  
الموضوعات السياسية والإدارية في ذلك المجتمع العظيم لا شك أنه يجمع له صعوبات كنه فيها كان مقلا  
معروفا بالاجاز . ١٠٠ من محاضره للأساد الناحت محمد كرد على شروها بمجلة المجتمع العلمى العربى . وفى عمرو بن  
مسعدة قال محمد البليق وقد احتل :

قالوا أو الفضل مثل قلت لم - هنى الهداء له من كل محسود

يا ليت طقه في خير أنت له - أحر العليل وإلى خير مأحود

وتحذر حنيفة في معجم الأدباء لياقوت (ج ٦ ص ٨٨) وابن حلكان (ج ١ ص ٥٥٥) والوفاى البورات  
للصدى (ج ٥ ص ٥٠٢) قسم ثالث من الأصل المتروك في المصنوع ذوار الكتب المصرية .

(١) في الأساس : ومن المخار فلاب طب الطعمة وحبب الطعمة (بالكسر) وهي الجملة التى بها يرتقى  
(بوزن الحرفة) . (٢) أحرأى كذا : كفاى . (٣) عرض ذكاه ، وعطه ، أى حرب واحتر  
مهما . (٤) وعرض على قابضه ، كناه من طوعه درجة الكمال .



ومن كلام عمرو بن مسعدة :

أعظم الناس أحرًا، وأسهلهم دُخْرًا، مَنْ لم تَرَمَّ مِمْبَرُ العدلِ في دولته، وطهور المحم  
في سلطانه، وإنصال المنافع إلى رعيته في حياته، وأسعدُ الرعاة مَنْ دامت سعادته الحق  
في أماته، وبعد وفاته وأقرابه .

وقال : الخطَّ صُورُ الكُتُبِ تُرَدُّ إليها أرواحها .

وقال . الخطَّ صورُهُ صُنِّفَتْ لَهَا مَعَانٍ حَلِيلُهُ ، وَرُغِمَا صَبَا عَنِ الْعُيُونِ ، وَقَدْ مَلَأَ  
احطار العيون .

وقال لا نسجحتُ مَنْ يكون استمناؤه ممالك وحاجك ، أَكْثَرُ من إسماعه لك نسك  
إسماعه وفوائده عليه، وَمَنْ كَانَتْ طَائِفَةُ الْأَحْيَاءِ كُلِّ مَالِكٍ وَإِطْرَافِكَ فِي وَجْهِكَ ، فَإِنْ هَذَا  
لَا يَكُونُ إِلَّا رَدَى الْعَيْبِ ، سَرِعًا إِلَى الْعَمِّ .

وكتب إلى الحسن بن سهل :

أما بعد، فَإِنَّكَ مِمَّنْ إِذَا عَرَّسَ سَقَى، وَإِذَا أَسَّسَ سَقَى، أَيْسَمُ سَيِّدِ أُنْسِيهِ، وَتَحْتِي نَمَارَ  
عَرَّسِهِ، وَنَاؤُكَ عَمِي هَذَا شَارَفَ الدُّرُوسِ ، وَحَرَمُكَ مُنِيفَ عَلَى الْيُوسِ ، مِدَارُكَ سَاءَ  
مَا أَسَّسْتَ، وَسَقَى مَا عَرَّسْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وكتب إلى بعض أصحابه في شخص سُرْطِيهِ

أما بعد، فَوَسِّلْ كَأَيِّ إِلَيْكَ سَالِمٍ وَالسَّلَامِ . أَرَادَ هُوَ السَّاعِرَ

بِدُرُوبِي عَنْ سَالِمٍ وَأَدْرَهُمُ وَحِلَّةً مِنَ الْعَبْرِ وَالْأَيْفِ سَالِمٍ

أَيَّ تَحُلْ هِيَ هَذَا الْمَحَلِّ .

كتب إلى المأمون في رجل من بني صَهْبَةَ لَمَسَمَعَ لَهُ الرِّادَةَ فِي مَرْبَعَةٍ وَحَدَّ كَلَامَهُ

مَرِيضًا

أما بعد، بعد استمع في فلان ما أمر المؤمنين لعلوك على . في إلحاحه سطرانه من

الخاصة فيما يرفعون ما ، وأعلمته أن أمر المؤمنين لم يحل في مراتب المستمعين .

وفي أسدائه بذلك مبدى طاعته والسلام .



فكتب إليه المأمون : "قد عرفنا توطئتك له ، وتعريفك لنفسك ، وأجبتك إليهما ، وواقفناك عليهما" . وقوله : "إن أمير المؤمنين لم يحطى في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته" : من الكلام السرى الذى يدل على مبلغ أدب عمرو وبُعدِ قُوته فى السياسة ووقوفه على رُوح عصره ونفسية الخلفاء .

قَدِمَ رجل من أبناء دَهَاقِينَ قُرَيْشٍ ، على المأمون لِعِنةٍ سَلَفَتْ منه ، فطال على الرجل انتظارُ خروج أمر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : تَوَصَّلْ مِنِّي رُقعةً إلى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكن لك على نعمتان . فكتب : "إن رأى أمير المؤمنين أن يَفُكَّ أَسْرَ عبيده من رِبْقة المَظْل بقضاء حاجته ، أو يَأْذَنَ له بالانصراف إلى بلده فعل إن شاء الله" .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عَمْرًا بفعل يَجَب من حسن لفظها ، وإيجاز المراد . فقال عمرو : فما نَتِجْتُها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكُتَابُ له فى هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يَتَأَثَّرَ فضلُ استحسناتنا كلامه ، وبجائزة مائة ألف درهم ، صِلَةً عن دناءة المَظْل . وسمَّاجَةِ الإغفال .

وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون وولوعه بالبلاغة وقدره أهلها حقَّ قدرهم ، دَع ما هنالك من نفيس ما أَحَبَّتْ إلا الجود والعطاء .

ومن حِكَمِ عمرو بن مسعدة :

العبودية عبودية الإخاء . لا عبودية الرِّق . الودَّ أعطف من الرَّحْم . إن الكريم أَيْرَعَى من المعرفة ما رعى الوَحْل من التمرابة . عليكم بالإخوان فإنهم زينة فى الرخاء ، وعُدَّةٌ للبلاء . لَلْإِخْوَانِ نَبْلُ النَّارِ ، نَبْلُهَا مَتَاعٌ ، وَكُنْيُهَا بَوَارُ . النفس بالصدى ، آسُ منها بالعشيق ، وَمَرْزَلُ المودة ، أَرْفُ من مَرْزَلِ الصبابة . من حقوق المودة ، عَفْوُ الإخْوَانِ ، والإغضاء عن قصصهم إن كان . ذكر رجل رجلًا فقال : حسبك أنه خُلِقَ كما تستهى إخوانه . المودة قرابة

(١) الدهاقين : الرعاة ، أبواب الأمازل بالسواد ، وأحدم دهقان (بكسر الدال مَرَبٍ) .



مستفادة . ما تواصل اثنان فدام تواصلهما ، الا لفضلهما أو فضل أحدهما . أسرع الأشياء  
انقطاع مودة الأثرار . المحروم من حريم صالحى الإخوان . لقاء الخليل شفاء الغليل .  
قلعة الزبارة ، أمان من اللآلة . إخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا . علامة الصديق  
إذا أراد الفطية أن يؤثر الجواب ، ولا يتدنى بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق  
قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل التهمة ، والشفقة قبل الأئس ، أثمرت مودته  
تأما . إذا قدمت الحرمة ، تسببت بالقرابة . المتأب حياة المودة . ظاهر المتأب خير من  
باطن الحقد . ما أكثر من يُعاتب لطلب علة ، ويتقن الود ما يتقن المتأب . تكون الحقد  
في القواد ككجون النار في الزناد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودته . لا تأمن  
عدوك وإن كان مقهورا ، واحذر وإن كان مفقودا ، فإن حد السيف فيه وإن كان معمودا  
لا تتعرض لعدوك في دولته ، فإنها إذا زالت كفنتك مؤونته . نصيح الصديق تأديب ، ونصح  
العدو تأنيب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحاب قال : شهدت المأمون يوما وقد خرج من  
باب البستان ببعداد فصاح به رجل بصري : يا أمير المؤمنين إلى تزوجت امرأة من  
آل زياد وإن أبا الرازي فزى بيما وقال : هي امرأة من فريس . قال : فأمر عمرو بن  
مسعدة فكتب إلى أبي الرازي :

إنه قد بلغ أمير المؤمنين ، أكان من الزيادة وحملك إياها يدك من قريش . فنى  
حكمت إليك العرب ، لا أتم لك وأسأها . ومتى وكلت عرس أس الهاء بأن تلصق  
بها من ليس منها ؟ حمل بين الرجل وامرأه ، فأتى كان راد من قريش ، إنه لأبن شمية  
يقنى طاهره ، لا يفسح ، بهرابها ولا يتناول ولادها . ولئن كان أس عييد ، فمذهب بأمر  
عظيم ، اد ادعى إلى غير أبه . لخط تَجَّهَ . وملك قهره .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل من عيابه إلى بعض النعمان في وصايا  
حقة ، وأن تحصر كتابه . أو أمكنه . حتى يكون ما يكتبه في سطر واحد . لا زيادة عليه .  
فكتب عمرو :



كتابي اليك كتابٌ واثقٌ بمن كتبتُ اليه ، معنىً بمن كُتِبَ له ، ولن يضع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب الى بعض الرؤساء ، وقد تزوجت أمه فساءه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها ، وزهد عنه ما كان يجهده . وقيل : إن هذه الرسالة من إنشاء ابن العميد وهي :

الحمد لله الذى كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة . وجدعَ بما شرعَ من الحلال أنفَ الفتية ، ومنعَ من عضل الأهيات ، كما منع من وإد البنات ، استنزالا للنفوس الأبية ، عن الحمية حبيبة الجاهلية ، ثم عرض لجزيل الأجر ، من استسلم لواقع قضائه ، وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهتاك الذى نرح للتقوى صدرك ، ووسع فى البسوى صبرك ، والهمك من التسليم لمشيئه ، والرضا بقضيته ، ما وفقك له من قضاء الواجب فى أحد أبوابك ، ومن عظم حقه طلبك ، وجعل الله تعالى جثته ما تجزعه من أنف ، وكظمته من أسف ، محدودا فيما يُعظم به أجرك ، ويميز له ذكرك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعالها ، المتظر من ارتماضك بدفعها ، فستوفى بها المصيبة ، وتُسكَل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدي ما استعمره من الصبر على عُرْمها ، بما يكتسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من أيسرة فرتبها ، أعواد نعمتها ، وجعل تعالى جثته ما يتم به طايه بعدها من نعمة ، معرى من قومه ، وما يرايه بعد قبصها . من منحه ، مبرا من محنة ، فأحكام الله تعالى جثته ، ونهتست أسماؤه ، جارية على غير مراد المخوفين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم فى الساعه ، وأبقى لهم فى الآجلة ، اخنار الله لك فى قبصها اليه . وقدومها عليه . ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل البر ، كثره لما رالسلام .

ومال عبد العزيز بن يعيد المكي ، الذى طار بشر بن عياض الميرسى بحضرة امير المؤمنين فى .سأله حلق القرآن :

جاءني حليمة سرور مصححه . به جمع من الورد والورود . وكريما على ناسه  
حي صار الى باه . أيرام ير . يفر . سحر . ما . بن . م . ولعل بلان فى حجرة



التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صيرت بين يديه أجلسني ثم قال لي : أنت مقيم على ما كنت عليه أو قد رجعت عنه ؟ فقلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله تعالى إياي بصيرة في أمري ؛ فقال لي عمرو بن مسعدة : أيها الرجل ، قد حملت نفسك على أمر عظيم ، وبلغت الغاية في مكروهاها ، وتعرضت لما لا تقوم لك به في مخالفة أمير المؤمنين ، وأدعيت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لأحد غيرك ، وليس ورائك بعد الحجّة عليك إلا السيف ، فانظر لنفسك وبادر أمرك ، قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجّة ، فلا تنفك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا يقال لك عثرة ، قد رحمتك وأشفقت عليك مما هو نازل بك ، وأنا أستقبل لك أمير المؤمنين وأسأله الصنيع عن جرمك ، وعظيم ما كان منك إذا أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وأخذ لك الأمان منه والجارّة ، فإن كانت لك ظلامة أزلتها عنك وإن كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أملت على ما أنت عليه ورجوت أن يخلصك الله تعالى على يدى من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

## شعره :

قلنا أمثلة قليلة من نثر عمرو بن مسعدة ، أما شعره فعليل جدا . ذكر المترجون له أنه كان له فرس أدهم أغر ، لم يكن لأحد مثله فراحه وحسنا . بلغ المأمون خبره ، وبلغ عمرو ابن مسعدة ذلك . تخاف أن يأمر بقتله إليه فلا يكون له فيه تجمده ، فوجه به إليه هدية وكتب معه :

يا إماما لا يد	بيد إذا عد إمام
فضل الناس كما يف	خيل قصا أتمام
قد بعثنا ببحوايد	مثل له ليس يرأم
فرس يزهي به لا	حسن سرح ولجام
دونه الخيل كما مش	لك في الفضل الأمام



وَجْهَهُ صَبِيحٌ وَلَكِنْ \* سَاثِرُ الْجَسَمِ ظِلَامٌ  
وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلرَّو \* لَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ

وعمره هو القائل :

وَمُسْتَعِيبٌ لِلْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْدَبُ \* أَكَايِمُهُ حُسْبَى قَيْنَاى وَأَقْرَبُ  
إِذَا جَدْتُ مَنِ بِالرِّضَا جَادَ بِالْخَفَا \* وَيَزْعُمُ أَنِّى مُذْنِبٌ وَهُوَ أَذْنِبُ  
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ قَهْرِهِ \* وَعَلِمَهُ حُسْبَى لَهُ كَيْفَ يَفْضَبُ  
وَلَى غَيْرُ وَجْهِهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ \* وَلَكِنْ بَلَاقِلِى إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

ووقع مرة في ظهر رُقعة لرجل :

أَمْرِزْ عَلَى بَأْسِي أَنْتَ طَالِبُهُ \* لَمْ يُمْكِنِ النُّجْحُ فِيهِ وَأَنْهَضَى أَمْدُهُ

ولعمرو بن مسعدة حكايات منها ما حكاها القاضى التنوخى في كتاب الفرج بعد الشدة :  
قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقعة  
قال : يا عمرو، ما ترى الرَّجِيحَى قد احتوى على الأهواز، وهى سلة الخير وجميع المال قبله  
وطمع فيها، وكُتِبَتْ متصلةً بجمالها، وهو يتعلل ويتربص بى الدوائر؟ فقلت : أما أكنى  
أمير المؤمنين هذا، وأنفذ من يضطره الى حمل ما عليه، فقال : ما يقتضى هذا، فقلت :  
فيامر أمير المؤمنين بأمره، فقال : فانخرج اليه بنفسك حتى تُصَفِّدَهُ بالحديد، فتحملة الى  
بنداد وتقبض على جميع ما فى يده من أموالنا، وتظفر فى أعمالنا وترتب لها عمالاً، فقلت :  
السمع والطاعة، فلما كان فى غيد دخلت عليه فقال : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قلت :  
أنا على ذلك، قال : أتريد أن تجيء فى غيد مودماً؟ قلت : السمع والطاعة، فلما كان  
فى غيد جثته مودماً، فقال : أريد أن تحلف لى أنك لا تقيم ببنداد إلا يوماً واحداً،  
فاضطربت من ذلك الى أن حصنى وأستحلفنى ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام، فخرجت



حتى قدمت بغداد ، فلم أقم بها إلا ثلاثة أيام وأتحدث في زلالي أريد البصرة وجبل لى في الزلالي خيش واستكثرت من التلج لشدة الحر .

فلما صرت بين جرجان وجبل سمعت صوتا من الشاطئ يصيح : يا ملاح ، فرفعت سيف الزلالي وإذا بشيخ كبير السن جالس حامير الرأس حافي القدمين خلق القميص ، قلت للغلام : أجبه ، فأجابه ، فقال : يا غلام ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى ، وقد أحرقتني الشمس وكادت تنلغني ، وأريد جبل ، فاحملوني معكم فإن الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فشمته الملاح وأشهره ، فأدركتني رقة عليه وقلت : خذوه معنا ، فتقدمنا الشط ومحمنا به وحملناه ، فلما صار معنا في الزلالي وأعدونا نتقدم فدفعنا إليه قميصا ويمنيلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد الى الدنيا لخصر وقت الغذاء وتقدمت وقلت للغلام : هات يا كل معنا ، فجاء وقعد على الطعام ، فاكل اكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه ، فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويفسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل ، فغسلت يدي وتذمت أن آمر بقيامه ، فقلت : قدموا له الطشت ففسل يده ، وأردت بعدها أن يقدم لأنام فلم يفعل ، فقلت : يا شيخ ، أى شئ صناعتك ؟ قال : حائك أصابع الله ، فقلت في نفسي : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ومددت رجلي فقال : قد سألني عن صناعتى وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقالت : أنا جئت على نفسى هذه الحياكة ولا بد من احتمالها ، أتراه الأحق لا يرى زلالي وغلماني ونعمتي وأن منى لا يقال له هذا ! فقلت : كاتب . فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فإن الكتاب خمسة ، ويتم أنت ؟ فورد على قولك مائتة موردا عظيما وسمعت كلاما أكبرته وكنت متحكما بفاسه . ثم قلت : فصل الخمسة قال :

نعم ، كاتب يحتاج أن يكون عالما بأشريط والطبوت والحساب والمساحة والبنوق والفتوق والرتوى . وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلال والحرام



والاحضاج والإجماع والأصول والفروع . وكاتبٌ معونة يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات . وكاتبٌ جيش يحتاج أن يكون عالماً بجمل الرجال وشيآت الدوابِّ ومُدَّاراة الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتبٌ رسائل يحتاج أن يكون عالماً بالصدور والفصول والإطالة والإيجاز وحُسن البلاغة والخط ، قال : فقلت : إني كاتبٌ رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لي :

أصلحك الله ، لو أنَّ رجلا من إخوانك تزوج أمك فأردت أن تكتبه مهنتا فكيف كنتَ تكتبه ؟ فكرتُ في الحال فلم يخطر ببالى شيء ، فقلتُ : ما أرى للتهنته وجهاً ، قال : فكيف تكتب إليه تمزيه فكرتُ فلم يخطر ببالى شيء ، فقلت : اعفنى ، قال : قد فعلت ، ولكك لست بكاتبٌ رسائل ، قلت : أنا كاتبٌ خراج ، قال : لا بأس ، لو أنَّ أمير المؤمنين ولَّاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والإنصاف وهفضى حاجة السلطان فيتظلم إليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيك ، لحلف المساح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعية بالله إنهم لقد جاروا وظلموا ، وقالت الرعية : قف معنا على ما مسحوه وأنظر من الصادق من الكاذب ، فخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكِّه قاتل قنا ، كيف كنتَ تمسحه ؟ قلت : كنت أخذ طوله على أنفراجهِ ومرضه ثم أضربه في مثله ، قال : إنَّ شكل قاتل قنا أن يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس ، قلت : فأخذ الوَسَط فأضربه في المرَض ، قال : إذا يثنى عليك العمود ، فأسكنى ، فقلت : ولستُ كاتبٌ خراج ، قال : فإذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتبٌ قاض ، قال : أرايتَ لو أنَّ رجلا توفى وخلف امرأتين حاملتين إحدهما حُرَّة والأخرى سَريَّة ، فولدت السرية غلاما والحرة جارية ، فصَدَّت الحرة الى ولد السرية فأخذته ، وتركَّت بدله الجارية فاخصما في ذلك ، فكيف الحكمُ بينهما ؟ قلتُ : لا أدري ، قال : فلست بكاتبٌ قاض ، قلتُ : فإنا كاتبٌ جيش ، فقال : لا بأس ، أرايتَ لو أنَّ رجلين جاءا إليك لتُحلِّيهما وكلَّ واحد منهما اسمه وأسمه كاسم الآخر إلا أنَّ أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق



الشفة السفلى ؟ كيف كنت تحلبها ، قال : قلت : فلان الأقطع وفلان الأعم ، قال : إنك  
ورزقهما مختلفان وكل واحد منهما يحىء في دعوة الآخر ، قلت : لا أدري ، قال : فليست  
بكتاب جيش ، قلت : أنا كاتب معونة ، قال : لا تبالي ، لو أنك رجلين رُفعا إليك قد نَجَّج  
أحدهما الآخر شجرة مؤمضة<sup>(١)</sup> ، وشج الآخر شجرة مأمونة ، كيف كنت تفصل بينهما ؟ قلت :  
لا أدري ، قال : لست إذا كاتب معونة ، اطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا ،  
قال : فصغرت إلى نعى وفاظنى ، فقلت : قد سألت عن هذه الأمور ويحوز ألا يكون  
عندك جوابها كما لم يكن عندي ، فإن كنت طالما بالجواب فقل ، فقال :

نعم ، أما الذى تزوج أمك فتكتب اليه : أما بعد ، فإن الأمور تجري من عند الله بشير  
حجة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب ، وقد بلغنى تزويج الوالدة خا الله  
لك في قبضها ، وإنك القبور أكرم الأزواج وأستر الميوب والسلام .

وأما براح فائل فتا تفسح العمود حتى إذا صار علدا في يدك ضربته في مثله ومثل  
ثله فما خرج فهو المساحة .

وأما الجارية والغلام فيوزن بين الاثنين ، فأيهما كان أخف فالجارية له .

وأما الجنديان المتضاغمين ، فإن كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الأعم ، وإذا  
كان في الشفة السفلى قلت فلان الأقطع .

وأما صاحب الشجتين فلصاحب المؤمضة ثلث الدية ، ولصاحب المأمونة نصف  
الدية ، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنه بأشياء كثيرة غيرها فوجده ماهرًا  
في جميعها حاذقًا بليغًا ، فقلت : أليست زعمت أنك حائك ، فقال : أنا أصلحك الله حائك  
كلام وليست بحائك نساجة ، وأنشأ يقول :

ما مرَّ برؤس ولا نعيم \* إلا ولى فيهما نصيب

فنفقت حلوا وذقت مرًا كذلك عيش الفقى ضروب

نوابب الدهر أدبني . وإنما يوصف الأديب

(١) المؤمضة : الشجة التى تبس وضح النظام .



قلت : لما الذى بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجلٌ كاتبٌ دامت عُطْطى ، وكَثُرَتْ  
عَيْتى ، وتواصلتِ يَحْنى ، وقلتِ حَيْتى ، تَفَرَّجْتُ أَطْلُبُ تَصَرُّفاً فَيُطْلَعُ عَلَى الطَّرِيقِ فَصَرْتُ  
كَمَا تَرى ، فَنَشِيتُ عَلَى وَجْهِى ، فَلَمَّا لَاحَ لى الزَّلَالِ اسْتَفْتَيْتُ بِكَ ، قلتُ : فإِنى قد نَحِرْتُ  
إلى مُتَصَرِّفٍ جَلِيلٍ أَهْتَاجُ فِيهِ إِلَى جَمَاعَةٍ مِثْلِكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِخَلْعَةٍ حَسَنَةٍ تَصْلُحُ لِمِثْلِكَ  
وخمسةِ آلافِ درهمٍ تُصَالِحُ بِهَا أَمْرَكَ ، وَتُنْفِذُ مِنْهَا إِلَى عِيَالِكَ ، وَتُقَوِّى نَفْسَكَ بِبَاقِهَا ،  
وَتَصِيرُ مَعى إِلَى عَمَلٍ فَأُولَئِكَ أَجَلُهُ ، فقال : أَحْسَنَ اللَّهُ جِزَاءَكَ إِذَا تَجَدَّدْنِى بِمِثِّ اسْرِكَ ،  
وَلَا أَقْوَمُ مَقَامَ مُعْذَرِ السِّكِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَرْتُ بِتَقْيِيزِهِ مَا رَسَمْتُ لَهُ قَبْضَهُ ، وَانْعَمِدْ إِلَى  
الْأَهْوَازِ مَعى ، بِغِلْمَتِهِ الْمَظَايِرَ لِلرَّحْمَى وَالْحَسَابِ لَهُ بِمَحْضَرِّى ، وَالْمُسْتَخْرَجَ لِمَا طَلِبَهُ ، فَعَامَ  
بِذَلِكَ أَحْسَنَ قِيَامٍ وَعَظَمْتَ حَالَهُ مَعى ، وَعَادَتْ نِعْمَتُهُ إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .

وفى عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

أَعْنَى عَلَى بَارِقٍ مُضِيبٍ . خَفِيَّ كَوَحِيكِ بِالْحَاجِبِ  
كَأَنَّ تَأَلَّفَهُ فِي السَّمَاءِ . يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبٍ  
فَرَوَى مَنَازِلَ تَذَكُّرُهَا . يُبَيِّجُ مِنْ شَوْقِكَ الْغَالِبِ  
غَرِيبٌ يَمِيزُ لِأَوْطَانِهِ . وَيَتَكِي عَلَى عَصْرِهِ الذَّاهِبِ  
كَفَاكَ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى . مَطَالَعَةُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ  
وَصَدَقُ الرِّجَاءِ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ . أَعْمَرُوْا بِنَ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ  
عَرِضُ الْفِتْنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَا . فِي الْمِزْوَالِ الثَّرَفِ النَّاقِبِ  
بَنَى الْمَلِكُ طَوْدَهُ لَهُ يَنْه . وَأَهْلُ الْخِلَافَةِ مِنْ غَالِبِ  
هُوَ الْمَرْغَبَى لَهْرُوفِ الرِّمَانِ . وَمُعْتَصِمُ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ  
جَوَادٌ بِمَا أَمْسَكَ كَفَّهُ . عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ  
بِأَدَمِ الرِّكَابِ وَوَسْخِ الْبِيا . يِ وَالطَّرْفِ وَالطُّفَاةِ الْكَاعِبِ  
وَمُلَهُ لِحْصَامُ الْأُمُورِ . وَنَزَجُهُ لِلْبَلَلِ الْكَارِبِ



خَصِيْبُ الْجَنَابِ مَطِيرُ السَّحَابِ . بِشِيْمَتِهِ لَيْزُ الْجَانِبِ  
 يُرَوِّى الْقَنَا مِنْ نُحُورِ الْعِدَا \* وَيُفَرِّقُ فِي الْجُودِ كَالْأَعْبِ  
 إِلَيْكَ تَبَلَّتْ بِأَكْوَارِهَا \* حَرَجِيجُ فِي مَهْمَةٍ لَاحِبِ  
 كَأَنْتَ نَعَامًا تَبَارَى بِنَا \* بِوَايِلٍ مِنْ بَرْدٍ طَاصِبِ  
 يَرِدُنْ نَدَى كَفِّكَ الْمُرْتَجَى . وَيَقْضِيْنَ مِنْ حَقِّكَ الْوَاجِبِ  
 وَفَقَّ مَا أَنْتَ مِنْ خَابِرِ \* بِسَجَلٍ اقْصُومَ وَمِنْ خَارِبِ  
 قَسَقَى الْعِدَا بِكَؤُوسِ الرَّدَى . وَتَسْقِىْ مَسْئَلَةَ الطَّالِبِ  
 وَكَمْ رَاغِبٍ نَلَبَّهَ بِالْعَطَا . وَكَمْ نَلَتْ بِالْعَطْفِ مِنْ هَارِبِ  
 وَتِلْكَ الْخَلَائِقُ أُعْطِيَتْهَا \* وَقَضَلُ مِنَ الْمَانِعِ الْوَاجِبِ  
 كَسَبَتْ الثَّنَاءَ وَكَسَبُ الثَّنَا \* أَوْفَضَلُ مَعْكَسَةِ الْكَاسِبِ  
 يَقِينُكَ يَحُلُو سِتْرَ الدُّجَى \* وَظَنُّكَ يُخْمِرُ بِالْغَائِبِ



## رسائل الجاحظ

### رسائله في بني أمية

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ <sup>(١)</sup> : أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك . أعلم أرشد الله أمرك ، أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها ، والخروج من جاهليتها ، إلى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة : فالطبقة الأولى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كانوا على التوحيد الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الأئمة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بذعة فاحشة ، ولا ترعُّ يد من طاعة ، ولا حسد ولا غل ولا تأوُّل ، حتى كان الذى كان : من قتل عثمان ، رضى الله عنه ، وما أنشرك منه ، ومن خبّطهم لإياه بالسلاح ، وبسج بطنه بالحرايب ، وفقرى أوداجه بالمشاقص ، وشدخ

(١) هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب النخعي البصري صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة . وقد تقدم الكلام عليه في الجهد الأول من هذا الكتاب (ص ٤٢١) .

وله حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتاوى كل فن . ومارس كل علم عرف في زمانه مما وضع في الإسلام أو نقل عن الأمم الأوائل فأصبح له مشاركة في علم كل ما يقع عليه الحس أو ينظر بالبال فهو راوية . متكلم . فيلسوف . كاتب . مصنف . مترجم . شاعر . مؤرخ . عالم بالحيوان والنبات والموت . وصاف لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحياتهم إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة فهو بذلك إمام الطائفة الجاحظية من المعتزلة والأدب المنزوج بالقليلة والفكاهة فهو أول من ألف الكتب الجاحظة لغتونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرها .

وكان طاية في الدكاء ودقة الحس وحسن الفراسة إلى دعاية فاشية ، وقلة اعتداد بها يأخذ به الناس انقسم ويختلطونه من الرسوم والعادات وأنواع الصبغة المذهبية وعدم مبالاة بوقوع المتوحشين فيه . وكان سمياً بجوادا كثير المراساة لإخوانه وكان على دمامة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح ، فكأن المجلس ، غاية في الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام وهو على الجملة أحد أئدة العالم وأحد جميع اللسان العربي . توفي سنة ٢٥٥ هـ ببغداد بمقبرة الخيزران . وتجد ترجمه في معجم الادباء لباقوت (ج ٦ ص ٥٦ — ٨٠) وابن خلدون (ج ١ ص ٥٥٣) .

(٢) في الأصل : « المختصر » .



هامته بالعمد، مع كفه عن البسط، ونهيه عن الامتناع، مع تعريفه لم قبل ذلك : من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة، وصلى القبلة، وأكل الذبيحة، ومع ضرب نسائه بمحضرة، وإلحاق الرجال على حرمة، مع انتهاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها، حتى أطنوا<sup>(١)</sup> إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها، ورفضت عن ذيلها ليكون ذلك رادعا لهم، وكاسرا من غريبتهم ؛ مع وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلحاقهم على المزةلة جسده مجودا بعد محبه، وهي الجزرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفنا لبناته وأيامه وعقائله، بعد السب والتعليل والحصر الشديد، والمنع من القوت، مع احتجاجه عليهم وإلحاقه لهم ؛ ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام، كدم المؤمن، إلا من ارتد بعد إسلام، أوزنى بعد إحسان، أو قتل مؤمنا على عمد، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبه ؛ ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة، ولا يُجهز منها على جريح ؛ ثم مع ذلك كله ذمروا<sup>(٢)</sup> عليه وعلى أزواجه وحرمة وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره، لن يرى أن موحدا يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لأجرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت نأثؤه، ولا يكفل طالبه، وكيف يُضَيِّع الله دم وآية، والمستقم له، وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فلا غلبته، وقيل ساحفه، وأدرك بطائله، وبلغ كل محبته، كدبه رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه، وفي إقامته للناس، والاقتصاص منه، وفي بيع ما ظهر من رباعه، وحدائقه، وسائر أمواله، وفي حبسه بما بقي عليه . وفي طعنه حتى لا يُحَسَّ، بذكره، ما يُقْنِهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قدنوه به، وأدعوه عليه، وهذا كله بمحضرة جلّة المهاجرين والسلف المقديمين، والأَنْصار والتابعين .

(١) قال في شرح الداموس : كل ما في العرب من هذا الاسم «فرافصة» فهو جسم ماء، الا مراصة أبا نائلة فهو بالفتح لافير . (٢) أطنوا : قتلوا . (٣) حض بعضهم بضاهيه منهذين .



ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة، ومراتب متباينة : من قاتل ومن شاد على  
عضده، ومن خاذل عن نصرته، والعاجز ناصر بإرادته، ومطيع بحسن نيته، وإتباع الشك  
متأ فيه، وفي خافله، ومن أراد عزله والاستبدال به؛ فأما قاتله، والمعين على دمه،  
والمريد لذلك منه، ففصل لا شك فيهم، ومراق لا امتراء في حكمهم؛ على أن هذا  
لم يعد منهم الفجور : أما على سوء تأويل، وإما على تعمد للشقاء، ثم ما زالت الفتن  
متصلة، والحروب متراصة، كحرب الجبل، وكوقائع صفين، وكيوم النهروان، وقبل ذلك  
يوم الزابوقة<sup>(١)</sup>، وفيه أسرا بن حنيف، وقتل حكيم بن جبلة، إلى أن قتل أسقاها على بن أبي  
طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشهادة، وأوجب لقاتله النار واللعنة، إلى أن كان من  
اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخليته الأمور، عند انتثار أصحابه، وما رأى من الخلل  
في عسكره، وما عرّف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلونهم عليه؛ فنحن استوى معاوية  
على الملك، واستبدّ على بقية الشورى، وعلى جماعة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين،  
في العام الذي تنوّع عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة،  
والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا، والخلافة غصبا قيصريا، ولم يعد ذلك  
أجمع الضلال والفسق. ثم ما زالت معاصيه من جنس ماحكينا، وعلى منازب مارتينا، حتى  
ردّ قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوقا، وبجحد حكمة بجندا ظاهرا، في ولد  
الفراس وما يجب للعاهر، مع اجتماع الأمة أن تسميه لم تكن لأبي سفيان فراشا، وأنه  
إنما كان بها عاهرا. نخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار، وليس قتل مجرب  
عدي، وإطعام عمرو بن العاص نراج مصر، وبيعة يزيد الخليج، والاستئثار بالنفى،  
واختيار الولادة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرباة، من جنس بجحد الأحكام  
المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسّنن المنصوبة، وسواء في باب الاستحقاق من الكفار  
بجحد الكتاب، وردّ السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما

(١) الزابوقة : موضع قرب من البصرة كانت معه وقعة الجبل أول الهار .



أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفره ، كانت من الأئمة ، ثم لم تكن إلا يمين  
يَدْعَى إمامتها ، والعلامة عليها ، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ،  
وقد أُرْبِت عليهم مائة عسرا ، ومُبْدَعَة دهرنا ، فقالت : لا نُسَبِّهه ، فإن له محبة ، وسب  
معاوية بدعة ، ومن يُفَضِّسه فقد حالف السنة ، فرغمت أن من السنة ترك البراءة ، فمن  
جحد السنة ، ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله ، وأهل نُصْرته ، ثم غزو مكة ، ورمى  
الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام ، في أكثر أهل بيته ، مصابيح  
السلام ، وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من هربى أتباعه ، والرجوع إلى  
داره وحره ، أو الذهاب في الأرض ، حتى لا يُجسَّس به أو المَقَام حيث أُمِر به ، فأبوا إلا  
قتله ، والتزول على حكمهم ، وسواء قتل نفسه بده ، أو أسلمها إلى عدوه ، وخير فيها من  
لا يرد غايته إلا بُشِّر دمه ، فاحسُّوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة ، وهناك الحرمة ،  
ليس بمحبة ، كيف نقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن قلتم  
ليس ذلك أرادوا بل إنما أرادوا المتحيز به ، وانحصر محطاه ، أما كان في حوال البيت وحرمة  
أن يحضره فيه ، إلى أن يُعطى بيده ! وأتى من بقي من رُحْل ، قد أُحْدِث عليه الأرض  
إلا موضع قدمه ! واحسُّوا ما رَوَوْا عليه من الأسعار ، التي قولها سرك ، والمثل بها كفر ،  
سيئا موصوا ، كيف تصعب بتقر القضيبي بن يَنْبَغِي الحسين عليه السلام ، وحمل بنات  
رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على الأفتاب العارية ، والإيل الصعاب ، والكشف  
عن عورة علي بن الحسين عند السيك في بلوغه ! على أنهم إن وحدوه ، وقد أدت قتلوه  
وأن لم يكن أدت حملوه ، كما يصح أن رجس المسلمين ، يدراى المسركين ، وكف  
تقول في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وحاضيه . دعوى أمه . فإنه بقيه هذا الأسل ،  
فأحجم به هذا القرن ، وأمس به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة !

خبروا علام مثل هذه النسوة ، وهذه الملهة ، بعد أن شقوا أنفسهم قتلهم ، وراوا  
ما أحبوا فيهم ، أدل على قبح . وسوء رأي وحيث ، ومعداه ، وطى قضي مدحول



وإيمانٍ مخروج ! أم تدل على الإخلاص ، وعلى حب النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براعة الساحة ومهنة السرية ! فإن كان على ما وصفنا لا يصدق التسقي والضلال ، وذلك أدنى منازل ، فالناسق ملعون ، ومن نهى عن نهى الملعون فلعون .

وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أت سب ولادة السوء فتنة ، ولن الجورة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السعي بالسعي ، والولي بالولي ، والقريب بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكوا بالشفاعة والهووى ، وإظهار الغدوق والتهاون بالأمة ، والقمع للزمية ، وأنهم في غير مداواة ولا حقبة ، وإن عدا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى الجحْد ، فذاك أضل ممن كف عن شتمهم ، والبراءة منهم ، على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل كمن استحقه برة السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير ، والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضا على يزيد أنه يمثل بقول بن الزبير :

لبت أشياخ بيدير شهدوا \* جنح الخروج من وقع الأسل  
لاستطاروا واستهلوا قرحاً \* ثم قالوا يا يزيد لا تسل  
قد قتلنا الفر من ساداتهم \* وعدلناه بيدير فاحسدل

كان تجويرُ النابغ لربه ، وتشبيهه بخلقهِ ، أعظم من ذلك وأقطع ، على أنهم يُجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمناً ، متعمداً أو متولياً ؛ فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً ، أو أميراً حاصياً ، لم يستحلوا سبّه ، ولا خلعه ، ولا نفيه ، ولا عيه ، وإن أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطل الحدود والنفور ، وشرب الخمر ، وأظهر الفجور ؛ ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ، ويدهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنة الوليد ،



وطمهما الجحاج بن يوسف ، ومولاه يزيد بن أبي مسلم ، فأعادوا على البيت بالهدم ، وعلى حرم المدينة بالفرز ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرم ، وحولوا قبلة واسطاً ، وأنشروا صلاة الجمعة ، إلى مغير بن الشمس ، فإن قال رجل لأحمد : اتقى الله فقد أنشأت الصلاة عن وقتها ، قتله على هذا القول جهاراً غير خفي ، وعَلانيةً غير سرية ، ولا يُعلم القتل على ذلك إلا أُنْبِئَ من إنكاره ، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه !

وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ الجبابة ، وخوفهم العواقب ، وأراهم أن الناس بقية يَهْتَوْنَ عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، والجحاج بن يوسف ، فزجرا عن ذلك ، وعاقبا عليه ، وقتلا فيه ، فصاروا لا يَتَنَاهَوْنَ عن منكر فعلوه ، فاحسب تحويل القبلة كان خطأ ، وهدم البيت كان تأويلاً ، واحسب ما رَوَوْا من كل وجه ، أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرة في أهله أَرَفُ عِنْدَهُ من رسوله إليهم ، باطلاً ومسموماً مولداً ، واحسب وسم أيدي المسلمين وتقتش أيدي المسلمات ، وردَّهم بعد الهجرة إلى قُرَامٍ ، وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى ، والنَّصَب لِعِترَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكون كفراً ، كيف تهول في جمع ثلاث صلوات فيهنَّ الجمعة ، ولا يُصَلُّونَ أُولَاهُنَّ ، حتى تعبير الشمس على أطلى الجُذُرَانِ ، كالمَلَاءِ الْمُعَصَّرِ ، فإن نطقَ مسلمٌ ، خُيِّطَ بالسيف ، وأخذته العُمدُ ، وشكَّ بالزجاج ، وإن قال قائل : اتقى الله أخذته العزة بالإثم ، ثم لم يَرْضَ إلا بثر دِمَائِهِ على صدره ، وبصلبه حيث تراه عِيَالُهُ ، ومما يَدُلُّ على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرُّد على الله عز وجل ، والاستغفاف بالدين . والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق ، أَكَلُ أُمَرَائِهِمُ الطَّعَامَ ، وشربهم الشراب على منابرهم أيامَ جُمُعِهِمُ وجُوعِهِمُ ، فَعَلَّ ذلك حَيْشُ بن دُبَلَّة ، وطارق مولى عثمان ، والجحاج بن يوسف ، وغيرهم ، وذلك إن كان كفراً كلّه فلم يسلم كفراً ثابتة

(١) يشير بذلك إلى ما ورد عن الجحاج أنه قال في كلامه : ويحكم خليفة أحدكم في أهله ، أكرم عليه أم رسوله إليهم ، يريد بذلك تفصيل مقام الخلافة عن مقام الرسالة . يدل هذا على الجحاج بالكفر وقد عُدَّ أن جده به في العقد الفريد فصلاً فيمن زعم أن الجحاج كان كافراً راجع العقد لصريح ٣٣ ، ٣٢

(٢) في الأصل : « حسن » وهو خطأ وأصواب ما أتيقناه كما في شرح التماموس والطبري .



عصرنا، وروافض دهرنا، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك. كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول كل شيء بقضاء وقدر، وتقول طائفة أخرى كل شيء بقضاء وقدر إلا المصاحي، ولم يكن أحد يقول إن الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان، مثل العمى والبصر، وكانت طائفة منهم تقول إن الله يرى، لا تزيد على ذلك، فإن حافت أن يُظن بها التشبيه قالت يرى بلا كيف تفرزاً من التجسيم والتصوير، حتى نبهت هذه النابتة، وتكلمت هذه الرافضة، فقالت جسيماً، وجعلت له صورة وحداء، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير، ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن وبين وجمه وبرهان، وأن التوراة غير الزبور، والزبور غير الانجيل، والانجيل غير القرآن، والبقرة غير آل عمران؛ وأن الله تولى تأليفه، وجعله برهانه على صدق رسوله، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد، ولو شاء أن ينقص منه نقص، ولو شاء أن يبدله بئله، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخاً، وأنه أنزله تنزيلاً، وأنه فصله تفصيلاً، وأنه بالله كان دون غيره، ولا يقدر عليه إلا هو، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقهم؛ فأعطوا جميع صفات الخلق، ومنعوا اسم الخلق.

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه، فلذا قالوا: خلق كذا وكذا، ولذلك قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. وقال: ﴿وَيَخْلُقُونَ إِنْ كَاءُ﴾، وقال: ﴿وَإِذْ يَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾. فقالوا: صنعه وجعله وقدره، وأنزله وفصله وأحدثه، ومنعوا خلقه، وليس تأويل خلقه أكثر من قدره، ولو قالوا بدل قولهم: قدره ولم يخلق خلقه ولم يقدره، ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد؛ والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق، أنه لم يسمع ذلك من سلفه، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضاً من سلفه أنه ليس بمخلوق، وليس ذلك بهم، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف، وعلى جهة تقطيع الحروف، وإعمال اللسان والشفنتين، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة،



ونما لكلامنا غير خالقين ، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ؛ إذ كما غير خالقين  
لكلامنا ، فأتما قالوا ذلك ، لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقرأوا بذلك  
بالستهم فذلك معناه وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تتجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيت لك من بني أمية ،  
وبني مروان ، وعملهم ، ومن لم يدين بكفارهم حتى نجت النوايت ، وتابعتها هذه العوام ،  
فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من  
مضى في الأعمال التي هي الفسق ، وشركاء من كفر منهم بتوليهم ، وترك إكفارهم ، قال  
الله عز وجل من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحققين ، وريحهم وقوى ضميرهم ، وكثر قتلهم ، حتى  
صار ولادة أمرنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصارا في التشبيه من  
عليكنا ، وأعظم بما يلزم فيه منا ، واكشف للقناع من رؤسائنا وصارفوا الناس وقد انتظمو  
معان الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قرروا بذلك العصية التي هلك بها عالم بعد  
عالم ، والحمية التي لا تنفي ديننا إلا أفسده ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه العجم  
من مذهب الشعوبية ، وما قد صار إليه الموالى من الفقر على العجم والعرب . وقد نجت  
من الموالى ناجحة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبي  
صلى الله عليه وسلم : « مَوَلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » ولقوله : « الْوَلَاءُ لِحُكْمَةِ النَّسَبِ لَا لِبَيْعٍ  
وَلَا يُوهَب » .

قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ،  
ولما حوّل ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فحق معاصر الموالى  
بقديمتنا في العجم أشرف من العرب ، وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم .  
وللعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان جميعا وإمرتان فينا ، وصاحب الخصيتين

(١) كذا في الأصل ، ولعله : وصاروا شركاء الخ . (٢) معاصيهم والعرب : الملاء والمزحل .



أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجمياً عربياً بولائه ، كما جعل حليف قُرَيْش من العرب قرشياً بحلفه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجمياً عربياً ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لَأَنَّ اسماعيل كان عربياً » ما كان عندنا إلا أعجمياً . لَأَنَّ الأعجمي لا يصير عربياً ، كما أنَّ العربي لا يصير أعجمياً ، فإنما علينا أنَّ اسماعيل صيرَه الله عربياً بعد أن كان أعجمياً ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكنكك حكم قوله « مولى القوم منهم » وقوله : « والولاء لِحُكْمِهِ » . قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لِمَنْ لم يلد ، كما جعله أباً لِمَنْ وَلَدَ ، وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ، ولم يلدنَّ منهم أحداً ، وجعل الجار والد مَنْ لم يلد في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى الفساد ، ولا أَجْلَبَ للشر من المفارقة ، وليس على ظهورها إلا نَقُور (الآ قليل) وأى شيء أُحِيطَ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك ، وهو مُقَرَّر أنه صار شريكاً بِشَيْئِكَ لِيَأْه . وقد كتبت — مد الله في عمرك — كتباً في مُفارقة حُطَّان ، وفي تفضيل حَذَّان ، وفي ردِّ الموالي إلى مكانهم من الفضل والنقص . وإلى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعيةً إلى صلاحهم ، ومُنْجِيةً عليهم ، ولم ؛ وقد أردتُ أن أرسل بالجزء الأول اليك ثم رأيتُ ألا يكون إلا بعد استئذانك ، واستئارك ، والاتهاء في ذلك إلى رَحْبَتِكَ ، فأراك في مَوْفَقٍ إن شاء الله عز وجل وبه الثقة .

### وكتب الى بعض إخوانه في ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حَفِظَكَ اللهُ حِفْظَ مَنْ وَقَّعَهُ لِلنَّعَاةِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِالطَّاعَةِ ؛ كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالُ مَنْ كَثُفَتْ غُومُهُ ، وَأَشْكَتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَأَشْتَقِبُهُ عَلَيْهِ حَالُ دَهْرِهِ ، وَخَرَجَ أَمْرُهُ ، وَقَلَّ عِنْدَهُ مِنْ يَثِقَ بَوَفَائِهِ ، أَوْ يَحْمَدُ مَغْبَةَ إِخَائِهِ ، لَاسْتَحَالَةَ زَمَانِنَا ، وَفَسَادَ أَيَامِنَا ، وَدَوْلَةِ أَنْذَالِنَا ؛ وَقَدْ كَانَ مَنْ قَتَمَ الْحَيَاءَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَّمَ الصَّدْقَ فِي قَوْلِهِ ، وَأَثَرَ الْحَقَّ فِي أُمُورِهِ ، وَنَبَذَ الْمُشْتَبَهَاتَ عَلَيْهِ مِنْ شُؤْنِهِ ، تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَفَازَ بِوُفُورِ حَقِّ الْعَافِيَةِ ، وَحَمْدِ مَغْبَةِ مَكْرِهِ



العاقبة ؛ فنظرنا إذ حال عندنا حكمه ، ونحولت دولته ؛ فوجدنا الحياء متصلا بالحرمات والصدق آفة على المال ، والقصد في الطلب بترك استعمال القسعة ، وإخلاق العِرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأي ، إذ صارت الخطوة البالغة ، والنعمة السابقة ، في لوم المشيئة ؛ وسناء الرزق من جهة عايشة الرضاء ، وملازمة معزة العار ؛ ثم نظرنا في تقب المتعقب لقولنا ، والكاشر مجتنبنا ؛ فالحق له علما واحضا ، وشاهدا قائما ، ومتارنا بيننا ؛ إذ وجدنا من فيه السقوية الواضحة ، والمتالب الفاضحة ، والكذب المبجح ، والخلف المصرح ، والجهالة المقرطة ، والزكاة المستحقة ، وضعف اليقين والاستنبات ، وسرعة الغضب والحراة ، قد استكمل سروره ، وأعتدلت أموره ، وفاز بالسهم الأغلب ، والحظ الأوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز الطامع ، والأمر النافذ ؛ إن زلّ قيل حكم ، وإن أخطأ قيل أصاب ، وإن هدّى في كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نسمة مباركة ؛ فهذه مجتنبنا والله على من زعم أنّ الجهل يخفى ، وأنّ التوك يُردى ، وأنّ الكذب يصّر ، وأنّ الخلف يُردى ؛ ثم نظرنا في الوفاء والإمانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروعة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة ، والفائق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه . فوجدنا فلان بن فلان ؛ ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ولا قام له بوظائف قرضه ، ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به ؛ فهذا دليل أنّ الطلاح أجدى من الصلاح ، وأنّ الفضل قد مضى زمانه ، وعقّت آثاره ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ؛ ووجدنا العقل يشقى به قرينه ، كما أنّ الجهل والحق يحظى به خدينه ؛ ووجدنا التمر ناطقا على الزمان ، ومُعرا عن الأيام حيث يقول :

تَحَاقَّقَ مَعَ الْحَقِّ إِذَا مَا تَقَيَّتِهِمْ      وَلَا قِيَمَ الْجَهْلَ هَلْ أَحَى الْجَهْلُ  
وَحَاطَّ إِذَا لَا قِيَتَ يَوْمًا مَخْلُطًا      يُخَلِّطُ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ وَفِي هَزَلٍ  
إِنِّي رَأَيْتُ الْمَرَّةَ يَتَسَقَّى بِحَنَلِهِ      كَمَا كَانَ فَبِلِ الْيَوْمِ يَسْعَدُ بِالْغَفَلِ



فَبَقِيَتْ — أَبْكَاءُ اللَّهِ — مِثْلَ مَنْ أَصْبَحَ عَلَى أَوْفَازٍ، وَمِنْ الثَّقَلَةِ عَلَى جِهَازٍ، لَا يَسُوغُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تَطْلَمَ حَيْثُ غَمَضَتْهُ، فِي أَهْوَائِهِ بِبَاكِرِهِ مَكْرُوهُهَا، وَرُأُوحِهِ عَقَائِبُهَا، فَلَوْ أَنَّ الدُّعَاءَ أُجِيبَ، وَالتَّضَرُّعَ يُجِيعُ، لَكَانَتِ الْعِلَّةُ الْعَظِيمَى، وَالرَّخْفَةُ الْكَبِيرَى، فَلَيْتَ أَىْ أُنْثَى مَا أَسْتَبْلَطَهُ مِنَ الْفُتْحَةِ، وَمِنْ بَحْثَةِ الصَّبِيحَةِ، قُضِيَ لِحَانٌ، وَأُذِنَ بِهِ فَكَانَ؛ فَوَاللَّهِ مَا حُذِبَتْ أُمَّةٌ بِرَبِّفَةٍ، وَلَا رِيحٌ وَلَا مَخْطَلَةٌ، عَذَابَ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ الْمُنَاطِلَةِ الْمُتَدَمِّنَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمَهْلِكَةِ، كَأَنَّ الزَّمَانَ يُؤَكِّلُ بَعْدَانِي، أَوْ يُنْصَبُ بِأَيَّامِي، فَمَا حَبِشُ مِنْ لَا يُسْتَرَبَاخُ شَفِيقٌ، وَلَا يَصْطَلِحُ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ، إِلَّا بِرُؤْيَةٍ مِنْ يَكْرَهُهُ، وَيَنْمُو بَطْلَعَتُهُ، فَقَدْ طَالَتِ الْغَمَّةُ، وَوَاظَبَتِ الْكُرْبَةُ، وَأَدْلَهَمَتِ الظُّلُمَةُ؛ وَنَحَدَ السَّرَاجَ، وَتَبَاطَأَ الْأَنْفَرَجَ .

### وصف الجاحظ لقريش وبنى هاشم

قَدْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ كَرُمُ قُرَيْشٍ وَتَعَاوُهَا، وَكَيْفَ عَقُولُهَا وَدَعَاؤُهَا؛ وَكَيْفَ رَأْيُهَا وَذِكَاؤُهَا، وَكَيْفَ سِيَاسَتُهَا وَتَدْرِيرُهَا؛ وَكَيْفَ لِمَازَها وَنَحْسِيرُهَا، وَكَيْفَ رَجَاحَةُ أَحْلَامِهَا إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ، وَحِجَّةُ أَذْهَانِهَا إِذَا كَلَّ الْحَدِيدُ؛ وَكَيْفَ صَبْرُهَا عِنْدَ الْإِقْدَاءِ، وَثَبَاتُهَا فِي الْأَوَاءِ؛ وَكَيْفَ وَقَاؤُهَا إِذَا اسْتَحْسَنَ الْفَدْرُ؛ وَكَيْفَ جَوْدُهَا إِذَا حُبَّ الْمَالُ؛ وَكَيْفَ ذِكْرُهَا لِأَحَادِيثِ غَدٍ، وَقَلَّةُ مَسَدُودِهَا عَنْ جِهَةِ الْقَصْدِ؛ وَكَيْفَ إِقْرَارُهَا بِالْحَقِّ وَصَبْرُهَا عَلَيْهِ؛ وَكَيْفَ وَصْفُهَا لَهُ وَدُعَاؤُهَا إِلَيْهِ؛ وَكَيْفَ سِمَاحَةُ أَخْلَاقِهَا، وَصَوْنُهَا لِأَعْرَاقِهَا؛ وَكَيْفَ وَصْلُهَا قَدِيمَتِهِمْ بِجَدِيدَتِهِمْ، وَطَرَفَتِهِمْ بِتَلِيدَتِهِمْ؛ وَكَيْفَ أَشْبَهَ عَلَانِيَتِهِمْ سِرَّهُمْ، وَقَوْلُهُمْ فَعْلَتَهُمْ، وَهَلْ سَلَامَةُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ إِلَّا عَلَى قَدَرِ بَعْدِ غَدِيرِهِ، وَهَلْ غَفْلَتُهُ إِلَّا فِي وَزْنِ صِدْقِ ظَنِّهِ، وَهَلْ ظَنُّهُ إِلَّا كَيَقِينِ خَيْرِهِ .



## وكتب في الاعتذار :

أما بعد فنعلم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس اليوض من التوبة الإصرار، وإن أحق من عطف عليه بملك من لم يستشفع إليك بغيرك، وإنى بمعرفتي بمبلغ حلمك وعاية عفوك، ضمنت لتغضى الغفوة من زلتها عنك، وقد سئى من الألم ما لم يشفه غير مواصلاتك .

## وله في الاستعطاف :

ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفع إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون إلا من نتائج حسن الفطن وإثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن تكون من الشاكرين فتكون خير مُعْتَبٍ، وأكون أفضل شاكر، ولعل الله يصل هذا الأمر سببا لهذا الإنعام، وهذا الإنعام سببا للإيقاع إليكم والكون تحت أجنتكم، فيكون لأعظم بركة، ولا أنهى بقية من ذنب أصبحت فيه . وبمثلك — جعلت فداك — عاد الذنب وسيلة، والسيئة حسنة، ومثلك من أقلب به الشر خيرا والغرم غنا .

من عاقب فقد أخذ حظه، وإنما الأحرى الآخرة، وطيب الذكر فى الدنيا، على قدر الاحتمال وتجرع المرار وأرجو، ألا أضيع وأهلك فيما بين كرمك وعقلك، وما أكثر من يعمو عن صغر ذنبه وعظم حقه، وإنما الفضل والثناء العفو عن عظم الجرم ضعيف الحرمة، وإن كان العفو عظيما، مستطرقا من غيركم فهو تلاد فيكم، حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أتم عن ذلك تتكلمون، ولا على سالف إحسانكم تتدمون . وما ملككم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يتم بملأ من بى اسرائيل إلا أسموه تورا وأسمعهم حيرا، فقال له شتمون الصفا : ما رأيت كاليوم كتب أسموك تورا أسمعتهم حبرا فقال : كل أمرى يُنْفَق تما عنده وليس عندكم إلا الخبر ولا فى أوعيتكم إلا الرحمة "وكل إناء بالذى فيه ينضح" .



## وله في ذم الحسد :

الحسد — أبقاك الله — داء يهلك الجسد ، علاجه صبر وصاحبه يحجر وهو باب ظامض ، وما ظهر منه فلا يُأوى وما بطن منه قد أويوه في عتاء ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دَبَّ اليك داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء » . الحسد عقيد الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم من الأقرباء ومحدث التفريق بين القرناء ، وملقح الشر بين الحلقة .

## دفاع الجاحظ عن مؤلفاته :

وقد ذكر الجاحظ جلّ مؤلفاته في كتاب " الحيوان " ودافع عنها بعد أن وصفها فقال :<sup>(١)</sup>  
جنتك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا ، وبين الصديق سببا ، وجبب اليك التثيت ، وزين في عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرد عنك ذل الطمع ، وعرفك ما في الباطل من اللثة ، وما في الجهل من القلّة ، ولعمري لقد كان غير هذا الدماء أصوب في أمرك ، وأدق على مقدار وزنك ، وعلى الحال التي وضعت نفسك فيها ، ووسمت عِرْضك بها ، ورَضيتها لدينك حفظا ، ولمرؤءتك شكلا ، فقد انتهى الى ميلك على أبي إسحاق ، وحملك على ، وطعنك على معبد ، وتقصصك له في الذي كان جرى بينهما في مساوى الديك ومحاسنه ، وفي ذكر منافع الكلب ومضاره ، والذي نرجوا اليه من استقصاء ذلك وجميعه ، ومن نَبهه ونظمه ، ومن الموازنة بينهما ، والحكم فيهما .

ثم عيبتى بكتاب حيل اللصوص ، وكتاب غش الصناعات ، وعيبتى بكتاب الملح والطُرف ، وما حرّ من النوادر وبرّد ، وعاد باردُها حارًا بفرط برّده ، حتى أمتع بأكثر من أمتاع الحار ، وعيبتى بكتاب أحجاجات البُخلاء ، وما فاضلهم للسمحاء ، والقوي في الفرقين

(١) اعتمادا في تصحيح هذه الأصول على الأصل المتوفر في المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥

آداب ، لأن السعة المطلوبة من كتاب الحيوان يطيبه السعادة بمصرق مائة التحريف وملأى بالأخطاء .



الصدق اذا كان ضارا في العاجل ، والكذب اذا كان نافعا في الآجل ، ولم جعلنا الصدق أبدا محمودا ، والكذب أبدا مذموما ، والفرق بين الغيرة وإضاعة الحرمة ، وبين الإفراط في الحمية والأففة ، وبين التقصير في حفظ حق الحرمة ، وقلة الأكرات بسوء القالة ؛ وهل الغيرة اكتساب وعادة ، وبعض ما يتعرض من جهة الديانة وبعض التريث فيه والتحسين به ، أو يكون ذلك شيئا في طبع الحرية وحقيقة الجوهرية ، ما كانت العقول سليمة ، والأفان متفية ، والأخلاق متعيلة ؛ وعنتى بكتاب الصرخاء والمهجناء ، ومفاحرة السودان والمحران ، والموازنة بين حق الخوولة والعنومة ؛ وعنتى بكتاب الزرع والنخل ، والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور والإناث ، وفي أى موضع يتفيلن ويفضلن ، وفي أى موضع يكنّ المسلمون والمفضولات ، ونصيب أيهما في الولد أوفر ، وفي أى موضع يكون حقهن أوجب ، وأى عمل هو بين أليق ، وأى صناعة هن فيها أبلغ ؛ وعنتى بكتاب القحطانية وكتاب العدنانية في الرد على القحطانية ، وزعمت أنى تجاوزت فيه حد الحمية ، الى حد العصية ، وأنى لم أصل الى تفضيل العدنانية إلا بتقص القحطانية ؛ وعنتى بكتاب العرب والموالى ، وزعمت أنى بحثت الموالى حقوقهم ، كما أنى أعطيت العرب ما ليس لهم ؛ وعنتى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول فى فرق ما بين العرب والعجم هو القول فى فرق ما بين الموالى والعرب ، ونسبتى الى التكرار والتزاد ، الى التكثير والجهل بما فى المعاد من الخطل ، وحمل الناس المؤن ؛ وعنتى بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة العرب لإياها ، وكيف أختلفا فى جهة العلة مع أضافتهما على جملة الديانة ، وكيف صار عباد البدّة<sup>(١)</sup> والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأدنام المنجورة ، أشد الناس إلغا لما دانوا به ، وشعفا بما تعبّدوا له ، وأظهرهم حذا ، وأشدّهم على من خالفهم ضغنا ، وبما دانوا صباة وعجبا ، وما الفرق بين البدّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق

(١) البدّة جمع بدّ ، وهو يت فيه الصنم أو الصنم كما قال ابن جرير .



بين النسيئة والجثث ، ولم صُوروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم صور عظامهم ورجال دحوتهم ، ولم تأتوا في التصوير ، وتجزؤوا في إقامة التركيب ، وبالغوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أولية تلك العبادات ، وكيف افرقت تلك النعل ، ومن أى شئ كانت خدع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عددا ، وكيف شمل ذلك المنهب الأجناس المختلفة !

وعبتي بكتاب المعادن ، والقول في جواهر الأرض ، وفي اختلاف أجناس الفلز ، والإخبار عن ذائبها وجامداتها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يُشرع الانقلاب إلى بعضها ويُطوى عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا يصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، وما القول في الإكسير والتلطيف ، وعبتي بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس ، وبكتاب فرق ما بين الجن والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجن ، وكيف القول في معرفة المُنهد وأستطاعة العفريت ، وفي الذى كان عنده علم من الكتاب ، وما ذلك العلم ، وما تأويل قولهم : كان عنده اسم الله الأعظم ، وعبتي بكتاب الأوقاف والرياضات ، وما القول في الأرزاق والإنفاقات ، وكيف أسباب التثمين<sup>(١)</sup> والترقيع وكيف تجتلب التجار الحرفاء ، وكيف الاحتيال للدائع ، وكيف التسبب إلى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم التعديل ، ويعيرف اليهم باب حسن الظن ، وكيف ذكرنا غش الصناعات والتجارات ، وكيف التسبب إلى تعرف ما قد سترُوا ، وكشف ما مؤهوا ، وكيف باب الاحتراز منه والسلامة من أهله ! . وعبتي برسائلى ، وبكل ما كتبت به إلى إخوانى وخطائى من مزح وبيد ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال وسمه باقيا ، ومديح لا يزال أثره ناميا ، ومن ملح ، تُضيقك ، ومواعظ تبكى ، وعبتي برسائلى الهاشميات ، واحتجاجى فيها ، وأستقصائى معانيها ، ونصورى لها فى أحسن صورة ، وإظهارى لها فى أتم حيلة ، وزعمت أنى قد خرجت بذلك من حد المعتدلة إلى حد الزيدية ،

(١) التثمين والترقيع : نقول المال واصلاحه .



ومن حدّ الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه الى حدّ السرف والإفراط فيه، وزعمت أن مقالة الزيدية خطبة مقالة الرافضة ، ومقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ، وزعمت أن في أصل القضية ، والذي جرت عليه العادة أن كل كبير فأوله صغير ، وأن كل كبير فأولها هو قليل يُجمع الى قليل ، وأنشدت قول الراجز :

قد يلحق الصغير بالجليل \* وإنما القرم من الأفييل <sup>(١)</sup>

\* وضحى الثمّل من القسيل \*

وأنشدت قول الشاعر :

رُبَّ كبيرٍ هاجه صغير \* وفي البحور تفرق البُحورُ

وقلت وقال يزيد بن الحكم :

وأصلم بُني فائنه \* بالملم يتفجع العليم

إك الأمور دقيقتها \* مما يبيح له العظيم

وقلت وقال الآخر :

صار جدًا ما مزحت به \* رُبَّ جدٍ ساقه اللَّعبُ

وأنشدت قول الآخر وهو عترة <sup>(٢)</sup> :

ما تنظرون بحق وردة فيكم \* تُقضى الأمور ورهط وردة غيبُ

قد يبعث الأمر الكبير صغيره \* حتى تقلّ له الدماء تصببُ

وقالت كنهشة بنت معديكرب :

جدّهم يبد الله أنف قومه \* بني مازن أن سب راعي الخنزير

وقال الآخر :

أية نار قدح القادح \* وأي جد بلغ المازحُ

(١) الأفييل : صفر الإييل .

(٢) والصواب أن الهجين لطره ومما من جلة أبيات في ديوانه .



وتقول العرب : « المعنى من العصبية ولا تلد الحية إلا حية » ؛ وجبت كتابي في خلق القرآن ، كما جبت كتابي في الرد على المشبهة ؛ وجبت كتابي في أصول الفتن والأحكام ، كما جبت كتابي في الاحتجاج لعظم القرآن ، وفريب تأليفه ، وديع تركيبه ، وجبت معارضة الزيدية ، وتفضيل الاعتزال على كل نخلة ، كما جبت كتابي في الوعد والوعيد ، وكتابي على النصارى واليهود ، ثم جبت بحملة كتفى في المعرفة ، وأتممت تهجئنا بكل حيلة ، وصغرت من شأنها ، وحططت من قدرها ، واعتصمت على ناصيتها والمتفيعين بها .

وجبت كتاب الجوابات وكتاب الرسائل ، وكتاب الرد على أصحاب الإلهام ، وكتاب الحجية في تثبيت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الأخبار ؛ ثم جبت كتابي لإنكارى بصيرة عيار المرتد ، وبصيرة كل حاحد وملحد ، وتفرق بين أصرام الغمروين <sup>(١)</sup> واستبصار الحق ؛ وجبت كتاب الرد على الجهمية في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات ، وكتاب الفرق ما بين النبی والمُتَنَبِّئ ، والفرق بين الحيل والمخاريق ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام القاهرة ؛ ثم قصصت الى بابي هذا بالتصغير لقدره ، والمهجين لظلمه ، والاعتراض على لفظه ، والتحقيق لمعانيه ، وزدت على محته ومبكه ، كما زدت على معناه ولفظه ، ثم طعنت في الفرض الذى اليه تزعا ، والغاية التى اليها أجرياً ، وهما كتاب معناه أنه من اسمه ، وحقيقته أنق من لفظه ، هو كتاب يحتاج اليه المتوسط العايم ، كما يحتاج اليه العالم الخاضع ، ويحتاج اليه الرئىس ، كما يحتاج اليه الحادى .

أما الرئىس فالتعلم والأذنة ، والدرىب والراصة ، ولتتمرين ويمكن العادة ، اذ كان حليله سققدم دقيقه ، واد كان مقدما مه مرتبه ، وطبقات معانيه مثله ، وأما الحادى فليكنابه المؤويه ، ولأن كل من التقط كتابا حامعا ، وبما من أمهاب العلم مجموعا كان له عنمه ، وعلى مؤلفه عزمه ، وكان له معه ، وعلى صاحبه كته ، مع تعرضه لمطاعس البعاه ، ولاعراض

(١) الصرمظة البين : من لم يحبر الأمو ، والجاهل الأله .

(٢) أحرما : قصد .



المناسن ، ومع قمره علة المكود على العقول العارضة ، ومعانيه على الحجاب ، وتكميمه  
 به المتأولين والحسنه ، ومضى طمره له صاحب علم ، أو هم عليه طالب فقه ، وهو وادع  
 رافه ، وسيط حام ، ومؤلفه مُعَب مكود ، فقد كفى مؤوبه جمعه ، وجره وتبعه ، وطلبه ،  
 وأعاد ذلك من طول التفكير ، واستعداد العمر ، وقل الحَد ، وأدرك أقصى حاجيه ، وهو  
 محتج بالقوه ، وعلى أن له حد ذلك أن يجعل محموله عليه صرنا من التوفيق ، وطقره به  
 أباً من السيد .

(وهذا كتاب) مستوى فيه رعه الأمم ، وناساته فيه العرب والحكم ، لأنه وإن كان عربياً  
 أعرباً ، وإسلامياً جامعياً ، فقد أخذ من طرف الفلسفة ، وجمع بين معرفه السماع وعلم  
 التحريه ، وأسرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وحدان الحاشه وإحساس العريضة ،  
 ونسبه العتيان كما يستبه السبوح ، ونسبه هالك كما يسبه الباسك ، ونسبه اللاعب  
 ذو اللهو كما يسبه الحدى ذو الحرم ، ونسبه الأهل كما يسبه الأديب ، ونسبه العتي  
 كما ينسبه القطر ، وصنى بحكاية قول العمايه والصرارته وأب تسمعتنى أقول فى أول  
 كتابي : وقالت العمايه والصرارية ، وكما سمعتنى أقول : وقالت الراضه والريضة ، حكمت  
 على بالنص لحكاية قول العمايه ، فهلا حكمت على التسع لحكاية قول الراضه ، وهلا  
 كتبت عندك من العالیه لحكاية مجمع العالیه ، كما كتبت عندك من الراضه لحكاية قول  
 الراضه ، وهلا حكمت فى كتابي قول لانا صيه والصريره ، كما حكمت أمانه الأزارقه  
 والحدية ، وعلى هذه الأركان الأربعة بُنت خارجيه . وكل أسم سواها ياعسا هو فرع  
 ومنحه واستقام بها ، ومحمول عليها ، تيمنا عندك من المحكمه الخارجيه ، كما صرنا عندك  
 من الصرارته ، والراضه وكيف ردت أن يكون السيه فى عناصر الساس أسرع  
 من المارقه ، اللهم إلا أن تكون ردت حكاية عن بعدنا بالفرديه أوسع وأجمع ،  
 وأتم وأحكم وأحود صفة ، وأسمه ورأيت قد وقفت حراً أو أباك مهدر ما توثيت  
 باطل أعدائك ، ولو كان ذلك لك لكان ساعدك من الكتاب حاصراً ، وبماك على  
 ما آذعت وأصحا .



وعبتي بكباب العباسية فهلا عبتى بحكاية مقالة من ادعى وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الإمامة الذين زعموا أن ترك الناس سُدى بلا قيم أرد طيهم ، وهؤلاء بلا راج أريج لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم نُشرا لا نظام لهم أبعد لهم من المفساد ، وأجمع لهم على المرشد ! بل ليس ذلك بك ، ولكنك لما بهرك ما سمعت ، وحلا صدرك الذى قرأت ، وأملك وأبطرك فلم تقه للجنة وهى لك مُعزضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك إبدية ، ولم تعرف باب المخرج إذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد ، ورأيت أن سب الأولياء أشقى لعدائك ، وأبلغ فى شفاء سُقمك ، ورأيت أن إرسال اللسان أحضر لذة ، وأبعد من النصب ، ومن إطالة الفكرة ، ومن الاختلاف الى أرباب هذه الصناعة ، ولو كنت حين فطنت لجزك وصلّت نقصك بنام غيرك ، وأستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وجبى على تقويم أشباهك ، كان ذلك أزين فى العاجل ، وأحق بالمشوبة فى الآجل ، وكنت إن أخطأتك الغنيمة لم تُعطئك السلامة ، ولقد سلم عليك الخالف ، بقدر ما أثبت به منك الموافق ، وعلى أنه لم يُتَل منك إلا بقدر ما ألزمت من مؤونة تنيفك ، والتشاغل بتقويمك ، وهل كنت فى ذلك إلا كما قال العربى : « وهل يضّر السحاب نبح الكلاب » ؟ وإلا كما قال الشاعر :

هل يضّر البحر أسمى زاحرا « أن رعى فيه غلامٌ بمجر

وهل حالنا فى ذلك إلا كما قال الأول :

ما ضر تغلبَ وائلَ أجهوتها « أم بُلّت حيث تتأطع البحران

وقال حسان :

ما أبالى أنبَ بالحزن تيسُ « أم لحانى بظهير غيبٍ لئيمُ

وما أشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حامننا عنك الى

الخوف منك ، وقد قال زُفر بن الحارث لبعض من لم يرحق الصفح بفصل العفو سببا الى سوء القول :



فَإِنْ مُدَّتْ وَاقِهِ الَّذِي فَوْقَ عَرَشِهِ \* مَسْحُوكٌ مَسْنُونٌ الْفَرَارِينَ أَرْزَقَا  
فَكَتَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلِي<sup>(١)</sup> \* وَأَنْ يُنَمَّسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يُغْرَقَا<sup>(٢)</sup>

وقال الأول :

وما نقي عنك قوما أنت خائفهم \* كمثل وفيك جهالا بجهال  
فاقص إذا حيدبوا وأحذب إذا قيسوا \* ووازين الشر بمنقلا بمنقال

وقال الآخر :

وضغائن دوايتها بضغائن \* حتى يمتن بالحقود حقودا

وإني وإن لم يكن عندي سنان زفر بن الحارث، ولا معارضة هؤلاء : الشر بالشر،  
والجهل بالجهل، واللفظ بالحق، فإن عندي ما قال المسعودي :

فَسَا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلُقْتُمَا \* وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْخَيْرِ  
وَلَا تَحْجَبَا أَنْ تَرِيْعَا قُسْلُمَا \* فَاحْثِي الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْيَكْبَرِ  
فَلَوْ شِئْتُ أَذِلُّ فَيْكَا غَيْرُ وَاحِدٍ \* عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي سِتْرِ  
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْرُ وَلَمْ أَنَّهُ عَنْكُمَا \* مَحْكُوكٌ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشِيرِي<sup>(٣)</sup>

وقال الثوري بن قولي :

جزى الله عني حمزة بن قوفيل \* جزاء مغفل بالأمانة كاذب  
بما خبرت عني الوشاة ليكذبوا \* علي وقد أوليتها في النوائب

يقول : أخرجت خبري إلى من يشتهي أن أعاب عندها .

ولو شئنا لمارضناك من القول بما هو أقبح أثرا، وأبقى وشما، وأصدق قبلا، وأعدل  
شاهدا، وليس كل من ترك المعارضة فقد صفع، كما أنه ليس كل من عارض فقد انتصر،

(١) الطلي : الأعاق .

(٢) العريض : الذي يتعرض للناس بالشر .

(٣) كذا في الأصل، وفي اللسان في مادة ليج : فذاحك حتى يلعج ويستشيري .



وقد قال الشاعر قولاً إن فهمته كُفينا مؤونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذِمِّي لِمَا \* تُعْرِفُ مِنْ صَفِيحِي مِنَ الْجَاهِلِ  
فَاخْشَ سَكُونِي إِذَا مُنِصَّتَا \* فَبِكَ لَسْمُوحِ خَنَا الْقَائِلِ  
فَالسَامِعُ النَّمَّ مُقَرَّبُهُ \* كَالْمُطْعَمِ الْمَاكُولَ لِلْآكِلِ  
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا \* أَسْرَعُ مِنْ مُتَحَدِّدِ سَائِلِ  
وَمَنْ دَعَى النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ \* ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ  
فَلَا تَهْجُ إِنْ كُنْتَ ذَا إِدْبَية \* حَرْبَ أَخِي الصَّغْبَةِ الْعَاقِلِ  
فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هَجَّتْهُ \* هَجَّتْ بِهِ ذَا خَبَلِ خَابِلِ  
يُنْصَرُ فِي طَائِلِ شِدَاتِهِ \* عَلَيْكَ غِبُّ الضَّرْرِ الْإِجْلِ

وقد يقال : إنَّ العفو يُفسدُ من اللِّيم بقدر إصلاحه من الكريم ؛ وقد قال الشاعر :

وَالْعَفْوُ عِنْدَ كَيْبِ الْقَوْمِ مَوْعِظَةٌ \* وَبَعْضُهُ لَسِيحُهُ الْقَوْمِ تَدْرِيبُ

فإنَّ كما قد أسأنا في هذا التفرُّع والتوقيف ، فالذي لم يأخذ فينا بِحُكْمِ القرآن ، ولا بِأَدَبِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، ولم يَفْزَعْ إِلَى مَا فِي الْفِطَنِ الصَّحِيحَةِ ، أَوْ إِلَى مَا تَوَجَّبُهُ الْمَقَابِسُ الْمُطْرُودَةُ ، وَالْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ ، وَالْأَشْعَارُ السَّائِرَةُ ، أَوَّلَى بِالْإِسَاءَةِ ، وَأَحَقُّ بِالْإِثْمَةِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْهُ : ﴿ وَإِذْ يَرْأَى الَّذِينَ عَلَى الْآلِ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " لَا تَهْجُنَّ يَمِينَكَ عَلَى شِمَالِكَ " وهذا حُكْمُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَأَدَابُ رُسُولِهِ ، وَالَّذِي أُتْرِلَ بِهِ الْكِتَابُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ فِي مُجْجِ الْعُقُولِ .

### أَخَذَ الْبَرِيءُ بِذَنْبِ الْمَذْنَبِ

ثم قال في أَخَذَ الْبَرِيءُ بِذَنْبِ الْمَذْنَبِ : فَأَمَّا مَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ ، "رَدَّ نَبِيَّ بِدَائِيهَا وَاتَّسَلَتْ" . وَأَمَّا قَوْلُ الشَّعْرَاءِ وَذَمُّ الْخَطْبَاءِ لِمَنْ أَخَذَ إِنْسَانًا بِذَنْبِ غَيْرِهِ ، وَمَا ضَرَبُوا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَالِ ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِي شَعْرِهِ :

وَكَلَّفَنِي ذَنْبَ امْرِئِي وَتَرَكْتَهُ \* كَلَّفَنِي الْمَرْيُوكِيَّ غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِمٌ



وكانوا إذا أصاب إيلهم المُرْكُوزُ السليم لينهب المرء من السقيم فأسقموا الصحيح من غير أن يُرثوا السقيم، وكانوا إذا كثرت إبلُ أحدهم بلغت الألف فقتلوا عينَ الفحل، فإن زادت الإبلُ على الألف قتلوا عينه الأخرى، فذلك المَفْقَأُ والمُعْمَى اللذان سمعتَ بهما قال الفرزدق :

غلبُك بالمفقأ والمعمى \* وبيت المجتبي والخلفاتِ<sup>(٢)</sup>

وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف<sup>(٣)</sup> والغارة فقال الأول :

فَقَاتُ لَهَا عَيْنَ الْفَحِيلِ تَمِيقًا \* وَفَيْنَ رَعْلَاءِ الْمَسَامِعِ وَالْحَامِ  
الرَّعْلَاءُ : التي تُسَقُّ أذنُها وتترك مَدْلَاةً لكرمها .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنية، كقول الرجل إذا بلغت إبلُ كذا وكذا، وكذلك غنمى ذبعتُ عند الأونان كذا وكذا عتيرة، والعتيرة : من نُسِكَ الرَّحِيَّةُ، والجمع عتائرُه، والعتائر من الشاة، فإذا بلغت إبلُ أحدهم أو غنمُه ذلك العدد استعمل التأويلَ وقال : إنما قلتُ : إني أذبح كذا وكذا شاةً، والظباء : شاة، كما أن الغنمَ شاةٌ، فجعل ذلك القربان كله مما يصيد من الظباء، فلذلك يقول الحارث بن حِزَّةَ الْبَشْكَرِيُّ :

عَتَا بِأَحْلَا شُدُوخًا كَمَا تُعَدُّ \* تَرَعْنُ مُجَرَّهَ الرِّيْبِصِ الظُّبَاءُ

بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ أَنْ يَنْزِعَ \* نَحْمُ غَازِيَهُمْ وَمَا الْجَزَاءُ

وكانوا إذا أوردوا البقرَ فلم تنرب، إما لكدر الماء، وإما لقلة العطش، ضربوا الثورَ ليقتم الماءَ لأنَّ البقرَ يتبعه كما ينبع الثورُ العصلَ، وكما ينبع أثنُ الوحش الجمارَ، فقال في ذلك حوف بن الحريج :

تَمَنَّتْ طَيْءٌ جَهْلًا وَجُبْنًا \* وَغَدَ حَالِيَهُمْ فَبَوَا حِلَالِي

يَهْجُونِي أَنْ يَهْجُوْتُ جِبَالَ سَلَمَى \* كَصَرِبِ السَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظُّبَاءِ

(١) في اللسان مادة « قَأ » « المنى » . (٢) كما في لأصم ورواسان « معتبر » .

بالحاء المهملة . (٣) السواف : مرض الإبل . (٤) كذا في لأصم ورواسان « مائة » « ومعه » .



وقال في ذلك أنس بن مَدْرِكَةَ في قتله سُلَيْكَ بن السُّلَكَةِ :

إِنِّي وَقَعْتُ سُلَيْكًا ثُمَّ أَغْفَلُهُ \* كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ مَا عَافِيَ الْبَقْرُ  
أَهَيْتَ لِلرَّءِ إِذْ تُفَشِّي حَلِيلَتَهُ \* وَإِذْ يُسَدُّ<sup>(٢)</sup> دَلَّ وَجَعَاتِهَا الثَّغْرُ<sup>(٣)</sup>

وقال الهَيْبَانُ الْفَهْمِيُّ :

كَمَا ضُرِبَ الْيَسُوبُ أَنْ عَافَ بَاقِرٌ \* وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرٌ

ولما كَانَ الثَّوْرُ أَمِيرَ الْبَقَرِ، وَهِيَ تَطْلِعُهُ كَطَاعَةِ إِمَائِهِ النُّحُلِ لِلْيَسُوبِ سَمَاءَ بِأَسْمِ أَمِيرِ

النُّحُلِ .

وكانوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْجَنِّ هِيَ الَّتِي تَصْدُ الثَّيْرَانَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تُنْسِكَ الْبَقْرُ عَنِ الشَّرْبِ  
حَتَّى تَهْلِكَ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْأَعَشِيُّ :

وَإِنِّي وَإِنْ كَلَفْتُمُونِي وَرَبِّكُمْ \* لِأَعْلَمُ مَنْ أَمْسَى أَحَقُّ وَأَحْوَا  
لِكَالْثَّوْرِ وَالْجَنِّي يُضْرَبُ ظَهْرُهُ \* وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ مَشْرَبَا  
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرٌ \* وَمَا إِنْ تَعَافَى الْمَاءُ إِلَّا لِتَضْرَبَا

كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ يُضْرَبُ أَبَدًا لِأَنَّهُ عَافَتْ الْمَاءَ، فَكَأَنَّهُ إِذَا عَافَتْ الْمَاءَ لِيُضْرَبَ ؛

وَقَالَ يَحْيَى بن مَنْصُور النَّحْلِيُّ فِي ذَلِكَ :

لِكَالْثَّوْرِ وَالْجَنِّي يُضْرَبُ وَجْهُهُ \* وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتْ الْجَنُّ ظَالِمَةً

وَقَالَ نَهْشَلُ بن جَرَّيٍّ :

أَتَرَكْتُ عَارِضٌ وَبَنُو عَدِيٍّ \* وَتَقَرَّمُ دَارِمٌ وَهُمْ بَرَاءُ  
كَدَابِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بِالْمَرَاوِي \* إِذَا مَا عَافَتْ الْبَقْرُ الظَّمَاءُ  
وَكَيْفَ تَكْلَفُ الشَّعْرَى سُهَيْلًا \* وَبَيْنَهُمَا الْكَوَاكِبُ وَالسَّمَاءُ

(١) فِي الْلسَانِ : « عَصَب » . (٢) فِي الْأَصْلِ « وَإِنْ » وَالصَّوْبُ عَنِ الْلسَانِ .

(٣) الثَّغْرُ : السِّرُّ الَّذِي فِي مَوْجِزِ السَّرِجِ .



وقال أبو ثور بن حصين حين أخذه الحكم بن أيوب بنسب العلق :  
 أبا يوسف لو كنت تعلم طاعني \* ونصحي إذا ما بتني بالهلق

ولا ساق سراق العرافة صالح \* نبي ولا كلفت ذنب العلق  
 وقال خدش بن زهير حين أخذ بدماء بني عارب :

أكلف قتل مشير لست منهم \* ولا دارم داري ولا نصرهم نصري

أكلف قتل العيص عيص شواحيط \* وذلك أمر لم تشف له قناري

وقال الآخر :

إذا عركت عجل بنا ذنب طير \* عرثنا بقم اللات ذنب بني عجل

ولما وجد اليهودي أخا حنيس الضبابي في منزله فخصاه فمات، وأخذ حنيس بن عباس  
 بجماعة اليهودي قال فليس بن زهير : أأخذنا بذنب فبرنا، وتسلنا القمل، والقاتل يهودي  
 من أهل تيماء؟ قال : والله لو قتله هيف الريح لوديتنوه، فقال قيس لبني عباس : الموت  
 في بني دبيان خير لكم من الحياة في بني عامر، ثم أنسنا يقول :

أكلف ذا الخصبين إن كان ظالما \* وإن كنت مظلوما وإن كنت شاطنا

خصاه أمرؤ من أهل تيماء طابن \* ولا يصدم الإنسي والجن طابنا

فهلا بني دبيان أمك هابل \* رهنت يهيف الريح إن كنت راهنا

إذا قلت قد أفلت من شر حنيس \* أتاني بأخرى شره متباطنا

فقد جعلت أجبأنا نجتويكم \* كما نجتوي سوق العضاء الكرازا

ولما قتل لقمان بن عاد أبنته وهي صخر بنت لقمان قال حين قتلها : أنست امرأة ؟

وذلك أنه تزوج عدة نساء وكلهن خنة في أنفسهن، فلما قتل أنراهن وزل من الجبل كان

أول من تلقاه صخر أبنته، فوثب عليها فقتلها، وقال وأنت أيضا امرأة ؟ وكان قد ابتلى أيضا

بأن أخته كانت محمقة، وكذلك كان زوجها، فقالت لإحدى نساء لقمان : هذه ليلة طهرى



وهي ليلتك، فدعني أتم في مضجعتك، فإن لقمان رجلٌ مُنجِبٌ، فمسي أن يقع على فائِجِب،  
فوقع على أخته فعملت بَلْقِيم وفي ذلك قول النمر بن تولب :

لَقِيمُ بْنُ لِقَمَانَ مِنْ أَخِيهِ \* فَكَانَ ابْنُ أَخِي لَهُ وَابْنًا  
لِإِلَى حَقٍّ فَاسْتَحْصَنَتْ \* عَلَيْهِ ففُزَّ بِهَا مُظْلِمًا  
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ عَصَمٌ<sup>(١)</sup> \* بَقِيعَاتٍ بِهِ رَجُلًا مُحْكَمًا

فضربت العربُ في ذلك المثل بقتل لقمان بنته مُحْمَرًا فقال خُفَافُ بْنُ تَدْبَةَ في ذلك :  
وَعِبَاسٌ يُدَبُّ لِي الْمَنَايَا \* وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ مُحْمَرٍ

وقال في ذلك ابنُ أَدْنَةَ :

أَجْمَعُ تَيْسًا مَا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ \* وَهَجْرَانَهَا ظُلُمًا كَمَا ظَلِمْتُ مُحْمَرُ

وقال الحارث بن عباد :

قَرَّبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ مَنَى \* أَيْحَتِ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنْ حِيَابِ  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جَنَاتِهَا حِلْمُ الدَّ \* وَلِإِي بِحَرَمِهَا الْيَوْمَ صَالِي

وقال الشاعر وأظنه ابنُ المقفع :

فَلَا تِلْمُ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ \* فَرَبِّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عَذْرَا وَأَنْتَ تَلُومُ \* وَكَمْ لَائِمٌ قَد لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ

وقال بعض العرب في قتل بعض الملوك سِيفَارَ الرُّومِيِّ : فَإِنَّهُ لَمَّا عَلَا الْخَوَرْتَقُ ، وَرَأَى  
بُنْيَانًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ ، وَرَأَى ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِفَ ، وَخَافَ إِنَّهُ هُوَ أَسْبَقَاهُ أَنْ يَمُوتَ فَيَنْفِي مِثْلَ ذَلِكَ  
الْبُيَّانِ لِمَلِكٍ آخَرٍ ، فَأَصْرَبَهُ فَرُمِيٌّ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْكَلْبِيِّ فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
بعض الملوك :



جزائى جزاه الله شرَّ جزائه • جزاء سِفَار وما كان ذا ذنب  
يسوى رصه البَيَّان سبعين حجة • يُعَلِّ عليه بالقرايميد والسكيب  
فلما رأى البَيَّان تمَّ صُوقه • وأض كَيْل الطودذى الباذخ الصغيب  
فَقَنَّ سِفَارُ به كُلَّ حَبوة • وفاز لديه بالمَوَدَّة والقُرب  
فقال اقذفوا بالعُج من رأس شاهي • فذاك لعمركم من أعظم الخطي

وجاء المسلمون بِرَوَى خَلْف عن سَلَف، وتابَّع عن سابق، وأنزِع من أقول، أنهم  
لم يختلفوا في عيب قول المجتاج : لَأَخَذْتُ، السَّيِّئَ بالسمى والولى بالولى، والجار بالجار،  
ولم يختلفوا عن لمن شاعرهم حيث يقول :

إذا أخذ البرىء بغير جريم • نجنب ما يُحاذره السقيم

قال : وقيل لعمرو بن عُبيد إن فلانا لما قتم رجلاً يضرب عنقه ف قيل له : إنه  
مجنون، قال : لولا أن المجنون يلد ما قتلنا نخلتُ سبيله ، قال فقال عمرو : وما خلق الله النار  
إلا بالحق .

ولما قالت التغلبيَّة للبحاف بن حكيم في وقعة الدير : فحسَّ الله عِمادك ، وأطال سُهادك ،  
وأقلَّ رمادك ، فوالله إن قتلت إلا نساء أسافلهن دُمى ، وأعالين ندى ، فقال لمن حوله : لولا  
أن تلد هذه مثلها نخلتُ سبيلها ، فبلغ ذلك الحسن فقال : إن البحاف يُجذوة من نار جهنم .  
قال وذم رجلٌ عند الأحف بن قيس الكجاءة بالسمن ، فقال عند ذلك الأحف : ربُّ  
ملوك لا ذنب له ، فهذه السيرة سرتَ فينا ، وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن  
ابن حسان :

وإن أمرأى يمى ويصبح سالا • من الناس إلا ما جنى أسيد

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر ، أصحاب الفكر والعبر . وأرهب التحل ، والعلماء  
بخارج المَلَل ، وورثة الأنبياء ، وأعوان الأنبياء ، يكتبون كتب الفُرداء والمُطاع ، وكتب  
الفرأغ والعلماء ، وكتب الملاحى والفكاهات . وكتب أصحاب الخصومات والمراء . وكتب



أصحاب العصبية، وحمية الجاهلية، حتى كأنهم لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم، ولا يخافون تصفح العلماء، ولا لائمة الأدياء وشنف الأكفاء، ومساءة الجلساء؛ فهلا أمسكت رحمك الله عن عينا، والطمع عليها، وعن المشورة والموعظة، وعن تحويف ما فيه سوء العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء، ومراتب الأكفاء .

### أقسام البيان

وبعد أن تكلم في تقسيم العالم الى ثلاثة أقسام، وذكر أقسام الحيوان، قال في أقسام البيان :

ووجدنا الحكمة على ضربين : شيءٌ جميلٌ حكمةٌ وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة، وشيءٌ جميلٌ حكمةٌ وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة، فاستوى بَدَن الشيء العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة، واختلفا من جهة أن أحدهما دليلٌ لا يستدلُّ، والآخر دليلٌ يستدلُّ، فكلُّ مُستدلٍّ دليلٌ، وليس كلُّ دليلٍ مستدلًّا، فشارك كلُّ الحيوان سوى الإنسان جميع الجساد في الدلالة وفي عدم الاستدلال، واجتمع للإنسان بأن كان دليلًا مُستدلًّا، ثم جعل للمستدلِّ سببٌ يدلُّ به على وجوه استدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال، وبنوا ذلك بيانًا، وجعل ذلك البيان على أربعة أقسام : لفظٍ وخطٍ وعقد وإشارة، وجعل بيان الدليل الذي لا يستدلُّ تمكنه المُستدلُّ من نفسه واقتياده كلَّ من فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان، وحشَى من الدلالة، وأودع من عجب الحكمة؛ فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة، ومُعربةٌ من جهة صحة الشهادة، على أن الذي فيها من التدبير والحكمة تلوحان لمن استعبرهما، وينطمان لمن استنطفهما كما ينحدر المُرْزَل ويود اللون عن سوء الحال، وكما ينطق السَّمَنُ والنصرة عن حسن الحال، وقد قال الشاعر :

فعاوجوا فأتوا بالذي أت أهلُه      واوسكوا أنت عليك الحمايبُ

وقال آخر :

مَنْ تَكُ في سدو أو حديدِي      نعبرك العيون عن الملوبِ



وقد قال الصُّكْلَى في صدق شمه الذئب ، وفي شدة حسه وأسترواحه :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ • بِمَثَلِ مِقْرَاعِ الصِّفَا المَوْجِعِ

وقال عترة وهو يصف نعيم غراب :

حَرِّقِ الْجَنَاحَ كَأَن لَّحْيَ رَأْسِهِ • جَلَدَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلِّعٌ

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصيدته : سل الأرض قلل : مَنْ شَقَّ أَنْهَارِكِ ،  
وغمرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإن لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا ، فوضوح الجسم  
ونضبه دليل على ما فيه ، وداعية إليه ومنبه عليه ، فالجماد الأبكم الأنرس من هذا الوجه  
قد شارك في البيان الإنسان الحى الناطق ، فمن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا  
مذهبا له جواز في اللغة ، وشاهد في العقل ، فهذا أحد قسمي الحكمة ، وأحد معني  
ما أستخزنها الله تعالى من الوديعه .

القسمه الأخرى ما أودع صدورُ صنوف سائر الحيوان من ضروب المعارف ، وفكرها  
على غريب الهدايات ، وسفر حناجرها له بضرب النغم الموزونة ، والأصوات الملحنة ،  
والمخارج الشجية ، والأغاني المطربة ، فقد يقال : إن جميع أصواتها معللة ، وموزونة  
موقعة ، ثم الذى سهّل لها من الرق العجيب فى الصنعة مما ذلله الله تعالى لمناقبها وأعظمها ،  
وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ما هيأ لها من الآلة ، وكيف أعطى كثيرا منها من  
الحس اللطيف ، والصنعة البديعة عن غير تأديب وتثقيف ، وعن غير تقويم وتلقين ، وعن  
غير تدريج وتمرين ، فبلغت بعفوها ومقدار قوَى فطرتها من البديه والارتجال ، ومن  
الابتداء والاقتضاب ، ما لا يقدر عليه حدائق رجال الرأى ، وفلاسفة علماء الإشرية  
ولا آله ، بل لا يبلغ ذلك من النامر أكلهم خصالا ، وأثمهم حلالا ، من جهة الارتجال  
والاقتضاب ولا من جهة التسف والاقتدار ، ولا من جهة التقديم فيه ، والتأق له .  
والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المعينة عليه فصار جهد الإنسان الثاقب الحس ،  
الجامع القوَى . المنصرف فى الوجود المعدم فى الأمور يتعجز عن عمو كثير منها ، زينظرات نظر



الى ضروب ما يحى منها كما أعطيت النكيت ، وكما أعطيت المرقّة ، وكما علم النحل ، بل عرف التوتوت من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة في غير ذلك من أصناف الخلق ثم لم يوجدهم العجز في أنفسهم في أكثر ذلك إلا عما قوى عليه الممّج والخشاش وصغار الحشرات ، ثم جعل الإنسان ذا العقل والتمكين ، والاستطاعة والتصرف ، وذا التكلف والتجربة ، وذا التآق والمثافسة ، وصاحب الادخار والمتفقد لشان العاقبة متى أحسن شيئا كان كل شيء دونه في الفموض عليه أسهل ، وجعل سائر الحيوان وإن كان يُحسّن أحدها ما لا يُحسن أحذق الناس متى أحسن شيئا عجيبا لم يمكنه أن يُحسن ما هو أقرب منه في الظنّ ، وأسهل منه في الرأى ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة ، فلا الإنسان جعل نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختار ذلك ، فأخست هذه الأجناس بلا تعلم ما يتمتع على الإنسان ، وإن تعلم فصار لا يحاوله اذ كان لا يطعم فيه ، ولا يحسدها اذ كان لا يأمل الخفاق بها ، ثم جعل تعالى وعز هاتين الحكمتين إزاء عيون الناظرين ، ولجأه اسماع المعبرين ، ثم حث على التفكير والاعتبار ، وعلى الاحتياط والأزدجار ، وعلى التعزف والتهين ، وعلى التوقف والتذكر ، بلعائها مذكرة منبهة ، وجعل الفطر تنهى الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك رب العالمين ، سبحانه الله رب العالمين .

وهذا كتاب موعظة وتعريف ، وتفقيه وتبهي ، وأراك قد عبته قبل أن يخف على حدوده ، وتنفكر في فصوله ، وتذكر آخره بأوله ، ومصادره بموارد ، وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أشائه من مزيج لم نعرف معانيه ، ومن بطلالة لم تترك غورها ، ولم تدر لم آجلبت ولائى ملة تكلف ، وأى معنى أربع بها ، ولاى جد احتمل ذلك الهزل ، ولاية رياضة نيمشت تلك البطالة ، ولم ندر أن المزاج جد اذا اجتلب لأن يكون ملة ليحد ، وأن البطالة وقار وزمانه اذا تكلفت تلك العاقبة ، ولمّا قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه ، قال أبو نمر : اذا كان لا يصل الى ما يحتاج اليه إلا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه يحتاج اليه ، وذلك



مثل كتابنا هذا، لأننا إن حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مرّ الحق، وصعوبة الجهد، وقيل المؤونة وحقيقة الوقار، لم يصبر عليه مع طوله إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه، وذاق من ثمرته، وأستشعر من عزّه، ونال من سروره على حسب ما يورث الطول من الكد، والكثرة من السآمة، وما أكثر من يقاد إلى حفظه بالسواجير، وبالسوق العنيف، وبالإخافة الشديدة.

### مدح الكتب

ثم ذكر فقرات حسناً في مدح الكتب فقال :

ثم لم أرك رضىً بالعلم على كلّ كتاب لي بعينه، حتى تجاوزت ذلك، إلى أن عبت وضع الكتب كيفما دارت بها الحال، وكيف تصرف بها الوجوه، وقد كنت أعجب من عيبك البعض بلا علم، حتى عبت الكلّ بلا علم، ثم تجاوزت ذلك إلى التشجيع، ثم تجاوزت التشجيع إلى نصب الحرب، فعبت الكتاب ونعم الذخر والعُدّة، ونعم الجليلس والعمدة، ونعم النشوة والتزعة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأيسر ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والذخيل. ونعم الوزير والتزيل، والكتاب وطء ملأ علماً، وظرف حيثى ظرفاً، وإناء يُنَمّن مزاحاً وجداً، إن شئت كان أبيض من سحبان وإثل، وإن شئت كان أبيض من إبل، وإن شئت صمكت من بواده. وإن شئت عجبت من غرائب فوائده، وإن شئت ألهك زائده، وإن شئت شجعت وعظه، ومن إك بواظ مله، وبزاجر مغر، وبنايك فانك، وبناطقي أنرس. وبباريد حارّه وفي البارد الحارّ يقول الحسن بن هانئ :

قُلْ زهير إذا أنتهى وشدا      فإن أو أشير، نس منه دار  
سخت من شد. لمودة حتى صرت عندي      صكأتك ثلثار  
لا يعجب السامعون من صفتي      كدك السج بارد حار



وَمَنْ لَكَ بِطَبِيبٍ أَهْرَاقِيٍّ ، وَبِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِقَارِيٍّ يُونَانِيٍّ ، وَبِحَسْبِيٍّ مَوَلَدٍ ،  
وَبِهَيْتٍ مُتَمِيعٍ ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ،  
وَالشَّاهِدَ وَالغَائِبَ ، وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالْفَتْحَ وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجُلُسَ وَرِضْدَهُ .  
وبعد ، فمَنى رأيتَ بستاناً يَحْمِلُ فِي رُذْنٍ ، أَوْ رَوْضَةً تَتَقَلَّبُ فِي حِجْرٍ ، وَتَاطِقًا يَنْطَلِقُ عَنْ  
الْمَوْتِ ، وَيُتَرِّمُ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ ، وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنِسٍ لَا يَنَامُ إِلَّا بِنَوْمِكَ ، وَلَا يَنْطَلِقُ إِلَّا بِمَا  
تَهْوَى ، آمِنٌ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَكْمَرُ لِلْمَرْءِ مِنْ صَاحِبِ الْمَرْءِ ، وَأَضْبَطُ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ أَرْبَابِ  
الْوَدِيعَةِ ، وَاحْفَظْ لَهَا أَسْخَفَظَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ ، وَمَنْ الْأَعْرَابِ الْمَعْرِيْنَ ، بَلْ مِنْ الصَّبِيَّانِ  
قَبْلَ اعْتِرَاضِ الْأَشْغَالِ ، وَمَنْ الصَّبِيَّانِ قَبْلَ اتِّمَاعِ تَمَيِّزِ الْأَشْخَاصِ ، حِينَ الْمَنَابِتُ تَأْتِيهِ لَمْ تَقْصُصْ ،  
وَالْأَذْهَانُ فَارِغَةٌ لَمْ تَقْتَسِمْ ، وَالْإِرَادَةُ وَافِرَةٌ لَمْ تَسْتَعِبْ ، وَالطَّبِئَةُ لَيْتَهُ فَهِيَ أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّاعِ ،  
وَالْقَضِيبُ رَطْبٌ فَهُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعُلُوقِ ، حِينَ هَذِهِ الْخَصَالُ لَمْ يَسَلْ جَدِيدُهَا ،  
وَلَمْ يُقَلَّ غَرَبُهَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى • فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَحَمَكْنَا  
وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِيبُ صَبِيهِمْ • بَيْنَ الْقَوَابِلِ بِالْعَدَاوَةِ يَنْشَعُ  
هَذَا مَعَ قَوْلِهِمْ : التَّعَلُّمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ ، وَقَالَ جِرَانُ الْعَوْدِ :  
تُرْكَنُ بِرِخْلَةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى • تَتَكَثَّرَ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ  
كَوْحِي فِي الْمَجَارَةِ أَوْ وَشُورِمْ • بِأَيْدِي الزُّرُومِ بَاقِيَةِ الثُّورِ  
الثُّورُورُ : فَمِنْ كَانَ يُسَلُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَ الْخَضِرَةِ الْيَوْمِ •

وَقَالَ آخَرُهُ وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ :

وَلَمَّا مَنِ أَذْبَتَهُ فِي الصَّبَا • كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ  
حَتَّى تَرَاهُ مُوَرِّقًا أَخْضَرَ • بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُسَبِّهِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، رَدَّلَهَا : «نَطَلَهَا» .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «تَمَرَّة» ، وَهُوَ حَتْلًا صَوَابُهُ مَا أُشْتَاهَى مِنَ الشَّعْرِ وَالشَّرَابِ لَا مِنَ الْقَنَةِ .



وقال آخر :

يَقُومُ مِنْ مَيْلِ الْفَلَامِ الْمُؤَدَّبُ \* وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيْبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ

وقال آخر :

أَدَّبْتُ عِرْصِي بِدَمَا هِرْمَتْ \* وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِيمِ

وقد قال ذو الرمة ليعبي بن عمر : اُكْتُبْ شِعْرِي فَالْكَتَابُ أَعْجَبُ إِلَى مِنَ الْخَفْظِ ،  
إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ يَلْمِى الْكَلِمَةَ قَدْ سَهَرَتْ فِي طَلَبِهَا لَيْلَةً ، فَيَضَعُ فِي مَوْضِعِهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا  
ثُمَّ يُنْشِدُهَا النَّاسَ ، وَالْكَتَابُ لَا يَنْتَبِهُ ، وَلَا يُبَدِّلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ ؛

وعبت الكتاب ولا أعلم جارا أبز ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما  
أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية ، ولا أقل جناية ، ولا أقل إملالا وإبراما ، ولا أقل  
خلافا وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عِصْيَةٍ ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أنل  
صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من مِرَاءٍ ، ولا أنرك شَفِيٍّ ، ولا أزهّد في جدالٍ ، ولا أكف  
من قتالٍ ، من كتاب ؛ ولا أعلم قرينا أحسن مواةة ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أحضر  
مؤونة ، ولا أخف مؤونة ، ولا شجرة أطول عُمرًا ، ولا أجمع أمرا ، ولا أطيب ثمرة ،  
ولا أقرب جُحَى ، ولا أسرع إدراكا ، ولا أوجد في كلِّ إِيَّانٍ من كتاب ؛ ولا أعلم نتاجا  
في حدائمه سنّه ، وقُرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان تواجده ، يجمع من التداير  
العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصّحبة ، ومجود الأذهان اللطيفة ، ومن  
الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، ومن الأخبار عن القرون  
الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأهم البائدة ما يجمع لك الكتاب .

وقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَمَّ  
بِالْقَلَمِ ، وصف نفسه تبارك وتعالى جده بِنَ عَمِّ الْقَلَمِ ، كما وصف نفسه بِالْكَرَمِ ، وأعتد  
ذلك في نِعَمِهِ الْعِظَامِ ، وفي أياديه الْحَسَامِ ، وقد قالت : القلم أحد اللسانين ،  
وقالوا : كل مَنْ عَرَفَ فَضْلَ النِّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْإِنْسَانِ كَانَ فَضْلُ النِّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْقَلَمِ



أعرف ، ثم جعل هذا الأمر قرآنا ، ثم جعله في أول التذيل ، ومُستفتح الكتاب ، ثم أتم - يرحمك الله تعالى - أن حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة لطبائعهم ، وخلق قاعة في جواهرهم ، وثابتة لا تزالهم ، ومحيطة بجماعتهم ، مشتملة على أديانهم وأقاصيهم ، وحاجتهم الى ما غاب عنهم ، مما يُبشّهم ويُحييهم ، ويأخذ بأرماقهم ، ويصلح بهم ، ويجمع شملهم ، والى التعاون على ذلك ، والتوازر عليه كحاجتهم الى التعاون على معرفة ما يحضرتهم ، والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق في أمورهم التي لم تغب عنهم ، لحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد ، لاحتياج الأدنى الى معرفة الأقصى ، واختلال الأدنى الى معونة الأقصى ، معاني متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة ، وجعل حاجتنا الى معرفة أخبار من كان قبلنا كحاجة من كان قبلنا الى أخبار من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا الى أخبارنا ، ولذلك تخدمت في الكتب البشارات بالرسول ، ولم يُسخر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون الى الارتفاق بجميع خلقه ، وجعل الحاجة حاجتين : إحداها قوام وقوت ، والاخرى لذة وإمتاع ، وازدياد في الآلة ، وفي كل ما أجذّل النفوس ، وجمع لهم العائد ، وذلك المقدار من جميع الصفتين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم ، وعلى قدر أكساع معرفتهم ، وبعد غورهم ، وعلى قدر احتمال طبع البشرية ، وفطرة الإنسانية ، ثم لم يقطع الزيادة عنهم إلا لعجز خلقهم عن احتمالها ، ولم يميز أن يفترق بينهم وبين العجز إلا بعدم الأعيان ، اذا كان العجز صفة من صفات الخلق ، ونعنا من نعوت العبيد ، ولم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من يُخبره ، فادناهم مُسخر لأقاصمهم ، وأجلّهم مُهسر لأدقهم ، وعلى ذلك أحوَج الملوك الى السوق في باب ، وأحوَج السوق الى الملوك في باب ، وكذلك الفنى والفقير ، والعبد وسيدّه .

ثم جعل الله تعالى كل شيء للإنسان خولا وفي يده مُذلا مُيسرا ، إما بالاحتال له ، والتلطّف في إراغته وأسمائه ، وإما بالعبولة عليه والفنك به ، وإما أن يأتيه منبها ورهوا ، وعلى أن الإنسان أولا حاجته بها لما احتال لها ، ولما صال عليها ، إلا أن الحاجة تغترق



في المجلس والجهة، وفي الحفظ والتقدير، ثم تعبد الإنسان بالفكر فيها، والنظر في أمورها،  
 وبالاعتبار بما يرى، ووصل بين عقولهم، وبين معرفة تلك الحكم الشريفة، وتلك الحاجات  
 اللازمة بالنظر والتفكير، والتنبؤ والتقدير، والتثبت، والتوقف، ووصل معارفهم بمواقع  
 حاجاتهم اليها، وتساوهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها، وهو البيان الذي جعله الله تعالى  
 سببا فيما بينهم، ومُعَبِّراً عن حقائق حاجاتهم، ومُعَرِّفاً لمواضع سد الخلة، ودفع الشبهة،  
 ومُدَاوِة الحيرة؛ ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة، والأجسام  
 الجامدة، والأجرام الساكنة التي لا يُتَعَرَف ما فيها من دقائق الحكم وكنوز الأدب،  
 وينابيع العلم، إلا بالعقل اللطيف الثاقب، وبالنظر التام النافذ، وبالأداة الكاملة،  
 وبالأسباب الوافرة، والصبر على مكروه الفكر، والاحتراز من وجوه الخدع، والتحفظ من  
 دواعي الهوى، ولأن الشكل أفهم عن شكله وأسكن إليه وأصعب به، وذلك موجود  
 في أجناس البهائم وضروب السباع، والصبي عن الصبي أفهم وله آلف، وإليه أنزع،  
 وكذلك العالم والعالم، والجاهل والجاهل، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام :  
 ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۚ لَآكُ الْإِنْسَانُ عَنِ الْإِنْسَانِ أَفَهُمْ، وَطَبَاعَهُ بَطْبَاعَهُ آتُسُ،  
 وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه؛ ثم لم يرض من البيان لم يصنف واحد، بل جمع  
 ذلك ولم يفزق، وكثر ولم يُقَلَّلْ، وأظهر ولم يُخْفَ، لجعل أصناف البيان التي بها يتعارفون  
 معانيهم، والتزجمان الذي اليه يرجعون عند اختلافهم في أربعة أشياء وفي خصلة خامسة،  
 وإن قصصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها، فقد تكمل بجنسه الذي وضع له،  
 وصرف إليه .

وهذه الخصال الأربع : هي اللفظ والخط والإشارة والمعنى، والخصلة الخامسة :  
 ما أوجد من حجة الدلالة، وصدق الشهادة . ووصح البرهان في لأجرام الجامدة الصامتة،  
 والساكنة الثابتة، التي لا تتبدل ولا تفهم . ولا ينس وتختزن إلا بدخل دخل عليها . أو عند  
 ممسك خلى عنها بعد تقييده كان ضار . ثم قسم لأقسام . ورتب المحسوسات . وحصل



الموجودات ، بفعل اللفظ للسامع ، وبجعل الإشارة للناظر ، وأشرك بين الناظر واللامس ، في معرفة القَدِّ إلا بما فَعَّلَ الله به نصيب الناظر في ذلك على نصيب اللامس ، وبجعل الخط دليلاً على ما غاب من حوائجه عنه ، وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانه ، وجعله خازناً لما لا يأمن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه ، وأتقنه وجمعه ، وتكلف الإحاطة به ، ولم يجعل للشام والذائق في ذلك نصيباً .

ولولا خلوط الهند لضاع من الحساب الكثير البسيط ، ولَبَطَلَت معرفة التضاعيف ، ولَعَلِمُوا الإحاطة بالباورات ، وباورات الباورات ، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه ألا بعد أن تَنَلَّظَ المؤونة ، وتنقص المنة ، ولصاروا الى حال متَّجِزة وحُصور ، الى حال مضيمة وكلال حدٍّ ، مع التشاغل بأور لولا تَقَدُّ هذه الآلة لكان أربعَ لم ، وأرد طيهم أن يصرفوا ذلك الشغل في أبواب منافع الدِّين والدنيا ، ونفع الحساب معلوم ، والخلقة في موضع قَدِّه معروفة ، قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسَبَانِ ﴾ وبالبيان عرَّفَ الناس القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فأجرى الحساب تجرى البيان وألحق البيان بالقرآن ، ويحسبان منازل القمر عرَّفنا حالات المَدِّ والجَزَر ، وكيف تكون الزيادة في الأَهْلَة وأنصاف الشهور ، وكيف يكون النقصان في خلال ذلك ، وكيف تلك المراتب وتلك الأقدار .

ولولا الكُتُب المدونة ، والَاخبار المُخلَّدة ، والحِكَم المخطوطة التي تَحْصُر الحساب وغير الحساب ، لَبَطَل أكثر العِلْم ، ولغلب سلطانُ النِّسيان سلطانُ الذِّكر ، ولما كان للناس مَفْرَع الى موضع أَسْتَدْكَار ، ولو تم ذلك لَحُرِمْنَا أكثر النفع ، اذ كما قد علمنا ان مقدار حِفْظ الناس لعواجل حاجاتهم وأواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغاً مذكوراً ، ولا يفنى فيه غناء محموداً ، ولو كُتِفَ عامة من يطلب العِلْم ، وَيَصْطَنِع الكُتُب ، ألا يزال حافِظاً لفَهْرِس كُتُبِه لا يحجزه ذلك ، وَلَكُتِف شَطَطاً ، وَلَشَغَلَه ذلك عن كثير مما هو أَوْلَى به ، ففهمك



لمعاني كلام الناس يتقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجزأ ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاينك ، والمعاين لك ما كان صياحا خرفا ، وصوتا مضمتا ، ونداء خالصا ، ولا يكون مع ذلك ألا وهو بعيد من المفاهمة ، وعطل من الدلالة ، بفعل الله جل وعز اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح من الحاجات .

فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب ، وكسر الأجفان ، ولئى الشفاه ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدا أن تلوى بثوب على مقطع جبل ثجاء عين الناظر ، ثم ينقطع عملها ، ويدرس أثرها ، ويموت في كرمها ، وتصير بعد كل شيء فصل عن انتهاء مدة الصوت ، وتنتهى الطرف في الحاجة ، الى التفاهم بالخطوط والكتيب ، فأى نفع أعظم ، وأى مرفق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !

وليس للمعقد حفظ الإشارة في بعد الغاية ، ولا للإشارة حفظ الخط في بعد الغاية ، فلذلك وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع ، وتوه بذكره في المنصب الشريف حين قال : **(بِ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ)** فاقسم بالقلم كما أقسم بما يحيط بالقلم إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشق عبارته ، ولا يجرى في حليته ، ولا يتكلف بعد غايته ، ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجاتهم في سائر الأماكن ، وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة دائمة رأكدة ، وراينة نائمة ، وكانت الحاجة الى بيان القلم أمرا يكون في الغيبة وعند النائمة ، ألا ما خصت به الدواوين ، فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك قلموا اللسان على القلم ، فاللسان الآن أتم هو في منافع البد والمرافق التي فيها ، والحاجات التي تبلغها ، فن ذلك حفظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبتها في تقويم القلم ، ثم حفظها في التصوير ، ثم حفظها في الصناعات ، ثم حفظها في التمدد ، ثم حفظها في الدفع عن النفس ، ثم حفظها في إيصال الطعام والشراب الى الفم ، ثم النوض والامساح ، ثم انتقاد الدناير والدرهم ، ثم لبس الثياب ، وفي الدفع عن النفس أصناف أربعة : وأصناف العصب ، وأصناف الطعن ، ثم الضرب التقن بالمود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الطرب كله أو دامت ، وكيف



لا تكون كذلك ولما ضرب الطبل والدف وتحريك الصفاقيين ، وتحريك مخارق نعروق المزامير ، وما في ذلك من الإطلاق والحبس ، ولو لم يكن في اليد إلا إمساك العنان والزمام والخطام ، لكان ذلك من أعظم الحفظوظ .

وقد اضطربوا في الحكم بين العقد والإشارة ، ولولا ان معزانا في هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا بما أحب أن يعرفه إخواننا وخطاؤنا ، ولا ينبغي لنا أيضا أن نأخذ في هذا الباب من الكلام إلا بعد الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تمب كُتبي من طريق فضل ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنما قصدنا بكلامنا الى الإخبار عن فضل الكتب .

والكتاب هو الذى قيد على الناس كُتَب علم الدين ، وحساب النواوين ، مع خفة ثقله ، وصغر حجمه ، صامت ما أسكته ، وبلغ إذا استنطقته ، ومن لك بمسامر لا يتدبرك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يحوجك الى التجميل له ، والتذم منه ، ومن لك بآثر أن شئت جعل زيارته غيبا ، ووروده نحسا ، وإن شئت لزمك لزوم ظلك ، فكان منك مكان بعضك .

والقلم مكثف بنفسه ولا يحتاج الى ما عند غيره ، ولا بد لبيان اللسان من أمور ، منها : إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك خاص الخاص ، اذا كان أخص الخاص قد يدخل في باب العام ، إلا أنه أننى طبقاته ، وليس يكتفى خاص الخاص باللفظ عما آذاه ، كاكْتفاء عام العام ، والطبقات التى بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو الجليس الذى لا يطريرك ، والصديق الذى لا يفرىك ، والرفيق الذى لا يملك ، والمستمع الذى لا يستريدك ، والبحار الذى لا يستبطك ، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخذلك بالنفاق . ولا يحتال لك بالكلب .



والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال إمتاعك ، وشهد جِباطك ، وبسط لسانك ،  
 وجود بيبانك ، ونغم ألفاظك ، ويصح نفسك ، وعمر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام ،  
 وصداقة الملوك ؛ وعرفت به فى شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى حجر ، مع السلامة  
 من الفرم ، ومن كد الطلب ، ومن الوقوف بباب المتكسب بالتعليم ، وبالجلوس بين يدي من  
 أنت أفضل منه خلقا ، وأكرم عرفا ، ومع السلامة من جملة البغضاء ، ومقارنة  
 الأحياء .

والكتاب هو الذى يطبعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطبعك فى السفر كطاعته فى الحضر ،  
 ولا يعتل بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر ، وهو المعلم الذى إن أفقرت لم يحرك ، وإن  
 قطعت عنه المادة لم يقطع عنك القائمة ، وإن عزلت لم يدع طاعتك ، وإن هبت ريح  
 أعاديك لم يتقلب عليك ؛ ومتى كنت منه متعلقا بسبب ، أو متعصيا بأدنى حبل ، لم تضطرك  
 معه وخشة الوحدة الى جليس السوء ؛ ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه اليك ،  
 إلا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر الى المساواة بك ، مع ما فى ذلك من التعرض  
 للحقوق التى تلزم ، ومن فضول النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك ، ومن ملابس  
 صغار الناس ، ومن حضور ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ،  
 وجهالاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع ،  
 ولو لم يكن فى ذلك إلا أن يشغلك عن تخلف المني ، وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ،  
 وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان فى ذلك على صاحبه أسبغ النعمة ، وأعظم المنة ؛ وقد علمنا  
 أن أمثل ما يقطع به الفزع نهارهم ، وأصحاب الكاهن ساطع ليهم ، هو النسيء الذى  
 لا ترى له فيهم مع النيل أثرا فى ازدياد فى تجربة ولا فى عقل ، ولا فى مروءة ولا فى صون  
 عرض ، ولا فى إصلاح دين ، ولا فى تغيير مال ، ولا فى تربية صبيعه ، ولا فى ابتداء بإنعام .

قال أبو عبيدة قال المهلب ابنه فى وصيته : ما نبي لا يهفوا فى الأسواق إلا على

زاد أووزاق .



وحَدَّثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتابا فيه ما تُرغطفان ، فقال لي : ذهبت المكارم إلا من الكتب ، وسيمت الحسن اللؤلؤي يقول : صبرت أربعين عاما ما قلت ولا بيت التكات إلا والكتاب موضوع على صدرى ، وقال ابن الجهم : اذا غَشِيَتِي الناس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولت كتابا من كتب الحكم فاجد أهدأ من القوائد ، والأرشيية التي تمرى عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يشقى قلبه من سرور الاستبانه ، وحرز التيقن ، أشد إيقاظا من نهي الجهر ، وهذه الحسن .

وقال ابن الجهم : اذا استحصلت الكتاب واستجدته ، ورجوت منه الفائدة ، ورأيت ذلك فيه ، فلو تروني وأنا ساعة بعد ساعة أبصركم بقي من ورقه غافة استغاده ، وأقطع المائدة من قبله ، وإن كان المصحف في عظيم الحجم ، وكان الورق كثير العدد ، لرأيت كيف تم عيشي ، وكل سروري .

وذكر القتيبي كتابا لبعض القدماء فقال : لولا طوله ، وكثرة ورقه ، لنسخته ، قال ابن الجهم : لكنني ما رغبني فيه إلا الشيء الذي زهدك فيه ، وما قرأت كتابا قط كبيرا فأخلى من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

وقال القتيبي ذات يوم لأبن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سأموية في يوم واحد وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرّ غير وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتب من سأموية على تعليم جاريته ، قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لا يفهم منه شكلا واحدا ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ، قال القتيبي : وكيف ظننت به هذا الظن كله وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأني سمعته يقول لأبنة : كم أنفقت على كتاب كذا وكذا ؟ قال : أنفقت كذا وكذا ، قال : أما رغبني في العلم أتي ظننت أتي أفق قليلا وأكتسب كثيرا ، فاما اذ صرت أفق الكثير وليس في يدي منه إلا المواعيد فأتى لا أريد



العلم بشيء . . والإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولا بُدَّ من أن تصير كُتُبُه أكثر من سماعه ، ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإتفاق عليه من ماله الَّذِي عنده من الإتفاق من مال عدوه ، ومن لم تكن غفته التي تخرج في الكُتُبِ الَّذِي عنده من عشاف القيان ، والمستقرين بالبُليان ، لم يبلغ في العلم مبلغاً وضيئاً . وليس ينفع باتفاهه حتى يؤثر لذة أخذ الكُتُبِ إشار الأهرابي فوسه باللبن على عياله ، وحتى يُؤمِّل في العلم مالا يُؤمِّل الأهرابي في فرسه .

وقال إبراهيم بن السندى مرة : وجدت أن الزائدة لم يكونوا حرماء على المغالاة بالورق النقي الأبيض ، ولا على تخير الحبر الأسود البراق ، ولا على استعادة الخط والإرطاب لمن يخط ، فإني لم أذكر ورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخلوط التي فيها خطأ . وإني غيرت مالا عظيماً مع حبِّي لال وبغضِي للفرم ، لأن سقاء النفس بالإتفاق على الكُتُبِ دليل على تعظيم العلم ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سُكر الآفات . قلت لإبراهيم : إن إفساد الزائدة على الكُتُبِ كافق النصراني على البيع ، ولو كانت كتب الزائدة كُتُبَ حِكْمَةٍ ، وكتبَ فلسفة ، وكانت مقاييسَ تبيين ، أو لو كانت كتبهم كتباً تعرف الناس أبواب الصناعات ، أو سبل التحكمس والتجارات ، أو كتب إرفاق ورياضات ، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والأدب ، أو كان ذلك لا يُقَرَّب من غنى . ولا يباع من مائمه ، لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنَّ بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ، ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديابة على طريق سقيم المية ، فاتماً إغفاهم في ذلك كافق الجوس على بيت النار ، وكافق النصراني على صلبان الذهب . أو كافق الهند على سَدَنَةِ البُدِّ ، ولو كانوا العلم أرادوا لكان العلم غم مرصاً ، وكتبُ الحكمة لهم مبدولة ، والطرقُ إليها سهلة معروفة ، فما بالهم لا يفتشون ذلك إلا بكتب ديانهم كما يُخْرِف النصراني بيوت عبادتهم ، ولو كان هذا المعنى مُستحسناً عند المسلمين ، وكانوا يرون أن ذلك داعية إلى العبادة وباعشة على الخشوع ، آتلفوا في ذلك بمَقْهوم : لا يباغىه النصراني بغاية الجَهْد .



وقد رأيتم مسجد دمشق حين استعجاز هذه السبيل ملك من ملوكها ، ومن رآه فقد علم أن أحدا لا يرومه ، وأن الروم لا تسخو أنفسهم به ؛ فلما قام عمر بن عبد العزيز جلّه بالحلل ، وغطاه بالكرايس<sup>(١)</sup> ، وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق ، وذهب الى أن ذلك الصنيع بجانب لسنة الاسلام ، وأن ذلك الحسن الرائع والمحسن الدقاق مدحلة للقلوب ، مشغلة دون الخشوع ، وأن الهال لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفترقه ويعترض عليه .

والذى يدلنا على ما قلنا أنه ليس في كتبهم مثل سائر ، ولا خبر طريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غريزية ولا فلسفية ، ولا مسألة كلامية ، ولا تعريف صناعة ، ولا استخراج آلة ، ولا تعليم فلاحه ، ولا تدبير حرب ، ولا مقارعة عن دين ، ولا مناظرة عن نحلة ؛ وجله ذكر النور والظلمة ، وتناطح الشياطين ، وتسافد المغاريت ، وذكر الصنيد والتهويل بعمود السنخ ، والاخبار عن شقون وعن الهامة والهامية ، وهذروعي ودعوى وترافة وصحف وتكذب ، لا ترى فيه موعظة حسنة ، ولا حليبا مؤثقا ، ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة ، ولا ترتيب خاصة ؛ فأى كتاب أجهل ، وأى تدبير أفسد من كتاب يوجب على الناس الطاعة والبُخوع بالديانة على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاح معاش ، ولا تصحيح دين ، والناس لا يحيون إلا دينا أو دنيا .

فأما الدنيا فاقامة سُوقها وإحضار نفعها . وأما الدين فأقل ما يُطمع في استجابة العامة واستمالة الخاصة ، أن يصور في صورة مغلطة ، ويؤوه تمويه الدينار البهرج والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقته القليل . فليس اتفاقهم عليها من حيث ظننت . وكل دين يكون أظهر اختلاا وأكثر فسادا يحتاج من الترقيع والتقويه ومن الاحتشاد له والتغليظ فيه الى أكثر من غيره .

(١) الكرايس جمع كرايس : ثوب من القطن الأبيض وقيل : الثوب الخشن ، فارسي معرب .



وقد علمت أن النصرانية أشد انتشاراً من اليهودية تبعاً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعظيمه .

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء فكنتُ أكتبُ عنه بعضاً وأدع بعضاً ، فقال لي : اكتبْ كلَّ ما تسمع ، فإنَّ أحسن ما تسمع خير من مكانه أبيض . وقال الخليل بن أحمد : تكثر من العلم لثغرى ، وتقل منه لتحفظ . وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر ، وأشد قول ابن يسير :

أما لو أعي كلَّ ما أسمع . وأحفظ من ذلك ما أجمع  
ولم أستفيد غير ما قد جمعتُ لقل هو العالم المُنيع  
ولكن قبي إلى كلِّ نو \* ع من العلم تسمعه تترع  
أشاهد بالعي في تجلبي \* وعلمى في البيت مستودع  
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشجع  
ومن يك في علمه هكلاً \* يكن دهره الفهقرى يرجع  
إذا لم تكن حافظاً وإمياً \* بجمتك للعلم لا ينفع

قال أبو إسحاق : كلف ابن يسير الكتب ما أبس عليها . إن الكتب لا تُغنى الموتى ، ولا تُحول الأحمق عاقلاً ، ولا البليد ذكياً ، وذلك أن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تسمع وتفتق وتُرِف وتُسفي ، ومن أراد أن يعلم كل شيء فينبغي لأهله أن يدوروا . فإن ذلك إنما تصوّر له لشيء أعزاه . فمن كان عاقلاً ذكياً حافظاً فليقتصد أن يتبين أو لا يتبين أشياء : فلا يتزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يتزع على سمعه وعلى بصره وعن ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون عالماً بغواص ويكون غير غفل من سائر ما يجري فيه الناس ويتوضئون فيه ، ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً إلا نسي أكثر منه فهو من الحفظ من أغواء الرجال أبعد .

وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدرسه كتاب إلا وله فيه ثلاثُ نسخ .



وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيتَه ينظر في دفتر جليسه فارغ اليد إلا اعطت أنه أعقل منه وأفضل .

قال أبو عمرو وقيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اشتملوا على سوءة ، وهم جلوس على نعمة لم وعندهم طنبور ، قال : قد مرنا عليهم في جماعة من رجال الحى ، فلذا تقى جالس في وسط الدار وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض الحى ، وإذا هو يقرأ عليهم كتاب شعر ، فقال الذى كان سعى بهم : السوءة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه فترثتم بها ، قال قلت : والله لا أكشف تقى أصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكرياء . قال وأشد رجل يؤس النعمى قوله :

أستودع العلم قرطاساً فقبيعه \* فليس مستودع العلم القراطيس

قال فقال يونس : قاتله الله ، ما أشد صبايته بالعلم وأحسن صيايته له ! إن علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن .

وقيل لابن داعة وأخرج كتاب أبي الشمقم وإذا هو في جلود كوفية ودقين طائفتين وبخط عجيب ، فقبل له : لقد ضيع درهمه من تجود لشعر أبي الشمقم ، قال : لا بحر والله إن العلم ليحكمكم على حساب ما تمطون به ، ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي وأجعله مخطوطاً على ناظري لعلت .

ولقد دخلت على إصحاق بن سليمان في إمرته ، فرأيت السامطين بين يديه والرجال مثولاً كأنهم على رؤوسهم الخيزر . ورأيت فرشته <sup>(١)</sup> ويزته ، ثم دخلت إليه وهو معزول ، وإذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرفوف والناظر والمدفاتر والمساطر والمحابر ، فما رأيته قط انخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم . إلا أنه جمع مع المتهاية المحبة ، ومع النخامة الحلاوة ، مع استوداد الحكمة .



وقال ابن داحية : كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ، وتزل مقبرة من المقابر ، وكان لا يكاد يرى إلا وفي يده كتاب يقرؤه ، فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة ، فقال : لم أر أوعظ من قبر ، ولا أمتع من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة ، قيل له : فقد جاء في الوحدة ما قد جاء ، قال : ما أفصدها لجاهل وأصلحها للعاقل !

وضروب من الخطوط بعد ذلك تكل على قدر متعة الخط ، قال الله تبارك وتعالى :  
 زَكَرًا مَا كَانِيَيْنَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، وقال الله عز وجل : ( فِي مِصْحَفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ) وقال : ( فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ) وقال : ( وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ) وقال : ( أَفَرَأَيْتَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) .

### الترغيب في اصطناع الكتب

( وبعد أن تكلم عن الخط في الأرض عند التضرع وما قيل في ذلك من الأشعار ، وذكر الخط ومقدار الحاجة إليه ، ونازع الشرف قبل الإسلام . وبيان أن فضيلته مقصورة على العرب ، أستورد القول بالترغيب في اصطناع الكتب ) فقال :

« إنا على من شكر المعرفة بمقاييس الناس وصرايسهم وفضائلهم ومنافعهم . أن يحتمل تحمل مؤونهم في معرفتهم . وأن يتوهم إيتادهم وأن جوارحهم . أن يسدى اليهم . ولن يصاب العلم بمثل بذله ، وأن تستبقي الذمة به بمنل سره . على كثره العناء لكتب الخ وإرشادهم من تلاميذهم ، إذ كان مع التلاقي يستند الصانع . ويكثر الخط . وتفريط العصبية ، وقوى الحمية . وعند المواجهة والمقابلة يستند حب الذات ، ويهوى الداء في التوسعة . لا استعلاء من ارجوع ، والألفة من الخطوع . حرص جميع ذلك تحدث القدرين في غيبر التجايد . إذا كنت القلوب على هذه الصبغة وعلى هذه الصبغة . أنتسب . لتعرف ، رعتيت عن موضع الدلالة . وليست للكتب بنية تمتع من درة الثغيب . واحدة ، به الخفة . لأن المشوحة . برهما . شفرية



بفهم معانيها ، لا يُباهى نفسه ، ولا يُعَالَب عقله ، وقد علم من له يباهى ، ومن أجله يُغالَب ، والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجع قلمه على لسانه بأمور :

منها ، أن الكتاب يُقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعمار ، وتباعد ما بين الأمصار ، وذلك أمر يستحيل في واضح الكتاب ، والمنازع بالمسألة والجواب ، ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان تجلس صاحبه ، ومبلغ صوته ، وقد يذهب الحكم وينق كُتبه ، ويفنى العقل ويبقى أثره . ولولا ما آتت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حِكمتها ، ودوت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مُستغلق كان علينا ، لجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدرنا ما لم تكن نُدرُكه إلا بهم ، لقد خسر حفظنا من الحكمة ، وضعف سببنا الى المعرفة ، ولو أُجِئنا الى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرنا ، ومنهى تجربتنا لما تُدرُكه حواسنا وشاهد نفوسنا ، لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقصت المنة ، وعاد الرأي عقيما ، وانحاط فاسدا ، ولكل الحد ، وتبدل العقل . وأكثر من كتبهم نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسن موقفاً ، كُتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة ، وتعريف كل سيئة وحسنة . وما زالت كتب الله تعالى في الأثر والصحف والمهارف والمصاحف . فقد قال الله عز وجل : **رَأَيْتُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ** ، وقال : **مَا قَرَأْتَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ، ويقال لأهل التوراة والإنجيل : **أهل الكتاب** . وينبغي أن يكون سببنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أننا نجد من العبرة أكثر مما وجدنا ، كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا . فيما يتغير العالم باظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول ، وصالح الدهر ، وهوى نجم التمسك ، ذهب ربح العلماء ، وكسد الحق والجهد . وقامت سوء البيان والعلم . والإنسان ليس يجد في كل حال إنسانا

(١) المهارف جمع مهارف ، وهو وسع حرا س يجمع ويجمع ثم كتب فيه ، مرسى .



والمعلم يحدد كل مكان الكتاب حديقاً، وما يحتاج إليه قائماً . وما أكثر من حوط  
في التسمي أيام نحول ذكره وأيام حلاوة يسسه . ولولا جِياد الكتب وحسنها ، ومُنهها  
ومُخصرها ، ثم تحوكت هم هؤلا لإطال العلم ، وارتعت الى حب الأدب ، وأهت من حال  
الجهل وأن تكون في عمار الحسنو لتحل على هؤلا من الصرر والمصره والجهل وسوء  
الحال ما عسى ألا يمكن الإحراز من مقداره إلا بالكلام الكثير .

ويبيح لمن كتب كتابا ألا يكسبه إلا على أن يأس كلهم له أمد ، وكلهم عالم  
بالمأمور ، وكلهم متفرع له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يحاسبه بيت وختمه . ولا يثق  
بالرأي المطهر ، فان لاسداء الكتاب فيه ونحما ، وإذا سكنت الطبيعة وهذا الحركة ،  
وراحب الأحلام ، وطابت النفس وأمره ، أعد العرفه ووثق عند فصوله بوقت  
من يكون وزن طمعه في السلامه أمض من رز حوجه من الحب . وسعيه . هي قول  
السامع

[illegible]



حشرة أسواط فيضربُ مائة، لانه ابتدا الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب في الإقلال، فلما ضرب تمزك دمه فأشاع فيه الحرارة وزاد في غضبه، فأراه الغضب أن الرأي في الإثارة، وكذلك صاحب القلم، لما أكثر من ابتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب حشرة. والحفظ مع الإقلال أمكن، وهو مع الإثارة بعد.

واعلم أن العاقل إن لم يكن بالمشبع فكثيراً ما ينز من ولده ويحسن في عينه منه القبيح في عين غيره، فليعلم أن لفظه أقرب إليه نسباً من ابنه، وحركته أمس به ربحاً من ولده؛ لأن حركته شيء أحدثه من نفسه وبذاته، ومن عين جوهره فصلت، ومن نفسه كانت، وإنما الولد كالخطئة يمتخطها، وكالثخامة يقدفها، ولا سواء إخراجك من نفسك شيئاً لم يكن منك، واطهارك حركة لم تكن حتى كانت منك؛ ولذلك نجد فتنة الرجل بشعره وقتلته بكلامه وكتبه، فوق يتلته بجميع نعمته.

وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى إلهام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه الى الروية فيه. ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشوية، ويحطه عن غريب الأعراب، ويحشي الكلام. وليس له أن يهذب جداً ويثقفه ويصقيه ويؤرقه حتى لا ينطق إلا باللب والسر، واللفظ الذي قد حذف فضوله وتمرق زوائده، حتى عاد خالصاً لا شوب فيه؛ فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يتحدث لهم إلهاماً وتكراراً، لأن الناس كلهم قد تعودوا البسوط من الكلام، وصارت ألهامهم لا ترد على عاداتهم إلا بأن تنطق دابة، وتؤخذ بسبب؛ ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم أو قرأه كل جميع خفياء، لأنه ما رواه الأعراب، لما فيه ما أكثره؛ وفي كتاب إقليدس، كلام بهيريه برز و... من ميموه... من انطون... فسمه، إلا بأن يفهمه من يريد بعينه؛ لأنه يحتاج أن يكون قد عمى جهة الأمر. وعود اللفظ المنطوق الذي استخرج من جميع الكلام.



وقد قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما لصحابة العبدى : ما الإيجاز ؟ قال أن يجيب فلا تبطل ، وتقول فلا تخطئ ؛ قال معاوية : أو كذلك تقول . قال صحاب : أفتي يا أمير المؤمنين ، لا تخطئ ولا تبطل . فلوات سألتك عن الإيجاز فقلت : لا تخطئ ولا تبطل . وبحضرتك خالد ابن صفوان لما عرّف بالبديهة وعند أول وهلة أنت قولك لا تخطئ مضمن بالقول ، وقولك لا تبطل مضمن بالجواب . وهذا حديث — كما ترى — قد ارتضوه ورووه ؛ ولو أن قائلا قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ أظننت أنه كان سيقول الاختصار والإيجاز ، ليس يعني به قلة عدد الحروف والتلفظ . وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يَسَعُ بطن طُومار فقد أوجز ، وكذلك الإطالة . وإنما ينبغي أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإفلاقه ولا يَرُدُّ وهو يُكفَى في الإفهام بسطه ، فما فضل من المقدار فهو الخطل .

وقلت لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالتحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة  
كلها؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالنا تقدم بعض الوييص وتؤخر بعض  
المفهوم؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه فقه، وليست هى من كتب الدين، ولو وضعناها  
هذا الوضع الذى تدعونى إليه قلأت حاجتهم إلى نيه . وإنما غايى المألة ، فإذا أضع  
بعضها هذا الوضع المفهوم استدعوا حلالة ما فهموا إلى التماس فهم ، لم يفهموا . وأنا  
قد كسبت فى هذا الدبر إذ كنت إلى التكبب دجيس ، وإلى ما يلى براسم النظام رفلان  
وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم أحدهما يلى . والافسه يحسن ذرره يشذ عن عتايته .  
فلا يفهم أكثرها ؟

وأقول له أن وصف السخفي كـ... هـ... ريبه وحسن سئل من ربيعة  
مررت فله اءهم يتخذ اليه رجاء والى ب... ح... ع... ر... م...  
ذلك خطا ولغويا وايركب في عمر يردده... ر... م... ن... ع... ر... ر... ق... .



وجَهلاً بالسياسة وما يصلح لكل دهر؛ ووجدنا الناس اذا خطَبُوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أُنشدوا الشعر بين الشَّاطِئِينَ في مدح الملوك أطالوا؛ فإطالة موضعٍ وليس ذلك بِمَحَلٍّ، وإِقلال موضعٍ وليس ذلك مِن عَجْزٍ.

ولو لا أَنِّي أَتَمَلَّكُ على أَنَّكَ لَا تَمَلُّ بِأَبْ باب القول في البعير حتَّى تَخْرُجَ الى الفيل، وفي الذرة حتَّى تَخْرُجَ الى البعوضة، وفي العقرب حتَّى تَخْرُجَ الى الحية، وفي الرَّجُلُ حتَّى تَخْرُجَ الى المرأة، وفي الذَّبَّانِ والنَّمَلِ حتَّى تَخْرُجَ الى الغِرْبَانِ والعِقْبَانِ، وفي الكَلْبِ حتَّى تَخْرُجَ الى الديك، وفي الذَّبِّ حتَّى تَخْرُجَ الى الضُّعْبِ، وفي الظُّلْفِ حتَّى تَخْرُجَ الى الحافر، وفي الحافر حتَّى تَخْرُجَ الى الخُفِّ، وفي الخُفِّ حتَّى تَخْرُجَ الى البُرْتُثِ، وفي البُرْتُثِ حتَّى تَخْرُجَ الى الخُطْبِ؛ وكذلك القول في العليروطاقية الأصناف، لَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ اللَّالَ، وَيُغَيِّبُ الْفَتْرَةَ الماسئة من البلوغ في الفهم، وتَعْرِفُ مَا يُحْتَاجُ مِنْهُ الى التَّعْرِفِ، فَرَأَيْتُ أَنَّ جُمْلَةَ الْكُتُبِ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُ وَرَقِهِ، أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَا تَمَلُّ مِنْ كَثْرَةِ قِرَاءَتِهِ أَبَدًا وَتَعْتَدُ عَلَى فِيهِ بِالْإِطَالَةِ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ كِتَابًا وَاحِدًا فَانَّهُ كُتِبَ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ مَصْحَفٍ مِنْهَا أَمٌّ عَلَى حِدَةٍ. فَإِنْ أَرَادَ قِرَاءَةَ الْجَمِيعِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ الْبَابُ الْأَوَّلُ حتَّى يَهْجُمَ عَلَى الثَّانِي، وَلَا الثَّانِي حتَّى يَهْجُمَ عَلَى الثَّلَاثِ، فَهُوَ أَبَدًا مُسْتَفِيدٌ وَمُسْتَطَرِّفٌ، وَبَعْضُهُ يَكُونُ جَمَاعًا لِبَعْضٍ، وَلَا يَزَالُ نَشَاطُهُ زَائِدًا، وَمَتَى خَرَجَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ صَارَ إِلَى آثَرٍ، وَمَتَى خَرَجَ مِنْ آثَرِ صَارَ إِلَى خَبَرٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الْخَبَرِ إِلَى شَعْرٍ، وَمِنَ الشَّعْرِ إِلَى نَوَادِرَ، وَمِنَ النَوَادِرِ إِلَى حِكْمٍ عَقْلِيَّةٍ وَمَقَالِسِ سِدَادٍ، ثُمَّ لَا يَتْرُكُ هَذَا الْبَابَ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ أَثْقَلُ، وَالْمَالُلُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ، حتَّى يُفْضِيَ بِهِ إِلَى مَرْحٍ وَفُكَاةٍ وَإِلَى سُخْفٍ وَخُرَافَةٍ. وَلَسْتُ أَرَاهُ سَخْفًا إِذْ كُنْتُ إِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُ سِيَرَةَ الْحِكَمَاءِ وَمَأْدِبَةَ الْعُلَمَاءِ، وَرَأَيْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ أَمْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرِجَ الْإِشَارَةِ وَالْوَحْيِ وَالْحَسَنُفِ، وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَوَحَكَ عَنْهُمْ جَعَلَهُ مَبْسُوطًا يَزِيدُ فِي الْكَلِمِ. فَاهْوَبِ الْعَمَلَ اتِّبَاعَ آثَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَحْدَاثِ



على مثال القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة . وقال ابن يسير في صفة الكتب في كلمة له :

أقبلت أهرُب لا ألو مُبَاعَدَةً \* في الأرض منهم فلم يُحِبِّني أهرُبُ  
 وقصر أوس لها وألت خنادُهُ \* إلى النواويس فالماخور فالهرُبُ  
 فأبما مؤنيل منها أخصمتُ به \* فن رأيت حيتاينهم الطلبُ  
 لما رأيت بأني غير مُعْجِزِم \* فتوتا ولا هربا فتوت أحتجبُ  
 وصرتُ في البيت مَمْرُورًا به جَذَلًا \* جارا لبوة لا شَكْوَى ولا شَغَبُ  
 فَرَدًا فَمَحَدَتِي المَوْتَى وتطلق لي \* عن علم ما غاب عني منهم الكتبُ  
 هم مُؤَنَسُونَ وألأف غَيْبَتُ بِهِمْ \* فليس لي في أنيس غيرهم أربُ  
 لله من جُلساء لا جَلِيسُهُمْ \* ولا عَشِيرُهُمْو للسوء مرَقِبُ  
 لا بادرات الأذى يَحْتَمِي رَفِيقُهُمْ .. ولا يَلْقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقُ ذَرِبُ  
 أبقوا لنا حِكْمًا تَبَقَى مَنَافِعُهَا \* أنترى أَلْيَالِي على الأيام وأنشعَبوا  
 فأبما أدبٍ مِنْهُمْ مَدَدَتُ يَدِي \* يومًا إليه قَدَانٍ مِنْ يَدِي كَثُبُ  
 إن شئتُ مِنْ مُحْكَمِ الآثارِ رَفَعُهَا \* إلى النبي هَتَاتِ بَرَّةٌ نُحِبُ  
 أو شئتُ مِنْ عَرَبٍ حَلَمًا بأولها \* في الجاهلية أُنَبِّئُني به العَرَبُ  
 أو شئتُ مِنْ سَيَرِ الأَمَلِكِ مِنْ عَجِم \* تُنْبِي وتُخْبِرُ كَيْفَ الرَأْيِ والأَدَبُ  
 حتى كَأَنِّي قد شَاهَدْتُ عَصَرَهُمْو \* وقد مَضَتْ دُونَهُ مِنْ دَهْرِهِمْ حَقَبُ  
 يا قاتلًا قَصُرْتُ في العِلْمِ نَيْبُهُ \* أُنَمِّي إلى الجهل فَيَا قال يَتَنَسَّبُ  
 إن الأَوَائِلَ قد بانوا بَعْلِيهِمْ \* خِلَافَ قَوْلِكَ قد ماتوا وقد ذَهَبوا  
 ما مات مِنَّا امرؤُ أبَى لَنَا أَدَا \* كَوْنُ مِنْهُ إِذَا مَا مَاتُ كُنْتُسُ



وقال أبو وجرة وهو يصف صحيفة كتبت له فيها بستين وسقا :

راحت بستين وسقا في حقيبتها • ما حلت حملها الأدنى ولا السدا  
ولا رأيت قلوفا قبلها حلت • ستين وسقا ولا جابت بها بلدا

وقال الرازي :

تلمن أن الدواة والقلم • تنق ويثني حديث الدهر الغم

يقول كتابك الذي تكتبه على سقي فتأخذني به وتلعب غنمي فيما يلعب • ومما يلك على  
قع الكتاب أنه لولا الكتاب لم يجر أن يعلم أهل الرقة والموصل وبتداد واسط ما كان  
بالبصرة وحدث بالكوفة في بياض يوم، فتكون الحادثة بالكوفة غدوة فيعابها أهل البصرة  
قبل المساء •

وذلك مشهور في الحسام الهدي : انا جعلت بردا قال الله جل وعز ، وذكر سليمان  
وملكه الذي لم يؤت أحدا مثله ، فقال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُنْدُكَ ﴾ إلى  
قوله : ﴿ أَوْ لَا ذُبْحَنُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ . فلم يلبث أن قال الهنكد : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ  
سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ .  
قال سليمان : ﴿ أَذْهَبَ يَكْغَبِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من  
عفريت ومن بعض من عنده علم من الكتاب فرأى أن الكتاب أبهى وأنبى وأكرم وأنعم  
من الرسالة عن ظهر لسان وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سبأ : ﴿ يَا أَيُّهَا  
الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب وقد يريد بعض  
الحلّة الكبار وبعض الأدباء والحكماء أن يدعو بعض من يجرى مجراه في سلطان أو أدب إلى  
مأذبة أو ندام أو خروج إلى متنته أو بعض ما ينسب ذلك ، فلو شاء أن يلقاه الرسول إرادته  
وومناه لأصاب من يحسن الأداء ويصدق في الإبلع فيرى أن الكتاب في ذلك أسرى  
وأنبه وأبلغ ولو شاء النبي صلى الله عليه وسلم ألا يكتب الكتب إلى كسرى وقيصير والنجاشي



والمقوقس وإلى بنى الجلفندي وإلى الباهلية من حمير وإلى هودة بن علي وإلى الملوك العظماء والسادة الثجباء لفعل ولوجده المبلغ المعصوم من الخطأ والتبديل، ولكنه عليه السلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال، وأليق بتلك المراتب، وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب، ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسلين ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه تعالى وعزّ علم أن ذلك أتم وأكمل، وأجمع وأنبأ، وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة إلى بعض من يتساوى أو يتجرب مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يخرجه ويختصمه، وربما لم يرض بذلك حتى يمتنونه وعظمه.

قال الله جل وعز: **إِنَّ أَوْلَىٰ أَبًا بِإِِبْنِهِ مِمَّا بِيْنِي مُنْخِفٌ مُّؤْمِنٌ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ**، فذكر مصحف موسى الموجودة ومصحف إبراهيم البائدة المصدومة ليُعرف الناس مقدار النفع والمصلحة في الكتب. قالوا: وكانت فلاسفة اليونانية تورث البنات العين وتورث البين الدين، وكانت تصل العجز بالكفاية والمؤونة بالكفاية وكانت تقول: لا تورثوا الابن من المال إلا ما يكون عوناً له على طلب المال. وأخذوه بحلاوة العلم وأطعموه على تعظيم الحكمة ليصير جمع العلم أغلب عليه من جمع المال. وأبى أنه العدة والتأدد، وأنه أكرم مستفاد، وكانوا يقولون: لا تورثوا الابن من المال إلا ما يسد الخلة، ويكون له عوناً على درك الفضول إن كان لا بد من الفضول، فإنه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول في فساد، وإن كان صالحاً كان فيما أورثوه من العلم، وبقيته له من الكفاية ما يكسبه الحال، فإن الحال أفضل من المال، ولأن المال لم يزل تابعا للحال، وقد لا يتبع الحال المال، وصاحب الفضول بعرض فساد وصل شفا لإضاعة مع تمام الحنكة واجتماع القوة، فما ظنكم بها مع غرارة الحداثة وسوء الاعتبار وقلة التجربة! وكانوا يقولون: خير ميراث ما كسبك الأركان الأربعة، وأحدها: بأصل النفعه ويحل له من الربح. وبني له الأعدوة الحسنة، وأعطاك حامل الخير وأحدها: وظاهره: ربه، ويحجم ذلك بالإكرام الكتب النفيسة المستعملة على بنابيع العلم. راجع: الأدر، معرنة الصناعات وفرائد الإرفاق.



وجميع الذين الذى بصحته وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتتلج الصدور، ويهود القلب معمورا، والعز راسخا، والأصل فسيحا، وهذه الكتب هى التى تزيد فى العقل وتُسَخِّدُهُ، وتُدَاوِيهِ وتُصَلِّحُهُ، وتُهَذِّبُهُ وتنقى الخبث عنه، وتُهِدِّدُكَ العلم وتُصَادِقُ بَيْنَكَ وبين الحقَّة، وتُؤَدِّدُكَ الأخذ بالثقة وتُجَلِّبُ الحلال وتُكْسِبُ المال. ووراثه الكتب الشريفة والأبواب الرقيقة متببهة للورث وكثرة عند الوارث، ألا أنه كثر لا يجب فيه الزكاة ولا حقُّ السلطان. وإذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما أخذ منها كان ذلك الكثر مائما يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث مذكورا فى الحكاء ومُتَوَّها باسمه فى الأسماء، وإماما متبوعا، وعلمًا متصوبا، ولا يزال الوارث محفوظا، ومن أجله محبوبا بمنوعا، ولا تزال تلك المحبة نائمة ما كانت تلك الفوائد قائمة ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: متى ورثته كتابا وأودعته علما ففد ورثته ما يُفْلَ ولا يَسْتَفْلَ، وقد ورثته الضيعة التى لا تحتاج الى إئارة، ولا الى سقى، ولا الى إسجال بإيثار، ولا الى شرط ولا تحتاج الى أكار ولا الى أن يثار، وليس عليها عُشْر ولا للسلطان عليها نَحْرَج، وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم، وسواء دفنك اليه الكفاية أو ما يحلب الكفاية، وأتمما تجرى الأمور وتُصَرِّفُ الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب لم يجب عليه إحضار المُسَبِّب، فكُتِبَ الآباء تحبيب للأحياء، ونَحْيَا لذكر الموتى.

وقالوا: ومتى كان الأب جامعا بارعا وكانت موارينه كتبنا بارعة، وآدابا جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلم خطأ وأجدر أن يُسْرِعَ التعلم إليه ويرى تركه خطأ. وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنجح له، ومنهاج قد وطئ له، وأجدر أن يسرى اليه عِرْق من تجلله وسقى من غرسه، وأجدر أن يعمل بدل الطالب للكتب النظر فى الكتب، فلا يأتى عليه من الآباء مقدار العمل بجمع الكتب. والاحتلاف فى سماع العلم، إلا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وإتمما تُنْقِصُ الكفاية من تمت آدابه، وتوافت اليه أسبابه، فأما



الْحَلَّتِ الْقَرِيرَ، وَالْمَقْرُوصَ الْفَقِيرَ، غَيْرَ مَوَارِيثَهُ الْكِفَايَةَ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ التَّامَّ، وَيَكِلَ لِلطَّلَبِ .  
غَيْرِ مِيرَاثٍ وَرَثَ كَتَبُ وَعِلْمُ، وَخَيْرَ الْمَوَرِّثِينَ مَنْ أَوْرَثَ مَا يَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ، وَيُبْصِرُ وَلَا  
يُبْمِئُ، وَيُعْطِي وَلَا يَأْخُذُ، وَيَسُودُ بِالْكُلِّ دُونَ الْبَعْضِ ، وَيَدَّعِ لَكَ الْكَثْرَ الَّذِي لَيْسَ  
لِلْمُلْطَانِ فِيهِ حَقٌّ، وَالرَّكَازَ الَّذِي لَيْسَ لِلْفُقَرَاءِ فِيهِ نَصِيبٌ، وَالتَّعْمَةَ الَّتِي لَيْسَ لِلْمَاسِدِ فِيهَا  
حِيلَةٌ، وَلَا لِلصُّوَصِ فِيهَا رَغْبَةٌ، وَلَيْسَ لِقَضَمٍ عَلَيْكَ فِيهِ حُجَّةٌ، وَلَا عَلَى الْجَارِ فِيهِ مَوْئِنَةٌ .

وأما ديمقراط فإنه قال: ينبغي أن يعرف أنه لا بد من أن يكون لكل كتاب علم وضعه أحد من الحكماء ثمانية أوجه، منها الهمة والمنفعة، والنسبة والصحة، والصنف والتأليف، والإسناد والتدوير، فأولها أن تكون لصاحبه همة، وأن يكون فيها وضع منفعة، وأن يكون له نسبة ينسب إليها، وأن يكون صحيحا، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفاته، وأن يكون مؤلفا من أجزاء ثمسة، وأن يكون مُسندا إلى وجه من وجوه الحكمة، وأن يكون له تدوير موصوف. فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب وهو كتابه الذي يُسمى «أنفوريسموا» تفسيره: كتاب الفصول. وقولك وما بلغ من قدر الكلب مع لوم أصله، وخُبث طبعه، وسقوط قدره، ومهانته نفسه، ومع قلة خيره وكثرة شره، واجتماع الأثم كلها على استسقاطه واستسفالته، ومع ضررهم المثل في ذلك كله به، ومع حاله التي يعرف بها من العجز عن صولة السباع، واقتدارها، ومن تمتعها وتشربها وتوحشها، وقلة إسماعها، وعن مسألة البهائم وموادتها، والتمكين من إمامة مصلحتها، والانتفاع بها، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها، ولا الإحتيال لمعاشها، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة. وذلك الكلب ليس بسبع تام ولا بيممة تامة حتى كأنه من الخلق المركب، والطباع المُلَفَّقة، والأخلاق المُجْتَلِبة، كالبلبل المتلون في أخلاقه الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه، وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتفاوتة، والعناصر المتباعدة، كالراعي من الحَمَام الذي ذهبت عنه هداية الحَمَام، وشكل هديره وسرعة طيرانه، وبطل عنه غمر الورشان، وقوة جُنَاحه، وشدة عصبه، وحسن



صوته ، وشجا حليته ، وشكل لحونه وشدة إطرابه ، وأحتماله لوقع البدائق ، وجرح الخناب .  
وفي الراعي أنه مُسْرُول مُثْقَل ، وحَدَثَ له عَظَمَ بدن وقَلَّ وزن لم يكن لأبيه ولا لأُمه .  
وكذلك البغل خرج من بين حيوانَيْن يَلِدَان حيوانا مثلهما ويميش نتاجهما ويبقى بقاءهما ،  
وهو لا يعيش له ولد وليس بعتيم ، ولا يبقى للبغلة ولد وليست بماقرء ، فلو كان البغل عقيما  
والبغلة عاقرا لكان ذلك أزيدَ في قوتها وأتمَّ لاشتئها ، فمع البغل من الشبق والنغظ ما ليس  
مع أبيه ، ومع البغلة من الشؤس وطلب السفاد ما ليس مع أمها ، وذلك كله قنح في القوة  
ونقص في البنية ، وخرج غُرْمُوْلُهُ أعظمَ من غراميل أعمامه وأخواله ، فترك شبيههما ونزع  
الى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج أطولَ عُمرًا من أبويه وأصبرَ على الأتقال من  
أبويه ، أو كابن المذكرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبت نتاجا من البغل  
وأفسدَ أعراقا من السَّمْع ، وأكثرَ عيوبًا من العِصْبَارِ ، ومن كلِّ خَلْقٍ خُلِقَ إذا تركب من  
ضد ، ومن كلِّ شجرة مُطْعَمَةٌ بخلاف ؛ وليس يَعتَرِي مثل ذلك الخِلَاسِيُّ من الدَّجَاجِ ،  
ولا الوَرْدَانِيُّ من الحَمَامِ ، وكلُّ سَعَفٍ دخل على الخَلْقَةِ . وكلِّ رِقَةٍ عرَضت للحيوان ، فعلى  
قدر جنسه وعلى وزن مفداره وتمكنه يظهر السَّجَزُ والعيب . وزعم الأصمعي أنه لم يسبق  
الحلبة فرس أحضه قط . وقال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء .

والهداية في الحسام والقوة على بعد الفاية إنما هي للصحة من الخضر . وزعموا أن  
التيات كلها ضئف ونقص ، والثقة : كل لود دخل من لود . وقال الله حل وعز : ( قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّمَا بَقَرَةٌ : ذَوِي ذُرِّ الْأَرْضِ رَأَى : نَسِيَ الْحَرْتَ مَسْمُومَةً لَا يَتِيَهُ فِئَاطٌ ) . وزعم عثمان  
ابن حكيم أن : ١ - كره من الموت . ٢ - أسرا حال إيمه وأرد خصال أنه فنجتمع

(١) صبح بکامه اخبار و کلام و اخبار المملک و ادب و اصناف و موسع مرکب فيه سبعة الصبح و فقه و حرة الهند و حرة راجع به سران درويش ص ١٦٠ (٢) السارکات کرالین و العین الساکتة فی ذی مساره راجع به ص ١٠٠ راجع به اسوان التمهید ص ٢ ص ١٣٩ .

(٣) اخبار من تریب بر سر سر و استیلا و استیلا و استیلا و استیلا (٤) الوردانی بره الهیة و تریب بر سر سر و استیلا و استیلا و استیلا و استیلا .



فيه عظام الدواهي وأحيان المساوي، وأنه اذا خرج كذلك لم يُجْع فيه أدب ولا يَطْمَع في علاجه طيب، وأنه رأى في دور تقيف قتي أجمعت فيه هذه الخصال، فما كان في الأرض يوم إلا وهم يتحدّثون عنه بشيء يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه .

وزعمت أن الكلب في ذلك كالخُنْثَى الذي هو لا ذكر ولا أنثى، أو كالخِصْي الذي لما قُطِع منه ما صار به الذكر فخلا خرج من حدّ كمال الذكر فيفقدان الذكر، ولم يكمل لأن يصير أنثى للفريزة الأصلية وبقية الجوهرية؛ وزعمت أنه بصير كالنبيذ الذي يفسده إفراط الحزن، فبخيرجه من حدّ الخل، ولا يُدخله في حدّ النبيذ . وقال ميرداس بن خذام :

سَقِينَا عَقَالًا بِالنَّوِيَةِ شَرِبُهُ \* فَمَالَتْ بُلْبُ الْكَاهِلِ عِقَالِ  
قَلْتُ اصْطَلَحَهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا \* هِيَ الْخَمْرُ خَيَّلَنَا لَهَا بَحْيَالِ  
رَمَيْتُ بِأَمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ \* فَلَمْ يَتَعَشَّ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ

بفعل الخمر أم الخل قد يتولد عنها ، وقد ينولد عن الخل اذا كان خمرا مرة الخمر .

وقال سعيد بن وهب

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءٍ وَجْهَكَ تُسْتَهِي \* رُوذُ الشَّبَابِ قَلِيلُ شَعَرِ الْعَارِضِ  
فَالْآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَنَاطِكَ لِحْيُهُ \* دَهَبَتْ بِمِلْحِكَ مَلْءُ كَفِّ الْقَابِضِ  
مَسَلَّ السَّلَامَةُ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا \* بَعْدَ الْإِلْهَادَةِ خَلَّ حُمْرُ حَامِضِ

ويصير أيضا كالشعر الوسط والغناء الوسط ، والنادره الفائرة التي لم تخرج من الحزن الى البرد فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الحزن فتضحك السن .



## باب الرسائل

### ١ - الفصول المختبة من الرسائل المختارة في كل فن<sup>(١)</sup>

#### كتب رجل الى صديق له .

إن أبامك شادوا أكارهم بالفضائل التي كانت فيهم ، وإنك قد كنت أخذت في مَدْرَجَتِهِمْ فأوفيت على غايتهم ، ثم اختلجك الهوى ببعض جديلتك وجودك ، من لباس فضلك الذي كنت تطول به على أكفائك ، وتملك به أنة كافة جنلك ، وألقيت مالك على شر عواقبه عليك لالك إن زلت مكاره بوادره منك .

فصل - قيل : إن مروءة الرجل في نفسه تسب لقوم آخرين ، فإنه إذا فعل الخير عُرف له ، وبقي في الأعقاب والأصحاب ، ولقيته يوم الحساب .

فصل - إن حق الله على المسلمين أن ينظروا في دينهم بالنصيحة لأئمتهم ، فإن الأئمة إذا صلحوا بُدِّل الهوى بالتقوى في قلوبهم ، وماتت سورة الغضب فيهم لأحلامهم ، وسكنت العائمة الى عدلم وذات لإنصافهم . وإذا كان للحسن من الحق ما يقنعه ، وللظالم من التكبر ما يقمعه ، بدِّل المحسن الحق عليه رغبة ، وذلل المسيء بالحق عليه رهبة . فأقول ما أمرك به رجاء الله وتقواه . فأما رجاءه فإن تحسن به في الصنيع إذا أطلعت ، ويكون لك وقاية إذا آترته مطمئنا . وأما تقواه فإن تكون له فيها أمرك به ونهاك عنه مراقبا ، فإن قية المؤمن تزيد في أنسراح صدره ، وإن شدة خوفه تزد هواء على عقله .

(١) سلاسل أخبار المحدثين والرواة ص ١٠٠ .

(٢) ابيات : جامعة راحة العريضة .



**فصل -** تلبه اذا بُهِت، وأذكر اذا ذُكِرْتُ، وأتفع فقد وُعِطْتُ، وأمع فقد نُوديت، نهبك الوعيدُ، وحذرك الزاجر، وأمرك ونهاك الكتاب، ونعتك آثار الموت، ودماك الى الجنة مليء جواد، فالخذ الحذ، فقبل المهجرة يُريح المذلج .

**فصل -** ما نظرتُ في معروف عند أحد، فوجدته قُصِرَ عن أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا صدته سبئة لي عنده ، لأني ذوقته ما أحب ، ثم منعته إياه ، وكأني قصدتُ لإشخاص قلبه . ولا نظرت في معروف عند أحد فوجدته قد تنهى عند تنهى أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا رأيتُ في ذلك وائراً لنفسى، لأنه كفى عيها وإزراء بها ، أن أقنع ... فضل تقضه بمثل ما أقنع رجلاً من فضل يتقضه عليه .

**فصل -** ما أنت من يعلم من جهل به ، ولا تحس منه بادرة زلة، ولا يقابل بين أمرين إلا عَرَفَ خيرهما قاتره، وشرها فاجتنبه . وقد رأيت ما ساقط اليك الطاعة من حظ العاجلة ، فلا تتعرض لزوال ما أنت فيه ، فتخسر الحظين ، وتندم في الدارين؛ فقد رأيت من طأند الحق كيف صرعه الله وبسط يد وليه على سفك دمه، وإحلال النعمة به، فصار بعد أن كان في الأمانة مثلاً، ولجميع الخلق غاية وأملاً، فكرة في الاعتبار، وعظة للأبصار . فلا يُبعد الله إلا من ظلم وحقر، وذهب عن الحق وأدبر . وأنت اليوم مُحْكَمٌ في أمرك، مخير في رأيك، تُدعى الى حظك بالخط الجزيل بتدلل . فاهتبل ما قد هدف لك وهو مُمكن ليدك، فإنك إن أهملت وتراخيت . لم يكن بالحق ووليته وحشة اليك ، ومضت أحكام الله في نصرها وتأبيدها على أذلالها<sup>(١)</sup> . وصِفرت يـُك بما لا يُسرف لك بمثله ، وأخطرت بدمك وأسفته أخبت مسيل وأضل سبيل ، حيث لا تبكى عليك السماء والأرض .

(١) باض في الأصل . ولعله : أن أقنع حتى فصل اتحمه بمثل ما أقنع رجلاً اح .

(٢) على أذلالها : على وجوها ومطرقها .



فصل — الناس رجالان : عالم لا يخفى به عن الازدياد، وجاهل به أعظم الحاجة الى التعلم ، وليس في كل حال يكون العالم لما يتبعه من الأمور مبعداً ، ولا المتعلم هل ما يستفيد منه قادراً وفيماً .

فصل — إن أنت صلتنا من أمورك ، وأعفيت ظهورنا من أفعالك ومؤوتك ، وتركنا أفعالاً في ولايتك من تنهيك وتحريكك ، فقد أنزلتنا منزلة من لا خير عنده ، وجعلت نفسك أسوة من لا معين له ، وكفى بذلك ظلاماً .

فصل — إن إعلامي إياك ... غير محمد شيطا<sup>(١)</sup> ، ولكنه أقرب من الجليل في معرفة عذر المعتذر ، وأهل للأمة على المسمى المقصر .

فصل — الذي أعتدنا عليه من رأيك ، ونثق به من جميل نظرك ، قد خلطنى بأهل صنائعك ، وانحصاة من ثقاتك ، وبسط أمل فيك الى غاية خير يرجى ، أو جزيل حفظ يؤمل .

فصل — ليس يسوخ لأحد في الأمير آمل ، ولا يتوجه اليه منه رغبة ، ولا يلزمه في قضاء حقه ، ودانة مؤنته إلا وفضله مستغرق لها .<sup>(٢)</sup>

فصل — من أحمد الأمور وأجل المذاهب ، ما كان آخره موصولاً بأوله ، ومؤدياً بدؤه الى حده عاقبته ، لحافظ على الأمور التي حسن فيها عند أمير المؤمنين أثرك ، مستقيلاً فيها لكثير ما يكون منك ، معتقداً بها في النعم عندك ، والإحسان الواصل اليك ، فيما يوفقك الله له منها ويخصك به من الفضل في اختيارها ، وأمير المؤمنين يستحفظه الله لك ، ويستمتع به في النعمة فيك .

فصل — قد كان يجب أن تجعلنا بتابعة النعم علينا في خاصة الشاكرين لفضلك ، ولا تجعلنا بتواتر الإساءات اليها في عادة الشاكرين لك .

(١) يامرفي لأهل . ولعل الكلمة المروكة «بحاجتي» . والطاهر أن كلمة «محمد» محزنة من كلمة «مجد» .

(٢) كما بالأصل .



فصل — يلي بما بنى الله عليه أخلاق الأمير أكرمه الله ، وجعل عليه رأيه في بسط العدل على رعيته ، وبث الفضل على مُتَمَسِّي فضله ، ينعنى على الكتاب في مثل ما كتبت إليه فيه ، من ظُلامة مظلوم يستعِذ فيها بجلده ، وحاجة ملهوف يرجع فيها إلى فضله ؛ فأجمع إلى ما أتي من الثواب في ذلك مُوافقةً رأي الأمير ، وإذ كاره ما يجب أن يذكر به ؛ فزاد الله الأمير من نعمه ، وأوزعه من الشكر عليها ما يُوجب له تَتَابُعُها عنده ، وترادفها له .

فصل — أنت والحمد لله ممن أحتمل الصليحة ، وقيل الأدب ، وصدق الخيلة وخلص على الحنة وحسن الفن ؛ فاستقامت طريقته وقدمه جميل مذهبه وآثاره ، وجرت على قصد السبيل طاعته ، واشتدّت على السريرة والمالنية مآصحه ؛ فأصبح أمير المؤمنين لا يتناهى في برّك وتكرّمك ، إلّا رآك مُستحقاً لها ولياً فوقها ، ولا يرّسك إلى درجة إلّا رآك أهلاً لأشرف منها ، صنعا من الله لك بما وثّقك له من طاعته ، ووهب لك من جميل صرايته ، والمكان منه والأثرة عنده .

فصل — فضل مشاركتنا إياك في محبوب الأمور ومكروها يحلنا في السرور بالنعمة عندك — بفقدنا الله لك — ويوجب الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، وللازيد فيها موجبا .

سعيد بن حميد — شُفلك بقطعنا عن مطالبك بالحق في جوابات تُكتبنا إليك ، وصدق مودتنا لك بمنعنا من التقصّي في الحجّة عيب . ومن يكك أن رأيت فأنه لا يفي بك إلّا لك ، صلة إخوانك والتعاهد لهم من برّك ، بما يُنبه فضلك والنعمة عليهم فيك .

وفلان بنى وبينه مودة أقلمه بها على الأخوة ؛ لأنّ معه قرب ما بين المودة والقرابة ، وقد بلّوته على الحالات كلّها ، فلم يزدني اختبارُه إلّا اختيارا له ؛ ولا أعلم بالعسكر جليلا إلّا وهولى صديق ، يشكر بشكره ويوجب على نفسه المنة فيما أتى إليه ؛ فأنما من بين إخوانه فاست أعيل عن قضاء حقّه ، ولا أتأخّر عن معروف أمّدى الله . فإن رأيت أن



تَحِيلُهُ بِالْهَلِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ بِنَفْسِهِ وَسَلَفِهِ ، فَوَاقَهُ مَا رَأَيْتُ سُوقَ الْإِحْرَارِ أَتَقَى مِنْهَا عِنْدَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ؟ أَيْنِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَقْيَمِكُمْ وَرِيحِمَ مَاضِيَكُمْ .

**فصل —** إِنَّ أَحَدًا لَيْسَ بِمُسْتَخْلَصٍ شَيْئًا مِنْ غَضَارَةِ عَيْشٍ إِلَّا مِنْ بَيْنِ خِلَالِ مَكَارِهِ ، فَمَنْ أُنْتَظِرَ بِعَاجِلِ الدَّرَكِ أَجَلَ الْاِسْتِقْصَاءِ سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ فُرْصَتَهُ ، لِأَنَّ مِنْ صِنَاعَتِهَا السَّلْبَ ، وَمِنْ شَرْطِ الزَّمَانِ الْإِقَاتَةَ .

**فصل —** إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ جَلَّ فَضْلُهُ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ وَصْفٌ ، أَوْ يَأْتِيَ عَلَى تَمَدَّادِهِ اجْتِهَادٌ ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الشُّكْرِ لَكَانَ الْأَمِيرُ يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْنَا ، وَيَسْتَوْجِبُهُ مِنَّا .

**فصل —** قَدْ أَصْبَحَ الْخَلْقُونَ بِمَجْتَمَعِينَ عَلَى تَهْرِيفِهِ وَمُدْحِهِ ، حَتَّى إِنَّ الْعَدُوَّ يَقُولُ أَضْطَرَارًا مَا يَقُولُهُ الْوَلِيُّ<sup>(١)</sup> اخْتِيَارًا ، وَالْبَعِيدُ يَتَّقِي مِنْ إِنْجَامِهِ عَلَيْنَا بِمَا يَتَّقِي بِهِ الْقَرِيبُ خَاصًّا .

**فصل —** الْمَالِكُونَ إِلَيْهِ بَيْنَ نَعَمٍ مُكْتَسِفَةٍ مِنْ تَأَلُّدٍ بِهِ يَسْتَدِيمُونَهُ ، وَطَارِفٍ مِنْهُ يَسْتَعِيدُونَهُ ، وَمَوَاهِبَ مُتَجَدِّدَةٍ ، وَفَوَائِدَ مُتَرَادِفَةٍ هِيَ مَبْسُوطَةٌ بِهِ إِلَى بَرَكَةِ أَيَّامِهِ ، وَطَوَّافَةٌ<sup>(٢)</sup> مَنْ أَنْصَلَ بِهِ ، فَزَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَزَادَ أَوْلِيَآئَهُ بِهِ وَبِرَكَّةِ دَوْلَتِهِ .

**فصل —** اعْتَمَدْتُ أَخَا لَا يُدَيَّرُ إِخَاؤُهُ ، وَلَا تُشْكِرُ أَحْوَالُهُ ، عَلَى بَعْدِ الدَّارِ وَقُرْبِهَا ، وَأَتَصَالُ الْمَكَاتِبَ وَأَقْطَاعَهَا ، تَحِيَّةً مُتَصَرِّفًا مَعَكَ فِي الْخَطُوبِ الَّتِي يَطْرُقُ بِهَا الزَّمَانُ ، وَيَدَا لِكَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُنْتَجَنُ فِيهَا الْإِخْوَانُ .

**فصل —** أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْمِلَ مَا تَطُولُ بِهِ فِيهِ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالْعِيُونِ عِنْدَ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ مَوْصُولًا بِالْإِنْسَاءِ فِي مُدَّتِهِ ، وَالْإِدَامَةِ لِعَزَّةٍ وَسَلَامَتِهِ ، وَالْأَعْلَاءَ لِيَدِهِ وَكَلِمَتِهِ .

أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ — عِنْدِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ شَأْنِكَ فَقَدْ آذَنَّاكَ .

فِي صِفَةِ حَرْبٍ — كَانَتْ لَكُمْ الْكُرَّةُ ، وَعَلَيْهِمُ الدَّبَرَةُ ، فَحَمَلُوا حِمْلَةً كَاذِبَةً ، أَتَبِعْنَاهَا بِأُخْرَى حَادِثَةً .



فصل في هدية — قد أهديت اليك من فنون كلامي وحيون مفاي، دقترا ظريف المعاني، شريف المباني، صحيح الألفاظ، يلد بأفواه الناطقين، ويلين على أسماع الصامتين .

فصل في شفاقة — لفلان قبلك حاجة، ليس يحتاج فيها الى معدتك ونصفتك المسوطين لمن لا يتوسل بمخططك ومعرفتك، ولكنه يريد ما في ذلك العدل والإنصاف من الرفق والإحسان الملتخورين الخاصة والإخوان .

فصل لرجل تميمي — ضَعُفْ حالي يدعوني الى كثرة الطلب، وعرقتي بجبل رأيك محجزتي عن الإحلاح عليك، خوفاً أن أكون جاهلا بعنايتك، وحسن نظرك، والكرم يستحي بعضه لبعض، ويبعث بعضه بعضاً، ودين حيلته الغير على العقود، فبعثه كرمه للنهوض، أودعاه هواء الى المنع، بجاهه عقله على البذل، وحالي جاحدة لدى فضلك ونعمة الله عليك من سدا حلتها، ومداواة عطها بجهاك الواسع، وإفدك النافع .

أحمد بن يوسف — قد بذلت لنا من نفسك أحرز مَبْنُول وأَنْفَسَه، والمودة التي كلما يُعَدُّ من صاحبها، فهو لها نافع . وثقتنا بك واستنامتنا الى ناحيتك، على أحسن ما أكد الله بيننا وبينك . وإن كان مدى اللقاء بيننا لم يَكُلْ فَأَثَل منه ما يراه أهل الوفاء والمخالصة، ويقصر في المحافظة عليه وعلى أكثر منه، من دَخَلَتْ نَيْتَه . وَضَعَتْ خُلَّتَه .

فصل — قد أصبحت لخاصة علة، وللعامة عصمة، وللأنام نقة في مناصحتك .

فصل في الصفح لأبي علي — إني الذي قَرَطَ منك، وإن تجاوزتني ما أرضاه لك، لم يبلغ ما يُضْهِني عليك، وحيث انتهى ما يحالفني من قولك وفعلك، فإن وراءه تَمْثُلاً مني لإساءتك وصَفْحاً عن زلتك، فإن تَأَمَّنَا لَا تَحْشُكْ، وإن يسؤ ظنك فإنما نحتاج الى إصلاحه منك .

أحمد بن يوسف — الى ابراهيم بن المهدي في هدية استقلها :

بلغني استقلالك لما ألفتك، والذي نحن عليه من الأثر سهل علينا قلة الحشد لك في البر، فأهدينا هدية من لا يَحْتَسِبُ الى من لا يَفْتَنُ .



كتب عَقَّال بن شَبَّة — الى خالد بن عبد الله في شفاعته :

إِنَّ اللهَ اتَّجَبَكَ مِنْ جَوْهَرَةٍ كَرَمَ وَمَنِّتْ شَرَفَ، وَقَسَمَ لَكَ خَطَرًا شَعَرَتْهُ الْعَرَبُ وَتَحَدَّتْ بِهِ الْحَاضِرَةُ وَالْبَادِيَةُ، وَأَعَانَ خَطَرَكَ بِقُدْرَةِ مَهْسُوطَةٍ، وَمَثَلَةٍ مَلْحُوظَةٍ، بِجَمِيعِ أَكْفَائِكَ مِنْ جَمَاهِيرِ الْعَرَبِ، يَعْرِفُ فَضْلَكَ، وَيَسْرَهُ مَا خَارَ اللهَ لَكَ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَدَالَةَ الزَّمَانِ وَلَا سَاعِدَهُ الْخَطِّ؛ وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ تَعَطَّفَ عَلَى أَهْلِ الْيُودِيَّاتِ، وَطَادَ لَهْمُ مَا يُبْقَى لَهُ ذِكْرُهُ وَيُحْسَنُ بِهِ نَشْرُهُ، مِثْلُكَ . وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ فَلَانًا، وَهُوَ مِنْ دِينِيَّةِ قُرَابِي، وَذَوِي الْهَيْئَةِ مِنْ أَسْرَقِي، وَعَرَفَ مَعْرُوفَكَ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَلْبَسَهُ نِعْمَتَكَ وَتَصْرِفَهُ إِلَيَّ وَقَدْ أَوْدَعْنِي وَإِيَّاهُ مَا تَجِدُهُ بَاقِيًا عَلَى النَّشْرِ، بِجِيلَا فِي الْغَيْبِ .

### فصل في التوديع

أَسْتَوْدِعُ اللهَ الْأَمِيرَ بِأَحْسَنِ وَدَّاعِهِ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي كَتَفِهِ وَجْرَهُ، فَقَدْ أَكْرَمَ الْمُتَوَكِّلَ، وَأَحْسَنَ الْإِبْتِغَاءَ؛ فَأَطَالَ اللهُ لَهُ الْبَقَاءَ، وَأَدَامَ عَلَيْهِ النِّعَمَاءَ .

### في الصفح

بَلَنْفَى كِتَابِكَ، تَذَكَّرْتُكَ الْيَوْمَ بِوَضْعِي عَنْكَ مَوْجِدَتِي، وَرَدَّيْتُ لَكَ إِلَى أَحْسَنِ مَا عَيَّدْتَنِي مِنْ مِثْلِكَ عِنْدِي؛ وَقَدْ حَلَّتْ مِنَّا الْخَلَّةُ الَّتِي خَلَطْنَاكَ فِيهَا بِأَنْفُسِنَا، وَأَدْخَلْنَاكَ مِنْهُ مِدَاخِلَ أَهْلِ تَقَنُّتِنَا؛ وَلَسْتُ تَزِي مِنْ جَهَالَةٍ بِمَا أَنْتَ فِيهِ، وَلِبَعْضِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّجَارِبِ تُسْتَفَادُ بِمِثْلِهَا الْعِبَرُ، وَيُتَنَفَّعُ بِهَا فِي عَطْفِ الْأُمُورِ .

### جواب في فتح

كتب سالم بن هشام الى يوسف بن عمر حين قَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ :  
قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابُكَ بِمَا أَلْبَى اللهُ فِي مِثْرِهِ السُّوءَ، وَأَنَّهُ لَمَّا عَضَّتْهُمُ الْحَرْبُ، وَالْمُهْمُ الْحَدِيدُ، عَادُوا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، قَدْ أَكْذَبَ اللهُ ظَنُونَهُمْ، وَخَدَّلَ مَخْرَجَهُمْ، وَقَتَلَ إِمَامَ ضَلَالَتِهِمْ؛ وَحَفِظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ضَيَعُوا مِنْ حَقِّهِ، وَحَاطَ لَهُ مَا أَبَاحُوا مِنَ الْقُدْرِ فِيهِ؛ وَقَدْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَى نِعْمِهِ، الصَّفْحَ عَنْهُمْ، وَتَقَدَّمَ حَرَمَهُمْ



وأن يمتهم من عدله ، بما يردّ به الجاهل عن جهله ، والغوي عن غوايته ؛ ويعلمون مكانه من الله ، واستجابته لعزه ونصره ؛ وأنه الخليفة المتّق ، والإمام المُتألف ؛ وأنه يُقدّم العفو في الطاعة ، على المجّة في العقوبة ، والحسبة في الاستصلاح ، على القوة في التأييد ؛ فامسك منهم بيدك ؛ فإنّ أمير المؤمنين قد وهب ذلك كلّّه ، وربّما به ما ليس ضائعاً عنده من ثوابه .

### في الصفح عن الجفاه

لو كان من نازع الى الغدر ، قلّدناه عِنان الهجر ، لم يكن أقرب منا الى الذنب ، ونحن نردّ عليك من نفسك ، ونأخذ لنفسك منك ، حتى يكون تركنا إياك ، وعذرنا فيه وافراً .

فصل — الحمد لله على البلية التي طال أمدها ، وبعد ما بين طرفيها .

آخر — أقفرت في التّبت أناة ذوى الجي ، وقمت المقدّم من الأناة على العجلة ، وأطعت في أمرك النظرة ، واتّيت الى العُدرة والمعرفة ، فلكت ما ملكك ، وحكت على الذي حكم عليك ، فأخذت مثل الذي أعطيت .

فصل — بدء أسباب الأمور دليل على عواقب الأمل فيها ، والخيرة بعد الله عز وجل .

### فصل اعتذار

لو كان الناس يقضون الحقوق التي يجب عليهم ، ويحافظون على الأمور التي تليهم ، لقلت اللّمة ، وخلصت المودة ، وارضعت أسباب العتاب ؛ ولكنهم عجزوا عن مقصود ، يضحقون عن العلم ، بأكثر ما تدركه عقولهم ، وتوقعهم عن ذلك أشغال لا يجب بها المذر ، ولا تستحقّ الإيثار ؛ ولم أزل عاتباً على نفسي فيما ضيّعت من مكاتبتك ، مع معرفتي بفضلك ، وموقع ذلك عنذك ، وما اعتذارى إليك ، سوء حظّ بك . ولا عاقبة للإمتك ؛ وإن فعلت ما ظلمت ؛ غير أنّي أحببت أن أكفيك المؤونة ، فيما عسيت أن تقبض عنه من مقايستى ومعاتبتى ؛ وأنا أحب أن تهبل المذر ، وتعين على مستقبل البر .



فصل - أنت في زمان إن لم تنالط أهله ، وتختلم على ما في أيديهم ، وتصبر على مكاره الأمور بعد المطالبة ، لم تصل إلى شيء ، ولم تجد أحدا ما على فضل منك وإن عرفه فيك ، ولم يفتنه من محاسنك شيء ، ألا رأى في مساوئ غيرك عوضا منه ، فكان بذلك أطلع ، وإليه أسكن ، فطبعك بالصبر ، فإن قايتنه إلى خير ، وأقل ما فيه أنك صاحبه لا يلوم نفسه ، ولا يلومه أحد ، ولما يظفر أو يدلل .

### إلى المأمون من عامل

قل من يسارع إلى بذل الحق من نفسه ، إذا كانت الحق مضرا به ، وقل من يدع الاستعانة بالباطل ، إذا كان فيه صلاح معاشه ، وسبب مكتسبه ، وإذا تفرق الحق في أيدي جماعة فطويبت به ، تشابهت في الكثرة لئذله ، وتعاونت على دفعه ومنعه ، بالحيل والشبه قولاً وفعلًا ، واحتاج المبتلى باستخراج ذلك الحق من أيديها ، إلى استعمال مجاهدتها ومصابرتها على الحيلة في مدافعتها .

### ابن الكلبي

كان خبر ما أبلاك الله في فلان بعد أمانه ما عزمت عليه من الأمان ، خبراً عظم مكانته من أمير المؤمنين ، وحسن موقعه من الدين ، ثم ردف خبرك بإذعانته عند ما عضه من بأسك ، ومسه من مؤلم إيقاعك للاستسلام ، وطلب عقد الأمان ، وإنك بذلت له ما طلب لا لرهبه بقيت في ناحيتك ، إلا الاحتذاء على مثال أمير المؤمنين وأدبه ، فكان إياؤه ما عرضت عليه في أول أمره ذخيرة حفظ فيما كشفت عنه البلوى من محمود أثرك ، واجتمع لك في ذلك حفظان : الظفر آخرًا ، والدرل كما حاولته أولاً ، فلا زلت على نصيبك من الحظ ، مؤيدا بالنصر والمعونة ، والحمد لله على ما حقق من الظن ... من هذه النعمة على يديك وبسعيك .



## ابراهيم بن اسماعيل بن داود الى ذى الرياستين

وصل الى كتابك بخط يدك المباركة؛ فلم أوقللاً أجمع، ولا إيحازاً أكفاً من إطلاب، ولا اختصاراً أبلغ في معرفة وفهم منه؛ وما رأيت كتاباً على وجاهته، أحاط بما أحاط، وضربت ظني في فلان فعظم ذلك سرورى، وقد يستعطف الظالم، ويستعجب المتجنى؛ وفي رفقك وعلمك بالأمور ما يصلح الفاسد، ويكفل الصعب، ويثقل المدبر؛ ولا يمنعك جور من جار عليك، من الاحتقاد في الحجة عليه، والأخذ بالثقة في أمره، فإن الله عز وجل لم يجعل عليك في ذلك مقصصة ولا غصاضة، بل فيه الإحذار والإنذار والاستبصار، وقضاء حاجة النفس، مع التأدية الى السلامة، والأمن من الندامة.

فصل — أنا في حال عافية، تتجاوز الى حال نعمة، والحمد لله حتى يرضى، فقد أرضى؛ فأتانا ما أشرت به، وخبرت من إمضاء رأيك فيه، والإمساك عنه، فثلك جعل لمن نصحه شركاء في كل أمره، ولم يجعل رأيه فرضاً لبعضه أن يتعدى،<sup>(١)</sup> وذكرت أدب فلائحة، وعندنا لفلائحة الطمع المستقبل مع الإنعام المتقادم، مع أنه لا شيء لما عندنا قل ولا جل، ولو كان ما استحلنا حبسه صفة كفف، ولا تفيض طرف؛ وذكرت أنه لا يستغنى مثلنا عن مثلها، وأبدال الله كثيرة عتيدة، وما بان علينا فقد أحد ممن كان قبلها في دارنا، لحال بيننا وبينه حائل، ولا اختلانا له مع نظر الله تبارك وتعالى وأخلافه؛ وبعد هذا فأحسن الله جزءك، وحاط لي فيك ما أحب منك، وكفالك المهمل وكفانيه بك، فما تقوم نفس لو كانت لي أخرى مقامك في نصيحتي ويرى، والاحتكام لي، بما أنا عنه ساهية لاهية من أمرى، لا أعلمنيك الله ولا النصيحة منك.

فصل — قال أبو جعفر الكرمانى للحسن بن سهل ووعده شيئا فأبطل عليه :  
أما أعرف تكامل الثقة فيك، ورجاحة الفضل بك؛ وأعلم أن فعلك يربى على قواك، وأن إنجازك أكثر من وعدك؛ فقدم لي من كرمك، ما أثمره لى أن يلحقه المتأخر



عنه ، وإلا فقلّنى على ما أقول اذا سألنى من بعثته على شكرك ، عما بلغته من الحظ على نيتك .  
فقال الحسن : تقول ما ينبغي ، فقال : فافعل ما ينبغي أقوله .

### عمرو بن مسعدة

وصل الى كتابك ، على ظلمي منى اليه ، وتطلع شديد ، وبعد عهد بعيد ، ولوم منى على ما مستقى به ، من جفافك ، على كثرة ما تابعته من الكتب ، وعلمت من الجواب ، فكان أول ما سبق الى من كتابك السرور بالنظر اليه أنسا بما تجدد لي من رأيك ، في المواصلات بالمكتبة ، ثم تضاعف المسرة ، بخبر السلامة ، وعلم الحال في الهيئة ، ورأيتك بما تظاهرت من الاحتجاج ، في ترك الكتاب ، سالكا سبيل التخلص بما أنا مخلصك منه ، بالإغضاء عن إلزامك المجبة ، في ترك الابتداء والإجابة ؛ وذكرته شغلك بوجوه من الأشغال كثيرة متظاهرة ممكنة ، لا أجشّمك متابعة الكتب ، ولا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ؛ ويقنعني منك في كل شهر كتاب ، ولن [تُزَم] من نفسك في البر قليلا ، إلا ألزمت نفسي عنه كثيرا ، وإن كنت لا أستكثر شيئا منك ؛ أدام الله مودتك وثبت إخطاك ، واستراح لي منك ؛ فأريك في متابعة الكتب ومحدثي فيها بخبرك مؤقفا إن شاء الله .

### عيسى بن واضح الى الفضل بن الربيع

قد أكد الله من حُرْمَتِي بك ، ووصل من الشعب بيني وبينك . اجعله ذخيرة ليوم الحاجة ، وصدّة عند مليّ النازلة .

### جبل بن يزيد

أما بعد فإن من صحب الدنيا لم يخل من تصرف أحوالها ، وكثرة معاريض فجائعها ، في احترام الأنفس في خواصها ، وواقع البلائ بين ذلك فيما يهدّها ، ويضر من الأشياء عليها ؛ وكان ذلك لا سبيل الى دفعه ، ولا حيلة يُستعان بها عند نزوله ، إلا الرضا عن الله عز وجل فيما قضى ، والتسليم لأمره في كلّ ما أتى ، والسكران الى الأمّوة التي تهبّ الله سبلها ، وخفف

(١) السياق يقتضى وضع هذه الكلمة ، وهي متروكة في الأصل .



بها مواقع المصيبات على أهلها؛ ثم الرجاء بعد ذلك لحسن ثواب الله، [وقد] جعله الله لمن لزم أمره وأجشم نفسه مكروهها في مواطن الصبر على المصيبة، والشكر في حال العافية .

### وله في المطر

قد كنتُ كتبتُ الى أمير المؤمنين أعلمه المطرة التي أصابتنا، وما أنزل الله بها من رحمته ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمة، بولي مقلد أنزله الله بأحسن ما رأينا من المطر وأبلا جوداً، لا يفتر غزيره ولا يرعى جوده، إلا الى ديمة عن ديمة، يتراخى إليها يسيراً ريثما تعود، فأقامت علينا سماءه مستهلة بذلك وكذلك الى غروب الشمس؛ ثم أقطع مطرها بسكون من الريح، وتعود من القز، وفضل من الله عظيم، ينشره رحته، ويسط به رزقه، فاسبح النعمة، وأوسع البركة، وأوبق بحمد الله معارف الخصب والحي. والله محمود على آلائه ومشكور على بلائه، وما أنزل الله من سقياه ورحمته، بعد الذي أقبلت به السنة البرية والقحط وعدم الإمطار، وشدة ما بلغ الناس من الفتوط وسوء الفنون .

### وله الى بعض إخوانه

أما بعد، فإن أعظم الأمور فيما بين الناس حقاً أمران: منهما الإخاء في الدين، فهو سبب وصية الله بين عباده بالألفة والمحبة التي أقطعت بها قرائن القلوب من بعضهم الى بعض، فاتصلت بمباثلهم سراثر حبها. وتقطعت فيما بينهم عاطفات وصلها؛ ومنها مجاملة جميل الأعداء، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء؛ ثم الصنائع بعد ذلك في مواقعها فضائل بقدر ما جرت به أسبابها ولطفت مداخلها .

فصل — الصناعة ليست يزيد بها الأخلاق الجميلة . ويزيد في أسبابها أواصر المودة؛ وقد جعلك الله في صناعتك مقدماً، وفي مودتك متفضلاً؛ فلا زالت عنك نعم الله، ولا يرحت سكا لإخوانك، وأنسا وموضعا لما تستميجون من معروفك، ويستميجون من يدبرك .



فصل — إنَّ لك من قلبى لموضعا معدورا بالموَدَّة والنُّصَّة ، والاسترسال  
والأُتْسَة ، فلا تُخْرِج فلانا من سعة جِـمـيل بَرِّكَ ، الى عُنُقـي استحقاقه .

### آخر

قد طالت العِـصـابة اليك ، وللدهر عَقَبُ عائدة بالنفع والصنع ، ولا سَمَـيـا لمن كان على  
مثل شاكلتك فى أدبك وفضلك وإنصافك إخوانك وبرِّك بهم ، وما توجه على نفسك  
لهم مما يُقْصرون عن شأوك فيه .

### الكلبي

كان أسلافنا قمارضوا دُيوننا من الصفاء يَسْتَأْذِنُها كُلُّ عَقَب من صاحبه ؛ وقد أوردونا  
موَدَّة لا تَجِـزُ عن اكتساب مثلها .

### ابن أُعَيْنَ كاتب الخيزران

ليس يكون منك شيء وإنْ حَسُنْ ، إلا وَحُسْن ظُنِّى بك يَلْفُهُ ، فاستمَّ أَحْسَنَ ما كان  
منكَ ، يَتَمَّ لك أَحْسَنُ ما يُحِبُّ مِنِّى . ولا يَمْنَعُكَ الا كُفْءُ بِمالك اليوم من طلب الزيادة  
فى غد ؛ فَاتَّه لَقَلَّ شيءٌ لا يَزِيدُ إِلَّا نَقَصَ ، والزمان يَحْقِقُ الكثير ، كما يربو على الزيادة القليل .

### ابن الكلبي

أنت من أطول بمكانه وأنىَّ بِجِـمـيل رأيه ، وأَعْتَمِد على رِفْدِهِ ، وأرجو دَرْكَ كُلِّ فَضِيلَةٍ  
به ؛ وَمَا أَحَبَّ عِلْمَهُ مَقَرَّ نِعْمَ الله عز وجل لديك .

### على بن عبيدة الى ابن الكلبي

وصل الله أيام غُرَى باتِّباع موافقتك ؛ ولولا موعد أخذ لى ، لأطعنت فيما أمرت به ،  
متَّبعا مع إجابتك سرور نفسى برؤيتك فى السلامة .

أما بعد ، فإني أصبحت وقد استفرغ الأَمْرُ مِنِّى كُلَّ موَدَّة ونصيحة ، ومبلغ جهـد  
وطاقة فيما عرفتُ له فيه موافقة .



**فصل —** فإن الذي شَعَبَ الله بيننا من التواصل والكتائب، يدعوني الى متابعة الكتب اليك في تمهّد حقك ، وإن كان الخبر عن ظاهر الحال قلباً يفتنى، فإنك له من الأئس والموقع في الكتب ما ليس لمُستعرضات الأخبار .

**فصل —** قد كنتُ أطلعت الأمير انقطاع بنى فلان الى فلان ، بأهوائهم وبصائرهم وشراء ما قبّله بغيره، وما كان وصل اليها في ذلك من الأمور التي حملوا إصرها، وتبي لنا أجزها وذكرها وناقشتها وسابقتها، فنحن عدد الأمير وتخبأياه وذخائره، ومن يأمل يومه وغده، ولا متخطئ له عنه ولا مقتصر دونه .

### عمارة

بلفنى كتابك يصف كفا . فإن رأيت ألا تتمد على ما لصقت [به] من مذرك، وأطلعت فيه الهوى من قبول عفوكم، ويجعلني أحد من يُسر بسروركم، وتُسرِك في مهمات أموركم، فإني أحثهم وأوسطهم عناية بما عتاك وتوسطا لما عراك، فقلت .

**فصل —** والدنو من دارك إذ الدار جامعة والحبل مُتصل، إذ نحن في الاستيفاء بالخبر والعلم بدخلة الحال، بمنزلة من كانه يُعاني من يشاق اليه ويصعبو به في كل يوم، حتى نأت النوى، وأنت في اللقاء والإنظار في كل أمر وعلى كل حال من لا يسك في صفاء غيبه، وصدق إخوانه .

**فصل —** مُشاركتنا إياك في محبوب الأمور ومكروها يحلنا محلك في السرور بالنعمة يحدّها الله لك ، ويُوجب من الشكر علينا مثل الذي يوجب عليك . فوصل الله كل نعمة يهبها لك من الشكر بما يكون لحقها قاضيا، ولزّيد فيها موجبا .

### سعيد بن عبد الملك

كبت على شغل في قطع من القيرطاس، ولم يقطع بي حسن الظن بك في قبولك العذر، وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه؛ فإنك تقبل دون حقك، وتهب الذنب فيه، فيكون شكرُك

(١) في الأصل : « ... وسراء ما قبله ... » : (٢) في الاصل « طها ... » وهو لا يرقى الفرض المراد .



جاريا على سبيلين، كلاهما يُبين لك من فضلك، ويوجب لك مالا يَقْصُرُ معه إلا مغبوءُ  
الحظ خسيسُ التصيب .

فصل — وقد ظهر من أمير المؤمنين في فلان بعد وفاته، ما هو أعدل شاهد على  
حسن مُتَقَلِّبه، ورَدِّ اليك من رأيه وتفقده ما أرجو أن يكون فيه أعظم العَوَض . والله  
أَسأل أن يتولى لك أمورك في المراء والضراء، والشدة والرخاء، والشكر وحسن العزاء .

### جبل بن يزيد الى بعض إخوانه

ثم الله علينا وعليك النعم، وأَجَزَلُ لنا ولك محاسن صالح القِسم . إن الله تبارك وتعالى  
أجرى بيننا وبينك لطيف مودة، وخاص أخوة، غير أن المعرفة قد تُحمد بعد الخبرة،  
والثقة إنما تعرف بعد التجربة، وقد أحببت أن يعلم من قبلك<sup>(١)</sup> الذي أحدث الله لك من  
حال دولتك، وأن يعلم هل أبقيت لنا منك النعمة سعة، أم تركت لنا منك صفة نعرف  
بها عهدك ونأمل بها وصلك؟ فإن أصحاب السلطان، بحال بلوى في التغير والانتقال،  
إلا من نأثته من الله تبارك وتعالى عصمة . فإن كنت على ما رجونا من الوفاء، وحسن  
الحفظ للمودة والإخاء، فنلتك لم يرض لنفسه إلا بأجل الأخلاق وأوفىها للسداد . وإن  
حيزك من ذلك ما تأتى به الأقدار في مُتَصَرِّف الليل والنهار، نَعذرُك بما نَعذر به أهل  
السلطان، إذا غيرتهم الحال، وتكرت شنائهم بين الإخوان .

### وله الى بعض إخوانه أيضا :

إعلم أني اليك مشوق، وأن صلة الإخوان كرم، وخير الصلات ما لم يكن لها وجه  
إلا الرجاء والحفظ وتجديد المودة وتصحيح الإخاء؛ فإن الذي يكتب إخوانه على حال  
الرغبة يكفى القائل كتابه حيث شاء، إن أحب مال به الى النصحة، وإن شاء وضعه  
لرغبة . والرغبة أمنكهما به . والذي يكتب إخوانه على حال الضرورة، فقد يستقطع الصلة<sup>(٢)</sup>

(١) انظر الفصل : ٥٠ : ٤٠٠

(٢) انظر : ١٠٠ : ١٠٠

(٣) انظر : ١٠٠ : ١٠٠



عند الحثث غافّة <sup>(١)</sup> للامة من الناس على القطيعة الشّعاء المشهورة لإخوانه ، فإنّ الذى لا مودة له قد يصل ذلك فى تلك القطيعة بأهل البلاء .

والكتاب على مثل حالنا وحالك اليوم شاهد على أن ذلك ليس إلاّ صفة الإخاء والشوق الى المهادنة بالكتاب ، حين لا يلومك الائمون لمقالة البلاء تلك الائمة على التقصير ، ولا يوضع منك الرغبة فى الإطعام . إياك أن تمتلّ بالأشغال أن كنت فى خاصة نفسك ، فإن أداء الحق وصلة الإخوان أعظم الخاصّة بك خاصة . وانما أمرنا فى كل هذا كأمرلك الذى يستغنى من خاصتك تلك التى لنا . فإن لنا ما لك ، وهذه التى لنا لك ، أليس ماسترنا سرّك وما سلبناه حفظا لك ، فهذه كذلك وذلك كهذى . والله يوفقنا وإياك . وأنت أبا يوسف . هكذا حال ما بيننا وبينك ما وصفت لأبى سعيد ، غير أنه سألنا أمرا لم يسألناه قط ، فله فضل سبق علينا فى المسألة ، ولنا فضل المتلة عليك فى الائمة . ولن أدحك والفضل ، دون أن نسقّمه بالعمل الذى هو صلة القول . وسلام عليك ورحمة الله ، وقضى الله عز وجل بالحسنى لنا ولك .

فصل — أتانى كتابك ، فأضمت أن يسرنى بسلامتك ، وما حاق فيه كرم برّك ، ولطيف عنايةك ، ما لم أفقد فى حالة من حالائك . فكان الكتاب مصدقا لما سلف ، مبهرا بما يستأنف ، مذكرا منك عهدا موصو <sup>(٢)</sup> مثاله طرفى وقلبي ، ملصقا ذكره بلسانى وقلبي . فلا صدمتك . بل أمتنى الله بك فأطال ، وكثرتى ببقائك .

فصل — أتانى كتابك فطامن قلبي وطرفى ، بعد ما كان شاخصا اليه ، منشوقا الى رؤيته ، ثم ملائى سرورا ما رأيت فيه من آثار برّك وكرم تفقّدك . وأفضل ما عندي منك قبّله ، مما إن ذكرته ، فلا استراحة الى الذّكر ، وإن أمسكت ، فلهجز عن الشكر . فأما الضمير فنبى على الإقرار بفضلك ، والنية خالصة بشكرك . وقليل ذلك لك ، فأعطاك الله فأطاب ، وهب فأجزل .

(١) فى الأصل : « غافّة السّلامة من الناس ... » . (٢) فى الأصل يابض . (٣) فى الأصل : « فالاستراحة » . ...



**فصل —** وصل الى كتابك ثَقِيل لى حين نظرت الى أثر يدك تجرى قلبك فى بطن صيفتك ، ألك ماثل بين عيني : أنظر الى شخصك وأسمع من لفظك ، فابتعث ذلك منى طربا شاقا ، وصبا به هيجت الأحران وذكرت الإخوان . وكنت من إخوانى الذين أنظر بسلامتهم للود الذى أجرى الله بيلدا وينك ، فتواصلنا بحرمته ، وتعاطفنا بوصله .

**فصل —** إن الله جعل عاقبة كل نعمة وإن عظمت ، تبعا لأولها ، وجعل الشكر عليها سببا لتبناها وموجبا لأحسن الزيادة منها .

**فصل فى شكر —** فإن الله جعلك لخير مبدنا ، وللفضل موضعا ، فيها حملته نفسك من ثقل أعباء المروءة ، وسمحتها عليه من عظام المكارم ، حتى صرت بما أنعم الله به عليك ، منتهى كل أمل و غاية كل رغبة . ثم ألبست النعمة لباس التواضع ، وناسبت فى الأخلاق من سبقت به عليك الأمور ، حتى كأنهم فى النعمة لك شركاء . وتحننت على الأقربين والمتقربين من الإخوان والأكفاء ، حتى كأنهم لك ولد ، وأجبرت نفسك حين ساعدك الدهر ، على طيبة التقرب الى العامة ؛ فكلهم يبدل اليك بدلو رغبته . ويمتاع منك متاعه فضل ؛ فلا علمت ألا تزال تبعث سقطة ، وتقبل عثرة ، وتسد خلا ، وتكيل أملا ؛ ولا عديم من شهد ذلك منك ، أن يمتد هذه النعمة عليك وعلى نفسه ؛ فإن من سعادة العامة أن يعمل سائرها عند خيارها . ومن البلاء العظيم عليها الموبجع هنا ، أن يخص شرورها بموضع رغباتها .

فاسلم كلاك الله بهذه النعمة . غير متقص بها ، ولا مكدر عليك صفوها ، حتى تسلمك النعمة العاجلة الى النعمة الباقية ؛ فإننا وإن سلمنا أن من سأن الدهر القدران فى العواقب فقد علمنا أنك فيما أهدى الله اليك من النعمة ، قد أديت حق الله عز وجل ثم حق إخوانك فيها . فكنت أنرم نال فضلك ، كرما فى السناء ، ورضا فى الآثر ، غير متطاول لما . ولا متقصص لما تحذر . فإنا تجرى شكر الماضى منك ، ورجاء الباقي ،



فَرَى تَضَمُّعًا مَنَا فِي عَقْدِ الرَّأْيِ ، وَإِزْرَاءَ بَنَا فِي وَثَاقِ الْأُمُورِ ، أَلَّا تَمَحَّكَ مِنْ أَنْفُسِنَا  
مَوَدَّةَ الْوَلَدِ وَرَقَّةَ الْوَالِدِ . وَإِذَا أَعْطَاكَ أَمْرٌ ثَمَرَةً فَوَاحِدَةً ، قَدْ فَرَّخَ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيعِ حَقِّكَ ،  
لَأَنَّ ذَاتَ يَدِ أَمْرِي فِي الْبَذْلِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ فِي الشُّكْرِ . وَكَفَى لَأَمْرِي مِنْ أَمْرِي  
أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْعَ لغيرِهِ فِيهِ فَضْلًا . وَكَفَى بِكَ لَنَا مِنْ فَيْدِكَ . وَكَثِيرٌ مِمَّا أَنْ تَقْوَى  
عَلَى آدَاءِ أَهْلِ صَنْوَفِ حَقِّكَ ، غَيْرَ أَنَّ أَوْثَقَ أُمُورِنَا فَيْدُكَ عِنْدَ أَنْفُسِنَا أَلَّا نَسَامَ النَّظَرَ إِلَى  
فَيْدِنَاكَ بِهَيِّجِينَ بِكَ إِنْ بَرَزْتَ ، وَعَاضِدِينَ لَكَ إِنْ شِغِلْتَ .

فصل — إِنَّ الْهَدْيَ وَالضَّلَالَةَ يَتَسَامَانُ دَوْلُ الْأَزْمِنَةِ ، لَغَيْرِ كَرَامَةِ الْبَاطِلِ ، وَلَا  
هُوَ الْخَلْقُ . وَأَهْلُ الْحَقِّ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي كَرَامَةِ مَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنِعْمَةً يَنْ  
دَوْلَةً تَكُونُ لَهُمْ ، يَقُومُونَ لِلَّهِ فِيهَا بِحَقِّهِ وَيُظَاهِرُونَ هُدَاهُ وَدِينَهُ ، وَدَوْلَةً تَكُونُ لِلْبَاطِلِ ، يَكُونُونَ  
فِيهَا كَهُوفًا لِلْغِيَرَاتِ ، وَمَعْدِنًا لِلْمَسَاتِ ، يَسْتَكِنُّ الْحَقُّ فِي صُدُورِهِمْ ، وَيَأْوِي الْبَرُّ وَالصَّادِقُ  
إِلَيْهِمْ ، فَهَمَّ يَنْ يَوْمَئِذٍ صَبْرٌ وَشُكْرٌ ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا دُونَ صَاحِبِهِ فِي الْفَضْلِ .

وَأَهْلُ الْبَاطِلِ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ أُمُورُهُمْ يَنْ تُخْطِطَ اللَّهُ وَعَقُوبَتُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ  
فِي الْبَاطِلِ قَرَجًا لِأَهْلِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ كَانَتْ إِمْلَاءً وَاسْتِدْرَاجًا ، وَكَانُوا فِيهَا عَلَى مَدْرَجَةِ  
هَلَكَةٍ وَسَبِيلِ نِقْمَةٍ ؛ وَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، كَانُوا فِيهَا بَيْنَ ذُلِّ وَضَمِيمٍ ، وَخَوْفٍ  
وَجَزَعٍ ، وَقَدْ سَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَطَالِعُ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ . فَفِي أَيْ يَوْمِهِمْ  
مُسْتَرَحَمُهُمْ : أَيُّومَ دَوْلَتِهِمْ ، وَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ النِّعْمَةَ وَلَا يَقْطَعُونَ أَسْبَابَ النِّقْمَةِ ؟ أَمْ يَوْمَ  
عَلَوِ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى الْحِنَةِ وَلَا يُصْبِرُونَ مِنَ الْعَمَى ؟ وَأَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ  
حَالِي غِيْطَةٍ وَحَسْبَةٍ ، وَأَهْلُ الْبَاطِلِ بَيْنَ حَالِي إِمْلَاءٍ وَنِقْمَةٍ .

فصل فِي صِفَةِ الْجُنْدِ — إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَهْوَاءِ جَمَاعَةٍ مِنْ عِظَامِ أَوْلِيَاءِ الْأَمِيرِ  
وَجُنْدِهِ عِظَامُ الْأَمِيرِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِ وَمُنَاصَحَتُهُ وَطَاعَتُهُ ، وَمُعَادَاةُ  
صَدُوِّهِ ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ يَسْتَلْتُونَهَا وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِهَا ، وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَى الْأَمِيرِ بِخِزْيِ قَوْمِ خَالِقُوا .



**فصل —** حل بين فلان وبين التشريد بهم والاجتياح لهم ، فإذ ذلك أَرْضَى  
لربك ، وأجمع للألفة ، وأقوم لعمود الخلافة الذى سَدَّدَ الله دعائم الإسلام وأَسَّسَ الدين به .  
وَأَظْهَرَ أَنَّ مَنْ حَاطَ الله دِينَهُ ، وَرَمَتْ عَنْ قُوَّةِ الْجَمَاعَةِ ، وَطَادَى أَهْلَ النُّقْضِ لَهَا ، ابْتَعَثَهُ اللهُ  
أَمْنًا مِنْ هَوْلِ الْحِسَابِ وَضِيقِ الْخَشَرِ ، وَاقَهُ بِنَصْرِهِ أَحَقُّ وَأَوْلَى . وَكَنَّ اللهُ بِحَيْثُ افْتَرَضَ  
عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ) .

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى رجل لم يكتبه  
لست بما صرَّفتَ الى من معروفك بأسر منى ، بما أهديتَ الى من قضاء الحق عنك ،  
وقلة ذوى الحرمة بك ، لأنك قد تصل من لا يثق ولا يأس آلا بمن يتيمد عليه .

كتب الفضل بن يحيى الى رجل يُساوره فى أمر حَدَثَ  
ليس كل امرئ وإن كان ذا عَزِيمَةٍ فى رأيه ، وأَصَالَةٍ فى عقله ، بمستغنى عن مَكَاشِفَةِ  
أهل الرأى ، لتوزيع الله عز وجل ، أَسْأَمَ الفضل فى خلقه ، وإشراكه لإِهَامِهِ ، فى عطاياه ،  
فَرَأَيْكَ فى كَذَا .

ركب ابراهيم بن المهدي الى أحمد بن يوسف ، فكتب أحمد  
الى إسحاق بن ابراهيم الموصلى  
هندى من أنا عبده ، وَجَّهْنَا عَلَيْكَ ، إِعْلَامُنَا إِذَاكَ .

### توسل

توسل رجل الى رجل بمحمد بن عبد الملك وأدعى قرابته منه ، وبلغ ذلك عمدا فكتب  
الى المتوسل اليه :

بلغنى أَنَّ رجلا ادعى قرابتي ، وأورد عليك سَابَا ذكر أَنَّهُ مِنِّي ، وما أَنْكَرَ أَنْ يَنْفِخَ بِي  
مَنْ تَوَسَّلَ بِنَسْبِي ، إِلَّا أَنَّهُ مَنْ ادَّعَى قَرَابَةً ، وَلَا قَرَابَةَ لَهُ ، كَانَ اسْتِمْعَالُ الشَّفَاعَةِ فى أمره أَوْلَى .



كتب طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل  
أسعدك الله بحاربك، التي بذلت فيها مجهجتك، ومُهَجَّ مَنْ هُوَ مَوْصُولٌ بِكَ مِنَّا .

محمد بن الجهم

وليس في جميع الناس أصدى لك : من صديق مؤمل، أو حميم راجح، إن منعتهما شتاك  
وبهتاك، وإن أعنتهما لاهيه اختلاك<sup>(١)</sup> .

محمد بن مسعر

قال : كنتُ أنا ويحيى بن أُنْثَمٍ عند سُفْيَانَ، فبكى سُفْيَانُ، فقال له يحيى : ما يُبْكِيكَ  
يا أبا محمد؟ قال :

بعدُ جالستُ مَنْ جالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبْتُيْتُ بِحَالَتِكُمْ ؛  
فقال له يحيى : فقصيبَةُ مَنْ جالستَ منهم يحالستهم لِمَاكَ بعدَ أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أعظمُ من مُصِيبَتِكَ بنا؟ فقال : يا غلامُ، أظنَّ السلطانَ سيحتاج اليك .

دخل ميمون بن مهران على بعض خلفاء بني أمية — وأحسبه عمر بن عبد العزيز — فقال  
له وقد قصد في أخريات مجلسه : عظمى، فقال له : إنا لك لمن خير أهلِكَ إنْ وقَّيْتَ ثلاثاً، قال :  
ما هن؟ قال : السلطانُ وقدرته، والشبابُ وغزوه، والمالُ وفخته، فقال : أنت أولى بمكانى  
مَنْ قارنهم اليَّ؟ فأجلسه معه على سريره .

ابن وهب في الاعتذار

أو لم تَعذَرَكَ لَمْ نَعذَرَ أَنْفُسَنَا بِقَطْعِيَّتِكَ، فَكُنْ لَنَا فِي لَأَمَةِ نَفْسِكَ، كَمَا تَكُنْ لَكَ فِي عَذْرِكَ .

وفي مثله

ليس في الإساءة فضلٌ عن الاعتذار، وفي عائدتك فضل عن إساءتنا، فمن أين يسقط  
بين فضلك والاعتذار !



## آخر

فلان من حملة المعروف، يكثر عندهم قبله في شكرهم، ويقل لهم كثره في عظيم حقوقهم .

فصل — لن عمتُ عن الرأي فيك، لقد أبصرته بك .

فصل — تقيب فاشتاق، وتلقى فلا أشتى .

## ٢ — فصول من رسائل مختارة في كل فن

وهي مثل مما كتب به الكتاب في أبواب لا نظير لها

فن ذلك ما عُجِبَ به في التحميد لله عز وجل في أوائل الفسوح وأواخرها وأوائل الكتب التي فيها تحميد الله عز وجل .

## التحميد الأول

الحمد لله القادر القاهر، المتوحد بالسلطان والربوبية، والمتفرد بالبقاء والقدرة، والمتعبر بالكبرياء والعظمة؛ ذي الجلال والإكرام، والإفضال والإنعام، والعز والبرهان، والأسماء الحسنى، والمثل الأعلى؛ الأول بلا غاية، والآخر بلا نهاية، الذي لا يحيط به وصف الوصفين، ولا تبلغ مدى عظمته أوهام المتوهمين، ولا تتركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير؛ لا يؤوده حفظ كبير، ولا يعزب عنه علم صغير، يعلم خائفة الأميين وما تُخفي الصدور، وما تسقط من ورقة إلا يسلمها، ولا حية في ظلمات الأرض ولا رطيب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

## التحميد الثاني

الحمد لله الذي خلق الأشياء على غير مثال ولا رسوم، وأنشأها على غير حدود، ودبر الأمور بلا مشير، وقضى في الدهور بلا ظهير، وسمك السماء بقدرته، وبنها على إرادته، وأسكنها ملائكته الذين أصنافهم لمجاورته، وجبلهم على طاعته، ونزههم عن معصيته،



وجعلهم حلة عرشه ، وسكن سماواته ، ورسله الى أنبيائه ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ؛ ودحا الأرض وبسطها لكافة خلقه ، وقسم بينهم الأرزاق ، وقدر لهم السموات ، فهم في قبضته يتقلبون وصل أفضيته يتجرون ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

### وصدر تمجيد مفرد

الحمد لله العليّ مكانه ، المتبر برهائه ، التامة كلماته ، الشافية آياته ؛ والحمد لله وليّ أوليائه وصنّ أعدائه .

### وصدر تمجيد

الحمد لله الغالب الذي لا يُقَلَّب ، والمُقتدر الذي لا يُعَان ، والمُنْجِز وعدّه ، والمؤيّد أوليائه ، والخاتم بالفلج<sup>(١)</sup> والظهور لهم ، والمُبدِّل من أعدائه ، ومُحِيط دائرة السوء بهم .

### ولكاتب خُرْجَة بن خازم في فتح الصَّنَابِيَّة تمجيد مختار

أما بعد ، فالحمد لله ذي الملكوت والقُدرة ، والجبروت والعِزة ، والسلطان والقوة ؛ أهل المحامد كلها ، ومدبر الأمور وآيها ، وخالق الخلائق وبارئها ، ومحييها ومحييها ، وباعثها ووارثها ؛ الذي أوجب على نفسه بما نفذ من مشيئته ، وسبق بين علمه ، وثبت في اللوح المحفوظ عنده إعزاز دينه ، وإظهار حقه ، وإعلاء كلمته ، وإللاج حجته ، وإزهاق باطل أعدائه ؛ الصابرين عن طاعته ، والجاحدين لربوبيته ، المكذّبين بكتبه ورُسُلِهِ ، بلغ بذلك أمره ، ونطق به كتابه ؛ فإنه يقول تبارك اسمه في المتزلّ من فرقائه : **يَرْبِلْ قَهْدٌ وَالْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ قَيْدَمُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** .

### وتمجيد لأحمد بن يوسف الى الوُلاة عن الخليفة

أما بعد ، فالحمد لله ذي المِنَّة الظاهرة ، والتمجُّج الدهرية ؛ الذي قطع بينه وبين عباده المعنوية ، ورادف عليهم اليقينة ، ومُهَلِّة النَّظَرَة ؛ وجعل ما أتاهم من حظوظ الدنيا بالقسم

(١) ملج : حلب وعند . يملج فلان من حصه . نى صب وطهر .



المكتوب، وما أذخر لهم من ثواب الآخرة بالتبضع المطلوب؛ فهم في العاجلة شركاء في النعمة، وفي الآجلة شقي في الرحمة؛ يختص بها أهلها المستفيعين بما ضرب لهم من الأمثال، وتصريف الحال بعد الحال؛ المباشرين بأعمالهم إلى اقضاء مديد آجالهم، قبل حلول ما يتوقع، وفوت ما لا يرجع.

ونحمد لبراهيم بن العباس في فتح اسحاق بن اسماعيل الحمد لله مَنزِلَ الحق ومُؤدِّيه، وقَامِعِ الباطل ومُزِيلِهِ، الطالِبِ فلا يفوته مَن طلب، والغالب فلا يُسْجِزُهُ مَن ظَلَب؛ مُؤَيِّدِ خليفته وعبدِهِ، وناصِرِ أوليائه وحزبه؛ الذين أقام بهم دعوته، وأصل بهم كلمته، وأظهر بهم دينه، وأدال بهم حقه، وجاهد بهم أعداءه، وأثار بهم سبيله؛ حمداً يَتَقَبَّلُهُ ويرضاه، ويوجب أفضل عواقب نصره، وسواغ نعماته.

### التحميد الثاني

الحمد لله الغالب ذى القُدرة، والقاهر ذى العِزة؛ الذى لم يقابل بالحق باطلاً في موطن من مواطن التحاكم بين عباده، إلَّا جعل أولياء الحق منهم حِزْبَهُ وجُنْدَهُ، وجعل الباطل بهم فلا منكوبا، ودَحِيزاً زَهُوقاً؛ إن نهَضَ به أوليائُهُ كانت مراصدُ عواقبه مُفَرَّقَةً ما جُمِعَ، ومُتَبَرِّكةً ما أُعِدَّتْ، وقائمةً بأشياعه إلى مَصْرَعِ الظالمين، حتَّى يكون الحقُّ الطالِبُ الأعزُّ، والباطلُ المطلوبُ الأذلُّ؛ وأولياءُ الحقِّ الأَعْلَى يداً وأيدا، وأشياءُ الضلالِ الأَخْصَرِينَ أَعْمَلاً وكيداً؛ قَضَاءُ الله وَسُنَّتُهُ، وعادةُ الله وإرادَتُهُ، في الفِئَةِ المنصورة أن تَمزَّ فلا تُرام، وأن يُمكنَ لها في الأرض كما مَكَّنَ للذين من قبلها؛ وفي الفِئَةِ الناكِينَ عنه، أن تَرِلَ فتكونَ كَلِمَتِهَا السُّفْلَى، وكَلِمَةُ الله هي العليا، والله عزيز حكيم.

### ونحمد له مبتدأ مقام بين يدي خليفة

أما بعد، فالحمد لله الأول بلا أَيْدٍ يُحْصَى، والآخِر بلا أَيْدٍ يَفْتَى؛ الظاهر خَلْقُهُ بعِزَّتِهِ، العزيز في سُلْطَانِهِ بِعَظَمَتِهِ، القَرْدُ في وَحْدَانِيَّتِهِ بِقُدْرَتِهِ، المَدِيرُ في مَلَكِهِ بِجَبَرَوْتِهِ؛ الذى نأى عن الأشياء أن يكون فيها تَحْوِيّاً، واتصل بها فلم يَكُ من علَّها خَلِيقاً، وهو فيها غير مُسْتَكِنٍّ،



ومعها غيرُ مُتَمَسِّ في بلج البحار، ومفاوز القفار، وشواخ الجبال، وكُثبان الرمال؛ مع كلِّ خَلْقٍ، وفي كلِّ أَفْقٍ، وعلى كلِّ شَرْفٍ ومكان، وفي كلِّ وقت وأوان، موجود إذا طُلِبَ، وقريبٌ حيثُ نُدِبَ؛ عالمٌ خَفِيَّاتُ الغيوب، وخطراتُ القلوب، وما في السموات وما في الأرض، ما يكون من تجوُّي ثلاثةِ الأَهِوارِ بهم، ولا خمسةِ الأَهِوارِ سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثرُ الآهِوارِ معهم؛ وما تسقط من ورقة ألا يسلبها ولا حبة في طُكُمَاتِ الأرض ولا رَطْبٍ ولا يابس إلا في كتاب مبين .

### وتحميد ثلث يتلو الأول

الحمد لله المتعالي عن تشبيه الجاهلين، وتحديد الواصفين، وتكليف الناعين؛ يُوصَفُ لا بالعرض والطول، ويُنَمَّتُ بغير الشيع المثلث، ويُحَدُّ بالخلق الملعود، والجسم الموجود؛ بل يُتَنَاهَى من وصفه، إلى ما دلَّ عليه من ضنعه، ويُوقَفُ عليه من نعته، على ما أخبر به عن نفسه؛ وكيف يُوصَفُ مَنْ لم يَرَهُ أحد، ويُحَدُّ مَنْ لم يَحُدَّهُ بلد؛ أو يُشَبَّه غيرُ ذِي أَعْضَاء، أو يُكَيَّفُ غيرُ ذِي أَجْزَاء؛ لَوُرِّيَ لَوُصِفَ، ولو وُصِفَ لِمَثَلٍ، ولو مُثِّلَ لَكَانَ لَهُ نَظِيرٌ؛ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، لا تُحِثُّه الأقطار. ولا يحويه قرار؛ ولا تُدِيرُهُ الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير؛ لا يوصف أولاه، ولا يُدْرِكُ أَثَرَاهُ، ولا يُعْرَفُ مُنْتَهَاهُ؛ عَظُمَ أَنْ يَحْصِرَهُ وَهْمٌ، وَجَلَّ أَنْ يُدْرِكَهُ فَهْمٌ، وَاسْتَعَمَّ أَنْ يَخَالَهُ عِلْمٌ، ولا يُبَيِّنُهُ لَيْلٌ ولا يَوْمٌ؛ ولا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ، له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يَشْفَعُ عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ولا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

### وتحميد ثالث

الحمد لله الذي أَلْهَمَنَا مِنَ الْإِقْرَارِ بَرْوِيَّتَهُ . وَالْإِيمَانَ بَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ ذِي صَاحِبَةٍ يَسْكُنُ إِلَيْهَا مِنْ وَحْشَةٍ، وَلَا وَلَدٍ يَتَكَبَّرُ بِهِ مِنْ ضَعْفِ قِلَّةٍ، وَلَا شَرِيكَ يَعْاوَنُهُ مِنْ عَجْزِ قُدْرَةٍ، وَلَا ظَهِيرٍ يَكَانِفُهُ لِمَلَالِ قُدْرَةٍ؛ مَا جَمَلَ لَنَا بِهِ أَوْثَقَ الْأَسْبَابِ لَدَيْهِ، وَأَرْجَى الْوَسَائِلِ



إليه ؛ إذ كان من أنكر ما دللنا الإقرار به يصير يحمّد ما أخفنا الاعتراف فيه ، الى أليم عقوبته بالمعصية التي استحكمت السُّخطة على أهلها ، وعلّت النّعمة بمن فارقتها ؛ ثم جعلنا تبع إشراف كثير على أنفسنا في مشيئة منه ، بسط اليها آمالنا وأحسن عليها أطرافها بكرم صفوه ، وعظيم جلّله ، وسعة رحمته ، التي وعد أهل الإيمان بها ؛ إذ صار من فارقه في ذلك بما استهوت طيهم ، بترينه لم شياطينهم ، ورائت على أفئدتهم ... وما ظلمته قُرباؤهم الى الناس من كل طمع يُعدي وخبر يُجبي ؛ جرّأ بما أشركوا بالله ما لم يقرّ به سلطانا ، إلّا الله لا يفِر أن يشرك به ، ويتغير ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يُشرك بالله فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

### ونحميد يتلو الثالث في هذا المقام

الحمد لله الذي ابتدع لا من شيء ما أنشأ ، وابتدأ على غير مثال ما ابتدأ ؛ فجعل كثيرا من لطائف تقديره ، وصنوف تدبيره ، وتصاريف أموره ؛ مُججبا واضحا ، وآيات بيّنة ، وعبرا شافية ؛ تُشهد له بجزّة القدرة ، وقاذا الحول والقُوّة ؛ فخلق مدبرا بلا مشورة أحد ، مسبعا دحاهن على الماء على غير سَنَد ؛ مبسوطات في تكاثف أجزاءهن ، على معين ماء مسخر من تمتهن ، فخر خلاق أنهارا ، وقدر فيق من المعاش أوقاتا ، وجعل لمن في الجبال أوتادا ، ثم استوى الى السماء وهي دُحان ، فقال لها ولا أرض آتيا طوما أو كرها قالتا آتينا طالمين . ففطر من الدُّخان في خفته على الهواء سبعا ، جعل بينهن من الجو مُتسعا ، سبع سموات طباقا مَرْتَفَعَات ، بلا دعائم قبلها ولا علاقات ، يُسكهن بقدره أن يرتفعن فوق ما حبسهن طبعه ، وأن يهوين الى قرار دون ما رفعهن إليه ؛ فأنفن صنعها ، وأوحى في كلّ سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بالمصابيح النيرة ، والتهب الثاقبة ، والنجوم الواضحة ؛ وصحّر الشمس والقمر علما للهتدين ، وسراجا للبصيرين ، ورجوما للشياطين ، وأوقاتا لاحتلاف السنين ، ومعرفة لكل حين ؛ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل



سابق النهار وكل في فلك يسبحون ؛ ففضاهن سبع سموات في يومين ، ولو شاء خلقها في أسرع من طرف العين ؛ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ؛ بلا معاناة لقول ، ولا ضعف من حول ؛ ثم أسكنهن من خلقه ملائكة اصطفاهم لعبادته ، واجتباهم لتبليغ رسالته ، معصومين من أن يشركوا بالله ، ما لم ينزل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله إنيكا وبهتان ؛ يسبحونه بالليل والنهار لا يفترّون ولا ينامون من عبادته ، ولا يستحسرون من طاعته ؛ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

### ومحمد في فتح لابن العباس

أما بعد ، فالحمد لله الذي حمد نفسه ، وفرض حمده على خلقه ، وأعز دينه وأكرم بطاعته وأولياه ، وأكرم طاعته وأوليائه ، بفعل جنده منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالين ؛ نزع بهم سبله ، وأقام بهم محبته ، وجاهد بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقه ، وقمع بهم الباطل وأهله ، وأصل كلتهم ، وأب نصرهم ، وألف لهم وبهم ، وهكن لهم في الأرض ، فجعلهم أئمة وجعلهم الوريثين .

والحمد لله المعز لبيته ، المظهر لحقه ، الناصر لخلعائه ، المنكح لحزبه ، المنتقم بهم ممن صدف عنه ، مؤيداً دينه بالنصر ، ليظهره على الأدبان ، وحقه بالعز ، فلا أتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وجوده بالقبح فهم الأعلون إن استنصر بهم ، والأعزّون إن كادهم ؛ والأمريون منه إخلاصاً وعملاً ؛ حمد يؤازري نعمه ، ويتمرى بنتله فواضله ومزيده .

### وله في فتح ابن البعث لما ظفر به

أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخالعائه ، وهادى أوليائه ، وأولياء الحق وحرب الهدى . الذين أقام بهم سبل ارتداد ، ونصب بهم ملاح الدين ، فطهره على الدين كله ولو كره المشركون .



## وله صدر كتاب الخليس في تمجيد الله وتمجيد

أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت منته ، وثابتت أباديه ، وحم إحسانه ، إله كل شيء وخالفه ، وبارئهم ومصورهم ، والكاثر قبلة ، والباقي بعده ، كما قال في كتابه : ( كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) . العالی فی مشیتہ والقاهر فوق عباده ، المتعالی عن شبه خلقه ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، خلق العباد بقدرته ، وهدهم برحمته ، وأوضح لهم السبيل الى معرفته بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من عبره ، وصرفهم فيه من صنعه ، كما قال جل جلاله : ( الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ) .

وذلك كله من خلقه إياهم بتمثيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ، والأعلام التي جعلها إزاء قلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، ويسر لهم خواطرم وفكرهم ، والهيبة التي هيأهم لها ليقع الأمر والنهي عليهم ، فلا يكلفهم فوق طاقتهم ، ولا يُحْشِمهم ما يقصر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى إليهم ورحمة بهم ؛ ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحقوا به رفته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ، والظلل المديد ، والعيش الدائم ؛ كما قال تعالى ذكره : ( إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) . وكان من نظره ورأفته بهم أن يبعث فيهم أنبياء ورسله ، يدعوهم الى طاعته ، ويبينون لهم هداياه ، ويوضحون لهم سبيله ؛ ويهدونهم الى رحمته ، ويعيدونهم ثوابه ، وينذرونهم عقابه ، ويسطرون لهم توبته ، ويحذرونهم شخطه ، ويبينون لهم سنته وشرائعه ، ويكشفون لهم قواعظه ، ويعلمونهم كتابه وحكمته ، كما قال تبارك وتعالى : ( لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ) . وكان من رأفته بهم ، ونظره لهم ، أن بعثهم اليهم بالحنج الظاهرة ، ولأعلام انبياءه . والسواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها برهانهم ، وأوضح



بها دليّتهم ، وأنّهم عمّل سواهم ، ليكون أدعى لهم الى تصديقهم ، والقبول عنهم ، وأوكد  
لحبّة على من أبى ذلك منهم .

ومحمّد أحمد بن يوسف في صدر رسالة الخليس التي كانت تقرأ بمحرّسان

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور  
والبرهان ؛ فاطر السماء والأرض وما بينهما ، والمتقدّم بالمرّة والطول على أهلها ؛ قبل  
استحقاقهم لثبوته ، بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ،  
دليلا هاديا لهم الى معرفته ، بما أفادهم من الألباب ، التي يهتمون بها فصل الخطاب ؛ حتى  
أقننوا علم موارد الاختبار ، وحقنوا مصادر الاختبار ، وحكوا على ما بطن بما ظهر ، وعلى  
ما غاب بما حضر ؛ واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمه ، ومُتقن صنعته ، وحاجة مُترايل  
خلقه ومتواصله ، الى القوام بما يُلْمُه ويُصاحه ، على أنّ له بارئا هو أنشأه وابتدأه ، ويسّر  
بعضه لبعض ، فكان من أقرب وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم ؛ في تصرّف أحوالهم ،  
وفنون انتقالها ، وما يُظهرون عليه من العجز عن التأتّي لما تكاملت به قواهم ، وتمّت به  
أدواتهم ، مع أثر التدبير والتقدير فيهم . حتى صاروا الى الخلقة المُحكّمة ، والصورة المُعجبة ،  
ليس لهم في شيء منها تطلّف يتحمّونه ، ولا مقصد يستمدّونه من أنفسهم ؛ فإنّه قال تعالى  
ذِكْرُهُ : رَبِّ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ أَكَرِّمُ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَىْ صُورَةٍ  
مَا شَاءَ رَجَّلَكَ . وما يتفكرون فيه من خلق السماء ، وما يحيرى فيها من الشمس والقمر والنجوم  
مُسَخَّرَاتٍ على مسير لا يثبت العالم إلا به ، من نصاريف الأزمنة ، التي بها صلاح الحرث  
والنسل ، وإحياء الأرض ، وإقحاح النبات والأشجار ، وتعاور الليل والنهار ، ومزج الشهور  
والأيام ؛ والسنين التي تُعصى بها الأوقات ؛ ثم ما يوجد من دليل التركيب ، في طبقات  
السقف المرفوع ، وآلهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه والتناميها ، وتعرى الانهار ، وإرساء  
الجبال ، ومن التمام الشاهد على ما أخبر الله به من إنشائه الخلق وحدويه بعد أن لم يكن ،  
مُترقيا في السماء ، وثباته الى أجله في البقاء ، ثم عماره مُتقضيا الى آخر الفناء ؛ ولم يكن له



مُتَّعٌ حَدُّ ، وَلَا مُنْقَطِعُ أَمَدٌ ، وَمَا زَادَ بِنُشْوءٍ ، وَلَا تَخَفَهُ تُقْصَانٌ ، وَلَا تَخَاوَتْ عَلَى  
الْأَزْمَانِ ، لِأَنَّ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ ، ضَرَّ مُمْكِنُ الاحْتِمَالِ لِلتَّعْصِ وَالزَّيَادَةِ ، ثُمَّ أَجْرَى فَيَا ذَكَرَ  
مَنْ خَلَقَ اللَّهُ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ إِلَى ذَكَرَ مَا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا اخْتَصَمَهُمْ  
بِهِ مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى ذَكَرَ اتِّخَاذِهِ أَوَّلًا ، ثُمَّ إِلَى ذَكَرَ الْمَأْمُونِ وَدَوْنَهُ .

### وتحميد للعباس في مقام له بين يدي المأمون

الحمد لله على نعمه علينا ، وإحسانه إلينا ، بالأرض المبسوطة ، والسماء المرفوعة ،  
والرياح المسفرة ، والأمطار النازلة ، والأوقات القائمة ، والمنافع الدائمة ، والدين المبين ،  
والأدب القويم ؛ حمداً يكون إليه صاعداً ، ولديه نائماً ، وللكوثر مالئاً ، والحمد لله  
حمداً ينبت رضوانه ، ويورث إحسانه ، ويوجب مزيدَه ؛ فهو المنعم المحمود ، والمتطول  
المشكور ؛ لا إله إلا هو لا شريك له ، كما شهد الله وملائكته قائماً بالقسط لا إله إلا هو  
العزيز الحكيم .

### وتحميد لعبد الحميد في أبي العلاء الحروري

الحمد لله الناصر لدينه ، وأوليائه وخلفائه ، المظهر للحق وأهله ، والمبدل لأعدائه وأهل  
البدعة والضلالة ؛ الذي لم يجمع بين حق وباطل ، وأهل طاعة ومعصية ، إلا جعل النصرة  
والعلاج والعاقبة لأهل حقه وطاعته ، وجعل الخزي والذل والصغار ، على أهل الباطل  
والخلاف والمعصية ؛ حمداً يتبعه ويرضاه ، ويوجب به لأمر المؤمنين وأهل طاعته  
الريادة التي وعد من شكره ، والحمد لله على ما يتوسل من إعزاز أئمة المؤمنين ونصيره  
وإصلاحه وإظهار حقه ، على ما وقع بأعدائه وأهل معصيته والخلاف عليه من سطواته  
وتهمته ونهيه . فما ولي أمير المؤمنين من موالاة من والاه . وعداؤه من بقى عليه وعداؤه ؛  
لا تكله في شيء من الأمور لي منه . ولا أني حوله وقوته ومكيدته . فإنه لا حول ولا قوة  
لأئمة المؤمنين إلا به .



## ونحميد في آخر فتح

الحمد لله المَعزّ لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لأوليائه ، المنتقم من أعدائه أهل الكفر ؛  
المُزَلّ بهم من بأسه ، وقمّته وجَوائحه ؛ الذي لم يجمع بين أهل حقه ، وباطل عدوه ، في موطن  
من مواطن التحاكم ، إلّا جعل فيه لأوليائه الظفر ، وأفرغ عليهم الصبر ، ومنحهم النصر ؛  
وجعل الدائرة وسوء العاقبة على عدوه ، وأهل الكفر ؛ حمدا كثيرا يرضاه من الشكر ،  
ويحسن به المزيد .

## ونحميد في فتح الى أمير لقمامة

الحمد لله الفتح العليم ، الذي خصّ الأمير بأفضل الكرامة وأتمّ النعمة ؛ وأحسنّ الولاية ،  
وأعظم الكفاية ؛ ويحفظ ما استراه ، وأمرّ أوليائه ، وقمع بالمذلة أعداءه ، وجعل حسن  
العاقبة له ولأهل طاعته ، ودائرة السوء على أهل معاندته ؛ حمدا يحسن به القضاء ،  
وتريد به النعماء .

## وصدر نحميد لغسان بن عبد الحميد في خطبة موجزة

الحمد لله الذي لا يُدْرَكُ خيرٌ إلّا برحمته ، ولا يُنَالُ الفصلُ إلّا بنعمته ؛ وليّ التسديد  
للغسانات ، والعصمة من السيئات .

## نحميد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العليّ مكانه ، المتبرّ برهانه ، العزيز سبطاه ، الذاة كلماته ، النافية آياته ، البايد  
قضاؤه ، الصادق وعده ؛ الذي قدر على حلقه بملكه ، وعزّ في سماواته معظمه ، ودبرّ الأمور  
بعلمه ، وقدرها بحلمه ، على ما يشاء من عزّمه ؛ مُتَبَدِّعا لها بآرائه إياها ، وقدرته عليها ،  
واستصغاره عظمتها ، نافذة إرادته فيها . لا تجرى إلّا على تقديره . ولا تنتهي إلّا إلى حيله ،  
ولا تقع إلّا على سبق من حكمه ، على كلّ ذلك بطغفه وقدرته . وصرم وجهه . لا مدل  
لها عنه ، ولا سبيل لها غيره . ولا على أحد ينفعها ، ولا يضرّها إلّا هو . وبه يقول في كتابه  
الصادق : (وَعِدُّهُ مَقَاتِلُ الْغَيْبِ .. ..) إلى آخر الآلة .



## وتحميد ثامن

الحمد لله الذى علا بالحبب الى استر بها عن جميع خلقه ، وأستغنى بها عنهم لما تَوَحَّد به دونهم من عبادة الذين فطروهم على المعرفة ، رموا عليهم بجمته ومُتَعَوِّلًا وهو فيما يُعْطَى من أقداره ، مفصلا لهم بابتدائه خلقهم فى أحسن تقويم ، وإعطائهم إياهم عاجل كل خير مقسوم ، وتسخيره لهم جميع ما فى السموات والأرض ، وبسطه لهم فى معاشهم أوسع الرزق ، وإسباغه عليهم فيها أفضل النعم التى لطفت فبطنت ، وعظمت فظهرت ، وليست فعمت ، وانتشرت بجلالت ، وكثرت فلا يحصيا عاد ، وجرت فلا يؤذى حق ما أقرض منها شاكر ، فإنه يقول : ﴿ وَإِنْ تَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَفَتَّورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

والحمد لله الذى لم يقتصر بهم فى إكرامه وتفضيله إياهم على عاجل ، فإنه مُضْمِلٌ زائل مما أعطاهم إياه ولم يكلمهم فى معرفة خالقهم تبارك وتعالى ، ومُنَوِّلٌ النعم عليهم ، والاحسان اليهم ، والارتياش لهم ، ولا فى مُبْتَنَى سبيل طاعته ، وأداء حقه ، وشكر نعمته ، واستيجاب غبطة ألعاد اليه الى أن يَمُوتُوا ذلك بعقولهم ، والنظر فيه بالبابهم ، والتصريف له على أهوائهم ؛ فإنه لو أُلْجَأَ ذلك اليهم ، وأُفْرِدَهم فيه الى أنفسهم ، ووكلهم فيما أمرهم به الى مقدرتهم ، لحارت عنه منهم الأبصار ، ولتاهت فيه منهم العقول ، ولأضلهم عن قصده العلى ، ولمال بهم الى غيره الهوى ، ولا استحكم عليهم شرك الردى ، ولكنه بث فيها أنبياءه الهادين ، يدعونهم الى الصراط المستقيم ، بنوره المُنْضَى ، ودينه القويم ، وآياته البينة ، وكتبه الفارقة التى بين فيها تحابه ومكرهه ، وطاعته ومعصيته ، وثواب الفريقين فى ذلك من عباده ليحذروا ما حذرهم فيه من شخطه ، ونزل بهم فيه من نعمته ؛ وليسارعوا فيما جعل لأهله به الى أفضل المثوبة ، وأحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة ، وكشف لهم الجهالة ، وهدى من الضلالة ، وبصرهم سبيل الحق ، وبين لهم معالم الإسلام ، ليرجع جائرٌ ، وَيَقْصِدَ زائعٌ ، ويعرف جاهل ، وليبعد الرب بما وحد به نفسه ، وليستبين العلم ، ويستغنى الحق ، وليبتنى من الله الثواب بزوه دينه الذى شرع . وأداء فرائضه التى قرض . وإيثار طاعته التى أوجب ، وليكون لله







له فيما أكرم عليه . والحمد لله المعزِّزُ لبيته ، المتولِّي نصرته بنبئه المتخلِّي من طادام وتاؤام ،  
حمدا يزيد به من رضى شكره ، وحدا يملكو حمد الحامدين من أوليائه الذين تكاملت عليهم  
نعمته فلا توصف ، وجلت أياديه فلا تحصى ، الذى حملنا ما لا قوة بنا على شكره إلا بونه ،  
وبالله يستعين أمير المؤمنين على ذلك ، واليه يرضى ، إنه على كل شئ قدير .

### ولعبد الحميد أيضا

أما بعد ، فالحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه ، وأرقضاه دينًا للملائكة ، وأهل طاعته  
من عباده ، وجعله رحمةً وكرامةً ونجاةً وسعادةً لمن هدى به من خلقه ، وأكرمهم وفضلهم  
وجعلهم بما أنعم عليهم منه أوليائه المقربين ، وحزبه الغالبين ، وجنوده المنصورين ، وتوكل  
لهم بالظهور والقلج ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل من خالفه وعزَّب عنه وابتنى  
سبيل غيره أصدائه الأقلين ، وأوليائه الشيطان الأخسرين ، وأهل الضلالة الأسفلين ، مع  
ما عليهم فى دنياهم من اللذل والصغار ، وما تجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، إلى ما أعد  
لهم فى آخرتهم من الخزي والهوان المقيم ، والعذاب الأليم ، إنه عزيزٌ ذو انتقام .

### وفى ذكر الإسلام وأهله وما فضلهم الله تعالى به

أما بعد ، فالحمد لله الذى عظم الإسلام تعظيما ، وفضله تفضيلا ، فلم يبق ملك مقرب ،  
ولا نبي مرسل ، ولا إمام لأهل حق مهتد إلا دان به ، واتصل الى ولاية الله بما هداه له  
منه ، وليس فى دين الله الذى ارتضى ، وخيرته من أهل الإسلام الذين اصطفى ، تفاسمٌ  
ولا تقالُم ، ولا تحاسدٌ ، ولا تقاطعٌ ولا تدابرٌ ، ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل بالتباز  
والتراحم ، والتواد والتناصُف ، قلوبهم متفقةٌ وأهواؤهم مؤتلفةٌ ، وأيديهم على أهل معصيته  
مبسوطةٌ ، أعوانا على الحق ، وإخوانا فى الدين ، أَلَفَ الله بينهم ، وجعل الإسلام نسبهم ،  
فقال فى كتابه : **يُحِبُّ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ... الى آخر الآية . فهذه صفة الله أهل دينه  
فما بينهم . وكذلك كان أسلاف الحق قباهم . فى وادٍ وتبازهم . وتواصلهم وتعاونهم ،  
بذلك دان أهل السمى ، فد يحتفلوا فيه . ولم يغبوا عنه ، ولم يخذلوا مثالا غيره ، وبه يدين



الله الباقون من خلقه ، المتمسكون بحقه الى يوم القيامة ، سنة مسنونة ، وشريعة متبوعة ، لا يتفنون بها بدلا ، ولا يربون عنها حولا ، فاهل طاعة الله اهل سلامة في دنياهم ، وإخوان كما قال الله عز وجل في آخرتهم ، لم تنقطع الولاية فيما بينهم ، لا تقطاع الدنيا عنهم ، ولكن الله وصلها بالآخرة لهم ، فجمعهم في داره وجواره ، كما آلف في الدنيا بين قلوبهم ، وعصم بالإسلام ألقمتهم .

### تحميد

الحمد لله المنيب على حمده وهو ابتداءؤه ، والمنعم بشكره وطيه جزاؤه ، والمننى بالإيمان وهو عطاؤه .

### ولقائه

الحمد لله الذى أكرم الإسلام وفضله ، وشرفه وعظمه ، وأعلى منزلته ، وجعل أهله القائمين به ، والحامدين عليه ، وأوليائه وحزبه الذين قضى لهم بالتمكين ، والظهور على الدين كله ولو كره المشركون .

### ولزيد بن على راحة الله عليه خطبة

الحمد لله الواصل النعم بالشكر ، والشكر بالمزيد ، حمد من يعلم أن الحمد فريضة واجبة ، وأن تركه خطيئة مهلكة ، وأومن بالله إيمانا نفى إخلاصه الشرك ، وبقينه الشك ، وأتوكل عليه توكل الواقي به نعمة أهل الرجاء ، ومفزع أهل التوكل .

### تحميد في الإسلام

الحمد لله الذى اختار الاسلام ديناً لنفسه ، وأنبيائه ورسله ، وشرفه وعظمه ، وأثاره ، وأظهره ، وزهده وأعزّه ومنعه ، ولم يقبل غيره ، ولم يعمل حُسن الجزاء إلا لأهله ، الذين كتب لمن أسعده بالوليعة فيه منهم الرضوان والمغفرة والرافة ، وعلى من خالفه وابتغى غير سبيله الحسرة والداماة ، والذلة والصغار فى الآخرة والأولى ، والمات والحق ، إذ يقول الله عز وجل : وَهَنَ يَتَجَفَّرُ الْإِسْلَامُ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ )



والحمد لله الذي اجبى عهدا صلى الله عليه وسلم بما اصطفاه من نبوته ، واختاره له من رسالته ،  
 وحباه بفضيلته ، وأجباه من أفضل عمائر العرب ، وأشرفها منصبا ، وأعرقها حسبا ،  
 وأكرمها نسبا ، وأوراهها زنادا ، وأرفعها عمادا ، فبعثه بالنور ساطعا ، وبالحق صادقا ، وبالهدى  
 آمرا ، وعن الكفر زاجرا ، وعلى التبين مهيمنا ، وإلى سبيل ربّه داعيا ، وبالكتاب طاملا ،  
 فبلغ عن الله الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وانتاش من الهلكة ، وأنهج معالم الدين وأدى  
 فرائضه ، وبيّن شرائعه ، وأوضح سنته ، ونصح لأمنه ، وجاهد في سبيل الله حتى جهاده  
 حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

### تحميد لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي شرع لإظهار حقه وإنفاذ سابق قضائه فيمن ذرأ وبأ من عباده ،  
 بإدخال من أراد أن يدخل في رحمته ، وإنجاز ما حق له من العبادة على خلقه ، بابتدائه  
 خلقهم ، ومظاهرتهم الآلاء عليهم ، وإحسانه البلاء عندهم ، وإبلاغه في الحجج إلى طاعتهم ،  
 ديناً رضيهم لنفسه وملائكته الذين أسكن سماواته ورسله ، فآتمن على وجه من لم يرض  
 إلا به ، ولم يقبل إلا إياه ، ثم كان ما أعرّ به نفسه ، وأظهر به نوره ، وأراد أن يسلبه  
 عباده ، تحقيقاً لما سبق به علمه ، وإنفاذاً لما جرت به مقاديره ، أن يبعث لياً شرع من  
 دينه ، وأصطفى لتسبيحه وتقديسه من ملائكته المقربين ، من ارتضى واختار من أنبيائه  
 ورسله المحبوبين ، لتبليغ رسالته وإظهار حقه ، وأسّشلاً<sup>(١)</sup> من أراد سعادته من خلقه بالرحمة  
 التي أطلعت عليهم وعظمهم ، ليعبد مخلصاً له ، محموداً بما استحمد به إلى خلقه ، مشهوداً له  
 بما أشهد به من كلمة الحق ، فكان منهم التبليغ ليا أرسلوا به ، والنصيحة لمن أرسلوا إليه ،  
 غير مختلفين فيما بُعثوا له ، ولا متفرقين فيما استعملوا فيه ، يدعوهم آخر إلى ما دعاهم إليه  
 أول ، فيصدق بذلك بعضهم بعضاً ، ويهتدون إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فضت  
 رسل الله وأنبيأؤه على ذلك سالكين منهاج الحق وسبيله ، والدعاء إلى الله عز وجل وإلى



طاعته ، هادين مهدين غير مبخوسين شيئا مما كانوا أهله في المترلة عند الله ، والقربة منه ،  
والوسيلة إليه ، هم ومن آمن بهم وعززهم ، وأتبع النور الذي أزل معهم ، حتى تقضت  
بهم الأعمار ، وتقطعت بهم الآثار ، وتخرمتم الأجال .

### وكذا لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي جعل الإسلام رحمة قدمها لعباده قبل خلقه إياهم ، واستجابه إياها  
منه ، فاصطفاه لنفسه وشرعه لهم ديناً يدينون به ، ثم جعل تحديده وحيه ومتابعة رسله رحمة  
تلافاهم بها بعد تقديمها ، ومنة ظاهرها عليهم قبل استجابه لها . تطولاً على العباد بالتمناه ،  
وإعذارا إليهم بأخجج ، وتقديرة بالوعد . وإنذاراً إليهم عراقب سقطه في المعاد .

واحمد لله الذي ابتعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهداه وشرائع حقه على قرة من الرسل ،  
وطموس من معالم الحق . ودروس من سبل الهدى ، عند الوقت الذي بلغ في سابق طمعه  
ومقاديره . أن يحتجى لدينه الأصفياء ، ويختار له الأولياء ، الظاهرين بحقه ، القاهرين لمن  
ابتغى سبيلاً غير سبيله . ففظم حرمته ، ووسع حوزته . وصدع بأمره ، وجاهد عن حقه  
في حومات الضلالة وحلقات الكسر . بإلحق المبين ، والسراج المنير ، ثم جعله مصدقاً لمن  
سبقه من الرسل وعبداء ربهم له وهدى ورحمة . ثم جعل لدينه وظائف وظفها حل  
أهله ، وشرائع شرعها لهم لا تتجنى عنهم إلا بها . وجعل أدائها إليه . واعتصامهم بها إماما  
لدينه . ونظاماً لموره . وروية . لحقه . واستجابه لما وعد عليه من ثوابه ، وأمن لما أوعده من  
خالفه من عقابه . فليس يسع أهل الإيمان الله الذين أكرمهم به وأجرل لهم فضله وأجره ،  
وجعل لهم عزه وعلوّه . وخدر غير لعبة والعاقبة على من فارقه فيه إلا معرفتها . وأداؤها  
بما يستحكي به حدودها . ومما ت من كد وكذا .

### إبراهيم بن المهدي — صدر رسالة له في الخميس

الحمد لله الذي خدر لإسلام نبيه نفسه . ورضى أن يعبدّه من في سمواته من الملائكة  
المقرّين . ومن في أرضه من النبيين والمرسلين ، ومن آمن بالنور الذي هداهم له من الثقلين ،



واختار لرسائله في سابق علمه ، والدكر الحكيم عنده ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتابه وجعل طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم موصولةً بكنا فقال : ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) .

### تمجيد

الحمد لله المتكبر في جبروته المتعزّز بسلطانه . المتعالى في سمواته ، المحتجب عن خلقه ، فلا تُدرّكه في الدنيا أبصار الناظرين ، ولا تُحيط به أوهام المتوهّمين ، ولا تُبَاهيه صفات الواصفين ، الذى لا يؤوده عظيم ، ولا يفوته مطلوب . ولا يسجزه شئ في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم .

### تمجيد آخر

الحمد لله الحكيم العدل ، الذى فصل بين الحق والباطل ، فنغذ قضائوه في خلقه ، وحكم فيهم بجرى حكمه على إرادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز والفلاح ، والتكفين للحق وأهله ، وبالذل والوقيم والخزي والصغار للباطل وأهله ، وجعل ذلك من فضله وحكمه عادةً جاريةً باقيةً ، وسنةً ماضيةً ، لا رادّ فيما قضى منه إقضائه .

والحمد لله الذى اختص محمداً صلى الله عليه بكراماته ، واصطفاه لرسالاته ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بما أحلّ وحرم ، ورضى وسخط ، وأمر به ونهى عنه ، وجعله حاتم النبيين والمهيمن عليهم ، وكتابته الذى أنزل ، آخر الكتب المصدق بها النبي صلى الله عليه وسلم .

### تمجيد في الإسلام وما أمتن به على أهله من مبعث النبي

صلى الله عليه وسلم . وهو في صدر الجهاد

أما بعد ، فإنّ ليدن الله الذى ارتضاه لنفسه . ولئن اصطفاه من خلقه ، واجتياه من عباده وجعله معلماً بين الهدى والضلالة . وفرقاً بين الحق والباطل ، رحاباً بين الكفر والإيمان ، وظائف وظفها على أهلها . وسرّاً سرعه لهم . فعمل أدامها إليه ومعرفتها له ، وحافظتهم عليها ،



واحتصاصهم بها قواما لدينه ، ونظاما لنوره وثباتا لحقه ، واستيجابا لما وعد من ثوابه ، وأما لما أوعد من عقابه ؛ فليس يتسع أهل الإيمان بالله والإقامة على حقه من المسلمين الذين ستأهم المسلمين بالإسلام ، وأحرز لهم فضله وعزّه ، وأصار لهم الغلبة على من خالفهم وفارقهم بما ركنوا إليه من الصدود عن سبيله ، والكذب بكتبه ورسيله ، ودلتهم فيه قُرْبَاهُمْ ، وقادتهم إليه أهْوَاهُمْ ، من المَلَل الضالة ، والأديان المجموعة ، التي لم ينزل بها من الله سلطانٌ ، ولا كتابٌ ولا برهانٌ ، إلّا معرُفُها وأدَاؤها بما يُستكمل من حدودها ومعالمها .

### تحميد في الجهاد وما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم

أما بعد - فإن الله خلق الخلائق بقدرته ، وقدر الأمور بعلمه ، وأخذ على ما مضى من مشيئته ، من غير أن يكون له ظهيرٌ في ملكه ، أو مُعينٌ على ما يرى من عجائب خلقه ، واحتذاء منه على سابقٍ من صنعة غيره ، فوجد نفسه بما تفرد به دون غيره من خلقه ، يُعبد مُخلصاً مُبرأً من الأُمادة إتماماً لنوره ، وتميزاً لتوحيده . وتأييداً لدينه ، وإعلاءً لمن أحصم به ، وإفلاهاً لمن حاله وعدده وعبد غيره . وإحقاقاً لكل شئ . فإنه يقول : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ۚ ﴾ الآية . بذلك أنزل مُكُوبَهُ ، وأرسل رُسُلَهُ . وأحجج بهم وبما أنزل إليهم على من مضى من القرون السائمة . والأُمم الخائفة . يدعوهم إلى ما سبق إليه أولهم ، من عبادته وتوحيده . لا يسئحسون من قلة ، ولا يتوتون من كثرة ؛ يُعزّم الله بقوته ، ويُؤيدهم بجوده ، وينصّرهم ببصّره ، إلى أن يعب الله محمداً صلى الله عليه وسلم بما خصهم به ، وجعله مُعَصِّداً لهم ، وهيماً عليهم ، وحائماً بسبعهم ؛ يضي لأمر الله ، ويجاهد من لم يُجِبه إلى الدخول في دين الله . فظهره به رُزُوقه . ووثق عُدُوهُ ، وأنجز له ما وعده . وثمّ بذلت النعمة عليه وعلى من اتبعه . فإنه يقول : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ۚ ﴾ .

### تحميد في فتح

أخذ الله الفتح اعجم . ارحمن ارحم . العزيز الحكيم . أدى أعزّ لإسلام بقدرته ، وأيده بنصره ؛ فلم يُجد فيه مانعاً . ويتسع في تثبيت لكتة ونق المعصع ، ويوضع



في الكفر والمعصية موضح، ويمتنع من قضاائه وإرادته مُمتنعٌ إلا أذله الله وقصمه، وأضرع خذله، وأتمس جده، وضلل سعيه، وعجل بواره واستقصاه؛ حمدا دائما لا انقطاع له، ولا نفاد لمذته .

### تمجيد ثان

والحمد لله الذي اختار الإسلام وشرعه، وكرمه وطهره، وأظهره وأعزّه، وفطر عليه ملائكته، وبعث به أنبياءه ورُسُلَه، واختار له خيرته من خلقه حمدا صلى الله عليه، فبعثه برسائه، وأكرمّه بوجّه، وأصطفاه على خلقه؛ يُبشّر بالجنة من أطاعه، ويُنذّر بالنار من عصاه؛ وجعله دينه القيم الذي لا يقبل دينا غيره ولا يُثيب أحدا إلا عليه .

### تمجيد في فتح

الحمد لله العزيز في ملكوته القاهر فوق بريته، الذي خلق الخلق بقدرته، وأقذف فيهم إرادته ومشيئته، وقدر كل شيء وأتقنه وأحكمه، وأحاط علما به؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

الحمد لله الذي ابتدع الخلق لا من شيء، وجعل الليل والنهار كهفاً ومَسَجَتاً لكل شيء؛ بقدرته تجرّت البحار، وجرّت لمواقيتها الأنهار؛ فدار وتطارد الليل والنهار، لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم .

والحمد لله الذي فات بعظمته أبصار المرتين، وعلا بمجده عن خطرات الحاسبين، واحتجب بأستار جبروته عن مواقع فكر المحصلين المُنَمِّقِينَ؛ فلم تنحو الكعبة، ولم يقع عليه أدوات التحصيل والكيفية، ولا أدركه هاجس تبعيض ولا كلفة، ولم يُنسب إلى زياده في حين، ولا إلى تمصير في شهور ولا سنين، فكل أمره — عزّ جلاله — تمام ودوام، وكل صفات صمعه اعتدال وكُلٌّ؛ وكل ما دونه يحتكم فيه الفناء والزوال، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .



والحمد لله الذى عرفنا ربوبية إلهامنا ، ونهيج لنا سبيل طاعته منا وإكرامنا ، وتعبداً بفرضه تقويماً وتعليماً وأمتاناً؛ فقامت علينا وعلى الخلق مجته ، بالصادع بأمره ، والمبلغ لرسالته ، وألجأه فيه حق جهاده ، عهد صلى الله عليه وسلم . والحمد لله الذى أعز دينه ، وأظهر تمكينه ، ونصر وليه ، وخذل عدوه ، وأوقع بأسه وتقمته بحمل القرية ، وجُرئومة الضلالة ، ومناخ الشرك ، ومركز الكفر؛ بعد طول الإملاء ، والاعتداء فى سفك السماء ، والمثلة بالأسرى ، وقلة المراقبة والأرواء .

### تمجيد

الحمد لله حمدًا يكون رضاه متناه ، والمزيد من فضله جزاه . والحمد لله حمدًا إليه يتناهى حمد الحامدين ، وشكر الشاكرين . والحمد لله الذى لا تُغصى نعمه ، ولا تُحصى آلاؤه ، ولا يُكافأ بلاؤه ، ولا يُبلغ شكره إلا بته وتوفيقه ؛ حمدًا يرضاه ويتقبله ، ويركو أدبه ، ويوجب ما تأذن للشاكرين من يده .

### تمجيد على فتح

أما بعد ، فالحمد لله الواحد القهار ، العزيز الجبار ، ذى المن والإعلاء ، والجلال والإكرام ؛ الذى أصطفى الإسلام ديناً ، وأصطفى له من عباده أهلًا هداةً له ، وأكرمهم به وبيت لهم ما يأتون ، ولم يتركهم فى ريب من أمرهم ، ولا شبهة من دينهم ؛ فله الحجة البالغة ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، وإنا لله أسئع علم .

والحمد لله الذى ختم بحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، وأتجه لتبليغ الرسالة ، وبعثه إلى خلقه كافة ، قبل رسالته ، وصدع بأمره ، وقام فيما بعثه له بحقه ، ثم أنجز له وعده ، وأتم له كلمته ، وأظهر دين الإسلام به على الدين كله ولو كره المشركون .

### تمجيد فى فتح

أما بعد ، فالحمد لله الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، الولي الحميد ، القوى العزيز ؛ الذى لا يقدر العباد قدره ، ولا يُحصون نعمه ، ولا يبلغون شكره ؛ المحيط بكل شئ علمًا ،



والنحصى كل شيء عدداً؛ فلا يُجزئه كبير، ولا يعزب عنه صغير، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون .

### تمجيد

الحمد لله المتوحد بالخلق والأمر، قادراً قاهراً أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وملاً عظمتاً، ووسعه عدلاً، وأتقنه صنفاً، والحمد لله الذي أعز بالحق من أطاعه، وأذل بالباطل من عصاه، وجعل الطاعة والجماعة حرزاً حريزاً، وموتلاً مئيفاً؛ فلم يجمع بين أهل كفر وإيمان، وطاعة وعصيان، إلا توحد بالصنع لأهل طاعته، وأنجح سعيهم، وأعلى كلمتهم، وأفلج مجتهدهم، وأزل بأهل الكفر المعاندين عنه، الرادين لأمره الذلّة والصغار في عاجلهم وأجلهم؛ حمداً يكون لزيدة موجباً، ولحقه مؤدياً .

### تمجيد في فتح لسعيد بن حميد عن وصيف

أما بعد، فالحمد لله الحميد الحميد، الفعال لما يريد؛ الذي خلق الخلق بقدرته، وأمضاه على مشيئته، ودبره بعلمه، وأظهر فيه آثار حكمته التي تدعو العقول إلى معرفته، وتشهد لذوى الأبواب بربوبيته، وتدل على وحدانيته؛ لم يكن له شريك في ملكه فيتازعه، ولا معين على ما خلق فتلزمه الحاجة إليه؛ فليس يتصرف عباده في حال إلا كانت دليلاً عليه، ولا تنفع الأبصار على شيء إلا كان شاهداً له؛ بما رسم فيه من آثار صنعه، وأبان فيه من دلائل تديره، إغذاراً بحجته، وتطوّلاً بنعمته، وهداية إلى حقه، وإرشاداً إلى سبيل طاعته، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه؛ وله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم .

والحمد لله العزيز القهار، الملك الجبار، الذي أصطفى الإسلام وأختره، وأرضاه وطهره، وأعلاه وأظهره؛ فجعله نعمة أهله على من شاقهم، ووسيلة لهم إلى النصر على من عادى في حقهم، وأبغى غير سبيلهم؛ وبعث به رسله يدعون إلى حقه، ويهدون إلى سبيله،



تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذى العظمة القاهرة، والآلاء الظاهرة، الذى لا يُعجزه شيء، ولا يمتنع منه، ولا يدفع قضاؤه ولا أمره، ﴿وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . والحمد لله الذى خلق الخلق بعلمه، ودبر الأمور بحكمه، وأنفذ فيما أختار وأصطفى منها عزمه، وبقدرة منه عليها، ومملكة منه لها، لا مُقَبِّبَ لحكمه، ولا شريك له فى شيء من الأمور، بجلاق ما يشاء ويختار. ما كان للباس الخيرة فى شيء من أمورهم، سبحانه الله وتعالى عما يسركون.



والحمد لله الذى جعل صَفْوَةَ ما آخِطَر من الأمور دِينَهُ الذى أَرْتَضَى لنفسه ولمن أَرَاد كرامته من عبادِهِ ، فقام به ملائِكَتُهُ المقربون ، يُعْظَمُونَ جلالَهُ ، وَيُقَدِّسونَ أسمائَهُ ، وَيَذْكُرُونَ آلاءَهُ ، لَا يَسْتَحْسِرُونَ عن عبادَتِهِ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ، وَقَامَ بِهِ مَنْ آخِطَر من أنبيائه وخُلفائِهِ وأولِيائِهِ فى أرضِهِ ، يُطِيعُونَ أمرَهُ ، وَيَذُبُّونَ عن تحارِمِهِ ، وَيُصَدِّقُونَ بوَعْدِهِ ، وَيُوفُونَ بعهده ، وَيَأْخُذُونَ بحَقِّهِ ، وَيُجَاهِدُونَ عدُوَّهُ ؛ وَكَانَ لَهُمْ عند ما وَعَدَهُمْ مِنْ تصديقِهِ قولُهُمْ وإِفْلاجِهِ حُجَّتُهُمْ ، وإِعْزازِهِ دينَهُمْ ، وإِظهارِهِ حَقِّهِمْ ، وَتَمْكِينَهُ لَهُمْ ؛ وَكَانَ لعدُوِّهِ وعدُوِّهِمْ عند ما أَوْعَدَهُمْ من حَزْيِهِ ، وإِحْلالِهِ بِأَسْمِهِمْ ، وَأَنْتِقَامِهِ مِنْهُمْ ، وَغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ ، مَضَى على ذاك أمرُهُ ، وَنَفَّذَ فِيهِ قضاؤَهُ فِيمَا مَضَى ، وَهُوَ مُبْصِرُهُ وَمُتَفَذِّهُ على ذاك فِيمَا بَقِيَ ، لِيَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ؛ وَلِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلَلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ .

والحمد لله الذى لَا يَقْضِي فى الأمور وَلَا يُدَبِّرُهَا غَيْرُهُ ، ابْتَدَأَهَا بِعِلْمِهِ ، وَأَمْضَاهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَهُوَ وَلِيُّهَا وَمُنْتَهَاهَا ، وَوَلَّى الْخَلْقَ فِيهَا ، وَالْإِمْضَاءَ لَهَا أَحَبُّ أَنْ يُمَضَّى مِنْهَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخَلْقَ سَبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، ذِي الْمُنِّ وَالطُّولِ ، وَالْقُدْرَةِ وَالْحَوْلِ ، الَّذِي لَا تُمْنَكُ لِمَا قَضَى لِأولِيائِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا دَافِعَ لِمَا أَنْزَلَ بِأَعْدَائِهِ مِنْ تَقْصَتِهِ ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ فى ذاك وَقضاؤه يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ .

والحمد لله الْمُنِيبُ بِمَجْدِهِ وَمِنْهُ ابْتَدَأَ ، وَالْمُنِيمُ بِشُكْرِهِ وَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ ، وَالْمُنْتَنِي بِالْإِيمَانِ وَهُوَ عَطَاؤُهُ .

### لَا خَيْرَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَنْطَوِّلُ بِالنِّعَمِ ، ابْتَدَأَ ، وَيُعْطِي الْخَيْرَ مَنْ يَشَاءُ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ .



## تمجيد لغسان بن عبد الحميد

كاتب جعفر بن سليمان في المطر :

الحمد لله الذي نشر رحمته في بلاده، وبسط سِعته على عباده، الذي لا يزال العبادُ منه في رزقٍ يَنقسمونه، وفضلٍ يَنظرونه، لا يَنقُضُه ما قبله، ولا يَنقُضِي ما بعده .

## لأحمد بن يوسف في فتح السند

الحمد لله وليّ الحمد، وأهلِ الثناء والمجد، خالقِ الخلق، ومُدبِّرِ الأمر، المسبِّغ على عباده والمُوجِب عليهم حُجَّتَه؛ فليسوا يرجون إلا سِعةَ فضله، ولا يَحذرون إلا ما أجترحوا من مَعْصِيَتِهِ؛ لما سبق من جَزِيلِ إحسانه، وتظاهر من أَمْتَنَانِهِ، وتَقَدَّمَ به الإِعْذارُ والإِنذارُ، اللذان لا يَسْتَحِيفُ بما عَظُمَ منهما إلا مَنْ أَسْتَحُوذَ عليه الشيطان، وأَسْتَوَلَى عليه الخلدان، وقاده الحَيْنُ إلى مواردِ المَلَكَةِ .

## التحميد الثاني

الحمد لله الذي أَمْصَقَ الإسلامَ ديناً فطَّهره وأَسْأَناه، وأَظْهَرَه وأَعْلَاه؛ وزَيَّنَه بكلِّ حَسَنَةٍ، وَفَى عَنْهُ كُلَّ سِئَةٍ، وجعله إلى مَدْخُورِ كرامته سبباً واصلًا، وسبيلًا نَهْجًا، وبعث به محمداً صلى الله عليه وسلم ليَهْدِيَ مَنْ كانَ حَيًّا، وَيَحِقِّ القَوْلُ على الكافرين .

## تقريضه في الخليفة

الحمد لله الذي أَمْصَقَ أَمِيرَ المؤمنين خِلافَتَه، وتَلَفَّى الأُمَّةَ بِسُلْطَانِهِ، فجعله القائمَ فيهم بِقُسْطِهِ، والمُسْتَفْرَغَ في أَلْتِمَاسِ مَصْلَحَتِهِمْ هَمَّهُ .

## لأحمد بن يوسف

عن ذى الراسين إلى إبراهيم بن إسماعيل بن داود صدر فتح :

أما بعد ، فالحمد لله الذى حَفِظَ من دينه ما صَبَّحَ المَلحدون، ورَأَبَ منه ما [فَرَقَه] <sup>(١)</sup> الصدعة؛ وأعاد من حبله ما حاولوا تَقْصُّه، حتى أعاد لعباده أحسن أَلَقَتِهِمْ، وردَّ إليهم أَجْمَلَ

(١) بياض في الأصل . وما أثبتناه ياسب المقام .



حودهم، من الاستشلاء بعد التردى في فخّم المعاطب، والاستنقاذ بعد التوريط في المهالك؛ وبلغ خليفته القائم بحقه، المؤتم بكتابه، الذائد عن حريم الدين، وبيراث النبيين، أجزل ما بلغ لثقفاء الراشدين المهديين، من إعلاء الكلمة، وظلّة الأعداء، والفوز بالعاقبة التي وعدّها المتقين؛ وفرغ لما أشعر قلبه، وشرح له صدره، من إضاء حكم المرائض الموجبة، واقتفاء السنن الهادية، حيث سلك به من المناهج؛ حمداً بوازي نعمه، ويبلغ أداء شكره، ويوجب مزيدة .

والحمد لله على ما خصنا به من إعلاء الدرجة، وإسناء الرتبة، في مشايعة أمير المؤمنين — أيده الله — والمجاهدة عن حقه، والوفاء لله بما عقده له؛ لا نريد بما كان منا إلا وجهه، ولا نسئ فيه إلا لرضاه؛ حمداً لا يمحى عنده، ولا يتقطع أمده .

### تمجيد لأبي عبيد الله

أما بعد، فالحمد لله ذي الآلاء والقدر، والعاول والعزه؛ الذي أصطفى الإسلام ديناً لنفسه، وهلاكته وأنيائه ومن كرم عليه من خلقه؛ فبعث به نبياً صلى الله عليه وسلم اختصاصاً له في ذلك بكراماته، وأصطفاه له به على عباده؛ فأعزّه ومنعه، وكفاه وحاطه، ونوكل لأهله بالعلم والتمكين، والظهور والتأييد؛ فلم يأت فيه واحد، ولم يزع عن قبول حقه زانع، بعد إظهار الله إليه، وإعادة الحجة لله عليه، إلا أنزل به من الدّل والتمهيد والاجتياح والاستنصال ما يجعل له فيه لمعاً حمداً كثيراً دائماً مخرجاً له، مؤتماً من غيره . موجباً لأفضل مزيد بوابه .

### تمجيد لسعيد بن حميد في نصح

أما بعد، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمه، ونعمته لا تحاضر في قدرته، والعزير فلا يقابل في أمره، والحكم العدل فلا يرتد حكمه، رائد امرعلا يكون نصرة الإلحق وأهله، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن إرادته . والهادي إلى سبيل رحمة فلا يصل من أقدار لطافه، والمقدم لإعداد لطائفه، حجه . الذي جعل فيه إنباده رحمة، وحلافته عصمة، وماعة حاله نورا واحداً على كنهه الإنم . به المنة من في أرضه



على ما بث به رُسله ، وأماؤه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والخاللون لهم على منافع حقّه ، لئلا تُشعّب بهم الطرق المحالفة لسيّله ، والهادون لهم إلى صراطه ليجمعهم على الجادة التي تدب إليها عباده ، بهم سُمي الدين من البُعاة الطاغين ، وحُفِظت معالم الحق من الغواه المخالفين ، مُتَجَبِّين على الأهم بكاتب الله عز وجل الذي آستعملهم به ، ورُعاة للأمر بحق الله الذي آخا بهم له . إن جادلوا كانت مُجبة الله معهم ، وإن حاربوا فالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة الله نصرهم ، وإن ضاهم عدو كانت نكايه الله حائلة دونهم ، ومُعقلا لهم ، وإن كادهم كائد فاقه في عوهم ، نصهم الله لإعزاز دينه ، من عاداهم فأما عادى الذين عزّ بهم وحُرس بهم حقّه ، ومن ناوَاهم فأما طمن على الحق الذي تكلّوه حراسهم ، جيوشهم بالرعب منصوره ، وكائبهم بسلطان الله من عدوهم محوطة ، وأيديهم بذبّها عن دين الله عالبة ، وأتباعهم بأناصرهم ظالمة ، وأحزاب أعدائهم ببغيتهم مقموعة ، ومُجتهم عند الله وحلّعه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه حاربه ، وعادته بهم وفي الأهم السالعه والقرون الخالية ماضية ، ليكون أهل الحق على يَمّة من انحار ساق الوعد ، وأعداؤه محجوبين بما قدّم إليهم من الإدبر ، مُعّله لهم نفعه الله أبدي أولائه ، مُعدّا لهم العذاب عند ردّهم إليه نحرًا موصولًا بواسمهم في ذُنُوبهم ؛ وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد . وصلى الله على محمد أميه المصطفى ، ورسوله المرصّى ، والمقدّم من الصلابة والعمى ، صلاة نامية بركائها ، دامية أنصافها ، وسلّم سلسلها .

والحمد لله تواضعًا لمعظمه ، والحمد لله إفرارًا بروبنته ، والحمد لله اعتراقًا قصور أقصى مازل الشكر على أدنى منزلة من مازل كرامه .

### فَمَا يَقَرِّظُ بِهِ الْخُلَافَةَ

والحمد لله الذي حارب الأُمم المُرّيين برأيه . وساق إليه حِلَاقته ، بالخاصة منها إليه ، والعهده منه عنها ، وأسحصى من حلقه من جمعه ضيهرًا للحوادث ، وعده للواري ؛ فلما



أفضت الخلافة إليه حير أمامه أحاجته ، وكشف قناعه لمُحاربتته ؛ فالحمد لله الذى اختص أمير المؤمنين بخلافته ، وأرتضاه لولاية أمير أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والقيام بحقه ، والذب عن حرّماته ، وحاط له ما أسترطه من ذلك ، وقلّده بحسن الولاية والكفاية ، وتوكل له بالحفظ والتأييد ، والنصر والغلبة والظهور على مَنْ عَدَد عن طاعته ، وصَدَف عن حقه ، وآبَتْنِي غير سبيله ؛ كرامة من الله تطوّل بها عليه ، ومِنّة منه توحّد بها له .

والحمد لله الذى جعل نية أمير المؤمنين حُرْمَتَهُ ، وفكره ورويته ، منذ أفضى الله بالخلافة إليه ، وجعله القائم بإرث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأستحفظه من عباده وبلاده فيما فيه عز الدين ، ونظام أمر المسلمين وترهينُ الشكر ، وإذلالُ الأعداء ، وإشجائهم ووقئهم ، وتحصين اليُضّة ، وإشجانُ الثغور ، ولمُ المُتشر ، وضمّ الأطراف ؛ لا يفتّاه عن ذلك فائئ ، ولا يذلّه له عن نفقة كبير أمره وصغيره ومقابلته ذاهل ؛ يستقل كثير ما يُنْفِق من الأموال في سدّ الثغور ، وتحصينها وحراستها ، لما يرجو فيه من جسم الحفظ ، وجريل الذئب ، وكثير الأجر ؛ تقربا الى الله واحتسابا له في جنب ثوابه ، وكريم ما به ؛ حتى رَأى به الصّدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبل ، وأقام به العوج ، وأطج به المجج ، وأعلى به الدرج ، وأزحق به الباطل ، وأحيا به الحق ، وأشام به سيوف أهل الضلالة والفِتنة ؛ لا تأخذه في القيام بحق الله والانتصار لدينه ، والانتصاح لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، واللّذّب عن حوزتهم ، والرعى من ورائهم ، ودفع بأفئدة أهل الشقاق والنفاق والخلاف والمعصية عنهم فترة ولا سامة ؛ توفيقا من الله ، وتسديدا لحُرْمَتِهِ ، وتأييدا لعزّمِهِ ، إذ كان الله شاكرا ، ولدينه ناصرا ، وبحقه قائما ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله وحده ، عليه يتوكل وعليه يتوكل المتوكلون .

والحمد لله الذى لم يزل منذ أفضى الى أمير المؤمنين بخلافته ، وحيّاه بكرامته ، يَخْتَصِمُه بالخيرة في كل ما أمضَى من أمره ، ويتولاه بالتوفيق في كل ما أبرَم من تديره ، ويهيّل عنه



أُحباه ما حمله ، وُعيّنه بتأييده على ما قلّده ، ويحوطه بجبل الصنع فيما ولاه وأستحفظه ،  
ويُلهمه جهاد عدوه ، ويحبوه بنصره ؛ حمدا قاضيا لحق نعمته ، مُوجبا أفضل مزيده .

والحمد لله الذى أورث أمير المؤمنين مواريت نبوته ، وصير اليه مقاليد خلافته ،  
وأوجب ذلك له بالقرابة برسوله صلى الله عليه وسلم ، والوراثة لوراثته من عُصْبته وأولى الناس  
به ؛ ثم أعرّ نصره ، وأعلى كلمته ، وأفّج حجّته ، وأظهر على المشركين والمنافقين ، ومن حاذه  
وطائفة من الناكثين والمارقين ، والبافين والملحدّين ، فأمس جدودهم وفعل وفعل .

والحمد لله الذى حرّف أمير المؤمنين منذ استخلفه فى أرضه ، وأثمته على خلقه ، من  
عظيم نعمه ، ولطيف صنّعه ، وجميل بلائه ، وأعزاز نصره ، وأعلاء يده وكلمته ، وإفلاج  
حجّته على مَنْ ضاده وحاذه ، إنّ الله بعظيم طوله ومته أرتضى أمير المؤمنين لدينه ، وأصبطنه  
لخلافته ؛ ففلاه سرّبالها ، ورداه بهامها وجمالها ، فاستعمله بالكتاب والسنة والحق والعدل  
فيها ؛ فأيدّه بقوّته ، وأعرّزّه بنصره ، وحاطه بكفائته ، وتولّى الصنع له فى جميع أموره ؛ فلم  
يَكِدْه كائد ، ويُعانده مُعانِد ، ويمسُق عن طاعته الواجبة مارق ، ويُلمد فى إمامته مُلحد ،  
مَنْ يُعَالِن بمصيبة وشقاق ، أو يتطوى على غلّ وِنفاق ، إلّا أوهن الله كيده ، وأمس جدّه ،  
وطاغل المُبادئ بعداوته ، الشاهر على الذين والمسلمين سيفه ، باصطلام ويّار ، وأمكن  
منه بذلّة وصغار ، وقتل الممرّ غيره ، المُتطوى على غلّه بغيظه ونمّه ، وأماته بدائه وحسرتّه ؛  
إنجازا منه جلّ ثناؤه لوعده ، وإتماما لكلمته فيما وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من  
أستغلاّهم فى أرضه ، وأثمّكين فى دينه ؛ وله الحمد دائما ، والشكرُ خالصا ، كما هو أهله وكما  
يُنْبئني أن يُعجّد ويُشكر ، لا إله إلّا هو الواحد القهار .

والحمد لله الذى لم يثّق لأمير المؤمنين عدوا من الناكثين والجاحدين ، والمشركين  
والمنافقين ، حاول نقضا لإمامته التى صيرها الله اليه ، وقلّده إياها ؛ أو صاول جيشا من  
جيوشه التى أعدها للحماية عن دين الله ومحارمه ، وإقامة سننه ومعاله ، إلّا أحلّ به التهمة ،  
وأصاره الى الصغار والثلّة ، والبوار والهلكة ، ومجّله الى ناره وعذابه .



والحمد لله الذى لم يزل يتولى أمير المؤمنين بحياطته ، ويتوحد له من إعزاز نصره وإعلاء كلمته ، وإفلاج مجته ، وتأيد أوليائه وأنصار حقه ؛ وأزّل البأس والقنم والمثلات والسطوة بمن عانده ، والدّب عن حريم المسلمين وأهله ؛ بما يتيّن به عن مكانه منه ، ومزلته عنده ؛ حميدا ربنا بذلك كما هو أهله ومستحقه ، مشكورا بعظيم منة فيه وعلوه ، مسئولا لتحمّام أحسن عائدته وماضى سنته ؛ فإن الله المحمود على نعمه ، المشكور بالآلته ، لم يزل مايتوحد به لأمر المؤمنين بسلطانته من التعزيز ، وفى أوليائه من التأيد بنصره ، عادة يتيّن بها برهانه ، ويُفْلَج بها مجته ، ويدلّ بها على كرامته عليه ، ويُخبر بها عن منزلته عنده ؛ ويعمل ما نزل بأعدائه المتولين عنه ، الراغبين إلى ضيره ، المُلحدين فى حقه ، عِظّة لمن قسا قلبه ، وران عليه سوء عمله ، ليكون ما يُعْطيه من البسط فى ملكه ، والتمهيد فيما خوّله له ، ويؤفقه من السطوة بعدوه ، والتنكيل بمن خالفه ، مجتنبين منظاريتين ، وعبرتين بعين ؛ فيمتصم<sup>(١)</sup> معتصم ، وينجو ناج ، وليشجّب [شاجب]<sup>(٢)</sup> ويهلك هالك ، وقد مضت من الله المشيئة ، ووضح منه الإعدار ، وكان الله بعباده عليما ، وبأعمالهم خبيرا .

والحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بخلافته : وجعله وارث وحيه ، وقيمه بكتابته فى عبادته ، وأكرم هذه الأمة التى جعلها خير أمة أخرجت للناس به ؛ فهو المبدون فى تديره المنجح حويله ، الميمون<sup>١</sup> النبية ، الموفق<sup>٢</sup> الرأى والسياسة ؛ فإن الله عز وجل خلق الخلائق بقدرته ، واختارهم بعلمه ، فاختر أمير المؤمنين لخلافته ، وأصطنعه للقيام فى العباد والبلاد بأمره وقسطه ، وألهمه إقامة أحكامه وفرائضه ، والعمل بحقه وعدله ، وألّى أهل الشرك به ، وأتّرها الى أيام دولته ، وحفظها عمن كان قبله ؛ حتى حاز له أجرها ، وأبقى له سناها وذكراها ، ونشر عنه أحداثتها وسماعها ؛ وفتح عليه البلدان القاصية ، والمدائن المتناحية ، التى لم تكن تُرام من أهلها ، ولا يُطَمَع فى زوالها ؛ وذلت له الملوك القديم عتوها وصنادها ، والأئم المستعصب مراسها وجهادها ، الحادية فى آباد الدهور رحاما ؛ فأنفذ فيهم مكيدته ، وأنجح

(١) كذا فى الأصل . ولها بالتقدير . (٢) كذا فى الأصل ، ولها وليشجّب .



سعيه، ورماهم بالتخويف، وملا قلوبهم رُحاً منه ؛ فاذعن مَدْعُوهم بطاعته ، وأتقادوا لأمره ، وصاروا يدا وأحواثاً لأوليائه على أعدائه .

أما بعد ، فإن أعظم النعم قدراً ، وأجلها أمراً ، وأسرّها مَوْقِعاً ، وأوجبها شُكْراً ، ما عم الإسلام والمسلمين نِعْمُها ، وطأدت عليهم عَائِدَتُها ، وجعل الله فيه عزّ الدين ، وذُلّ المشركين ؛ وقد جعل الله ذلك في خلافة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بمنه وبركاته ، وما أخلص الله من نيّته وطاعته ، وتأدية حقّه فيما استحقّظه من أمر دينه وعباده ، وفرغ له نفسه ، وأنصب فيه بدنه ، وأسهر فيه ليله ، من حياطة حريم الإسلام ، والزيادة في حدودها مُتَّصِلاً مُتَّابِعاً ، والنعم متظاهرة ومُتَوَافِرَةٌ ، فسهّل الصعب ، وذللّ له العزّيز ، وقصم حُتَاة الأعداء ومتكبريهم ، والمستعصين والمستعصيين منهم ، في آباء الدهور على من رامهم ، وفتح عليهم حصون مدائنهم ؛ وفتح قلاعهم ، وأنفذ مكيدته فيهم ؛ فبين مقتول ومأسور ، وشريد طريد عن محبته ، وموضع عزّه ومنعته ، مُستسلم مُعْطِ قِيَادَه باخع بطاعته ؛ وكذا فإن الله بمنه وكرمه قد أوصل لأمر المؤمنين من صنعه له فيما قلده من خلافته ، وحياطته لإياها فيما يحوطه من دينه ، وعرفه من كفايته فيما قام به من حقّه ، وأيده من نصره فيما جاهد عنه في سبيله ، ما قد جعل النعمة به عامة ، والشكر به لازماً ، وإِثْنَه به واجبة ، والصنع عظيمًا ؛ فالحمد لله على نعمه في ذلك كثيرًا .

والحمد لله الذي جعل اجتهد أمير المؤمنين ومقام أمره وكديره ، في آناء الليل ونهاره ، فيما فيه صلاح عباده ، وإعزاز دينه وإقامة حقّه .

### تحميد

الحمد لله الذي لمّا أقرض من الطاعة لُولَاة الأمر من خلفائه جعل أوائلها ناطقة عن فضل وأنعمها ، وبوادئها مُحْيِرة عن حميد عواقبها ، ومواردّها مُبَشِّرة بالعلو في مصادرها ، بما يعقبه أهلها من السعادة في الماضين من أولياتها القائمين بحقّها ؛ وعاد من الشقوة على مُقَارِفِ الْمُتَعَصِيَةِ الْمُتَحَدِّينِ إليها ؛ حين أقبلت بهم هَوَادِي الْفِتَنِ ، وكشفت لهم تَوَالِيهَا عن البوار



والهلكة ؛ مُعتدِرِينَ حين لا عذر ولا حُجَّة ، طالِبِينَ لِلهَارِبِ بعد أن كانت منازلُ السلامة بهم مُعلَمةً ، وخائفِينَ وقد كانت سُبُلُ الأَمَنِ لَمْ واضحةً ؛ قد جعلتهم النعمة الواقعة بهم أمثالا سائرة ، وفزقت بينهم وبين النعم الشاملة ، وحصلت السعادة لمن أمتعهم بهم باقية ، سنة من الله فيهم ماضية ، وعادة جارية ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته فخرس به دينه من البُغاة الناكِلين عنه ، وأختصه بأعلاء رُتب كرامته ، وأقرض طاعته على عبادته ، وجعلها بمواقعها في دينه نظاما لسائر فرائضه ، فشاركها مفارق لمعضمة حقه ، خارج من جملة الأئمة التي سبقت لها رحمته ؛ يستنصر أشياع الباطل والله خاذله ، ويُطالب الحق والله غالبه ، ويطلب مالا سبيل له إليه والله طالبه ؛ حتى يخلجه أجله عن أملة ، وأقدارُ الله فيه عن تقديره ، ونفوذُ قضاء الله فيه عن نفوذ حيله ؛ فضلا من الله على أوليائه وقضاء منه عدلا في أعدائه ، والله ذو الفضل العظيم .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لرعاية عبادته ، وحفظ بلاده ، وتنفيذ أحكامه ، وإقامة حدوده ؛ لجمع به الأئمة ، وكف به بوائق الفتن ، وأصلح به أمور الأئمة ، وسكن به الدهماء ، ودفع به عظيم البلاء ، وأقذ به من الجُهد والألواء ؛ وجدد لرعيته العبر الشافية ، والعظة الناهية ، وجعل همه السعى لربه ، وطلب الحق الذي أوجبه له من خلافته ، ليؤدّى فرضه في الأمانة التي حملها ؛ فيوجب له بذلك مالا يزول ولا ينقطع من توابه ، فأعمل رأيه في الرأفة بمن ولّاه أمره ، والحياطة له ، والعناية بصلاحهم ؛ فأعطاه لين الموعظة في وقت الثاني ، والنفوذ لإقامة الحجّة والبيّنة . وشده السطوة على مَنْ غمط النعمة وعند به الإصرار عن التزوع والفتنة ؛ ممّا من الله وفضلا ، وإحسانا وتطولا ، والله ذو فضل عظيم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبتدئا ومُعقبا ، وأولا وآخر ، وبصل كلّ مسألة ، وأمام كلّ رعية ، ومُقدمة كلّ طليبة ؛ أن يُصلّى على صفوته من عبادته ، ويحييته وخاتم أنبيائه ورُسله ، نجيده عبده ورسوله . أقضل لمراته ، ريارك أكثر بركاته ، وأن يُديم له كرامته ، ويُجرى عمله أجل ناداته . ويُتمّ له ما أخص به من إحسانه ؛ حتى يملأ الأرض عدلا وقسطا ،



والإسلام تأييدا وعِزًّا، والشُّرك ذُلًّا وقَمًّا؛ إِنَّهُ وَلِيَ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ، وَقَايَةُ كُلِّ حَاجَةٍ .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ الوقت الذي أفضى الله إليه بخلافته ، وأكرمته برّدِ حقّه من إرث نُبُوّته ، يتلقّى عظيم النعمة في ذلك بالإخلاص للنبيّة والطّويّة في الصّبح عن كلّ زَلّة ، والإقالة لكلّ عَثرة ، والتّعمد للهقوة وقبول الغيبة ، والإنيابة من عظم جرمه ، وجَلّ ذنبه ، وظنّ أن لا توبة له ؛ وكلما جدد الله له نعمة ، جدد له في ذلك نيّة حسنة ، شكر الله عزّ وجلّ على ما ابتدأه به ، وارتهاناً لنعمه عنده ، واسترادّة من جميل مَوَاهبه ، وتقديم الاهتمام بما فيه صلاح رعيّته ، واستقامة أمورها ، وحياطينها والدّب عنها ، وكفّ الأذى والمكروه عن الداني والقاصي منها ؛ ويتخلّص إلى ذلك بكلّ ما ييجد إليه السبيل ويصنّعه فيه ، ويعملُ لكثرة أوقات دهره في كلّ ما يلفّه محبّته نظراً لها ، وحداً على كافتها ، وإشفاقاً من سوء حالها ؛ إذ كان لها والدّاً برّاً ، وراعياً كالثاء ، وناظراً لطيفاً ؛ ويستعمل كلّ ما يرجو استلافها ، والإبقاء على أحوالها ، والسلامة لها في دينها ودنياها ؛ وينصبّ لذلك ليله ونهاره ، ويذيبُ فيه نفسه ، ويعمله شغله دون غيره .

والحمد لله الذي أصطفى أمير المؤمنين بخلافته ، وأكرمته بإرث نُبُوّته ، وجعل خلافته خلافة يُمْن وبركة ، ولطف وسعادة ؛ انتاش بها أوليائه من موارد الهلكة ورفع منزلتهم ، وشرف درجاتهم ، وأعلى كُتبتهم ، وأذلّ بها أعداءهم ، وجذّ دوابهم ، وردّ دائرة السوء عليهم ؛ وحباة مزيّة نصره وتمكينه ، وإعزازَه وتأييده ، وإظهاره على من ناواه وعنّد عن حقّه ، وصدّف عن طاعته ؛ فإن الله لما اختار أمير المؤمنين لخلافته فأَيّده بها ، جعل الحقّ نيّته ، وإعزاز الدين بُغيّته ، ومجاهدة أعداء الله نمرقا وغربا وبراً وبحراً نهمته وإرادته ؛ ثم يسره في ذلك لما أحسن به عونهُ ، على من استحفظه وقلده ، فضلاً من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .



والحمد لله الذي كان لسابق عليه وسالف قضائه، الذي لا يستطيع الناس رده، ولا منعه ولا صرفه، ما ولى أمير المؤمنين من خلافته، وما آتته له من النصر لدينه، والطلب لحقه، والجهاد لأعدائه، وأحسن في ذلك عونه فيه وبلائه، وأيده في نفسه، لم يتقصه خذلان خاذل، ولا مخالفة من خالف، ولم يزد أمره في شيء من ذلك إلا تماما وإحكاما، حتى أظهر حقه، وأفجع مجتبه، وعحق باطل أعدائه، وأدحض حججهم، وجعل أهل طاعته حزبه الغالبين، وجنوده المنصورين، وجعل مدقوه وعدوكم حزب الشيطان الخاسرين، وأولياءه الأذنين، بغير حول من أمير المؤمنين في شيء مما ولّاه وأبلاه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

### لأبي حميد الله

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما أصاب إليه من الخلافة وإرث النبوة، وجعله القائم بأمر عباده وبلايه، وأنهي لسلته، والذباب عن دينه وحقه، والمناصب لأهل الشرك والجحود به، ثم نصره وأظهر فضل أيامه ودولته، ومكن له في بلاد عدوه، وجعل كلبته العليا وأنصاره الغالبين، ومن ناواه من أهل الخلاف الأذنين المقهورين، وعرفه من نعمته في ذلك ويمته وجعل صنعه وطائيه، أحسن ما عود أحدا من أوليائه الذائين عن الإسلام وأهله، حمدا متتابعا لا أقطاع له ولا أنصرام، دون بلوغ حقه، وقد كان كذا وكذا .

### ما يكتب به في المخالفين في وقت الهزيمة

نكصوا على أديبارهم منكوبين مهزومين، قد ضرب الله وجوههم، وقت في أعضادهم، ومنح الأولياء أكافهم، فقتلهم في كل فج، وعلى رأس كل تلمة ومهرب ومسلك، أباد الله خضرأهم وغضرائهم، وحصد شوكتهم، وفل حنهم، وأباح نيران ضلالتهم وكفرهم، وشفى منهم الصدور، وأدرك منهم الإحن، ونقل المسامين أموالهم وذرائعهم، وجعلهم لهم حولا وعيدا، وأورثهم أرضهم وديارهم، وأحل الله بهم من البأس والنقمة والجاهة



والظهور والغلبة جزءاً من الله لمن أخذ إلى المعصية وأبغى غير مسيله المسلوكة . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إن الله لا يخلف الميعاد . ثم أنزل الله عز وجل من صار إلى الأمصار منهم هرباً ، وأعتصم بالحصون ، وتعوذ بالجبال ، ولاذ بالقلع ، وجأ إلى الأودية ، من صياصيهم ، وأمكن من نواصيهم ، وأستخرجهم من أوزارهم ومعاقلهم وتعوذهم ، وأخذ أسيراً ذليلاً منكوباً خائفاً قد نصب الوجل قلبه وملا الرعب صدره ، متوقفاً أن ينزل الله به من الغمات والمثلثات مالا مرد له عن مثله من القوم الظالمين ، وفشت في الكفرة الحراصات ، وعضبتهم السيوف ، وشربت فيهم القنا ، وهرتهم نار الحرب ، وغالم الأتزال ، ومارسهم الأبطال ، وأستحز فيهم القتل ، فصبر لهم الأولياء أحسن صبر ، فلم يطيقوا بالموت مراماً ولا على الحرب مقاماً .

### في صفة الخالعين

الناصبين لدين الله ، المكذبين بآياته ، الجاحدين رسله ، الجاحلين معه إلهاً ، لا إله إلا هو ، لطول ملتهم ، وشدة شوكتهم ، وصعوبة مرامهم ، وقطعهم السبل وأتاهم المحارم وسفكهم الدماء التي أوجب الله على من سفكها بغير حلتها وأقترف وأحتمل وزرها ، أليم العذاب وشديد العقاب ، فأبوا إلا تمادياً في ضلالتهم ، وعُتُوا في طغيانهم ، وشبوا على عصيانهم ، ومقاماً على كفرهم ، لأحداثه السالفة ، وغوائله المتقدمة ، وبوائقه المشجعة ، فوقف بميلابن نكل التقدم وحقيقة الأصطلام في التأثر ، دعاهم إلى الفئمة والمراجعة والإجابة وقبول الأمان والدخول في الطاعة ، أستظهاراً بالجنة عليهم ، ورجاءً لصنع الله فيهم . فلما بلغهم نزول فيمن معي ، جمع أصحابه ، وضم جنده ، وتمحز في معسكره ، وخندق على منزله ، وأحترس يجهده ، فألت مُسَكْرَى ، وأنا مع ذلك في كل يوم أوجه رُسُلِي وأدعوه إلى حفظه ، من طاعة أمير المؤمنين والدخول في أمانه ، وأعلمه أن له نظراء ممن غمط الطاعة ، وسيفه الجماعة ، وقد ركضوا في الفتنة عمرهم وسعوا فيه دهرهم ، فانتشر خبرهم ، وكثرتهم ، وكبر وزرهم ، ونقل وقرهم ، ثم أذعنوا لطاعتهم ، وأستقلوا



ناهضين من عقبتهم ، ومتعشين من زلتهم ، ففُفِرَتْ ذنوبهم ، وقُبِلَتْ توبتهم ، وَفُسِحَ لَهُمْ في أمانهم ، وَشُرُفَتْ مَراتِلُهُمْ ، وَاسْتَبَدَلُوا بِالْخَوْفِ أَمْنًا وَبِالذِّلِّ عِزًّا ، فَأَبَى بِهِ مِيلَ الْهَوَى ، وَغَلَبَتِ الشَّقْوَةُ ، وَمَسْتَعْلَى النَّوَايَا ، وَالْقَدَرُ الْمَخَارِبَ ، وَالْقَضَاءُ الْمَحْتَمُ . وَتَقَدَّمْتُ فِي مَوَاقِفِهِمْ وَتَرْغِيهِمْ ، وَالْأَخْذُ بِالْمُخْتَقِ مِنْهُمْ ، مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَلَا تَتَاوُلِ سِلَاحٍ ، وَلَا تَتَاوَشَ صِيَالٌ <sup>(١)</sup> ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِنَابَةِ ، وَأَعْطَيْتُهُمُ الْأَمَانَ ، وَأَعْلَيْتُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ قَبِلُوا حَيْدَتَهُمْ وَأَعْمَلَتْ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا تَمَادِيًا فِي غَيْبِهِمْ وَنُكُوصًا عَلَى شِقَائِهِمْ ، وَلَيْتُ مَنَاجِرَتَهُمْ وَعَرَفْتُ مِنْ اللَّهِ الْخَيْرَ فِي عَمَارَتِهِمْ ، وَأَسْمَعْتُهُ عَلَيْهِمْ وَأَسْتَكْفَيْتُهُ أَمْرَهُمْ ، وَرَجَوْتُ حَسَنَ عِلَادَتِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْثَالِهِمْ . ثُمَّ وَجَّهْتُ الْأَوْلِيَاءَ فَغَفَدُوا بِحَوْصِ عَسْكَرِهِمْ لَيْلًا وَهُمْ مَتَفَرِّقُونَ فِي رَحَالِهِمْ ، مَفْتَرُونَ فِي أَوْطَانِهِمْ ، قَدْ أَمِنُوا خَدَعَ الْحُرُوبِ وَمَكْرَهَا وَمَكِيدَتَهَا ، وَوَقَعَتِ الْيَاثُ وَهَوُلَهَا ، إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَهْلُ عِدَدٍ وَصُدَّةٌ ، وَبِاسٍ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقُوَّةٌ ، اتَّخَذُوا اللَّيْلَ جَمَلًا ، وَسَرَّوْا نَحْوَنَا يَرْجُونَ غَيْرَتَنَا وَيَأْمُلُونَ غَفْلَتَنَا ، فَوَقَفَ جَنْدُنَا بِمَكَانِهِمْ أَخَذِينَ أَهْبَتَهُمْ ، مَتَمَسِّكِينَ بِالطَّاعَةِ فِيمَا بِهِ أَمْرَتُهُمْ ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ طَائِفَةٌ فَدَفَعُوهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَنَالُوهُمْ بِمِجْرَاحَاتٍ مَعَ قَتْلِ مَنْهُمْ عِنْدَ تَتَاوُسِهِمْ ، ثُمَّ نَكَصُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ، وَرَجَعُوا الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِلَى الْبَاقِينَ مِنْ سَرِيَّتِهِمْ ، فَاسْتَجَاشُوهُمْ فَاجَاهَمُ بِالْمَكَائِفَةِ وَالْمُؤَاوِزَةِ ، وَأَقْبَلُوا بِمِجْيَتِهِمْ وَحَقَّقَهُمْ حَتَّى حَمَلُوا حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَضَاقَ الْقَضَاءُ وَطَارَتْ أَفْتَدَةُ جَنْدُنَا رُجْبًا مِنْ حَتْلَتِهِمْ ، وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ ، إِلَّا طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ لَوَاخِ الْحَرْبِ وَمَوَاضِي رَوَاحِئِهَا وَأَشْبَالِ لَيْدَتِهَا ، تَزَيَّنُوا بِالطَّاعَةِ فَأَمَّا حَسَنُ الْعَاقِبَةِ ، وَنَصَرُوا الدِّينَ ، فَوَثَّقُوا بِالْمَتَكِبِينَ ، أَتَدَبَّعُوا إِلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا لَهُمْ ، وَازْدَادُوا بِصِيرَةٍ فِي أَمْرِهِمْ ، وَنَفَازًا وَجِدًّا فِي اجْتِهَادِهِمْ وَمَجَاهِدَتِهِمْ ، فَهَبُوا قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ فِي أَحْوَالِهِمْ ، قَاتِلِينَ بِالْعَدْلِ فِي أَمْلَائِهِمْ ، يَسْأَلُونَهُمُ الْكَرَّةَ بَعْدَ الْكَرَّةِ ، وَيَعِدُونَهُمُ النَّالَةَ ، وَيُمْنُونَهُمُ السَّلَامَةَ ، وَيُضْمِنُونَ لَهُمُ الْغَنِيمَةَ ، فَفَعَّلُوا إِيَّاهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ ، فَضَاعُوا سَاعَةَ بِالْقَنَى



بعد تزاميمهم إرشاقاً ، بالسهام فلما رأى أعداء الله جحشهم ، وعرفوا صدقهم ، وخافوا حشهم ،  
نكصوا على أعقابهم ، يريدون التفات بمسكرهم ، وتمزق أعضائنا في طلبهم ، ورجوا سوء  
الصباح لهم ، فامتنوا في أثرهم ، فلما أحسوا الفساق أعطوهم الضمة وولوا إلى ديارهم  
لا يلوى قريب على قريب ، ولا ذورحم على حبيب ، ونالتهم القنينة ففسدتهم ، وعصفت  
هائمهم السيوف فكششهم ، وحيل بينهم وبين الدخول من باب مسكرهم ، فأخذوا في غير طريقه  
منهمزمين ، قد فل الله حشهم ، وقُلل كثرتهم ، وقتل مائة منهم ، ورجع أعضائنا إلى معسكر أعدائهم  
بعد التشريد والتفريق بجماعتهم ، فأحاطوا بهم في آخرياتهم ، فلما رأوا غفلتهم ، وأمنوا  
غيرتهم ، وأتهزوا مكان الفرصة منهم أحاطوا بهم وهم نائمون ، فازنوا غافلون متفوقون ،  
فوضعوا السلاح فيهم ، ضرباً بالسيوف ، وطعنوا بالرهاح ، وضربوا بالأعمدة ، وذبحوا بالشفار ،  
لا يشعرون من جرحوا ، ولا يثيقون من كلوا ، غير مدفوعين ولا ممنوعين ، حتى أثقلت  
السيوف ، وتخطمت القنينة وآذنت الأعمدة ، وكَلَّت الشفار ، وبقيت منهم عدة يسيرة  
وشريحة قليلة ممن لم ينله القتل ، فأخذوا أسرى ، وأوثقوا حديدًا ، وتُكَلوا قيودًا ، وكان  
أول رأس أتاني بخبره بتسيرهم وأسرع به إلى ذو المعرفة منهم رأس صدوق الله المارق<sup>(٢)</sup>  
الباغي ، الشاق لعصا المسلمين ، ملائى رئيس ضلالتهم ، وفائد جهالتهم ، ومستغوى  
جماعتهم ، فعرفته بجاليته ونعته وصفته في عدد كثير من رموس قواده وأهل الفتنة وأئمة  
البدعة ، فلم يلبثوا إلا ريثما تصدعوا في كل جبل وتجر ، منهمزمين هارين ، لا يستطيعون لما  
أنهم من عذاب الله دفعا ولا منعا إلا ولا قوة ، ولا يلجئون إلى ركن وعصمة ، قد تشكت  
بهم نظامهم ، وفارقهم وجوههم وأعلامهم ، فأخذهم أسرا قسرا قدمهم النصب ، وملا  
قلوبهم الرعب وتخزيتهم الوقائع - ونخبتهم الهزائم - وتحجنتهم القتل ، وظل الله عز وجل  
لأمير المؤمنين على حصنه الذى كان مُناف عزه ، وموضع مَنَعته في نفسه ، وجمتمع مدته ،  
ومادة قوته ، فقوضوا عساكرهم ، وأقشعوا عن حصنهم يتبع آخرهم أولهم ، متعدين متلذذين ،



أذلة خاسرين، ففترقوا لا نظام لهم ولا جامع لشتاتهم . فلما استعجز القتل فيهم، وقشّت الحراكات في عامتهم، وطحنتم الحرب بكلكلها، وألما وقع حديد أنيابها ومساعرها، خلف الله الرعب في قلوبهم وزلزل بهم أقدامهم، فولوا منهزمين مغلولين، وركب المسامون أكافهم، يقتلونهم في رموس جبالهم، وخلال غياضهم، وبطون أوديتهم، ومقاصي تلامهم، وفي كل ناحية من نواحيهم، حتى عجز الليل دونهم، وأعجزهم هربا في معاقلهم.

### وفي العصاة

حتى إذا ظن أن قد عزّ بضلاله، وتحصن بمعاقله، وأستكمل قواه، وكثف مربيه، ولبأ إلى مانع منه ودافع عنه، عطف عليه عواطف الحق بأوليائه الحق وأنصاره، ناقضين ما أبرم، ومتداولين ما سدّ، ومتوغّين إلى غيه ببصائرهم، وإلى باطله بحقهم، فاستنزّل عن موضع عزّه قسرا، وأمكن الله أوليائه أسرا، سنة الله فيمن عَنَدَ عن سبيله، وألحد في دينه، وصرق عن الطاعة وثاقها، وأستبدل بالحق ومنهاجه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، ولن تجد من دونه مُتَّحِدا ولا نصيرا، حتى إذا تراءى الجمعان تبرا الشيطان من حزبه، وأرهم الله باطلهم بحقه، وجعل الفلج والظفر لأولى الحزبين به، بذلك جرت سنة الله في الماضين من خلقه، وذلك ما وعد من تمسك بأمره وطاعته .

### وفي مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم

لما بَلَا من طاعته، وأختبر من نصيحته، ويئِنَّ قبيته، وشدة شكيمته، وصحة عزيمته، وصدق نيته، وثقل طاعته على أعداء الله وأعداء الدين والمسلمين، وعلمه بمراوضة الحرب وممارستها، ومكايده الأعداء ومواقفتهم فيها، فشمّر تسمير أهل الحسبة وحسن الظن بالله من غير وثية ولا فترة ولا بقاء جد ولا اجتهاد، راجيا أن يُنَّج الله سعيه، ويفلج حجبته، ويظهره على عدوه من الاستقلال الذي حمله، والاضطلاع بما أسند إليه، والامتثال لسيرته، والالتناء إلى أمره، والقبول لأدبه، والخفوف بما يستهضه له من حروبه وأموره مثل الذي جعل عند فلان : يفضلهم بطوله، ويظومهم بحاسنه، ويتقدّمهم بحسن بلائه وغنائمه،



ومواقفه ومساعدته، لم يختبره أمير المؤمنين في جميع خصاله إلا وجده عند الاختبار والتحصيل سالكا لمنهج، قابلا لأمره، متبعا لأثره، ساميا بهيمته إلى أقصى الغايات وأعلى الدرجات، حتى صار عند أمير المؤمنين مقلما في القدر والرتبة، مخصوصا بالمتلة والرفعة، يرى ذلك قليلا في كثير ما وجب بطاعته ونصيحته، فبارك الله عليه وليا ظهيرا . فأقدموا متوكلين على الله مسلمين لأمره صابرين على ما نالهم من الآواء والجهد والتعب وكلب الشتاء وحرارة القيظ، وصعوبة المرام من أعداء الله الكفرة، يرجون نصر الله وتبخر ما وعد الصابرين والمجاهدين في سبيله من الظفر والنصر والغلبة على عدوهم، توحد به من نصرهم وإعزازهم أن كان الله عز وجل تكفل لأوليائه بالنصر والعز والحيلة، وجعل حسن العاقبة لهم، وكبت من سادهم وأخذ إلى المعصية والكفر والأسر، ليكونوا بذلك عظة ونكالا لمن أمهله الله منهم، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم، أعظمهم غنا، وأحسنهم بلاء، وأشدهم صولة، وأقسامهم نكاية، وأمنهم سريرة، وأضاهم عزيمة، وأربطهم جاشا، وأصدقهم بأسا، وأملأهم للأقران، وأراحهم لوثائق الإيمان، وأشدهم تحديا على السلطان، فأزره بهم، وحصن أطراف خلافته بأيديهم، فكفوه المهمل وقاموا بدوره بألم، غير مستطيلين بفناء، ولا متمرضين لطلب جزاء، قد تعبدوا الوفاء، وغنوا بقرعة الولاء، فإن الله جعل آباءه أعلاما في الطاعة يبدون إليها وأوليته قادة إلى سبيل النصيحة يتمسك المناصحون بآثارهم فيها، باقيا على ذكر الأيام ذكر مساعيمهم، وزائدة على تصرف الأيام حقوقهم، وبأديا للعيون حميد أفعالهم، لا تنصرف الأخبار عن سالف لهم إلا وصلوه بمحادث، ولا يتقدم لهم من بلائهم أول إلا أتبعه آخر. ففلان يجري في أمره على منهاج قد أوضحوه له، ويسلك في الطاعة طريقا قد سهلوا له مذهبهم، ويتمسك بمرأ وثيقة قد رأى آثارها على من تقدمه، والله محمود . ولم يزل الله يعزف أمير المؤمنين في كل ما أسنده إلى فلان من أعماله وقلة من أموره، المبالغة في قضاء الحق عليه ويؤمن النقية فيما يتولاه، والاجتهاد في كل ما قربه من الله وخليفته . وأمير المؤمنين يحمده الله على ما يخصه



به من نعمته ، وإياه يستعين على قضاء حقّه ، إنه سميع قريب . فإنّ كتابك ورد على أمير المؤمنين بما لم يزل يتطلّع اليه منك ويؤمله عندك ، ويرجو أن يوفقك الله فيه لرشدك ، ويؤثرك منه بحظّك ، لأنّ الذي كان يلفه وينتهي اليه من خبرك ، في أحوالك وتصرفك في خصال الخير ، وتتقلّب في درجاتها ، مساميا لاهل الفضل في مراتبهم ، مترينا بصالح أفعال الملوك في قصد سيرتهم ، وحسن طريقتهم ، ولين أكتافهم . لحقّق الله ظنّه بك ، وأجاب دعاؤه لك ، وبلغ بك أمنيته ، وأعطاه فيك رغبته . وكنت فيما هُديت له باقتيادك إليه راغبا ، ودخولك فيه محتسبا ، مستوليا على أسنى الأمور مؤونة ، وأفضلها ذخيرة ، وأعلاها درجة ، وخيرها طائفة ، وأعمها سلامة ، وأمنها كهف ، وأبقاها شرف ، وأعدلها حكما ، وأطولها سائما ، مستحقا بذلك على الله عز وجل زيادة المُلْك فيها ، وبهاء الثروة ، وأنسبها القدرة ، وآتساع المملكة ، وظهور القلبَة وعزّ التمكين ، والنصرة في الدار التي حُيت فيها بقليل ما ترجو أن تصير اليه من ثواب الله عز وجل وحسن مجازاته بالنعيم المقيم في دار الأَمَد ، ومحلّ الأبد ، بما لا يباينه إحصاء ، ولا يكون له انتهاء ، وملاؤه فرحا وآتجاجا ، وسرورا وجدلا ، ورجاء لك من الله عز وجل حسن عونه وتوفيقه أن يغلب لك على حظّك ، وأن يأخذ إلى تقواه بقلبك ويحصل فيما عنده ورغبتك ، وإلى ذلك سموك وهمّك . وليس ينقّ أمير المؤمنين مقتضا فيك أثرا يحمّده ، ومتصفحا بخبر يهجه ، ومستعدنا نعمة من الله عز وجل يرجو اتصالها وآتساقها لديه بك ، حتى يتناهى إلى الدرجة العليا ، والغاية القصوى ، <sup>(١)</sup> [يتقبّيه] من أجثاث أرومة الفسقة وقطع دابرهم . وبالله الثقة والحوّل والقوّة ، متعرّفا من الله فيما فارقه . من جهاد عدوّه أتمّ مصادق وعد القاعين بحقه ، الصابرين في جنبه ، وأحسن ما أبل ، ذائدا عن حريم ، ومحصّنا لبيضة ، ومدانغا عن ملّة ، فشمّر شاريا لله نفسه ، طارحا عنه لباس الغفلة ، متجافيا عن مهاد الوطأة ، وليس تدخله الخلة والوحشة على من كنت قريبا منه ، ولا يمتنع لأمر المؤمنين طَرْف أنت فيه ، ولا أمر يُعين عليه ويتسكك بسبب من اسبابه .

(١) يباض في الأصل والسياق بمقتضى ما استثناء .



## وصف الأولياء في الكتب

وصار أهل السُّمُو إلى الدرجة العليا ، والاعتصام بالعروة الوثقى ، من أولياء أمير المؤمنين وشيعته ، مُشرحةً صدورهم بمكافئته ، مُنْبِسطَةً أيديهم بمعاونته ، وقسيم لأمر المؤمنين من أولياء دينه وأنصاره ، قَوْمٌ آزرهم بالنصر ، وَكَتَفَهُم باليقين ، وألَّفَ بصائرهم على الحق ، وأَيَّدَهُم بِمُؤَيَّدَاتِ التقوى ، فلما أَمَرَهُم أَطَاعُوا أَمْرَهُ ، وَلَمَّا فَرَضُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ طَاعَتَهُ ، فرض الله نصرهم وتمكينهم ، بخاهد مجاهدتهم مُسْتَبِصِرًا مُحْتَسِبًا ، وقام قائمهم بالحق عليه مُخْلِصًا مُجْتَبِيًا ، وقادتهم طلائع الدين ودواعيه أرسالا قُدَمَا ، فَاتَّبَعُوا سَبِيلَهُ لَا نَاكِلِينَ عَنْ إِقْدَامِ ، وَلَا مُتَوَقِّفِينَ عَنْ آرْيَابِ ، وَلَا مُتَبَيِّنِينَ ، مع دخالهم وبصائرهم ، عدوا ولا عنادا ، طالبين بشار الدين بُغَاةً ، وبطوائل الإسلام عداةً : من صنوف أمم الكفر ومرتدة النفاق وأئمة المُلْحَدِينَ ، متقلدين للحق ونُصْرَتِهِ ، ولئن تَمَّتْ الْحَقُّ بِهِمْ ومضى ، ولئن مع الحق من نَكَثَ عنه بالسُّتْمِ وأيديهم ، حتى فتح الله عز وجل لأمر المؤمنين معاقل الشُّرْكِ وأئمة ، وأناخ الباطل وأركانَه ، وأعلامَ الْبِدْعِ وأتباعها ، فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً ، والله عليمٌ حكيمٌ ؛ إن هزرتهم قطعوا قطع الحسام ، وإن أجريتهم في عزيمة وقعوا وقع الجياد ، وإن استغيت ودام الفناء لك عن جميع العاملين ، كانوا رصداً لك فوق أعناق الحاسدين .

## ما يُقَرَّظُ به أمير المؤمنين في أواخر الكتب

ليعرفوا موقع نعم الله عند أمير المؤمنين . يحوطه به في أوليائه ، من النصر والتمكين ، وعلى أعدائه من الوقم<sup>(١)</sup> والتوهين ؛ ويشكر الله على النعمة في ذلك ، إن الشكر مُحْصَنٌ للنعم ، وأمان من الغير ، لِتَحْمِلُوا مَوَاقِعَ النِّعْمَةِ طِهِم ، فيما يجمع الله بأمر المؤمنين من كلمتهم ، ويحيط من حريمهم ، وَيُحِيلُ مَنْ بِأَسَمِهِ وَقَعْتُهُ بَيْنَ صُلْفٍ عَنْ سَبِيلِهِ وَحَاوَلَ تَشْتِيتِ جَمَاعَتِهِمْ وَتَوْهِينَ حَقِّهِمْ ، ويقابلون ذلك بما تُرْتَبِطُ به نعمه ، وَيُسْتَنْدِزُ مَزِيدُهُ .



## سعيد بن حميد

ليشكروا الله على ما منح خليفته من هؤلاء الأتراك الخارجين من جماعة المسلمين، فإن الشكر أمان من الغير ومادة للزبد .

## ٣ - التحاميد في أواخر الكتب

## تمجيد لسعيد بن نصر في آخر كتاب فتح له

الحمد لله العزيز البتة، المظهر لحقه، المؤيد لأوليائه، الصانع للإسلام وأهله، الناصر لخليفته، الحافظ لما أستحفظه، المتوحد بالنعمة عليه فيما حمله .

## تمجيد لإبراهيم بن العباس في آخر كتاب فتح

فالحمد لله أنزله لما يمهّد المبطلون، ويمكّره الماكرون، ويكيد به الملاحدون، تمكيناً لعبده وخليفته، وذباً عن دينه وحقه، وإظهاراً لأوليائه وحزبه، وإمضاء لعزائمه وقدرته، منها قادراً، ومُثَمِّلاً ممهلاً، عدلاً إذا استدرج، متفضلاً إذا أُنم، حمداً يُستترل به نصره، ويُبلغ به رضوانه، ويمتري بمثله فواضل مزیده .

## تمجيد في فتح لإبراهيم بن العباس

والحمد لله بجميع نعماده التي تُحمد بها، على جميع آلائه وجميل بلائه، فيما ولى به خليفته، ونصر به دينه، وأقام به حقه، وأعزّ به وليّه، ووقع به من الحَدّ عن سبيله، حمداً يؤدّى حق نعمته، ويوجب به أفضل مزیده بمنه وطوّله .

## تمجيد لأبي عبيد الله في آخر كتاب

فالحمد لله على ما يحدث لأُمير المؤمنين في دولته وسلطانه، ولعامة المسلمين من صنعته وكراماته، في جسيم الأمور ولطيفها، وخاصها وعامها، بما يجعله للنعمة تماماً، وعلى ما يحل بعدوه من بأسه وقوارعه، ويوقع بهم من جوائحه وأستنصاله، ما يكون لموعدده لإنجازها، حمداً يبلغ رضاه ويستوجب مزیده .



## تمجيد آخر

الحمد لله الذى تم لأمر المؤمنين نعمته ، وأكل دعوته ، وجعل العاقبة فيه لمن أختاره لخلافته ، ورد إليه من شدّ عنه من رعيته ، وأتى أمير المؤمنين بصنعه على حدّ نيته وقدر أمنيته ، ولم يُفْسل رأيه ولم يُخلف ظنه ، حمدا كثيرا دائما بما يزكو عنده فيقبله ، ويرفع إليه فيبلغ رضاه ، حمدا يكون لأمنين نعمه جزاء ، ولأفضل إحسانه كفاء ، وللازيد من فضله وإحسانه موجبا ، وإلى أعلى الدرجات عنده مؤذيا ، وللخلود فى جنته وسيلة وسببا .

آخر :

الحمد لله الذى جمع لأمر المؤمنين ما حباه بمزية نصره وتمكينه وإعزازه وتأيدته ، وإظهاره على من ناواه وصدّ عن حقه ، وصدف عن طاعته ، ووقفه لاختصاص فلان بما وكلّه إليه وعصبه به من أعباء أموره وجلال أعماله ، وأجرى بفلان وعلى يديه وبركته وسعادة جده ويمن طائره ، من نتائج الفتوح ، وتواتر النصر ، وإقبال الصنع ، وإعلاء الحق وإنارته ، وإزالة الباطل وإبادته ، حمدا يؤدى حقه ، ويرى عزه ، ويمير من أحسن<sup>(١)</sup> مزيده ، بكرمه وجوده .

آخر :

الحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بالخلافة ، وخصّه بالإمامة ، وقلّده من أمور عباده وبلاده ما تولاه بكفائته وكلاءته وتأيدته وجياطته ، حمدا يوجب المزيد من فضله .

## ولإبراهيم بن العباس

الحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأيدّ جنده ، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق وإدالة باطل وإزالة عائد وإبادة عائد وإقالة مستقبل .

ويسأل الله أمير المؤمنين ، مسألة العبد سيده ومولاه رغبة إليه متذلّلا له أن يصلّى أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه .

(١) سقطت في الأصل كلمات فائتتا ما يقوم مقامها .



## دعاء أمير المؤمنين في الكتب والدعاء له

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليّه ، أن يكتفه فيما حيّاه وأستحفظه عليه بأفضل تأييده وأعز نصره ، وأن يهب له مع كل نعمة يمجدها له حارساً من شكرها ، يتابع به أفضل مزيده ، فإن النعمة منه ، والشكر بتوفيقه ، والمزيد لمن شكره .

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه وربكم وولّي النعم عليه ووليكم ، أن يلهمه وإياكم أداء حقّه وشكر نعمته وحمده عليها ، ويطوّفه وإياكم أفضل الأعمال وأرضاه عنده وأشدها استجابة لما وعد الشاكرين من مزيده ؛ إنه سميع قريب .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذي ولّاه خلافته وأعلاه بها ، أن يطوّفه ما حمّله ، ويلهمه السداد بين رعيته ، ويلهمهم نصيحته وطاعته ، ويصلح أمرهم به في ولايته وخلافته . ويرغب إلى الله الذي أيدّه بنصره ومكّن له بغير حول منه ولا قوة ، أن يلهمه وإياكم شكره وذكّره وخشيته ، ويشمله وإياكم بطاعته ومرضاته ومحبه ، وأن يوفّره وإياكم الزيادة في نعمه والنصر على عدوّه والتمكين في بلاده ؛ إنه ذو فضل عظيم .

والى الله يرغب أمير المؤمنين في إعانتة على نيته وتبليغه منتهى سؤاله وقاية همتهموا عزاز دينه وإذلال من صدّ عن سبيله ؛ إنه سميع قريب . وأمير المؤمنين يسأل الله الذي دلّ على الدماء تطوّلاً وتكفّل بالإجابة حتّى ، قال : **وَأَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ، أن يجمع على رضاه ألفتكم وأن يصل على الطاعة حبلكم ، وأن يمتنعكم بأحسن ما عودكم من مثنه ، ويؤزّعكم عليها من شكره ما يواصل لكم به مزيده ، وأن يكفّكم كيد الكائدين ، وحسد الباعين ، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم ، أفضل ما حفظ به إمام هدّى في أوليائه وشيعته ويحيل عنه ثقل ما حمّله من أمركم ؛ وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي من جرائكم بالحسن ، وسجلكم على الطريقة النقيّة ، وبه يرضى لكم تاصراً وولياً ، وكفى بالله نصيراً .

ويسأل الله أمر المؤمنين ، أن يحمّن على صلاح نيته وعونه ، وأن يتولّاه فيما استرناه ، ولا يله جامعة ، لصلاح ما قلّده ، إنه سميع قريب .



ويسأل الله أمير المؤمنين الذي بيده مفاتيح مقاديره وفواضله ، أن يُصَلِّيَ أفضل صلواته على أفضل أنبيائه ، وأن يحصل ما آتاه لأمر المؤمنين إلى دولته وخلافته ، وجابه به من وسائل الخير عنده ، أن يجمع إلى أحسن توفيقه ليأرضى من شكره وحسن معونته على ما أصلح له ربه ، فإنه شاكر يحب من شكره ويوجب لمن وفق لشكره مزيداً بمنه وطوله وفضله وإنعامه ، إنه جواد كريم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبْتَدِئاً وَمُعْتَبِئاً وَأَوَّلَا وَآخِرَا ، وقيل كل مسألة ، وأمام كل رغبة ومقدمة كل طلب ، أن يصَلِّىَ على صفوته من عباده وخير خلقه وخاتم أنبيائه ورسوله ، محمد عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، ويبارك عليه أكثر بركاته ، وأن يديم له كرامته ، ويَجْرِي عنده على أجمل طاداته ، وأن يتم له ما أختصه به من إحسانه ، حتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، والإسلام تأبداً وعزاً ، والشرك ذلاً وقملاً ، إنه ولي نعمته ومُنْتَهَى كل رغبة ، وظاية كل حاجة ، وهو على كل شيء قدير .

وأمر المؤمنين يقول : الحمد لله طاعة لأمره ، واعتصاما من العتنة بشكره ، وأستدامة لِنِعْمِهِ الْمُتَرَايِدَةِ عنده ، إنه سميع قريب .

وأمر المؤمنين ، سأل الله السامع كلام من جهراً ، والعالم بغيب من أسراً ، المطلع على ضمائر العباد ووسوستهم ، والمستنقذ من يشاء برحمته ، والمُتَّقِنُ على من يشاء بقدرته ، أن يجمع على الحق أهواءكم وينصركم على أعدائكم ويصلح ذات بينكم ولا يهلككم في موطن من مواطن اللقاء ، والتعاكم والتناجز ، إلى أنفسكم ، ويكفيكم ويكفى بكم إنه سميع قريب .

### الدعاء لأمر المؤمنين في أواخر الكتب

ونسأل الله أن يَهَيِّئَ أمير المؤمنين ما صنع له ، ويُعَيِّنَهُ على شكر ما أولاه ، إنه ولي ذلك وأنا إليه فيه راغبون والسلام .



وله :

ونسأل الله أن يمنّا أمير المؤمنين الكراماتُ التي يُتَابِعُها ، والنعمُ التي يَظَاهِرها عليه ، والفتوحَ التي جعلها في خلافته ، وولاياته ودولته ، ويهبُ له من المعرفة بحقه في ذلك والشكر له بحسن بلائه فيه ، ما يبلغ أعظم رغبة وأقصى أمنية ، من ذخائر الخير وفضيلة الأجر وحسن الثواب في الدنيا والآخرة .

أسأل الله لأمر المؤمنين في ظواهر أموره ، أحسن ما عوّده في سالفها ، من السلامة التي حرسه بها من المكارّه ، والعزّ الذي قهر له به الأعداء ، والنصر الذي مكّن له في البلاد ، والهدى الذي وهب له به المحبّة ، والرفق الذي أدّر له به الحطب ، والاستصلاح الذي آتت له به الرغبة ، حتّى يكونَ بما أعطاه من ذلك ، وما هو مُستقبل به ، أبعد خلفائه ذكرا ، وأبقاهم في العدل أثرا ، وأطولهم في العمر مُدّة ، وأحسنهم في المعاد مُتقبّلا .

أسأل الله لأمر المؤمنين نعمة لا تزول ، وكرامة لا تنفد ، وعزّا لا يضام ، ونصرا لا يظلب ، وكفايةً ينظم بها جميع الصلاح ، حتّى لا يكونَ بأوّل من ذلك أسعد منه بآثر ، ولا بفاض أسرّ منه بمستقبل .

أسأل الله لأمر المؤمنين في عاقبة كلّ نعمة أفضل ما وهب له في طابعها ، حتّى يجعل كلّ نعمة أنعم بها عليه ، وكرامة حازها له ، موصولةً بالتّمام ، محوطةً بالحفظ ، مكثورةً من الغير ، ممدودةً الى طول غايات البقاء ؛ لا يشوب صفوها كدر ، ولا سلامتها غير ، ولا سرورها تنغيص ؛ وهنّا الله أمير المؤمنين الظفر ، وأدام له عادة النصر والتمكين الموضح ، وثجته المُنحِضة لجمّة أعدائه ، والغلبة المُظهِرة لحقه ، المُجَنّحة لمن خالفه ؛ ثم لا يرحب نعمة الله راهنة بمثل في الأولياء نصرا ، وفي الأعداء إباحة ، وفي الناكثين تنكيلا .

سر الله أمير المؤمنين بما أهدى له من كفايته ، وحاطه به من منعته ، وأيده به من نصره ، وجعله وما استتراه من دينه وسُلطانه ، في كنفه الذي لا يُستباح وتحت يده المانعة وجنّاحه المحفوظ .



أدام الله لأُمير المؤمنين السرور بما يُقْدِي به عيون أعدائه في تمكينه وتوحيدهم، ونَصْرِهِ  
وَحِدْلَانِهِمْ، وإِعْزَازِهِ والمُجَاهِدَةِ لَهُمْ؛ وَلَا زَالَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَرْيِدُهُ قُوَّةَ الظَّفَرِ، وَحِزْرَةَ النُّصْرَةِ،  
وَتَقْصِيدَ مَنْ آفَاقِ الْأَرْضِ بِالْبَشَارَاتِ وَالْفَتْوحِ، حَتَّى تَمْلَأَ لَهُ مَا بَيْنَ طَرَفَيْ مُلْكِهِ أَمْنًا وَحِزْرًا،  
وَيَمْلَأَ بِهِ قُلُوبَ أَعْدَائِهِ خَوْفًا وَرُعْبًا، وَيَعْتَمِدَ عَلَى خِلَافِهِ سَطْوَةٌ وَتَكْلِيلًا.

### أحمد بن يوسف

وَهَذَا اللَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةً، وَمَلَأَهُ كَرَامَتَهُ، وَأَوَّلَى لَهُ قُتُوحَهُ، وَأَدَامَ إِعْزَازَهُ، وَتَوَلَّى  
حِجَابَتَهُ وَكَفَايَتَهُ، فِيمَا دَنَا مِنْهُ وَمَا غَابَ عَنْهُ، وَأَطَالَ بَقَاءَهُ وَالْإِمْتِنَاعَ بِهِ.

### مختار ما كتب من باب التهاني في كل فن

#### تهنئة خليفة بظفر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْعَلْبَةِ الْجُمَّةِ، وَمَعَ الظَّفَرِ الْمَعْدَرَةِ، وَجَمَعَ لِمَدَقِهِ  
مَعَ الذِّلِّ السَّطْوَةَ، وَمَعَ دُحُوضِ الْجُمَّةِ النُّكَالَ؛ فَلَمْ يَجْمَعْهُ وَالنَّاكِثِينَ مَوْطِنٌ مِنْ مَوَاطِنِ  
الصَّبْرِ، إِلَّا جَعَلَ الْجُمَّةَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَلِسَانَ الْعَذْرِ فِيهِ مَعَهُ، وَيَدَ الظُّهُورِ فِيهِ لَهُ؛ ثُمَّ وَهَبَ لَهُ  
عِنْدَ الظَّفَرِ مِنَ الشُّكْرِ، وَعِنْدَ الْفَلَجِ مِنَ التَّوَاضُعِ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ مِنَ الْغَفْوِ، مَا جَعَلَهُ مُسْتَوْجِبًا  
لِمَا أَصْغَفَاهُ بِهِ، مُعْرِفًا بِأَنَّ الْعَذْرَ مُنْقَطِعَ مَنْ نَكَبَهُ، وَأَنَّ مُسْتَرَادَّ الْجُمَّةِ وَمَطْلَبُ السَّلَامَةِ،  
فِي التَّمَسُّكِ بِطَاعَتِهِ وَمَنَاصِحَتِهِ، وَالْمُجَاهِدَةِ دُونَهُ.

وفي مثله :

أدام الله لأُمير المؤمنين السرور بما يُقْدِي به عيون أعدائه.

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم يهنئه بخروجه عن أرض الروم

#### بعد فتح عمورية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَمَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَزْوَتُهُ، فَأَذَلَّ بِهَا رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ وَشَقَّى بِهَا صُدُورَ  
قَوْمِ مُؤْمِنِينَ؛ ثُمَّ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ الْأَوْبَةَ سَالِمًا غَانِمًا، وَكَذَا وَكَذَا؛ وَلِيَهَيِّئَهُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، مِمَّا



أحصاه فلا ينساه، ليُفقه به موقعا يرضاه، فإنه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، فطوى الله لأمر المؤمنين نازح البُعد برا وبحرا، ووقاه وصَب السُفر سهلا ووعرا، وحاطه بحراسته كالثا، ودافع عنه بحِفْظه راعيا؛ حتى يُؤديه إلى المحل من داره، والوطن من قراره؛ وجزاه عن الإسلام خاصة، وعن رعيته كافة، بخَيْرِهِ مُستَخْلَفًا عليهم، وقائما مُقامه فيهم هرونُ ابنُ أمير المؤمنين؛ فقد استخلفه رقيقا شقيقا، حليما وقورا، يقظان ساكنا؛ لم يُشَدِّب عليه أمر، ولم يتشرب عليه طرف، ولم يضع معه سبيل، ولم يُسَخِّط وليا مكافئا، ولا عدوا مخالفا، بلا سيف أشرعه، ولا سور أفرجه؛ فثقل جزاء أمير المؤمنين في تحيُّره إياه، بجزاه الله على ما حفظ من وصاته، على محمود مُقامه، إنه يجب الداعي.

### وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر

يهتبه بظفر

بلغني - فتح الله عليك - خروجُ ابن السريِّ إليك، فالحمد لله الناصر لدينه المعزُّ لوليِّه وخليفته على عبادته، المذلُّ لمن صد عن حقه ورغب عن طاعته؛ ونسال الله أن يُظهر النعمَ ويفتح بلدان الشرك به؛ والحمد لله على ما وآلاك منذ ظننت لوجهك، فأنا نتذاكر سيرتك في حرك ومالك، ونكثرُ التعجب لما وُفِّقت له، من وضع الشدة والليان بموضعهما، ولا نعلم سائر جُند ولا رعية صُدَّ بينهم عدلك، ولا عفا بعد القدرة عن أسفه وأضعفه عفوكم.

### تهنئة خليفة بحج

أصلح الله أمير المؤمنين وأراه من الزيادة في نعمه، ما يكون تماما لما ابتدأ به من فضله؛ والحمد لله على ما خصَّ به أمير المؤمنين من كرامته، وأعطاه من الفضل في نيته، وجعله يستعين على دينه، بما بَسَطَ له في دنياه، ويحمل على بدنه النَّصبَ فيما يتقرب به إليه؛ فيجفؤ عن دَعَتِهِ على لينها، ويستحصن عن هُمانيتها على فضلها، إثارا لآخرته، وأداء لحق ربه؛ بإدرا له بذلك ليُكرمه به، ثم يستعمل فيه نفسه، تقربا إليه، فيسعد به بالإذن



في ذلك حين كان من الله له ، وبالعَمَل فيه حين كان لله منه ؛ فيكون قبوله الخير حين يعرضه له ، دليلاً على قبوله الخير عنه حين يعمل لربه ؛ وكان من ذلك ما أذن الله لأُمير المؤمنين في زيارة نبيّه صلى الله عليه وسلم العام ، وموافاة مشاعره العظام ، في وقتها من الأيام ، التي لا توافي إلّا معها . ولا تكون مناسبة إلّا فيها ؛ فكتب الله له في ذلك الآثار الصالحة والأعمال المبرورة ، فدخل في الإحرام له بتعظيم حقّه ، وخرج منه بقضاء نُسكّه ، أجزأه الله عليه في آتدائه ، ثم آتمّه له باستيفائه .

### ولمحمد بن مكرم تهنئة لحاجّ

بَلَّغَكَ اللهُ الرِّضَا في أَمَلِك من تُنَجِّح كُلَّ حَاجَةٍ وإِبْلَاح كُلِّ أُمْنِيَةٍ ، وَتَقْبُلُ كُلَّ دَعْوَةٍ خَصَّصْتَ بِهَا نَفْسَكَ أَوْ عَمِمْتَ بِهَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ ، في مَجَامِع وفودِهِ ، وَمُعْتَرِلِ قَرَارِهِ ، فَكُنْتَ شَافِعًا مَنْ شَهِدَكَ ، وَوَافِدًا مَنْ ظَابَ عَنْكَ ، يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيُرْجَى بِرَكَّةِ مُحَضَّرِكَ ، وَالْقُرْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ .

### تهنئة بولاية

نرى ما أحدث الله لك من الولاية، لنا خاصا وإلينا واصلا .

آخر :

وَلَمْ تَحْطِطْ بِالنِّعْمَةِ إِذْ أَصَابَكَ ، وَلَمْ تَتَعَدَّنِي إِذْ دَخَلْتُ بِكَ ، وَلَمْ أَخْلُ مِنْ لَازِمِ شُكْرِهَا ، وَمَا يُنْفِلُكَ اللَّهُ مِنْهَا ، إِذْ قُلِدْتَهَا ، اعْتِدَادًا بِكُلِّ مَا حُوقِتُ مِنَ الْإِثْنِ ، وَإِعْجَابًا عَلَى نَفْسِي مَا حَمَلْتُ مِنَ الشُّكْرِ .

### ولسعيد بن حميد الى بعض إخوانه

سَرَّكَ اللهُ بِتَنَاجٍ نَعَمِهِ ، وَتَرَادُفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَقْسَامِهِ . بَلَّغْنِي — أَوْ كَرَّمَك اللهُ — مَا وَهَبَ اللهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَقَوَّاكُ اللهُ عَلَى مَا اسْتَرَعَاكَ . وَرَزَقَكَ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاكَ .



وفي مثل ذلك :

أَكَلُ اللَّهِ لَكَ السَّعَادَةُ ، وَزَادَكَ فِي الْكَرَامَةِ ، وَخَصَّصَكَ بِدَوَامِ النِّعْمَةِ . بَلَّغْنِي مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَمُرِّرْتَهُ بِهِ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ لِإِتْمَامِ نِعَمِهِ عَلَيْكَ فِيهِ بِتَأْيِيدِكَ ، وَتَوْفِيقِكَ الْعَبْدَ فِي سِيرَتِكَ ، وَخَرَّسَ الْمَحَبَّةَ لَكَ فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِكَ ، وَأَنْ يُعِينَكَ عَلَيْهِ ، وَيَرْزُقَكَ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا .

وله في مثله :

أَنَا أَهْنَى بِكَ الْعَمَلَ الَّذِي وُئِيَتْهُ ، وَلَا أَهْنَكُ بِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ أَصَارَهُ إِلَى مَنْ يُورِدُهُ مَوَارِدَ الصَّوَابِ ، وَيَصْدِرُهُ مَصَادِرَ الْمَجْمَعِ ، وَيَصُونُهُ مِنْ كُلِّ خَلَلٍ وَتَقْصِيرٍ ، وَيُضْمِيهِ بِالرَّأْيِ الْأَحْسَنِ ، وَالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ ، قَرْنَ اللَّهُ لَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ بِشُكْرِهَا ، وَأَوْجِبْ لَكَ بِطَوْلِهِ الْمَزِيدَ مِنْهَا ، وَأَوْزِعْكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا مَا يَصُونُهَا مِنَ الْفِتَنِ ، وَيَحْصُطِهَا مِنَ النِّقْصِ .

آخر :

قَدْ وُئِيَتْ مِنَ الْعَمَلِ مَا أَسْأَلَ اللَّهَ عَنْهُ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَكَ بَرَكَةً بِدَنِّهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَيُعْطِيكَ الرِّضَا عَنْ وَلِيَّتٍ لَهُ وَعَلَيْهِ .

آخر :

هَئَاكَ اللَّهُ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْمَقْبِلَةُ ، الدَّالُّ أَوَّلَهَا عَلَى تَمَامِهَا ، وَأَوْزِعَكَ شُكْرَهَا .

آخر :

أَسْعَدَكَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ وَجَعَلَهَا مَبَارَكَةً ، تَنْتَقِلُ بِظِلِّ السَّلَامَةِ مِنْهَا ، وَتَنْبِلُ الْكَفَايَةَ فِيهَا إِلَى أَمَلِكَ بِنَهَائِهِ وَرَجَائِكَ بِغَايَتِهِ ، وَرَزَقَكَ السَّلَامَةَ مِنْ وَلِيَّتٍ لَهُ وَعَلَيْهِ .

آخر :

سَرَّكَ اللَّهُ بِمَا جَدَّدَ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْمُنْتَزَعَةِ ، وَتَقَعَكَ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ ، وَأَرْضَى عَنْكَ مِنْ وَلِيَّتٍ لَهُ وَمَنْ وَلِيَّتٍ عَلَيْهِ .



وكتب محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار :

نحن من السرور أيسر الأمير بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تلي من أعمالك ،  
وزمك إياها بحزمك وعزمك ، وأنشاك أهلها من جور من وليهم قبلك ، وسروهم بتطاول  
أيامك والكون في ظل يدك وجناحك ، في إفاضة من تخصصه ونعمه نعمتك ، وتحول به  
الحول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يرد علينا آمالنا فيك  
منكوسة ، كما رثعا على غيرنا في غيرك . ولوددت أن أباك كان عين آفارك هذه ومناقبك ،  
وإن كان الاقتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلقه ، وألقى اليك بأمره ومعاقد نعمته ،  
وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك عن من كان لا يستحقه ، وذم سالف رأيه  
فيك وفيه وسجد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ،  
وتلاحمت عليها وآسقت ، ما منحت في كاتبك ، ومستقر نعمتك ، وحامل أعبالك ، من  
الكفاية والنصيحة ، ووضعه عن قلبك مؤونة التهمة والقص لأثره ، وإدخاله راحة العالائنة  
اليه وروح الثقة به ، لا كما ابتلي أخوك ، فإنه محبه غفلت عليه أمره ، وأفتى أسرارها الى  
صاحب بريده ، فأنفل ذلك بينهم ، وقطع حبالهم ، حتى هجنت آثاره مع حسنها ووضوحها ،  
وصيرت يده من حظ عمله ، ولزيمه الذم من أهله ، فهذه كُتبه الى ، في أطراح نصيحة له  
كانت فيه ، ويسألني أن أنفخص اليه كتابا يحل ثقله ، ويفتح له ما أرتجه من أمره . وهذا  
من سعادة جدك ، ويؤمن طائرک ، وإقبال الأمور اليك ، ومعها على طريق موافقتك ،  
وهنيئاً هناك الله نعمة خاصها وعاطها ، وأوزعك شكرها ، وأوجب لك بالشكر أحسن الميزيد فيها .

تهنئة بعزل

كتب رجل الى مالك بن طوق لما عُزل عن عمله :

أصبحت والله فاضحاً متعباً : أما فاضحاً فلكل وإل قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعباً

فلكل وإل بعدك أن يلحقك .

(١) اتياك أهلها : استفادهم



## فصل

سواء علينا أوليت أم صُرفت ، إنا لنشهد بك الولاية ، بما بَسَطَ الله من يَدِكَ ببذل العُرف ، ونَهَيْتَكَ بِالْعُرْفِ بما يلحقك من ثناء ما أسلفت من الجَمِيل ، ولا نخاف طيلك أن تهارق عملا وأنت عملٌ له ، ولا أن تَصُحبه وليس به فاقَةٌ أَيْلِكَ . فهُنَاكَ اللهُ النعمة ، وأعطاك على الشكر، وأيدك بالمزيد .

## تهنئة بعزل عامل عن عمله

ياغنى صَرْفُكَ ، نَفَارَ اللهِ لك ، وَهَنَّاكَ لَطِيفَ نظره وجليلَ إحسانه ، فإني أرى الرجلَ عند خروجه من العمل سالماً قَيَّاماً من مآثمه ودَنَسِهِ ، أَوَّلَى بالتهنئة منه عند دخوله فيه ، وأرى الدعاء له عند بدء تَلَبُّسِهِ به بالخلاص منه مَعصوماً بَرِيئاً من تَبَعَاتِهِ ورواجع آثامه ، أَوَّلَى بمن عُيِيَ به وأحبَّ صلاحه ، ولذلك قَدِمْتُ تهنيتك .

## ولسعيد بن حميد في مثله الى بعض إخوانه :

حَفِظَكَ اللهُ بِحِفْظِهِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ كَرَامَتَهُ ، وَأَدَامَ إِلَيْكَ إِحْسَانَهُ . إِنَّكَ سرورى بصرفك ، أَكْثَرُ من سرور أهلِ عَمَلِكَ بما خُصُّوا به من ولايتك . وقد كُنْتُ — أَعَزَّكَ اللهُ — فيما يُرَبُّ بِكَ عنه ، بما أنت عليه فى قَدْرِكَ وَأَسْتَهْلَاكَ ، وَلَكِنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ سَبَابُكَ لى ما تستحق ، فَعَطَبْنَا نَفْسًا بِالذِّى رَجَوْنَا . فالحمد لله الذى سَلَّمَكَ منه ، ونَسَّاهُ تَمَامَ نِعَمِهِ عَلَيْكَ وَطَلَبْنَا فِيكَ ، بِتَبْلِيغِكَ أَمْلَكَ وَأَمَانًا فِيكَ ، وَشَفَاعَ مَا كَانَ مِنْ وَلَايَتِكَ بِأَعْظَمِ الدَّرَجَاتِ وَأَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ ، ثُمَّ خَصَّكَ اللهُ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ ، وَبَلَّغَكَ غَايَةَ الْمُؤْمَلِينَ . إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْوَالِى — حَفِظَكَ اللهُ — وَأَعْظَمِ مَا يُنْجِصُ بِهِ فى عَمَلِهِ وَوَلَايَتِهِ السَّلَامَةُ مِنْ بَوَائِقِ الْإِثْمِ ، وَنَوَائِبِ الدُّنْيَا وَشَرِّهَا ، وَالْعَاقِبَةُ مِمَّا يُخَافُ مِنْهَا ؛ وَقَدْ خَصَّكَ اللهُ مِنْهَا بِمَنَّةٍ وَطَوَّلَهُ مَا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ سَبَابُكَ لى نَيْلِ مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَرَاتِبِ . والله نَسَّالُ إِزَاطِكَ شُكْرًا مِنْهُ بِكَ عَلَيْكَ ، وَتَبْلِيغَكَ غَايَةَ أَمْلِكَ فى جَمِيعِ أُمُورِكَ ، بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ .



## آخر :

ما أحسنَ ما كَشَفْتَ عنكَ الولاية، وأَجَل ما أبرَزْتَكَ العمل ، قد كَسَبَكَ الله حمدًا ولايتك وعَزَل عنك لائمتما، بما أُنشِرَ عنكَ من عَدْلِكَ، وظَهَرَ من معروفِكَ ، فاذا ساءلك هذا فليسررك .

## وكتب محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدبر :

الحمد لله رب العالمين حمداً يُجَوِّزُ حمدَ الحامدين ، الذى جعل قضاءه خيرةً لك ؛ فإن زادك نعمةً وقلَّك لشكرها ، وإن أمتحتك بيلوى من نَفَث حاسد أو تُجِد كائد ، أثار برهانك وأفلح مُجَنِّحك وجمع بين وليك وعدوك فى الشهادة لك ؛ وإن ثقلَ أمرا عن يدك ، فربما يرجعه اليك غتلاً لفقدك . هذا الى ما جعل عندك من خواص النعم التى إن ذكرناها فاطنيتها أو تجوزنا فقصرنا ، كان غايبتنا الى الحُسُور دون مَدَى غايتك . وقد زادك الله بهذا الحادث فضلاً عظيماً لما ظهر من وِليهِ العامة اليك وتعلُّمها الى ما كانت فيه : من لين إنصافك وكرم أخلاقك ، ووَحْشَةِ الخاصَّة لما فَقَدْتَ من حُسن مُعاملتك وكثير تفضُّلك . وأيقن أهل الرأى والتأمل لصفحات الأمور ، أنَّ كُلَّ ما تَرَجَّعَ عنك فمائد اليك ومتصل به غيرُ ، حتى تستقرَّ في يدك عِراً الأمور ومعاقدُها ، وتفتح برأيك وتدبيرك أبوابها ومغالقاتها ، فليَبْتَكَ أنَّ كُلَّ ما زاد غيرك نقصاً زادك فضلاً ، وكلَّ ما نقص من الرجال وحطَّها ألحق بك شرفاً . فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يَقْبَلُ رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويمرّ منها على سبيل طاعتك .

## وكتب سعيد بن حميد الى بعض إخوانه :

جعلنى الله من السوء والمكروه فداك ، وأطال فى الخير والسرور بقامك ، وأتمَّ نِعْمه عليك ، وأحسنَ منها مَزِيدَكَ ، وبلغك أقصى أُمْنِكَ ، وقدمنى أمامك ، وقد بلغنى ما اختار الله لك ، فسررتُ من حيث يغتم لك مَنْ لا يعرف قدرَ النعمة عليك ، ولا يراك بعين استحقاقك .



ولئن ساءنى ما ساء إخوانك من عزك ، لقد سرنى ما يسر الله لك . والحمد لله الذى جعل  
انصرافك محمودا ، وقضى لك فى عاقبتك الحسنى ، وأقول :

لَيْتَكَ أَنْ أَصْبَحْتَ بِجُتْمَعِ المَدِّ \* وَرَأَى المَعَالَى وَالْمَحَامَى عَنِ المَحِيدِ  
وَأَنَّكَ صُلْتَ الأَمْرَ فَمَا وَلَيْتَهُ \* فَفَرَّقْتَ مَا بَيْنَ الفَوَايَةِ وَالرُّشْدِ  
فَلَا يَحْسَبُ البَاغُونَ عَزَّكَ مَعْنَا \* فَإِنَّكَ إِلَى الإِصْدَارِ عَاقِبَةُ الِوَرْدِ  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ جُرْدًا لِلْوَعَى \* فَأَحْمَدُ فِيهَا ثُمَّ رُدُّهُ إِلَى الغِمْدِ  
وقد قال الأول :

فَن يَكُنْ بِوُرُودِ النَّزْلِ مُكْتَبَا \* فَإِنِّى بِوُرُودِ الْعَزْلِ مَسْرُورُ  
بَعْدَ الْوَلَايَةِ عَزْلُ يَسْتَبِينَ بِهِ \* طَوَّلُ الْوَلَاةِ وَبَعْدَ الْعَزْلِ تَأْمِيرُ

أما ما عندى مع تصوّر العاقبة لك فى نفسى ، فيمَسْنَى فى أحرك فى حال المحنة  
ما يخصنى منه فى وقت تجدد النعمة . وبحسب ضميرك الشاهد على ما عندى ما أجده لك  
فى نفسى . فلا زلت فى نعيم متابعة متجددة ، ولا صِلِمَتِ الثروة والزيادة ، وبلغك الله أقصى  
أملك ، وأمل أخيك لك ، وَكَبَّتْ أَعْدَاؤُكَ ، وَجَعَلْنى وِقَامَكَ المَقْدَمَ عَنْكَ . أَحَبَّ أَنْ  
تشرح لى صورة الأمر إلآ مَا تَأَدَّتْ ، وكيف كان الابتداء ، فَإِنِّى لَا أَشْكُ أَنَّهَا حيلة  
ونية من عزّ الصاحب الجليل القدر ، ولها عاقبةٌ منه إن شاء الله محمودة ، وتُغْنِى من ذلك  
إلى ما تسكن إليه نفسى ، إن شاء الله .

### تهنئة بتزويج وبناء بأهل

بطائر اليمين فليكن هذا البناء ، وبأسباب السعادة فليتصل عقد هذا الاجتماع ، وبكل ذكاء  
الولد ، وثروة العدد ، فتَجَرَّكَ الأقدار ، وفى أطول غايات البقاء فتتدّم هذه الغبطة والسرور .

### تهنئة بتزويج

بلغنى تزويجك من فلانة ، فبالرفاء والبنين ، تهنئة السلف الصالحين ، ومبلغ سنة المجتهدين  
المتبحرين ، ونقول على يمين الطائر ، وسعادة الجدد ، ونماء العدد ، وآتفاق الهوى ، وطيب



المناسمة، واجتماع السَّمَل، وثبات الرَّبْع، وتَمَلُّ النِّعَم . أسأل الله الذى قضاهَا أن يجعلها لك سَكَنًا ويعلمك لها نَجْمًا ، وأن يُؤَثِّرَ حَامِهَا الى آتِهَاءِ نَفْسِكَ عنها ، وجعلك جائرًا تُرَبِّها، وولَّيتَ المالَ وهنأةَ العيشِ وملاهةَ الفَوَاقِ بعدها .

### تهنئة لغسان بن عبد الحميد بتزويج

قد بلغنى جَمْعُ الأميرِ أهْلَه على الحالِ التى جمعهم عليها من نعمة الله عليه . فالحمد لله على كل ما يرى الأميرُ فيما له فيه نعمة . فأسأل الله أن يجعل الطائرَ فى ذلك مَئُونًا ، والسَّمَلُ مجتمعًا ، والبركةَ عظيمةً ، والأُمُورَ سليمةً ؛ وكذلك فقد عَظَّمَ اللهُ القَسَمَ منه لزوجه ، جَعَلَ الأميرَ سَكَنًا لها ، وأجرى المودةَ والرحمةَ بينهما ، فإنه يقول عز وجل : ( جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةَ وَرَحْمَةٍ ) . فلما كان الأميرُ هو المنظور إليه ، وهى المنظور إليها ، أختارها الأميرُ لنفسه وأختار نفسه لها ، وأراد الله عز وجل أن يزيدَها مع فضلها فى نفسها فضلًا باختيار الأميرِ إياها ، وباختصاص الله لها بالأمير دون غيرها ؛ فكان ذلك فضلًا من الله زَيْنَهُ بفضله ، وكرامةً من الله وَصَلَ بَعْضُهَا ببعض . فترغب الى الله عز وجل فى أن يزيدَ الأميرَ فى كُلِّ سَعَةٍ مهسوبة ، ونعمة مقسومة ، ويعطيه فى ذلك شكرًا يكون لرضاه مُوجِبًا ، كما أعطاه فضلًا كان الشكرُ له به واجبًا ؛ ثم يُمَلِّ الأميرُ ذلك بأحسن ما مَلَى أَحَدًا من خَلْقِهِ كرامةً اصطنعها عنده .

### تهنئة بمولود

كتب العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون يهنئه بمولود له :

قد كان أجذلى ما أحدث الله لأمير المؤمنين من المَوْهَبَةِ التى ليس ، وإن كان أولى بها من غيره ، بأعظم فيها حظًا من رِعِيَتِهِ . فعمر الله لك يا أمير المؤمنين قلوبهم بنور الحكمة وأبصارهم حتى يَشُدَّ بهم عَضْدُكَ ، وَيُسَدَّ بهم ثَمَّتُكَ ، وَيُلَفِّهِمُ الغَايَةَ المَأْمُولَ لهم بلوغُها بعدك ، غير مُقْعَد بك مهل ، ولا مُحَلَّ بك أجل ، ولا مُكَذِّبَك أَمَل ، ولا مُتَقَطِّعَةَ أَيْامِكَ ، حتى تُخْتَرَمَ أَنْفُسُنَا بِقَبْلِكَ .



وكتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهته بمولود له :

بارك الله في مولودك الذي أتاك، وهنأك نعمته بعطيته ، وملأك كرامته بفائده ،  
وأدام سرورك بزيادته، وجعله باراً قنياً، مميوناً مباركاً زكياً، ممدوداً له في البقاء، مُبْلِغاً غاية  
الأمَل، مشدوداً به عَضْدُكَ، مُكْتَرِباً به وَلَدُكَ، مُدَاماً به سرورك، مدفوعاً به الآفات عنك،  
مشفوعاً بأكثر العدد، من طَيِّبِ الولد .

وله في مثل ذلك :

هنأك الله هذه الفائقة التي أفادكها، وبارك الله في الهبة التي رزقكها، وشفعها بإخوة  
متواترين ، يَسُرُّونَكَ في حياتك وَيَحْتَفُونَكَ في عَقَبِكَ .

تهته بمولود

كتب رجل الى رجل يهته بمولود :

جِئْتُ فِداءك . للبقاء . ولودك، في السناء نباته، وفي اليمن شبابها، وعلى البركة ميلاده .

تهته بمولود

كتب الحسن بن مهمل الى ذى الرياستين :

إنه ليس من نعم الله، وفوائد قِسمه — وإن خُصَّ موقعها ووجب شكرها — نعمة تُعَدِّلُ  
النعمة في الولد، لنمائها في العدد، وزياتها في قوَّة العَضْد، وما يُتَسَجَّلُ به من عظيم بهجتها،  
وُيُرجى من باقى ذكرها في الخُلُوف والأعقاب، ولاحق بركتها في الدماء والاستغفار . وإن  
الله قد أفادك وأنالك غلاماً سَريّاً، سَمَّيته فلاها، فكان ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين .  
فرجوت أن تكون موافاته بالنصر الذي أظهرنا الله به على عدو الدين والمسلمين من دلائل  
بركته ويُمْنه ، وشواهد سعادته والسعادة به . فبارك الله لأمر المؤمنين في طارف نعمه  
وتالدها ، وشَفَّعَ له قديم منته بمجاشها، ورزقه ذكورا طيبين مهذِّين ، يأنس بهم رُبُّه،  
ويتصل بهم نجاحه، ويصلهم ذرية زاكية، وبقية صالحة .



آخر :

بلغنى الذى وهب الله لك ، بفعله الله ذخرا سنياً ، وعقباً كريماً .

عمرو بن مسعدة الى الحسن بن مهمل

أما بعد ، فإن هبة الله لك هبة لأمر المؤمنين ، وزيادته لإياك فى صده لمهلك عنده  
ومكانك فى دولتك من دولته . وقد بلغ أمير المؤمنين أن الله وهب لك غلاماً سرياً ، فبارك  
الله لك فيه ، وجعله بارزاً تقياً ، مباركاً سعيداً زكياً .

تهنئة بمولود

الحمد لله الذى رضى منا يسير القول عند عظيم النعمة ، حمداً نستوجب به بقاء هذه  
الموهبة للنماء والفائدة ؛ فإن نعمة الله وإن كانت لم تزل متابعة ، فقد كان ما يقبض الأمل  
منا ذكر أفراد الأمير بنفسه وقلة نسله ، وما لا يؤمن من انقطاع الذكر بفوات الأجل ،  
ومن دُور الأنام ، بواقع الجمأم ، وقد أصبحنا من الله من يدين فى مُسحة المهمل ، ومدة  
مواقع الأجل ، لمن أراد فيه موضع أملنا فى حسن الخلافة من الأمير وإحياء ذكره .

تهنئة بمولود

سرورك سرور يَحْضِي منه ما يَحْضِك ، وتَلَسَّى فيه النعمة ما تَلَسَّك ، والحمد لله على  
النعمة فيك وعندك .

كتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فقد بلغنى من متجدد نعم الله عز وجل عليك ، وإحسانه إليك فيما رَزَقَكَ  
من الهبة ما أشتد جنلى به ، وسألت الله أن يشفعه بأمثاله ؛ ولذلك أقول :  
قد شُفِعَ الواحد بالوافد \* وأُرِغِمَ الألف من الحاسد  
أبا حُسَيْنٍ قرعياً بما \* أُعْطِيَتْهُ من هبة الماسد



قد قلتُ لما بشروني به \* بُورك في المولود للوالدِ  
إنّا لترجو وافدا مثله \* والطائر الميمون للوافدِ

وله الى بعض إخوانه يهته بمولود :

أما بعد، فإنه ليس من أمر يحصل الله لك فيه سرورا وفرحا، إلّا كنتُ به بهجاً، أعتد فيه بالنعمة من الله الذي أوجب على من حَقَّكَ وعَرَّفَنِي من جميل رأيك . فزادك الله خيراً، وأدام إحسانه إليك . وقد بلغني أنّ الله وَهَبَ لك غلاماً سَريّاً، أَكَلْ لك صُورته، وأتمَّ خلقه، وأحسن البلاء فيه عندك، فاشتدَّ سروري بذلك، وأكثرت حمد الله عليه . فبارك الله فيه، وجعله باراً تقياً، يَشُدَّ عَضْدَكَ، وَيُكثِّرَ صَدَقَكَ، وَيُقِرَّ عَيْنَكَ .

وكتب إصحاق بن يحيى الى بعض إخوانه يهته بابتنة له :

رُبَّ مَكْرُوهِ أعقب مَسْرَّةً، ومحبوب أعقب مَعْرَةَ . وخالقُ المنفعة والمضرة، أعلمُ بمواضع الخَيْرَةِ .

كتب ابن المقفع الى صديق له ولدت له جارية :

بارك الله لك في الأئبنة المستفادة، وجعلها لكم زينة، وأجرى لكم بها خيراً، فلا تكرمها؛ فإنهم الأمهات والأخوات، والعَمَاتُ والخالات، ومنهنَّ الباقيات الصالحات؛ وربّ غلام ساء أهله بعد مَسَرَّتِهِمْ، وربّ جارية فرحت أهلها بعد مَسَاءَتِهِمْ .

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى أخ له في مولود ولد له وهو أول

مولود كان :

أما بعد، فإن مما أعتز من مواهب الله، نعمة خُصِّصْتُ بِمَزِينَتِهَا، وَأَصْطَفَيْتُ بِخُصِيصَتِهَا، كانت أسرلى من هبة الله ولدا سميتُه فلاناً، وأملتُ ببقائه بعدى حياة وذ كرى، وحسن خلاقى فى حُرْمَتِي، وإشراكه إياى فى دعائه، شافعا الى ربه عند خلواته فى صلاته وسجده، وكلّ موطن من مواطن طاعته، فاذا نظرتُ الى شخصه تحرك به وجدى وظهر به



سرورى، وتعطفت عليه منه أنه الولد، وتولت عنى به وحشة الوحدة، فأنا به جَدِل  
 فى مَغِيبي ومشهدى، أحاول من جسده بيدى فى الظلم، وتارة أعانقه وأرشفه، ليس يَعدِله  
 عندى عظيماى القوائد، ولا منغسات الرغائب. سرتنى به واهبه لى على حين حاجتى،  
 فشَد به أزرى، وحملنى من شكره فيه ما قد أدنى بتقل حمل النعم السالفة الى به، المقرونة  
 سرائها فى العجب بقدر ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه، مخافة مجاذبة المنايا إياه،  
 ووجلا من عواطف الأيام عليه. فأسأل الله الذى أمتن علينا بحسن صنعه فى الأرحام،  
 وتاديبته بالزكاء، وحرسه بالعافية، أن يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفى غيره، وأن يحل ما يهب لنا  
 من سلامته والمئة فى عمره موصولا بالزيادة، معروفا بالعافية، محوطا من المكروه، فإنه  
 المتان بالمواهب والواهب بالمنى، لا شريك له. حملنى على الكتاب اليك لعم ما سررت به  
 على بحالك فيه وشرك إياى فى كل نعمة أسداها الى ولى النعم. وأهل الشكر أولى  
 بالمزيد من الله جل ذكره. والسلام عليك.

### تهنئة بنقلة الى دار جديدة

تناهى الى نُقُلَتِكَ الى الدار التى أرجو أن يجعلها الله ثقله المكروه عنك، وثقله السرور  
 اليك، ودوام نعمة الله عليك. جعلها الله لك أيمن دار وأعظمها بركة، ووصل نعمه فينا  
 عندك ونعمه عندنا فيك.

### تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصرانى أسلم

أنا أقول الحمد لله الذى وقفك لشكرك، وعرفك هدايته، فظهر من الارتباب قلبك،  
 ومن الاقتراء عليه لسانك. وما زالت غمايلك مُمثلة لنا بحيل ما وهب الله لك، حتى كأنك لم  
 تزل بالإسلام مَوسوما، وإن كنت على غيره مقيا، وكنا مؤملين لِمَا صِرتَ اليه، مشفقين  
 لك مما كنت عليه، واذكاد لإشفاقنا يستعمل رجاءنا، أنت السعادة بما لم تزل الأنفس  
 تعد منك. فأسأل الله الذى توراك فى رأيك وأضاء لك سبيل رُشدك، أن يوفقك  
 لصالح العمل، وأن يؤتيك فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار.



## باب المنظوم

١ - أبو نواس<sup>(١)</sup>

كان أبو نواس ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يُلَفَّ مع أحد من الناس غيرهم ، ثم نادى القاسم بن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكُرِهَتْ له ، ففارقه .

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني ، الشاعر المتفنن ، الجاذب الماسج ، صاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأس المحدثين بعد بشار . وهو فارسي الأصل . ولد بقرية من كورة غوزستان سنة ١٤٥ هـ ونشأ يتيمًا تقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فحلم العربية ورغب في الأدب ، فلم تلبَّ أمه بحاله وأسلمته إلى طيار بالبصرة ، فكثرت عنده لا يفتقر من مماناة الشعر والاختلاف إلى الأدب . والحيان ، إلى أن صادفته عند الطيار والبة بن الحباب الشاعر الماسج الكوفي في إحدى قدماته إلى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فأخبره والبة منه إلى الكوفة ، فبقى معه ومع ثدائه من خلفاء الكوفة وتفرج عليهم في الشعر وفاتهم جميعا . وقدم بغداد وقد أربت سسه على الطالحين ، فاقبل ببعض الأمراء ومدحهم ، وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه ، فلدسه بقصائد طائفة وجبه مرة على هجره مضر .

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم انطسب حامل مصر ، ثم انقطع إلى ملح محمد الأمين ، وثبت عنده بعض ما يوجب تخريره فسجه ، ولم يلبث بعد تخروجه من السجن أن مات ببغداد .

وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المخضر ، كثير الدعابة ، حاضر البديهة ، متينا في اللغة والشعر والأدب ، منصبا للبانة على المخزية . وأجمع أكثر علماء الشعر وقته وطول الشعراء على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفننا وأرصنهم قولاً وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى ، وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر .

وامتاز عن كل الشعراء بقصائده انحرافات ومقطعاته الهجويات ، وكان شعره لقاح الفساد والمقدرة السيئة ، لقلبه الفزل من أوصاف التوث إلى المذكر وانخروج بذلك عن مألوف العرب وآدابهم إذ لم يكن ذلك معروفاً قبله وقبل شيطانه والبه . وزاد على ذلك انحراده بالإبداع في وصف انحر ، فكان نموذج سوء لمن تأخر ، فافتن بشعره الشبان في زمانه وبسده وحاكوه وظب عليهم هذا المذهب حتى صار الشاعر لا يعدّ ظريفاً إلا إذا مزج شعره بشيء من ذلك وإن لم يقع في محظوراته .

وصفه جده الله الجواز قال : كان أطرف الناس مطلقاً ، وأغزهم أدباً ، وأندرم على الكلام ، وأسرهم جواً ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، طليح النعمة والاشارة ، ملتف الأعضاء بين الطويل والكبير ، مستون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمنمضك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان صريح اللسان ، جيد البيان ، غلب الألفاظ ، حلو الشائيل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، =



ثم جلس أبو نواس الى الناثئ الراوية فقرأ عليه شعر رزى الرمة، فاقبل الناثئ على أبيه هاني وقال له : إن ماش ابنك هذا وقال الشعر ليقولته بلسان شتوم .

ثم اتصل بوالية بن الحباب الأسدي ، لقيه بدار النجاشي الأسدي والى الأهواز للصور، فقال له والبة : إني أرى فيك محاييل فلاح ، وأرى أنك لا تضعيها ، وستقول الشعر وتعلو فيه ، فاصحني حتى أخرجك ، فقال : ومن أنت ؟ قال : أبو أسامة ، قال : والبة ؟ قال : نعم ، قال : أنا والله جُعلتُ فدالك في طلبك ، وقد أردتُ الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلك ، قال : ولماذا ؟ قال : شهوة للقاءك ولأبيات سمعتها لك ، قال : وما هي ؟ فأنشده :

ولها ولا ذنب لها \* حب كاطراف الزماج

بحرحت فؤادي بالهوى \* فالقلب مجروح النواحي

سل الخليفة صارما \* هو للفساد والمصلاح

أجداه كف أبي الوليد يدا مبارية الرياح

التي يحانب خصره \* أمضى من الأجل المتاج

وكانما دثر الهبا \* عليه أنفاس الرياح

فضى معه ، ثم سأله أن يخرج الى البادية مع وفد بني أسد ليتعلم العربية والغريب ، فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم فقارق والبة ورجع الى بغداد .

وكان أبو نواس متكلماً جيداً راوية لخللا ، رقيق الطبع ثابت الفهم في الكلام اللطيف .

ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره ، منها قوله :

وذات خد مورد \* خضية المتجرد

تأمل العين منها \* محاسنا ليس تنقد

== راوية للأخبار ، علامة بالأخبار ، كان كلامه شعرياً موزوناً . توفي سنة ١٩٩ هـ . ويجد ترجمته وأخباره وأشعاره في كتاب خاص باسم « أخبار أبي نواس » لأمين منظور طبع مصر سنة ١٩٢٤ والأمان (ج ١٨ ص ٢) و (ج ٦ ص ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٨٦) و (ج ١٦ ص ١٤٨) وابن خلكان (ج ١ ص ١٣٥) وطبقات الأدباء (ص ٩٦) والشعر والشعراء (ص ٥٠١) والمهرست (ص ١٦٠) والعقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) .



فبعضه قد تسمى \* وبعضه يتولد  
والحسن في كل شيء \* منها مُعاد مرّدد  
ومنها قوله :

يا طاقَدَ القلب عني \* هلا تذكرتَ حلًا  
ترسكتَ فني قليلًا \* من القليل أقلًا  
يحكاد لا يجزّي \* أقلُّ في اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة أسمها حُسن :

إن اسم حُسن لوجهها صفةٌ \* ولا أرى ذا في غيرها جُمعًا  
فهى إذا سُميت فقد وُصفت \* فيجمعُ الاسمَ معنيينَ معًا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة :

قل زُهير إذا حدًا رَشَدًا \* أقلُّ أو أكثرُ فانت يَهْذَرُ  
سَخُنْتُ من شتة البرودة حتى صرْتُ عندى كأنك النارُ  
لا يسجِبُ السامعون من صفى \* كذلك الثلجُ باردٌ حارُ

هذا شيء أخذهُ أبو نواس من مذهب حكماء الهند، فانهم يقولون: إن الشيء إذا أفرط  
في البرودة اقلب حارًّا، وقالوا: إن الصنْدَل يحكّ منه اليسير فيبرد، فإذا أكثر منه سخن .

قالوا : كان أبو نواس دعيًّا يخلط في دعوته . فن ذلك قوله بهجوعرب البصرة :

ألا كل بصرى يرى أنما العُلا \* مُكَمَّهٌ تُحَقِّقُ لَهْنَ جَرِينُ<sup>(١)</sup>  
فان تفرسوا نَحْلًا فان غِرَاسَنَا . ١٠ ضرابٌ وطعنٌ في النحورِ تَحْنِينُ  
فان أك بصرى فان مُهاجرى \* دِمَشْقٌ ولكن الحديث فنونُ  
بجاور قوم ليس يبنى وينهم . ٢٠ أواصرُ إلا دعوةً وظنونُ  
إذا مادما باسمي العريف أجبتُهُ \* الى دعوة مما على تَهُونُ

(١) المكمة : الفراس الكثيرة . والسق : الطويلة ، يريد الخل . والجرين ها : موضع تحفيف القتر .



ثم هما يمين في هذه التعهيدة بقوله :

لأزدد عتاً ، بالمهلب زروة \* اذا أقصر الأقوام ثم تلتين  
وبكر ترى ان الذبوة أثرت \* على مسمع في الرمم وهو جتين  
وقالت تميم لا نرى أن واحدا \* كأحفنا حتى الملت يكون  
فما كنت قيساً ياها في ثنية \* وتغير به إن التناز فتوت  
وانما نشأ أبو نواس بالهجرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد .

ومما هما به التمن أيضا قوله : لماشم بن حديج :

وردنا على داهم مصره \* فبارت تجارتنا عنده  
يقول فيها :

رأيتك عند حضور الخوا \* ن شديدا على العبد والعبد  
وتخذ حتى يخاف الخلة \* من شذاك عليه من الخلة  
وتختم ذاك بغير طيه \* يكندة فاسلح على كنده  
فإن حايحاله هجرة \* ولكننا زمن الردء  
وما كان إيمانكم بالرسول \* سوى قتلكم صهره بعنه  
تعدونها في مساعيتكم \* كعد الأهله معنه  
وابكان قاتلا في الرجال \* بجمل لظهر ولا يرشده  
فلو شردته فريش البطا \* ح لما تحشت تأركم جلده<sup>(١)</sup>

وقوله أيضا :

ما ملك سبي ولا أطلالنا الأوس \* ولا نواطق من طير ولا نوس  
يا هاشم بن حديج لو عدت أبا \* مثل القلنس لم يعلق بك الدنس  
لذا هم جمع الملك التهاث والعدء \* ومن قضاة أمرى عنده حبس

(١) الحديث : فترجله من الحم .



فابتاعهم بإخاء النهر ما عَمَرُوا \* فلم ينل مثلها من مثلهم أُنْسُ  
 أَوْ رَحَتْ مِثْلَ حَوَىٍّ فِي مَكَارِمِهِ \* هِيَاثَ مِنْكَ حَوَىٍّ حِينَ يُتَمَسَّ  
 أَوْ كَالسَّمُولِ إِذَا طَافَ الْهَامُ بِهِ \* فِي تَجْفَلٍ يَلْبِ الْأَصْوَاتِ يَتَجَسَّ  
 فَاخْتَارُ ثُكْلًا وَلَمْ يَفْزِدْ بِنَمْتِهِ \* إِذَا قِيلَ أَشْرِفَ تَرَّ الْأَوْدَاجِ تَلْجَسُّ  
 مَا زَادَ ذَاكَ عَلَى تَبِيهِ خُصِمَتْ بِهِ \* وَكَيْفَ يَمِيلُ غَيْرَ السَّوَةِ الْفَرَسُ

وقوله :

يَا هَاشِمُ بْنُ حَذِيحٍ لَيْسَ نَغْرُكُمُ \* بِقَتْلِ صَهِرِ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّدِيدِ  
 أَدْرَجْتُمْ فِي إِهَابِ الْعِزِّ جَسَّه \* فَبَلَسَ مَا قَدِمَتْ أَيْدِيكُمْ لَفِيدِ  
 إِنْ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ فَقَدْ قَتَلْتُمْ \* مُجْرًا بِدَارَةِ مَلْعُوبٍ بَنُو أَسَدِ  
 وَطَرَدُوكُمْ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَجَا \* طَرَدَ النَّعَامَ إِذَا مَا تَاهَ فِي الْبَلَدِ  
 وَقَدْ أَصَابَ شَرَّاحِيلاً أَبُو حَلِيشٍ \* يَوْمَ الْكَلَابِ فَمَا دَافَعْتُمْ بِيَدِ  
 وَيَوْمَ قَلَمَ لَزِيدٍ وَهُوَ يَقْتُلُكُمْ \* قَتَلَ الْكَلَابَ لَقَدْ أَبْرَحْتَ مِنْ وَلَدِ  
 وَكَلَّ كَنْدِيَّةٌ قَالَتْ لِحَارِثِهَا \* وَالْدَمْعُ يَنْهَلُ مِنْ مَتْنَى وَمَنْفَرِدِ  
 أَلْمَى أَمْرًا الْقَيْسَ تَشْبِيهًُ بَغَانِيَةً \* عَنْ ثَارِهِ وَصِفَاتُ النَّوَى وَالْوَتِدِ

وقد رثى أبو نواس خلفًا الأحمر بعد موته بقصائد من شعره، منها قصيدته التي أولها

قوله :

لَوْ كَانَتْ حَيُّ وَالْمَلَأُ مِنَ التَّلَفِ (١) \* لَوَأَلْتُ شَعْوَاءُ فِي أَعْلَى شَعَفِ  
 أَمْ فُرَيْخٍ أَحْرَزْتُهُ فِي بَلَفِ (٢) \* مَرْغَبِ الْأَلْفَادِ لَمْ يَأْكُلْ بِكَفِ  
 كَأَنَّهُ مُسْتَفْعِدٌ مِنَ الْخَرْفِ \* هَاتِيكَ أَوْ عَصَاءُ فِي أَعْلَى شَرْفِ  
 تَرَوْغُ فِي الطَّبَاقِ (٣) وَالتَّرِيعِ الْأَلْفِ \* أَوْدَى جَمَاعُ الْعِلْمِ مَذْأَوْدَى خَلَفِ

(١) والعلل : عجايا . ورائل : بلات . والشعواء : العقاب . والشعف : رموس الجبال .

(٢) الخلف : العارف الجليل . ومزغب : صار ذا زغب ، والمزغب مستعار الریش . والألفاد جمع لاد بالصم

وهو لحمه في الخلق . (٣) الطباق والزيغ : نوطان من الشجر .



من لا يَمُدَّ العِلْمَ إلا ما عَرَفَ \* قَلِيلٌ مِّنَ الْعَالَمِ انْخُسِفَ<sup>(١)</sup>  
كُلُّ مَنِي نَسَاءٍ مِنْهُ نَفَرِفَ \* رَوَابِيَةٌ لَا تُجَنَّقِي مِنَ الصَّغْفِ  
ومنها قوله يرثيه :

لَا يَكِلُ الْعُمَمُ فِي الْمَضَابِ وَلَا \* شَقَوَاءُ تَقْدُو فَرْخِينَ فِي بَلْفِ  
يُكْنِبُ الْجَوُّ فِي النَّهَارِ وَيُوْ \* وَيَا سَوَادَ الدُّجَى إِلَى شَرْفِ  
تَحْشُو يُؤْشِشُهَا عَلَى ضِرَمِ<sup>(٢)</sup> \* كَقَعْدَةِ الْمَنْعِي مِنَ الْخَرْفِ  
وَلَا شَجُوبَ بَاتَتْ تَوَزَّقُهُ النَّثَرَةُ مِنْهَا يَوَائِلُ قِصَفِ<sup>(٣)</sup>  
دَائِنٍ عَلَى الْأَرْضِ وَالْوَصِيدِ وَفِي \* بَهْوِ أَمِينِ الْإِيَادِ ذِي هَدَفِ<sup>(٤)</sup>  
دِيدُهُ ذَاكَ طَوْلَ لَيْلِهِ \* حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَاجِبُ السَّافِ  
غَدَا كَوَقْفِ الْمَلُوكِ يَنْهَفُ السَّقَطُ قَطِطَ<sup>(٥)</sup> مِنْ مَتْنِيهِ وَالْعَكْفِ  
كَأَنَّ شَذْرًا وَهَتْ مَعَاقِدُهُ \* يَبِينُ صَلَاةَ فَلَمَبِ الشَّنَفِ  
وَأَخْدَرِي صُلْبِ النَّوَاهِقِ صَلَاحِ أَمِينِ الْفُصُوصِ وَالْوُطْفِ  
مَنْفَرْدٍ فِي الْفَلَاةِ تُوسِعُهُ \* رِيًّا وَمَا يَخْتَلِبُهُ مِنْ عَلَفِ  
مَا تَرَكَ الْمَوْتَ مِنْ أَوَّلَى شَبَعًا \* بَادَتْ بِتِلْكَ الْفِلَالِ وَالشَّنَفِ  
لَمَّا رَأَيْتُ الْمَنُوتَ آخِذَةً \* كُلَّ شَدِيدٍ وَكُلَّ ذِي ضَعْفِ  
بَتْ أَعْزَى الْفُؤَادِ عَنْ خَلْفِ \* وَبَاتَ دَمِي إِلَّا يَفِضُ يَكِفِ  
أَنْسَى الزَّيَا مَيِّتٌ يَحْمُتُ بِهِ \* أَمْسَى رَهْنِ السَّرَابِ فِي جَدَفِ

- (١) القليل : البئر الغزيرة . والعالم : جمع هلم وهو البئر الكثيرة الماء . وانخسف جمع غمس يغمس  
وهو البئر التي حفرت في حجارة فنج منها ماء غزير لا ينقطع . (٢) الجوشوش : الصدر . والضرم :  
فرخ العقاب . (٣) الشجوب : الشاب من التبراد والغم . والنثرة : منزلة من منازل القمر .  
(٤) الوصيد : بيت كالحظيرة يتخذ من الحجارة لئلا يرى النعم وقربها في الجبال . والإياد : التراب يحصل حول  
الحوض أو انخلاء يقوى به أو يمنع ماء المطر . والهدف : كل مرشح من بناء أو كتيب رمل أو جبل .  
(٥) ينهف : يسهط ويثقف . والسقط : المطر الصغير أو امتناع العظم العطر وقيل هو دون الزذاذ وقيل  
البرد أو سفاره .



كَانَ يُسَنِّي بِرَفْقَةٍ غُلْفًا \* فِي غَيْرِ عِيٍّ مِنْهُ وَلَا عُنْفٍ  
يُحِبُّ هُنَاكَ الَّتِي غَشِيَتْ بِهَا \* مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَشْفِيكَ فِي لَطْفٍ  
لَا يَبِيحُ الْحَاءَ فِي الْقِرَاءَةِ بَالِغًا \* وَلَا لَامَهَا مَعَ الْأَلْفِ  
وَلَا يُعَيِّنُ مَعْنَى الْكَلَامِ وَلَا \* يَكُونُ لِنَشَأِهِ عَنِ الصُّحُفِ  
وَكَانَ مِمَّنْ مَضَى لَنَا خَلْفًا \* فَلَيْسَ مِنْهُ إِذْ بَانَ مِنْ خَلْفٍ

واختلف أبو نواس الى أبي زيد فكتب الغريب من اللفاظ، ثم نظر في نحو سيويه،  
ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد ويحيى القطان وأزهر السَّيَّان وغيرهم،  
فلم يختلف عن أحد منهم، وأدرك الناس فعله، ثم قديم بغداد بعد ذلك .

وكان أيضا يتنزه ويدعى للغزدي . ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازني، فجهل  
الحكم وذكر برية العود وبقي عليه وتكبه . ولما قال أبو نواس قصيدته التي يهجو بها  
يخفيف، وهي :

أَلَمْ تَرَجِّعْ عَلَى الطَّلَالِ الطَّلَاسَ \* عَفَا كُلَّ أَصْحَمٍ ذِي أَرْجَاسٍ <sup>(٢)</sup>  
وَذَارَى التُّرْبِ مَرَّتَكُمْ حَصَا \* نَسِجَ الْبَيْتِ مِعْتَقَةَ الدَّهَاسِ <sup>(٣)</sup>  
سَوَى سَفْعٍ أَطَارَتْهَا اللَّيَالَى \* سَوَادَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ آفَاسِ <sup>(٤)</sup>  
وَأُورْفَى حَالِفِ الْمَشْوَاةِ هَابٍ \* كَضَاوِي الْفِرَاحِ مِنَ الْهَلَّاسِ <sup>(٥)</sup>  
مَنَازِلُ مِنْ عُقْبَةِ أَوْ سُلَيْمَى \* أَوِ الدَّهْمَاءِ أَخِيَتْ بِنَى الْجَاسِ  
كَأَنَّ مَعَاقِدَ الْأَوْضَاحِ مِنْهَا \* يَبِيدُ أَغْنَى قَوْمٍ فِي الْيَكَّاسِ  
وَتَبْسِمُ عَنْ أَغْمَرٍ كَأَنَّ فِيهِ \* مُجَاجَ سُلَافَةٍ مِنْ بَيْتِ رَاسِ <sup>(٦)</sup>  
فَنَ ذَا مَبْلُغٍ صَرًّا رَسُولًا \* فَقَدْ ذَكَّرْتَ وَدَلَّكَ غَيْرَ نَاسِ

(١) سناء تسنية : سهله وضحه . (٢) حماس بالكسر : دارس . والأصم : السحاب . والارجماس :

الرمد . (٣) المعلقة : حبل في الرمل .

(٤) الأفساس : يخاص به ككرة . والسبع : يرد بها الأثافي . (٥) الهلاس : الصمود وهاب :

لونه لون الهباء . (٦) طدة بالشام تدلها الخمر .



فلم أنجرك هجر قلى ولكن \* نوابث لا تزال لها تقاسى  
 نوابث تعجز الأدياء عنها \* وبعيا دونها اللعن النطاسى  
 وقد نالحت من أحساب قوم \* هم ورتوا مكارم ذى نواس  
 فإن تك أوقدت للحرب نار \* فما عطيت خوف الحرب راسى  
 سأبلى غير ما ألى محام \* اذا ما النبلى ألقى بالقياس<sup>(١)</sup>  
 وسمت الواصلين بغايرات \* بين وسمت رهط أبى فراس  
 وقالت كاهل وبنو قمين \* حنائك إنا لسنا بناس  
 فما بال النعاج تفت بشعبي \* وف زمتان دم الفراس  
 وما حامت عن الأحساب إلا \* لترفع ذكرها بأبى نواس

طارضه الحكم وهجاه ، فانقلب على الترابية وأدعى أنه من حاه وحكم ، فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له : أنت خوزى ، فمالك ولحاء وحكم ! فقال له : أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض : إنه لغيرف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكيد عنا ويهجو التزارية ، فكان كما قالوا وكما طنوا ، فانقلب الى اليمن وصدل عن كنيته بأبى فراس واكتفى بأبى نواس ، تشبهاً بكنية ذى نواس كما كانت اليمن تكتفى ، وندم على هجاء ايمن ، ووجدتم له أنصر ولدصوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكندي من هجائه ، ومدح اليمن فقال :

أهاشم خذ منى رضاك وإن آتى \* رضاك على عسى فغير ملوم  
 فأقسم ما جاوزت بالشتم والدي \* وعرضى وما مزقت غير أديبى  
 فعدت بحقوى هاشم فأطانى \* كريم أراه فوق كل كرم  
 وإن أمراً أغضى على مثل زلتى \* وإن جرحت فيه لمسد حلیم  
 تطاول فوق الناس حتى كاتما \* يرون به نجا أمام ثموم



إذا ما تازت الأحسابُ يوما بأهلها ، أناخَ الى عادِيَةٍ وحميم  
الى كُلِّ مَعْصُوبٍ به التَّاجُ مَقُوبٌ \* اليه أبادى ثامرٍ وشميم  
وكان قبل أن يَتِمَّ لليمن ويدعى لتزارتعاجم في شعره، فمن ذلك قوله :  
فاسقنِيا وغبَّ صَو \* نأ، لك الخَيْرُ، أعجبا  
ليس في نعتِ دِمْنِيَّةٍ \* لا ولا زَجَرِ أَشْأَمَا

وكان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبي نواس شعرا يفضل هذه القصيدة وهي  
ودارٍ ندأى عطلوها وأدبَلَّوا \* بها أثَرُ منهم جديداً ودارسُ  
مَسَاحِبٍ من جرِّ الزَّفَاقِ على الثَّرَى \* وأضغاثُ رِيحانٍ جنىً ويابسُ  
حبستُ بها صَحْبِي فجددتُ عهدَهم \* وإني علَّ أمثال تلك الحابسُ  
ولم أدر منهم غيرَ ما شهدتُ به \* بشرقٍ ساباطٍ الديارُ الباسُ  
أفنا بها يوماً ويوماً وثالثا \* ويوماً له يومُ الترحُّلِ خامسُ  
تُدار علينا الراحُ في عَسْجِدِيَّةٍ \* حَبَّتْها بأنواعِ التَّصاوِيرِ فارسُ  
قَرَّرتُها كَسَرَى وفي جَنابِها \* مَهَّأَ تَرِيها بالقِسيِّ الفوارسُ  
فللخمر ما زُرَّتْ عليه جُيوبُها <sup>(١)</sup> \* ولأء ما دارتُ عليه القلائسُ

قوله يصف كرمه وعبر عنها بالهجمة وهو يريد الدنان :

لنا هِجْمَةٌ لا يُدركُ الذُّبُّ مَحْظَهَا ، ولا راعها تَزُو الفِعالَة والخطر  
إذا امتحنَت ألوانُها مالَ صفوها \* الى الكَتِّ إلا أن أوبارها خُضرُ  
وإن قام فيها الحالبون أَتَقَتُّهم \* بَجَلَاءِ ثقبِ الجوفِ دِرْزُها الخمرُ  
مَسارحُها الغريبُ من نهرِ صَرَصَر \* ففُطِرَ بُلٌّ فالصالحيةُ فالعَرُ

(١) يعني أن الخمر مصبوبة فيها الى حلق الصور صرفاً . وقوله : ولأء، يعني انهم صبوا الماء في مزجها حتى



ثُرْتُ أبى ساسانَ كَسْرَى ولم تكن \* مواريث ما أبقت نعيمٌ ولا بكر  
قَصُرْتُ بها لبلى وليلَ ابنِ حُرّة \* له حسبٌ ذاكِ وليس له وفّر

وفى تعابُرِ أبى نواسٍ فى شعره يقول الرقاشى يهجوهُ :

نَبَطَى فاذا قَبِلَ له \* أنتَ مولى حَكَمٍ قالَ أَجَلُ  
هو مولى الله اذ كانَ به \* لاحقاً فاللهُ أَصْلَى وأَجَلُ  
واضعا نَسَبَه حيثُ اشتهى \* فاذا ما رآه رِبُّ رَحَلِ

فقال أبو نواس يهجوهُ :

هَبْوتُ الفضلَ دهرى وهو عندى \* رَقاشٌ كما زعمَ المَسْوُولُ  
فلما سُوِّلْتُ عنه رَقاشٌ \* لتعلم ما يقول وما يقول  
ولما أن نَصَبناه إليها \* لتعلم ما يُقال وما تقولُ  
وجدنا الفضلَ أبعدَ من رَقاش \* من الأثْنِ أدعتَ فيها القُيُولُ  
وجدنا الفضلَ أكرمَ من رَقاش \* لأنَّ الفضلَ مولاهُ الرسولُ  
يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «أنا مولى من لا مولى له» .

وقال أيضا يهجوهُ :

قل للزقانى إذا جَعَلَهُ \* لو مَتَّ يا أحقُّ لم أَهْجُكا  
لا تَنقُ أَكْرمَ عِرْضى ولا \* أَعْرُثُهُ يَوْمًا الى عِرْضِكا  
إن تَهْجُنِى تَهْجُ قى ماجدا \* لا يرفعُ الطُّرْفُ الى مثلكا  
دونك عِرْضى فَأَجْبه راشداً \* لا تَدْنُسُ الأعراضُ من هِجْوكا  
والله لو كُنْتُ جَريراً لما \* كُنْتُ بأهْجى لك من أصلِكا

وقال أيضا يهجوهُ :

يا عربياً من صَنَعَةِ السُّوقِ \* وصَنَعَةُ السُّوقِ ذاتُ تَشْقيقِ  
ما رأيكم يا نَزَّارَ فى رجل \* يَدْخُلُ فيكم من خَلْقِ مخلوقِ



## عصر المأمون

٢١٦

ويحمل الوطْبَ وَالْعَلَابَ وَلَا \* يصلح إلا لحمل المريق  
 لقد ضربنا بالطبل أنك في السقوم صحيحٌ وصحيحٌ في البوق  
 قد أخذ الله من رقائق على \* تركهم المجد بالموائيق  
 فالناس يسعون للملا قُدُماً \* وهم وراء مكثرو السويق  
 هذا كذا كم وفي الميلاج اذا \* هيج لها شلت من بواشيق  
 وقال أيضا يهجو :

أصبح الفضلُ ظاهراً التَّيْدُ \* وذلك مذ صرْتُ أهاجيه  
 لله شعري، أئى مَفَوَاهِي \* لكل من دون قوايه  
 كم من فضيل منذ حاجيته \* وبينه قبل أهاجيه  
 فالحمد لله وإن كنتُ لم \* أحفل بقوم نعه وإفيه  
 رَضِيتُ أن يستغنى ساقط \* شئى خير من مواليه

وكان أبو نواس في دماويه يتماجن ويبت ويخفى نسيه واسم أمه لثلاث يهجو ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يتخشم . والمذكور من امره أنه كان مولى الحكيمين ، يفتخر باين ويمدحهم لذلك ، ويمدح العجم ويذكرهم لأنه منهم ، فذلك قال في العجم ما قال .

قال ابو الفرج الأصفهاني : كان أبو حنيفة يقول : ذهب ابنُ بَيْمَاءَ الشَّيْءَ وهزل : امرؤ القيس يبيده ، وأبو نواس بهزله . وكان يقول : ذهب ابنُ بَيْمَاءَ الشَّيْءَ في قدبه وحديثه : امرؤ القيس في الأوائل ، وأبو نواس في المحدثين . وكان يقول : شعراء ابن ثلاثة : امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس . وقال أيضا : أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفِطْنَ ودلهم على المعاني وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه . وكان يقول : يحجبني من شعر أبي نواس قوله :



بَنَيْنَا عَلَى كَسْرِي سِمَاءٌ مُدَامِيَّةٌ \* مَكَلَّلَةٌ حَافَتُهَا بِنَجُومٍ  
فَلَوْرُدُّ فِي كَسْرِي بَنَ سَاسَانَ رَوْحَهُ \* إِذَا لَأَصْطَلِقَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

وسئل يعقوب بن السكيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء، فقال: إذا أردت من الجاهليين فلا ممرئ القيس والأعشى، ومن الإسلاميين فطجيري والقرزوقي، ومن المحدثين فلا أبي نواس فحسب. وقيل: اللغوي من أشعر الناس؟ قال: عند الناس أم عندي؟ قيل عند الناس؟ قال: امرئ القيس؛ قيل: فعندك؟ قال: أبو نواس.

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة: من طلب الأدب فلم يرو شعر أبي نواس فليس بتأم الأدب. وسئل: من أشعر المحدثين؟ فقال: الذي يقول:

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَتْ \* مِنْ مَنْ أْزَارَهُ قَمَرًا  
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا \* إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا  
بَعِينٌ خَالِطُ التَّغْيِبِ \* مِنْ أَجْفَانِهَا الْحَوْرَا  
وَوَجْهِ سَارِيٍّ لَوْ \* تَصُوبُ مَائِهِ قَطْرًا  
وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاضَتُهُ \* لَهُ مِنْ عَنَبٍ طُرًّا

وقال إبراهيم بن العباس الطويل: إذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبي نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه.

وكان أبو نواس يقول عن نفسه: سَقَلْتُ عَنْ طَبَقَةٍ مِنْ تَهْدِئَتِي مِنَ الشُّعْرَاءِ وَطَلُوتٍ عَنْ طَبَقَةٍ مِّنْ مَّيٍّ وَمِنْ يَمِيٍّ بَعْدِي، فَأَنَا نَسِيجٌ وَحْدِي.

وحثت جماعة من الرواة من شاهد أبا نواس قالوا: كان أقل ما في أبي نواس قول الشعر، وكان فخلاً راويةً طاملاً.

وقال أبو عبيدة: بلغني أن أبا نواس يتعاطى قَرْضَ الشعر فتلقياني وهو سكران ماطر شاربه بعد، فقلت له: كيف فلان عندك؟ فقال: جميل الظل، جامد النسيم، فقلت: زد؛ فقال: مظلم الهواء، متنن الفناء، فقلت: زد، فقال: غليظ الطبع، بارد الشكل؛



قلت : زد ؛ فقال : وَخُمِ الطَّلْمَةُ ؛ يَعْسِرُ الْقَلْمَةَ ؛ قلت : زد ؛ قال : نَأَى الْجَنَابَاتِ ، بارد الحركات ؛ قال : نَخَفَقْتُ عَنْهُ ؛ فقال : زدني سؤالاً ؛ أزدك جواباً ؛ فقلت : « كفى من القلادة ما أحاط بالعنق » .

وقال سليمان بن أبي سَهْلٍ لأبي نَواص : ما الذي استُجِيد من أجناس شعرك ؟ فقال : أشعاري في الخمر لم يُقَلْ مثَلُها ، وأشعاري في الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعري إن لم يَزاحم غزلي ما قتلته في الطرد .

وكان يقول : ما قلت الشعر حتى رَوَيْتُ لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وابيل ، فما ظنك بالرجال ؟ واني لأروى سبعمائة أرجوزة ما تُعرف .

وكان قد استأذن خَلْفًا في نظم الشعر ، فقال : لا آذُنُ لك في عمل الشعر إلا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ؛ فغاب عنه مدة وحضر إليه فقال له : قد حفظتها ؛ فقال : أنشدنا ، فأنشده أكثرها في عدة أيام ، ثم سأله أن يآذن له في نظم الشعر ؛ فقال له : لا آذُنُ لك إلا أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له : هذا أمر يصعب عليّ فإني قد أهنت حفظها ، فقال له : لا آذُنُ لك إلا أن تنساها ، فذهب إلى بعض الديرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال : قد نسيتها حتى كأن لم أكن قد حفظتها قط ، فقال له : الآن فانظم الشعر .

وكان أبو نَواص يقول : لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي طيبة ، وأكون في بستان موزق . وعلى حال أردتضيتها من صلوة أوصل بها أو وعيد بصلوة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ، ثم يمرضها على نفسه فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره . وكان يمه الشعر في الخمر فلا يعمل إلا في وقت نشاطه . ولم يكن في الشعر بالبطيء ولا بالسرير بل كان في منزلة وسطى .



وكان الأصمى يقول : يسجني من شعر الشاعر بيتٌ واحد قد أجاد قائله وهو :

ضعيفَةٌ كَرَّ الطَّرْفُ تَحَسَّبَ أَنَّهَا \* قَرِيْبَةٌ عَهْدُ الْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ  
وَأَنَّى لَأَتِيَ الْأَمْرَ مِنْ حَيْثُ يُتَّقَى \* وَيَعْلَمُ سَمِيحِي حِينَ أَنْزَعَ مَنْ أَرَى

قال العَتَابِيُّ لرجلين تناظرا في شعر أبي نواس : والله لو أدرك الخبيثُ الجاهليةَ ما فُضِّلَ  
عليه أحد .

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ : أشعرُ الناس في وصف الخمر ثلاثة : الأعشى والأخطل  
وأبو نُوَاس .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعرٌ في عصر أبي نواس إلا وهو يحسُّدُه لميل الناس إليه  
وشهوتهم لمعاشرته ، وبعْدَ صِبْيَتِهِ وظَرْفِ لِسَانِهِ .

وقال أبو حاتم : سئل أبو نواس عن شعره فقال : إذا أردتُ أن أجدَّ ، قلتُ مثل  
قصيدي « أَيُّهَا الْمَتَابُ عَنْ عُفْرَةٍ » ، وإذا أردت العبتَ قلتُ مثل قصيدي : « طاب  
الهُوى لِمِيعِدِهِ » ، فأما الذي أنا فيه وحدي وكلُّه جيدٌ فإذا وصفت الخمر .

وقال أبو ذُكْوَانَ : كُنا عند التَّوْزِيّ فذكرتُ عنده أبا نواس ، فوضع منه بعضُ  
الحاضرين ، فقال له التَّوْزِيّ : أقول هذا لرجل يقول :

يُخَافُهُ النَّاسُ وَيَرْجُوْنَهُ \* كَأَنَّهُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

ويقول :

فَمَا جَازَهُ جَوْدٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ \* وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

ويقول :

فَتَمَشَّتْ فِي مَقَاصِلِهِمْ \* كَتَمَشَّى الْبُرَى فِي السَّقَمِ

قال ابن الأعرابي يوما جلسائه : ما أشعرُ ما قال أبو نواس في الخمر؟ فقال بعضهم :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَّتْ \* يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ الْإِيلِ كَوَكَا



وقال آخر :

كأن كُبرى وصغرى من تقاطعها \* حصباء دُرٍّ مل أرض من الذهب

وقال آخر :

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقاً \* وما لم تكن فيه من البيت مغرباً

وقال آخر :

فكأن الكؤوس فينا نجوم \* دائرات بروجها أيدينا

وقال آخر :

صفراء لا تنزل الاحران ساحتها . لو ممتها حجر مسته سراء

فقال ابن الأعرابي : إن هذا كله لشاعر أغرد بالإحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله في قوله :

لا يتزل الليل حيث حلت \* فلهـم شراً بها نهار

قال مسلم بن بهرام : لقيت أبا العتاهية قتلته : من أشعر الناس ؟ قال : تريد

جاهلياً أو إسلامياً أو مولداً ؟ قال : كلاً أريد ، قال : الذي يقول في المديح :

إذا نحن أثبتنا طبعك بصلح \* فانت كما نئى وفوق الذى نئى

وإن جريت الألفاظ يوماً بمدح \* لغصيرك إنساناً فانت الذى نئى

والذى يقول في الزهد :

ألا رب وجه في التراب عتيق وارب خسر في التراب رقيق

وارب حرم في التراب وتجدد وارب رأي في التراب ونيسق

فقل لقرىب الدار إنك راحل الى مقرب نالى المحل محيىق

وما الناس إلا هالك وابن هالك - وفؤ تسب في المالكين عريق

إذا امتحن الدنيا ليبس تكشف له من عدو في ثياب صديق



وكان يقول : سبقني أبو نواس الى ثلاثة أبيات وِدِدْتُ اني سبقته اليها بكل ما قلته  
فإنه أشعر الناس فيها، منها قوله :

يا كبير الذنب عفو الله \* هـ من ذنبك أكبر

وقوله :

مَنْ لم يكن لله متبهما \* لم يُنيس عتاباً الى أحد

وقوله :

اذا امتحن الدنيا ليبت تكشفت \* له عن عذوق ثياب صديقي

ثم قال : قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت وِدِدْتُ أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات .

وقال الجاحظ : سمعت النّظام يقول ، وقد أنشد شعراً لأبي نواس : كأن هذا الفتي  
بُيِّع له الكلام فاختار أحسنه . وقال بعضهم : كأن المعاني حُسِست عليه ، فأخذ حاجته  
وتفرق الباقي على الناس . وقال أبو حاتم : كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس .

حدث الحسين بن الحبيب الكاتب ، قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنتُ  
أنا وعبدُ الله بن طاهر عند المأمون ، وهو مستلقي على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر :  
يا أبا العباس ، مَنْ أشعر مَنْ قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ فقال : أمير المؤمنين أعرَفُ  
بهذا وأعلى عيناً فقال له المأمون : على ذلك قَفُلْ . تكلم أنت يا أحمد بن يوسف ،  
فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول :

ويا قبرٍ معني كنت أول حُفْره \* من الأرض حُطَّت للسماحة منزلاً

قال أحمد بن يوسف الكاتب : قلت : بل أشعرهم الذي يقول :

أَتَشَبَّهتُ أصدائي فصرْتُ أَحِبَّهُمْ \* إذ كان حَفَى منك حَفَى مِنْهُ

فقال المأمون : يا أحمد أبيتَ إلا غَزَلًا ! أين أتم عن الذي يقول :

يا شقيقَ النفس من حَكَمٍ \* نِمْتَ عن لَيْسلي ولم أتم

فقالتا : صدفت يا أمير المؤمنين .



وكان المأمون يقول : لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها فَنَطَقَتْ ، لما وصفت نفسها  
كما وصفها أبو نواس في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكشَفَتْ \* له عن صدو في ثياب صديقي

وَرَدَ طَلْعُ الْعَتَايِ بِحَلَبِ مِلَّةٍ مِنَ الْيَكَارِ مِنْ أَهْلِ قَلْسَرِينَ ، فدخلوا وسَلَمُوا ؛ وكان في يده  
رُقْعَةٌ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، قَالَ لَمْ : لَقَدْ سَلَكَ صَاحِبُ هَذِهِ الرُّقْعَةِ وَاذِيًّا مَا سَلَكَ أَحَدٌ قَبْلَهُ ؛  
فَنظَرُوا فَإِذَا هُوَ شِعْرُ أَبِي نَوَاسٍ فِي جَنَانٍ جَارِيَةٍ آلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ التَّنْفِيّ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

رَيْحُ الْكَرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُجِلٌّ \* عَنِّي عَلَيْهِ بُكْيٌ طَوِيلٌ  
يَا نَافِلًا مَا أَقْلَعْتُ لِحَفْلَائِهِ \* حَتَّى تَشْعَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ  
أَحَلَّتْ قُلُوبِي مِنْ هَوَاكَ مَحِلَّةً \* مَا حَلَّهَا الْمَشْرُوبُ وَالْمَأْكُولُ  
بِكُلِّ صَوْرَتِكَ الَّتِي مِنْ دُونِهَا \* يَخْضِرُ التَّشْبِيهُ وَالْتِمِيزُ  
فَوْقَ الْقَصِيرَةِ وَالْقَصِيرَةُ فَوْقَهَا \* دُونَ السَّيِّئِ وَدُونَهَا الْمَهْزُولُ

وَمَا أَفْشَدَهُ الْعَتَايِ لِأَبِي نَوَاسٍ فَقَالَ أَحْسَنَ وَأَجَادَ :

مَتَابُهُ بِجَمَالِهِ صَلِيفٌ \* لَا يَسْتَطَاعُ كَلَامُهُ تَبِيهَا  
لِلْحَسَنِ فِي وَجَنَاتِهِ بَدْعٌ \* مَا إِنْ يَمْلُ الدَّرْسُ قَارِيَهَا  
لَوْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ تَعْقِلُهُ \* أَجْلَلَنَّهُ إِجْلَالُ بَارِيَهَا  
لَوْ تَسْتَطِيعُ الْأَرْضُ لَأَقْبَضَتْ \* حَتَّى يَصِيرَ جَمِيعُهُ فِيهَا

وقوله :

إِنْ السَّحَابَ تَسْتَحْيِ إِذَا نَظَرْتُ \* إِلَى نَدَاكَ فِقَاسَتُهُ بِمَا فِيهَا  
حَتَّى تَهْمَ بِإِقْلَاجِ فَيْمَنْعُهَا \* خَوْفٌ مِنَ السُّخْطِ مِنْ إِجْلَالِ مَنْشِئِهَا

قال محمد بن صالح بن يونس الكلابي : لما دخلتُ العراقَ صرْتُ إلى مدينة السلام  
فَسَأَلْتُ عَمَّنْ بَهَا مِنَ الشُّعْرَاءِ الْحَسَنِينَ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ خِلافةِ الْأَمِينِ أَوْ عِنْدَ مَوْتِهِ قَبْلَ  
دُخُولِ الْمَأْمُونِ بِسِيرٍ ، فَقِيلَ لِي : قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ قَتْنٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهُ الْحَسَنُ



ابن هانيء ويعرف بأبي نواس ، وقد كنت سمعتُ شيئا من شعره ، فأخاني فتي كان من أهل الأدب ، فقلت له : هل تروى لأبي نواسكم هذا شيئا ؟ قال : أروى له أبياتا في الزهد وليس هو من طريقته ، فقلت أنشدنيها ، فأنشدني :

أنى ما بال قلبك ليس يَنقَى • كأنك لا تَقْنُ الموتَ حَقًّا  
ألا يا بنَ الذين قَنُوا وبادوا • أما والله ما ذهبوا لَتَبَقَى  
وما للنفس عندك من مُقام • إذا ما استكملت أجلا وِرْزَها  
وما أحدٌ بَرادك منك أَعْطَى • ولا أحدٌ بَنبِكَ منك أَشَقَى  
ولا لك غيرَ هموى الله زادُ • إذا جعلت إلى اللَهوات تَرَقَى

فقلت له : أحسن والله ! قال : أفلا أنشدك أحسن من هذا ؟ قلت بلى ، فأنشدني في رثاء محمد الأمين :

طوى الموتُ ما بيني وبين محمد • وليس لما تَعْلُوى المنيَةُ ناسِرُ  
فلا وصلَ إلا عَبرَةً تُستدِيمُها • أحاديثُ نَفسٍ ما لها الدهرَ ذاكِرُ  
إن عَمَرْتُ دورَ بمن لا أودُه • لقد عَمَرْتُ بمن أحبَّ المقابرُ  
وكنْتُ عليه أحذرُ الموتِ وحده • فلم يَبْقَ لى نِىءٌ عليه أحذِرُ

فقال : بحق ما غلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره .

قال محمد بن جعفر الأصم : كنا عند أبي نُعَيْم ، فتذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين ذكرتُ شعرَ ليلى بنتِ أبي ربيعة :  
رضى الله عنها حين ذكرتُ شعرَ ليلى بنتِ أبي ربيعة :  
ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكافهم • وَبَقِيَتْ في خَلْفٍ بكَلدِ الأَجربِ

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتا ، قلنا : أنشدناها ، فقال :

ذهبَ الناسُ فاستَقَلُّوا وَصَرَّنا • خَلَّفَ في أراذلِ النَّسائِ  
في أناسٍ نَمُدُّهم من عديد • فاذا قُتِلُوا غَلِسُوا بِناسِ



كلما جئت أبتنى الفضل منهم • بدروني قبل السؤال بيأس  
وبصكوا لي حتى تمتئت أني • مقلت عند ذاك رأساً براس

ثم قال : أتدرون لمن الشعر؟ قلنا : لا، قال : للحسن بن هانيه .

قال أبو عبد الرحمن الضرير : رأيت مسلم بن الوليد يُجربان وهو يتولاها، فسألني عن خلفت من الشعراء؛ فقلت له : أما من الكوفيين فأبو نواس، وهو مقدم عندهم؛ فقال : ويحك ! كيف يتقدم وهو يقول : رويدك يا إنسان ! أنت تففز أرايت قوله : « هفز » نرجعت من بين فكي شاعر قط ! ثم قال : ويلك ! وكيف يكون كذلك وهو يُحلى ويختل من صفة المخلوق الى صفة الخالق؟ فقلت : مثل ماذا من قوله؟ قال : أما فيما أحال فكقوله : وأخفت أهل الشرك حتى إنه • لتخافك الطف التي لم تُحلق وهذا من الإغراق المستحيل في العقول ومما ليس على مذهب القوم ؛ وأما في تحطيه بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله :

يَجِلُّ أن تلحق الصفات به • فكل خلق خلقه مثل  
وكقوله :

• يرى من الأشباه ليس له مثل •

ومما قيل عن أبي نواس إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يُحسبهما، وأجود شعره في النمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له وإنما سرقه، وحسبك من رجل يرد المعنى ليأخذه فلا يُحسن أن يبنى عليه حتى يحى به فيحيا، مثل قوله : « ودأوني بالتي كانت هي الداء » أخذه من قول الأعشى : « وأخرى تداويت منها بها » والذي أخذه منه أحسن . ومنها أيضا قوله : « إن الشباب مطية الجهيل » أخذه من قول النابغة الجعدي : « فإك مطية الجهيل الشباب » . وقوله : « كطلعة الأشمط من إهابه » أخذه من قول أبي النجم : « كطلعة الأشمط من كسائه » . ولكن رزق أبو نواس في شعره أن سار وحملة الناس وقدمه أهل عصره، وإن له على ذلك لأشياء حسناً لا يدفعها ولا يطرحها إلا جاهل بالكلام أو حاسد .



ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجوزته التي يمدح بها الفضل بن الربيع وهي :

وبلدة فيها زَوَزَ \* صَعْرَاهُ تَحْطَى فِي صَعَرِ  
مَرَّتِ<sup>(١)</sup> إِذَا الذُّبُّ اقْتَصَرَ \* بِهَا مِنَ الْقُيُومِ الْأَثَرُ  
كَانَ لَهُ مِنَ الْجَزَرِ \* كُلُّ جَيْشٍ مَا اشْتَكُرَ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا تَمْلَأُهُ مَشْعَرِ \* مَيْتُ النَّسَاحِ الثُّغَرِ  
صَفَّتْهَا<sup>(٣)</sup> عَلَى خَطَرِ \* وَغَرِيرِ مِنَ الْقُرَرِ  
بِإِزَابِ حِينَ قَطَرَ \* يُمِزُهُ جِبْتُ الْأَثَرِ  
لَا مُتَشَكُّ مِنْ سَلَرِ \* وَلَا قَرِيبٍ مِنْ خَوْزِ  
كَانَهُ بَعْدَ الثُّمَرِ \* وَبَعْدَ مَا جَالِ الثُّغَرِ<sup>(٤)</sup>  
وَالْمَحْ فِي حَمَرِ : \* جَابِ رِبَاعِ الْمُتَقَرِ<sup>(٥)</sup>  
يَجْدُو بِمُحَبِّ كَالْأَثَرِ \* تَرَى بِأَنْبَاجِ الْقَصْرِ<sup>(٦)</sup>  
مِنْهُنَّ تَوْشِيمُ الْجَدَرِ \* رَصِينِ أَبْكَارِ الْخَضَرِ  
شَهْرِي رُبِيعٍ وَصَفَرِ \* حَتَّى إِذَا الْفَعْلُ جَفَرِ<sup>(٧)</sup>  
وَأَشْبَهَ السَّقَى الْإِمْرَ \* وَنَشْ أَدْحَارُ الثُّقَرِ<sup>(٨)</sup>  
قُلْنَ لَهُ : مَا تَأْتِمِرُ ؟ \* وَهَنْ إِذْ قُلْنَ : أَشِرُ  
غَيْرُ عَوَاصٍ مَا أَمَرُ \* كَأَنَّهَا لَمَنْ فَنَلَرُ  
رَكْبٌ يَشِيعُونَ مَطَرِ \* حَتَّى إِذَا الْفُلُّ قَصُرُ

(١) المرت : الأرض لا نبات فيها ، واقصر الأثر : اقضاه وتبعه . (٢) الجزر (يقتضين) :

ما يذبح من الشاة ذكرا كان أو أنثى . واحدة : جزرة . وما اشكر : لم يثبت له الشكر وهو الضعيف من الشعر الذي لا يكاد يظهر . (٣) صفها : سلكها متعطلا ، والقرر : الخطر . (٤) السدر : الصبر .

(٥) الضمر (بالضم وبضمين) : الهزال . والضفر : جمع ضفاد (بالفتح) وهو ما يشبه به البحر من شعر مضفور .

(٦) إنباج : الحمار الغليظ من حمير الوحش . (٧) الأنبايع جمع شيع وهو وسط الشيء ، والقصر

جمع قصرة وهي أصل العتيق . (٨) جفر : امتنع عن الضراب .

(٩) السقى : كل جهر له شوك ، ونش : غضب ، والقر : جمع قرة وهي الوهلة المستديرة من الأرض .



يَمْنَنَ مِنْ جَنِّي هَجَرَ      أَخْصَرَ طَلَمَ الْعَكَرَ  
وَبَيْنَ أَحْقَافِ الْقَدَرِ      سَارَ وَلَيْسَ لِلْسَمَرِ  
وَلَا تِلَاوَاتِ السُّورِ      بِسَحْ مِرْنَانًا <sup>(١)</sup> بِسَرِ  
زُمْتَ بِمَشْزُورِ الْمِرْزِ      لَأُمِ تَحْقُومِ الْغُرِ <sup>(٢)</sup>  
حَتَّى إِذَا اصْطَفَى السُّطْرَ      أَهْدَى لَهَا لَوْلَمْ تُجْزِرْ  
دَهْيَاءَ يَحْدُوها الْقَدَرُ      فَبِكَ عَسَى لَمْ تُدْرِ  
سَهْبًا إِذَا الْآلُ طَهَرَ      إِلَيْكَ كَلَمًا السُّفَرِ  
خُوصًا يُحَادِثُ النَّظَرَ      قَدْ انْطَوَتْ مِنْهَا السَّرَرِ  
حَتَّى الْقَرَارَى <sup>(٣)</sup> الْحَبَرِ      لَمْ تَقْعُدْهَا الْعَلِيرِ  
وَلَا السَّيْنِجُ الْمَرْدَجِرُ      يَافِضُلُ الْقَوْمِ الْبَطَرِ  
إِذْ لَيْسَ فِي الْبَاسِ عَصَرُ      وَلَا مِنْ الْخَوْفِ وَزَرِ  
وَنَزَلَتْ لِإِحْدَى الْكُبَرِ      وَبَلَ صَمَاءُ الْغَيْرِ  
فَالْبَاسُ أَبَاءُ الْحَدَرِ :      فَوَحَتْ هَاتِيكَ الْغُمَرِ  
حَا « وَقَدْ صَابَتْ بِقَزْ » <sup>(٤)</sup>      كَالسَّمْسِ فِي تَخْيِصِ بَشَرِ  
أَحْيَا مُجَارِيكَ الْخَطَرِ \*      أَوْكَ حَلَى عَنْ مُصَرِ  
يَوْمَ الرُّوَاقِ الْمُحْتَصَرِ      وَالْخَوْفِ يَقْصِرِي وَيَنْزِرِ  
لَمَّا رَأَى الْأَمَرَ الْمُطَرِّ <sup>(٥)</sup>      قَامَ كَرِيمًا فَانْتَصَرِ  
كَهْزِهِ الْعَصَبِ الدَّشْكَرِ \*      مَا مَشَى مِنْ نَبِيٍّ هَبَرِ <sup>(٦)</sup>

- (١) المراءى : القوس . (٢) رمى شتت ، ومشروع بمول ، والمرد . جمع مرة وهي قوة القتل ،  
واللائم : الشديد ، والمر : كسر الدمل . والعرب تشبه الدقيق الأواريه - لاهم المرن . (٣) القرارى . الخياط  
(٤) القر : القرارى ، يقال اذا وقع الأمر مومه . صارت مروه صت نمر . ال طريقة من الصد الكرى .

كنت منهم كالمعلى رأسه \* فاحمل اليوم طافى وجر

ساحرا أحسب عي رتدا      صاحبت وقد صات قصر

- (٥) اشتد . (٦) هر قطع .



وَأَنْتَ تَقْتَاتُ الْأَنْسَ \* مِنْ ذِي مُجْجُولٍ وَغُرُرٍ  
 مَعِيدٍ وَرَيْدٍ وَصَدَرٍ . وَإِنْ عَلَا الْأَمْرَ أَقْتَدِرُ  
 فَأَيْنَ أَصْحَابُ الْقَمَرِ \* أَذْشَرُوا كَأْسَ الْمَقْرِ<sup>(١)</sup>  
 وَقُصِّرُوا فِيمَنْ قُصِرَ \* هِيَاثَ لَا يَنْفَى الْقَمَرُ<sup>(٢)</sup>  
 أَحْمَرَتْ أَذْذَبُوا الْخَمْرَ \* شَكَرًا وَحَرًّا مِنْ شَكْرٍ  
 فَاللَّهُ يُعْطِيكَ التَّسْبِرَ<sup>(٣)</sup> \* وَفِي أَعَادِيكَ الظَّفَرُ  
 وَاللَّهُ مَنْ شَاءَ نَصَرَ \* وَأَنْتَ إِنْ خِفْنَا الْحَصَرَ<sup>(٤)</sup>  
 وَهَرَّ دَهْرٌ وَكَثُرَ \* عَنْ نَاجِذِيهِ وَبَسَرٍ<sup>(٥)</sup>  
 أَغْنَيْتَ مَا أَغْنَى الْمَطَرُ \* وَفِيكَ أَخْلَاقُ الْبَسَرِ  
 فَأَنْ أَبَوَا إِلَّا الْعَسَرَ \* أَمَرْتُ حَبَلًا فَاسْتَوْزَ<sup>(٦)</sup>  
 حَتَّى تَرَى تِلْكَ الزَّمَرِ \* تَهْوِي لِأَدْقَانِ الْتَغَرِ<sup>(٧)</sup>  
 مِنْ جَنْبِ الْأَوَى<sup>(٨)</sup> لَوْ تَرَى \* إِلَيْهِ طَوْدًا لَا تَأْكُرُ<sup>(٩)</sup>  
 صَعِيبٌ إِذَا لَاقَى أَبَرَ \* وَإِنْ هَفَا الْقَوْمُ وَقَرَّ  
 أَوْ رَهَبُوا الْأَمْرَ جَسَرَ \* ثُمَّ تَسَامَى فَفَقَسَرَ  
 عَنْ يَنْقَشِقِ تَمَّ هَدَرَ \* تَمَّ تَنَاجَى فَخَطَرَ<sup>(١٠)</sup>  
 بَذَى سَيْبٍ وَعُذِرَ \* يَمْضِعُ أَطْرَافَ الْوَبَرِ  
 هَلْ لَكَ وَالْمَهْلُ خَيْرٌ \* فِيمَنْ إِذَا غَبَّ حَصَرَ  
 أَوْ نَالَكَ الْقَوْمُ تَارَ \* وَإِنْ رَأَى حَيْرًا شَكَّرَ  
 \* أَوْ كَانَ تَمْصِيرَ عَدَرَ \*

- (١) القمر : المر . (٢) أصحرت . روت إلى الصحراء ، ودوا آخر : مشوا محميين . والجر :  
 ما سترك من شعر أو ماء أو نحوه . (٣) الخير والقدرة . (٤) الصيق . (٥) كثر أبدي  
 عن ناجذيه ، وبسر : عس . (٦) أي أسكتناه . (٧) جمع نمرة وهي قرة الحر .  
 (٨) الأولى : الشديد المحسوسه . (٩) أسوح وإني . (١٠) السبب . سحر الدم والعرف  
 والناصية ، والمذرجع مذار . (١١) قصد لصد هل استغماية فأدخل عليها الألف واللام .



ولما عمل أبو نواس القصيدة التي أولها : \* ومستعبد إخوانه بثرائه \* بلغت  
الأمين، فبعث إليه، وعنده سليمان بن جعفر . فلما دخل عليه قال له : يا عاصم بظير أمتك  
الماهرة ، ويا مدعى ولاء حاء وحكم ! أتمدري يابن القناء من توليت وإلى من أدهيت ؟  
إلى الأعم قيلتين في اليمن ، ملوحي باذين . أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللثام ،  
وتقول : \* ولا صاحب التاج المحجب في القصر \* أما والله ما نلت مني شيئا بعد ذلك  
أبدا ! فقال له سليمان بن أبي جعفر : إني والله ! نعم هو مع هذا من بكار الثبوية (١) وكان يرى  
بذلك ، فقال له محمد الأمين : وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة  
نقر ، فشهدوا عليه أنه شرب في يوم مطير فوضع قدمه تحت السماء في المطر فوقع فيه  
المطر ، فقالوا له : ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال : أتم ترعمون أنه يترل مع كل قطرة  
ملك ، فكم ترائي أشرب من الملائكة ! ثم شرب ما في القلح ، فغضب محمد ، وأمر به  
إلى السجن . فذلك قول أبي نواس :

يارب إن القوم قد ظلموني \* وبلا اقرار معطل حسروني  
وإلى الجحود بما عرفت خلاقه \* ربّي إليك يكتنهم تسبوني  
ما كان إلّا الجحوى في ميدانهم \* في كل خزي والمجانة ديني  
لا العذر يقبل لي ويفرق شاهدي \* منهم ، ولا يرضون حلف يميني  
ما كان - لو يدرون - أول محبا \* في دار متقصّة ومزل هوين  
أما الأمين فليست أرجو دفعه \* غنى ، فمن لي اليوم بالمأمون

فبلغت أيبائه المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأغتيته حتى لا يؤمله . فمات قبل دخول  
المأمون بغداد .

لما وصلت الخلافة إلى محمد الأمين وولي الفضل بن الربيع الوزارة ، ففرغ محمد  
والصيد والزهرة ، وكان لا يخرج إلا لصيد أو لزهرة . فخرج ذات يوم وقد أمر الجند

(١) التوبة أصحاب الأسيان الأزيلى وهم الذين يزعمون أن الورد والطلحة أزيان قديمان ، بخلاف المجوس

فانهم قالوا بمحدث الظلام .



والقوَادَ فركبوا، وليس ثيابَه وتقلد سيفه، وأُصِدَّت الحَرَاقَاتُ <sup>(١)</sup> والزَّلَاجَاتُ في دِجْلَةٍ، فقال له اسماعيلُ بنُ صُبَيْحٍ - وكان كاتبَ سِرِّه - : يا أمير المؤمنين ان قوَادَكَ وجنْدَكَ وطائِمَةَ رعيَتِكَ قد حُبِلَتْ نفوسُهُم، وسامت ظنونُهُم، وكَبُرَ عندَهُم ما يرونَ من احتِجَابِكَ عَنْهُم، فلو جَلَسْتَ لَهُم سَاعَةً من نهار فدخلوا عليك ! فإن في ذلك تَسْكِينًا لَهُم ومراجعة لآمالِهِم ! فجلس في مجلسه وأذن للناس عامةً فدخلوا على مراتبِهِم ومنازلِهِم، وقام الخطباءُ فخطبوا، والشعراءُ فأنشدوا، فلم يكن أحدٌ منهم يتمدَّى الى الاطْناب والتطويل، الا أَمَرَ بالسكوتِ ومُنِعَ من القول .

وقام فَيَمَن قام أبو نواس، فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء الشعراءُ أهلُ سَجَرٍ ومَدَرٍ، وإِبِلٍ ووصِفٍ للبقرِ وبيوتِ الشَّعَرِ، قد جَفَّتْ أَلْفَاظُهُم، وَغُظِلَتْ معَانِيهِم، ليس لَهُم بَصَرٌ بمدحِ الخلفاءِ وكَثِيرُ مكارِمِهِم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشاده فليفعل، فأذن له فأَنشده :

أيا دارِها بالماءِ حتى تُلَيِّنَها \* فلن تُكْرِمَ الصُّبَّاءَ حتى تُثَبِّتَها  
أُظِلَّ بها حتى إذا ما ملكتُها \* أهنْتُ لإكرامِ الخليلِ مَصُونِها  
وصفراءَ قبلَ المَرْجِ بيضاءَ بعده \* كأنَّ شعاعَ الشمسِ يَلْقاكَ دونَها  
ترى العينَ تستعْفِيكَ من لَمَعانِها .. وتحسُرُ حتى ما يُجِلُّ جفونَها  
تُزَوِّجُ بنفسِ المرءِ عما يَسُوهُ \* ويَحْذِلُهُ ألا يزالَ قَرينَها  
كأنَّ يواقيتَها رواكِدُ حوْلِها .. وزُرُقُ سَنائِرٍ تديرُ عُيونَها  
وتُغَطِّطُ حَلَّ الدهرِ منها بِجَنوةٍ \* دَلَقْتُ إليها فاستلَّتْ جَبِينِها  
كأنَّا حُلُولٌ بينَ أَكْثافِ روضةٍ .. إذا ما سَلَبَناها معَ الليلِ طِينِها

الى أن أكمل القصيدة . فقال له محمد : ألم أُنهَكَ عن شربِ الخمر ! قال : بلى يا أمير المؤمنين، والله ما شَرْتُها منذ نَهَيْتَنِي عنها ومنعتَنِي من شُرْبِها، وأنا الذي أقول :

(١) الحراقات : ضرب من السفن فيها مراى نيران يرى بها العدو في البحر .



أيتها الرماح باليوم لوما \* لا أفوق المدام إلا شيمًا  
 نالني بالسلام فيها إمام \* لا أرى لي خلافه مستقيمًا  
 فاصرفها إلى سواي فإني \* لست إلا على الحديث نديمًا  
 . كبر حطى منها إذا هي دارت \* أن أراها وأن أشم النسيًا  
 فكأنني وما أزيّن منها \* قمدي<sup>(١)</sup> يحسن التحكيما  
 كل عن حمله السلاح إلى الحر \* ب فأوصي المطلق ألا يقيما

فتبسم محمد، وقال له : أحسنت ! وقام بعض الشعراء فأنشد :

ترقى في فضائله الامين \* وزايله المشاكل والقرين  
 وأورق زهرة الصوى وعزّت \* خلافته وصدقت الظنون  
 تلمس منابر الخلفاء منه \* يد بخلاف طاعتها المنون  
 يخاف الخوف صولته ويرجو \* نداء الجود فهو له خدين

فقال علة من حضر : قد أوجر وأجاد، أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال أبو نواس : أشعر  
 منه يا أمير المؤمنين الذي يقول :

ألا يا خير من رأيت الميؤن \* يظيرك لا يحس ولا يحون  
 وفضلك لا يحد ولا يحارى \* ولا تحوى حيازته الظنون  
 فانت نسيج وخديك لا شبهة \* تحاضيه عليك ولا خدين  
 خلقت بلا . ساكلة لىء . فانت القوق والمعلان دون  
 كأن الملك لم يك قبل منقأ \* إلى أن قام بالملك الامين

قال : فضله محمد وأحسن جائزته . ويقال : إنه قالها بديها .

(١) القمدي من الحوارج . الذي رأى التعدد الذي يرون التحكيم حقاً، وير أنهم قعدوا عن الخروج

على الناس .



ثم نهض محمد من مجلسه ذلك، فركب الحُرَاقَةَ إلى الثَّمَاثِيَّةِ، واصطَلَقَتْ له الخيل وطيبها الرجال على شاطئ دجلة، وَجِلَتْ معه المطابعُ والخِزَانُ . وكان ركوبه حُرَاقَةً على مثال الأسد . فما رأى الناس منظراً كان أبهى ولا مسيراً كان أحسن من ذلك المنظر والمسير . وركب أبو نواس معه يومئذ وهو يتادمه، فقال :

تَسَخَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا \* لَمْ تَسَخَّرْ لِمُصَاحِبِ الْحُرَابِ (٢)  
فَإِذَا مَا رَكَابُهُ سِرْنَ بَحْرًا \* سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْتَ غَايَ  
أَسَدًا بَاسِطًا ذِرَاعِيهِ يَعْدُو \* أَهْرَتَ الشَّدَقِ كُلَّجَ الْأَنْيَابِ (٣)  
لَا يَعْانِيهِ بِالْجَبَامِ وَلَا السُّو \* طِ وَلَا تَحْمِزُ رَجُلِهِ فِي الرُّكَايِ  
عَجِبَ النَّاسُ إِذْ رَأَوْكَ عَلَى صَو \* دَةٍ لَيْتَ تَمَرُّ مَرَّ السَّحَابِ  
سَبَّحُوا إِذْ رَأَوْكَ سَرَتْ عَلَيْهِ \* كَيْفَ لَوْ أَبْصَرُوكَ فَوْقَ الْعُقَابِ  
ذَاتَ زَوَرٍ وَمِثْمِيرٍ وَجَنَاحِ \* بَيْنَ تَشَقُّ الْعُبَابِ بَعْدَ الْعُبَابِ  
تَسْبِيحُ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ إِذَا مَا اس \* تَعَجَّلُوا بِمِثْمِيرَةٍ وَذَهَابِ  
بَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ وَأَبْقَا \* وَأَبْقَى لَهُ رِذَاءَ الشَّبَابِ  
مَلِكٌ تَقْصُرُ الْمَدَائِمُ عَنْهُ \* هَائِمٌ مُوقِفٌ لِلصَّوَابِ

ويقال : ان هذا الشعر قاله أبو نواس في محمد ، وقد ركب حُرَاقَةَ الدُّافِينِ ؛ فقال له شيخٌ الى جانبه : اتق الله يا هذا ! فقال له أبو نواس : يا شيخ ، إن الله لم يسخر لصاحب الحُرَابِ الدُّافِينِ ، وقد سخر له ما هو خير من الدافين ، فأى شيء تنكر من هذا ؟

قال ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عِمْران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد ، فقال مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس في السجن فسلمنا عليه ! ففعلنا ؛ فقال أبو نواس

(١) وذلك أنه كان للأمين ثلاث من السفن المسروقة بالحراقات ركوبه خاصة ، وهي الليث والعقاب والدافين . (٢) صاحب الحُرَابِ هو سليمان بن داود عليه السلام لأنه بن بيت المقدس . (٣) أهزت الشدق : واسمه . وكالج الأنياب : كاشتها .



للمؤنس : أين تريد ؟ فقال : أريد أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال فبلغه رقعة أعطيكها ، قال : نعم ، فأعطاه رقعة فيها :

ما من يد في الناس واجدة \* كيد أبو العباس مولاها  
نام البُغاة على مضاجعهم \* وسرى الى نفسى فأحياها  
قد كنت خفتك ثم أمتنى \* من أن أخافك خوفاً اقله  
فعموت عني غموم مستدر \* وجبت له تقسم فأنالها

فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكراناً ، فر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة ، فدخل فقام في الصف الأول ، فقرأ الأمام : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ فقال أبو نواس من خلفه : لييك ، فلما قضيت الصلاة لبّوه وقالوا له : يا كافر نشهد عليك بالكفر ودفموه . فبلغ خبره الرشيد ، فدعا له حمدويه صاحب الزنادقة ، وأحضر أبا نواس فقال له حمدويه : يا أمير المؤمنين ، إن هذا ماجن ، وليس هو بحيث يُظن ، فقال له الرشيد : ويحك ! إنه وقع في نفسى منه شيء ، فامتحنه . قال : نخط له صورة ماني ، وقال له : أبصق عليها ، فأهوى أبو نواس بفيه ليقب عليها ، فقال له حمدويه : قد قلت لك يا أمير المؤمنين إنه ماجن . قال : ودعا برجل من الزنادقة مشهور ، وقال له : ابصق عليها ، فقال : وما معنى البصاق ! إنه من أخلاق الشرك ولا أفعله ، وأبى أن يفعل . فقال الرشيد لبعض خدم القصر : امض بهذا (يعني أبا نواس) الى السندى ، فقل له : أذبه وأطلقه ،

(١) لبوه : أخذوا عليه ، وهو موضع القلادة في الصدر . (٢) هومان بن فانك الحكيم ، الذي ظهر في زمن سابور ذي الاكخاف بن أزدشير ، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام . اتخذ له ديناً بين المجوسية والنصرانية . وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف بابن عيسى الوراق ، وكان في الأصل مجوسياً علقاً بمذاهب القوم ، أن الحكيم ماني زعم أنب العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور والأخر طلبة ، وأنهما أزيلان لم يزالا ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء الا من أصل قديم ، وأنهما لا يزالان قوتين حسنتين سيميتين بصيرتين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والعقل والتدبير متضادتان ، وفي الحيز متعاذيتان تحاذى الشخص والظن .  
(انظر الملل والنحل للشهرستاني)



وبهذا (يعنى الزنديق) فقل له : احبسه قبلك الى أن تستتيبه ، فان تاب وإلا قتلناه .  
 قال : ففضى بهما الخادم ، فلما صار فى آخر الصحن ، قال أبو نواس لخدام : الى أين تذهب بنا ؟ قال : الى السندى ؛ قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبلك حتى تستتاب أو تقتل ، ويؤذّب هذا ويطلقه . قال : فرغ أبو نواس يده ولطمه ، وقال له : يا بن الزانية ، من الساعة نسيت ! . وبصر بهم الرشيد ، فقال : ردوهم ؛ فقال لأبى نواس : ما هذا الذى رأيت منك ؟ قال : أراد والله أن يهلكنى ويطرحنى بحيث أنسى أبدا أو أبى مغلدا ، سلّه يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فاذا هو قد غيرها ؛ فضحك من أبى نواس وأطلقه .

قال رزّين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلى بن الخليل فى سوق الكرخ ، وكنا نجتمع ونتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار وتحدثت بها . فقال أبو نواس : أدبر من كان فى نفسى وكان أسرع الخلق فى طاعى ، فما أدري ما أحتال له ؟ فقال على بن الخليل يمازحه : يا أبا على ، سلّ شيخك وأستاذك يعطّفه عليك ؛ فقال له أبو نواس : من تعنى ؟ قال : من أنت فى طاعته ليلك ونهارك (يعنى ابليس) فان لم يقض لك هذه الحاجة ، فما ينبى لك أن تسأله مسألة ولا أن تقر عينه بمحبة ؛ فقال : هو أسدّ لرايه من أن يحلّ بى أو يخذلنى ؛ واتقضى مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا فى ذلك الموضع ، وأخذنا فى أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ؛ فقلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول على بن الخليل يومئذ : سلّ شيخك يعطّفه عليك . حيث قد سألته يا أبا الحسن فقضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتانى من غير أن أبعث اليه ومن غير أن أستريه ، فعاتبني واسترضاني ، وكان الغضب منه والنجى ، وأحسب الشيخ (يعنى ابليس) كان يتسمع علينا فى وقت كلامنا ؛ وقد قلت أبياتا فى ذلك ؛ فقلنا : هاتها ، فأنشد :

لما جفانى الحبيب وامتنعت . عني الرسالات منه والخبر  
 واشتد شوقى فكاد يقتلنى . ذكر حبيى والهم والفكر



دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ له \* في خلوةٍ والدموعُ تتهدرُ :  
 أما ترى كيف قد بليتُ وقد \* أفرحَ جفنى البكاءُ والسهرُ ؟  
 إن أنت لم تأتني لي المودةَ في \* صدر حبيبي وأنت مقتدر  
 لا قلتُ شعرا ولا سمعتُ غنا \* ولا جرى في مفاصلي السَّكرُ  
 ولا أزالُ القرآنَ أدْرُسُه \* أروح في دريسه وأبتكرُ  
 وأزيم الصومَ والصلاةَ ولا \* أزال دهرى بالخير آتِمُ  
 فما مضت بعد ذاك ثالثةٌ \* حتى أتاني الحبيبُ يتنذرُ  
 ويطلب الودَّ والوصالَ على \* أفضلي ما كان قبلَ يتجرُ  
 فيألفها مئةً لقد عظمْتُ \* عندي لإبليس ما لها خطرُ

لما قَدِمَ أبو نواس على الخَصِيبِ بِمِصرَ أذن له وعنده جماعة من الشعراء فاستنشدته ، فقال له : ها جماعة من الشعراء هم أقدم مني وأسنّ ، فأذن لهم في الإنشاد ، فان كان شعري نظيراً أشعارهم أنشدتُ وإلا أمسكتُ ، فاستنشدهم الخَصِيبُ ، فأنشدوا مديحاً في الخَصِيبِ ، فلم تكن أشعارهم مقاربةً لشعر أبي نَواس ، فقبِضَ أبو نَواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير قصيدةً هي بمنزلة عصا موسى نثَقُفَ ما يَافِكُونُ؟ قال هات ، فأنشده قصيدته التي أوفا :  
 أجارةً يَتَيْمَنَا أبوكَ غَيُورٌ - وَمَيْسُورٌ ما يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ

حتى أتى على آخرها ، فانفضَّ الشعراءُ من حوله .

ويقال : إن أبا نَواس كان خرج الى مصر في زِيَّ الشُّطَارِ وتقطيعهم بطرزة قد صَفَفَها وكُتِبَ واسعين وذيل مجرور ونعل مطبق ، وكان خروجه مع سايان بن أبي سهل ، فلما دخل على الخَصِيبِ بهذه الصورة ازدراه واستخفَّ به ، وكن تُورِدُ عليه كُتْبُ الحِلَّةِ ممن

(١) هو الخَصِيبُ بن عبد الجبيل الحمصي أمير مصر على الخراج . والله بسبب مية الخَصِيبِ مالوجه القليل وليس ما بن صاحب نهر أبي الخَصِيبِ ، ذلك عند انصور سال له مرزوق . وكان هذا رئيساً في أراضيه . فانقل الى بغداد وصار كاتب مَهْرويه الرازي ، ثم انتقل الى الامارة .

(٢) الشطار : جمع شاطر وهو من أبا أهل حنا .



يباب السلطان، وورد كسب أبى نواس فيها قراها ولم يستشده، فانصرف مهموما .

وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأشدوه لخصيب؛ فاستحضره فأنشده :

أَجَارَةَ يَتَيْتِنَا أُولُوكَ غِيُورُ . وَمِيَسُورُ مَا يُرَى لَدُنْكَ عَيْسِرُ  
فَإِنْ كُنْتَ لَا حِلَّهَا وَلَا أَنْتَ زَوْجَةٌ <sup>(١)</sup> . فَلَا يَرَحْتُ دُونِي عَلَيْكَ سُتُورُ  
وَجَاوَرْتُ قَوْمًا لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ . وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُسُورُ  
مَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرْبَةً لَا زِيْپُ . وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَى قَدِيرُ  
وَأَتَى لَطَرُفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاغِرُ . قَدْ كَدْتُ لَا يَخْفَى عَلَى ضَمِيرُ  
كَمَا نَظَرْتُ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ لَهَا . عَقَابُ بَأْسَاعِ الْيَدَيْنِ نُدُورُ <sup>(٢)</sup>  
طَوْتُ لَيْلَيْنِ الْفُوتَ عَنْ ذِي ضُرُورِهِ . أَزْيِفَ لَمْ يَنْبُتْ عَلَيْهِ شَكِيرُ <sup>(٣)</sup>  
فَأَوْفَتْ عَلَى عَلِيَاءَ حِينَ بَدَا لَهَا . مِنَ السُّنْمِ قَرْنٌ وَالضَّرِيبُ يَمُورُ <sup>(٤)</sup>  
تَقَلَّبُ طَرَفًا فِي حِمَايَ مَنَارِهِ . مِنَ الرَّأْسِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ ذُرُورُ <sup>(٥)</sup>

ولما قال أبو نواس :

تَقُولُ الَّتِي مِنْ يَتَيْهَا خَفَّ مَرَكِي : عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ  
أَمَّا دُونَ مَصِيرِ لَأَمْنِي مُتَطَلُّ . عَلَى مَنْ أَسْبَابُ الْغَنَى لَكُنِيرُ  
فَقَاتُ لَهَا وَاسْتَحْلَتْهَا وَادِرُ . بَحْرُتُ بَحْرِي فِي جَرْمِي عَيْرُ  
دَرِي أَكْثَرُ حَاسِدِكَ رِحْلَةٍ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ

قال له الخصيب : أَذَا نَكَّرْتُ حَسَادَهَا وَنَبَلَ أَمَلَهَا، وَأَمَرَ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ .

(١) الحلم : الصديق . (٢) الدور : خروج العلم من موضعه أو زواله وفي البيت من سوء التركيب ما فيه ، والتقدير فيه كما طارت عقاب لها بأرساع اليأس بدور والريح ساكنة . (٣) أزيغ تصغير أوزع وهو المرح دوا الزعم أى الرين الدقيق اللين . والشكير : الرين أول ما يبت . (٤) الضريب : التلح أو الخليلد . ويمور : يحرك أو يهيج . ويذهب أو يميل على وجه الأرض . (٥) الملاحان مثق حجاج وهو العلم الذى يبت عليه تمرأاحاح والدور : ما يدور في العين من الدواء .



وتماها :

إذا لم تزد أرض الخصب ركابنا • فأي فتي بعد الخصب ترور !  
 فما جازه جود ولا حل دونه • ولكن يصير الجود حيث يصير  
 فتي يشتري حسن البناء بماله • ويعلم أن الدار لا تلوذ  
 ولم تر حتى سوتها مثل سودد • يحل أبو نصر به ويسير  
 وأطرق حيات البلاد لمية • خصيبة التصميم حين تسور<sup>(١)</sup>  
 سموت لأهل الجود في حال أمنهم • فاضفوا وكل في الوثاق أسير  
 إذا قام غته على الساق حلية • لها خطوه عند القيام قصير  
 فمن يك أمسى جاهلا بمقاتلي • فان أمير المؤمنين خير<sup>(٢)</sup>  
 لما زلت توليه النصيحة يافعا • الى أن بدا في العارضين قصير  
 إذا قاله أمر فاما كفته • وإما عليه بالكفاهة تسير  
 إليك رمت بالقوم هوج كأنما • جاجها تحت الرحال قبور  
 رحل بنا من عرقوف<sup>(٣)</sup> وقد بدا • من الصبح مفتوق الأديم شهير  
 لما تجملت بالماء حتى رأيتها • مع الشمس في صبي أباح نفور<sup>(٤)</sup>  
 وعمرن من ماء النقيب بسمية • وقد حان من ديك الصباح زمير  
 وواقين لإشراقا كأنس قدومي • وهن الى رعن المدخن صور<sup>(٥)</sup>  
 يؤمن أهل القوطيين كأنما • لها عند أهل القوطيين نفور  
 وأصبحن بالحولان يرخصن<sup>(٦)</sup> محفرا • ولم يبق من أجراحهن شطور  
 وقاسين ليلا دون يسان لم يكد • مسنا صبيحه للناظرين<sup>(٧)</sup>  
 وأصبحن قد فوزن من نهر فطرس • وهن عن البيت المقدس زود

(١) تسور : تد • (٢) القير : الشيب • (٣) عرقوف : اسم موضع

(٤) تجملت : عرفت

(٥) صور : مائلات • (٦) يرخصن : يكرن • (٧) زود : جمع زوراء بمعنى مائلة



طوالب بالركبان غرة هاشم \* وفي القوما من حاجهن شُقُور<sup>(١)</sup>  
ولما أتت فسطاط مصر أجارها \* على ركبها أن لا تزال مجير  
من القوم بَسَامُ كان جيته \* سَنَا الفجر يَبْرِى ضوؤه وينير  
زها بالخصيب السيف والرمح في الوَعَى \* وفي التَّسْلِم يزهو منبر وسرير  
جوادُ إذا الأيدي كَفَفْنَ عن الندى \* ومن دون عورات النساء هَيُور  
له سَلَف في الأعجمين كأنهم \* إذا استُؤذِنوا يومَ السلام بدور  
ولمَّا جدِير إذا بَلَفْتُكَ بالخي \* وأنت بما أَمَلْتُ منك جدير  
فان تُولِيْني منك الجميل فأهله \* وإلا فإني عاذرٌ وشكُور

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع وأجاده :

ساد الملوك ثلاثة ما منهم \* إن حُصِّلُوا إلا آخرُ ربيع  
ساد الربيعُ وساد فضلُ بعده \* وطَلَتْ بعباس الكرم فروعُ  
عباسُ عباسٌ إذا احتدم الوَعَى \* والفضلُ فضلُ والربيعُ ربيعُ

وقال يعاتب عمر الوراق :

يا من جَفَّاني ومَلَا \* نَسِيتَ أهلاً وسَهْلاً  
ومات مرحباً لما \* رأيتَ مالى قَلَا  
اني أظنك تَحْيِي \* فيما فعلتَ القِرْلَى<sup>(٢)</sup>  
تلقاه في الشرِّ بِنَائِي \* وفي الرخا بتدَلِّي

وله في عزة النفس :

ومستعبد إخوانه بِثَرَانِهِ \* لبستُ له كِبَرًا أبرَّ على اليَكْبَرِ  
إذا ضَمَّنِي يوماً ولِياه حَفْلٌ \* يرى جانبي وعِراً يزيد على الوَحْرِ

(١) جمع شقور وهو الأمر الملتصق بالقلب المهم له .

(٢) القِرْلَى : كان خبر وكان لا يسمع لأحد شيئاً إلا جاءه إليه ودخله ولا يخلّف عن طعام لأحد ، وإذا سمع

بخصومة لم يقرب ذلك ، فصرّب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوقى طيه : القِرْلَى .



أخافه في شككه وأجره • على المنطق المبرور والظن الشذر  
وقد زادني بها على الناس أني • أراي أغلام وإن كنت ذا فقر  
فوالله لا يثيدي لساني بلآجة • إلى أحد حتى أئيب في قبرى  
ولا يطمرن في ذاك منى طامع • ولا صاحب التاج المحجب في القصر  
فلو لم أرت نفساً لكنت صياى • عن الناس حسنى من سؤال من الفخر  
دخل أبو واس بعد ما نسك على قوم من إخوانه عدهم شراب ومغن، فعرضوا عليه  
الجلوس فأبى، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب :

إذا لم تته نفسك عن هواها • وتحسن صونها فاليسك حقى  
فانى قد شئت من المعاصى • ومن إدمانها وشيئ منى  
ومن أسوا وأقبح من لبي • برى سلطانا فى منسل سقى  
ومن شعر أبى نواس :

حقى المصل وأقوى الكُتب • منى المربدان فاللهب  
منازل قد عثر بها يعا • حتى بدا فى مدارى الشهب  
فى جبه كالسيوف هزم • شرح شباب وزاهم أدب  
ثم أراب الزمان فاقسموا • أذى سنا فى البلاد فاسعوا  
لن يخلّف النعم مثلهم أبدا • على هيات شأهم عى  
لما تيقنت أن رَوْحهم • ليس لها ما حيث مقلت  
أليت صبرا لم ينله أحد • وافسمنى مارب شمس  
لذلك أنى اذا رزئت أح • طيس ناسى وبه نَسْ  
فطربل مريمى ولى نرى ال • كرج ميصف وأنى السب  
رُضسنى دَرها ولحفسى • طللها والمعبر يلهم  
إذا تته الفصوب حلالى • بيان ما فى أدبمه حرب



تَبَيْتُ فِي مَاتِمٍ حَامِمِهِ \* كَمَا تَرَامَى الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ  
يَهْبُ شَوْنِي وَشَوْقُهُن مَعَا \* كَأَنَّمَا يَسْتَعْظِفُنَا الطَّرَبُ  
فَقَمْتُ أَحْبَبُوا إِلَى الرِّضَاعِ كَمَا \* تَحَامِلُ الْوَلَدُ مَتَى السَّعْبُ  
حَتَّى تَخْرِثُ بِنْتُ دَسَكْرَةٍ \* قَدْ عَجَمَتْهَا السُّنُونُ وَالْحَقَبُ  
هَتَكَتْ عَنْهَا وَاللَّيْلُ مَعْتَكُرٌ \* مَهَاهِلُ النَّسِجِ مَالَهُ هُدْبُ  
مَنْ تَسْجَعُ نَرَقَاءُ لَا تُشَدُّ لَهَا \* أَخِيَّةٌ فِي الثَّرَى وَلَا طُنْبُ  
ثُمَّ تَوَجَّاتُ خَصْرَهَا بِسَبَا الْ \* لَمُخْفَى بَفَاءَتْ كَأَنَّهَا لَهَبُ  
فَاسْتَوْسَقَ الشَّرْبُ لِلنَّدَامِ وَاجِدَ \* رَاهَا عَلَيْنَا الْخَيْبُ وَالْقَرْبُ<sup>(١)</sup>  
أَقُولُ لِمَا تَحَايَكَا شَيْبَا \* أَهْمَا لِلتَّشَابُهِ الذَّهَبُ  
هَمَا سَوَاءٌ وَفَرَّقُ بَيْنَهُمَا \* أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمُسْكِبُ  
مُلْسٌ وَأَمَثَلَا مَحْفَرَةٌ \* صُورٌ فِيهَا الْقُوسُ وَالصُّلْبُ  
يَتَلَوْنَ لِمَنْجِلِهِمْ وَفَوْقَهُمْ \* سَمَاءٌ تَحْمِرُ نَجْمُوهَا حَبُّ  
كَأَنَّهَا لَوْلَاؤُ تَبَدُّدُهُ \* أَيْدَى عَذَارَى أَهْجَى بَهَا اللَّيْبُ

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأوبى من نرب الحجر. وذلك أن الماء ون أمر الخطباء  
بخراسان أن يعيخوا الأمين بسمر أوى نواس وقلوا هو جايسه ويديمه وينشدوا على المنابر  
شعره، فمنعه الأمين فقال :

غَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ يَلِيَا      وَأَسْمَا تَطِيطُكَ النَّاءُ الثَّمِينَا  
مَنْ سُلَافٍ كَانَهُ كُلُّ طَلِيحٍ      يَمْنَى غَضَبُ أَنْ يَكُونَا  
أَكَلَ النَّحْرُ مَا نَجْمٌ مِنْهَا      وَتَبَقَّى بُيَاهَا الْمَكُونَا  
ثُمَّ تَجَبَّتْ فَاسْتَضَحَكَتْ عَنْ لَالٍ      أَوْ تَجَمَّرَ فِي يَدٍ لَا تُقِينَا  
وَإِذَا مَا لَمَسَتْهَا قَهْبَاءُ      تَمْنَعُ الْكَفَّ مَا تُبَيِّحُ الْعُيُونَا



فِي حُكُومِ كَاهِنٍ تُجْسَمُ \* جَارِيَاتُ بَرُوجِهَا أَيْدِيَا  
 طَالِمَاتٍ مِنَ السَّقَاةِ طِينَا \* فَلَا مَا غَرَبَيْنِ يَفْسُرَيْنِ فِينَا  
 لَو تَرَى الْقُرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ \* قَلَّتْ قَدُومُ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا  
 وَغَزَايَا يُدِيرُهَا بَنَاتُ \* نَاعِمَاتٍ يَزِيدُهَا الْعُسْرُ لِينَا  
 ذَاكَ عَيْشُ لَوْ دَامَ لِي غَيْرَ آتِي \* حِفَّتُهُ مَكْرَهَا وَخِفَّتُ الْآيِنَا  
 أُدِيرُ الْكَأْسَ حَانَ أَنْ نَسْقِينَا \* وَأَتَقَرُّ الْعُودَ إِنَّهُ يُلْهِينَا  
 وَدَعِ الذِّكْرَ لِلطَّلَبِ إِذَا مَا \* دَارَتِ الْكَأْسُ بِسَرَّةٍ وَيَمِينَا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر :

غَرَّدَ الدِّيكُ الْمَدُوحُ \* فَاسْقِنِي طَابَ الصَّبُوحُ  
 اسْقِنِي حَتَّى تَرَانِي \* حَسَنًا حُنْدَى الْقَبِيحُ  
 فَهَوَّةٌ تَذْكُرُ نَوْحًا \* حِينَ شَادَ الْفَلَكَ فَوْحُ  
 نَحْنُ نُخْفِيهَا وَيَأْبَى \* طِيبُ عَرَفٍ فَيَفُوحُ  
 فَكَانَ الْقَوْمُ نَهْيَ \* يَنْهَمُ مَسْكَ ذَبِيحُ  
 أَنَا فِي دُنْيَا مِنَ الْعَبِ \* لَأَسْ أَغْدُو وَأَرْوَحُ  
 هَاشِمِيُّ جَبْدِي \* عِنْدَهُ يَفْلُو الْمَدِيحُ  
 طَمَّ الْجُودُ كِتَابُ \* يَنْ عَيْلِهِ يَلُوحُ  
 كُلُّ جَوٍّ يَا أَمِيرِي \* مَا خَلَا جُودَكَ رِيحُ  
 إِنَّمَا أَنْتَ عَطَايَا \* أَبَدًا مَا تَسْتَرِيحُ  
 يَجَّ صَوْتُ الْمَاءِ مِمَّا \* مِنْكَ يَشْكُو وَيَصْبِيحُ  
 مَا لِهَذَا أَحَدٌ فَوْ \* قَ يَدِيهِ أَوْ تَصْبِيحُ  
 جُدْتَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى \* قَبْلَ مَا هَذَا صَبِيحُ  
 فَهُوَ بِالْمَالِ جَوَادُ \* وَهُوَ بِالْعِرْضِ شَبِيحُ  
 صَوَّرَ الْجُودَ مَثَالًا \* وَلَهُ الْعِبَاسُ رُوحُ



قال محمد بن حنين : لقيت أبا نواس بسكرٍ مُكْرَمٍ فقلت له : أحب أن تلشدني من

شعرك شيئاً تَضُنَّ به على غيري ، فألشدني :

يَكْنِي الكَرِيمَ من الكَلَا \* م لمن يحادته أَقْلُهُ  
والشئُ شَيْءٌ لم يَزَلْ \* بأدقِّه يَأْتِي أَجْلُهُ  
إن لم يُصَبِّك من الكَرَبِ \* سم الحُرِّ وإبله فَعْلُهُ  
يُبْدِي مَكَارِمَهُ كَمَا \* يَبْدِي فِرْقَةَ السَّيْفِ سَلَهُ  
والنذلُ يُوقِعُ نَفْسَهُ .. مَتَمِّدًا فَيَا يُبْذِلُهُ  
والحرُّ يَكْرِمُ نَفْسَهُ \* بالصَّغْحِ عَن لَأْيُحْمِلُهُ

وقال أبو نواس يمدح الأمين :

صَبَّهْتُ عَلَى الأَمِينِ ثِيَابَ مَدْحِي \* فَكُلُّ النَّاسِ حَسَنٌ وَأَسْتَجَادَا  
ولولا فَضْلُهُ مَا جَادَ شِعْرِي - وَلَا أَعْطَيْتُ الْقِطْرُ الْقِيَادَا  
وقالوا قَدْ أَجَدْتَ قُلْتُ إِنِّي - وَجَدْتُ الْقَوْلَ يَمَكِّنِي بَغَادَا

ومن نمراته :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بُسْخَرَةً فَأَرَاتَا - وَأَمْلَهُ دَيْكُ الصَّبَاحِ صِيَا  
أَوَوْ عَلَى شَرَفِ الْجِدَارِ بُدْقِيَّةً \* غَيْرَدًا يَصْفُقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحَا  
فَأَذِرْ صَبَاحَكَ بِالصَّبُوحِ وَلَا تَكُنْ \* كَسَوِّفَيْنِ قَدَّوْا طَبِيعَكَ شِجَا  
إِنَّ الصَّبُوحَ يَجْلَاءُ كُلَّ مَخْرَجٍ - بِدَرْثِ بَدَاهِ بِكَامِهِ الْإِصْبَا  
وَحَدِيدِ لَذَائِ مَطْلٍ صَاحِبٍ - تَمَتَّتْ مِنْهُ فَكَاهَةٌ وَمَزَا  
نَهْنَهُ وَاللَّيْلُ مَلْتَمِسٌ بِهِ - وَازْحَتْ عَنْهُ نِعَاسُهُ فَاتَزَا  
قَالَ ابْنِي الْمَصْبَاحَ ، قُلْتُ لَهُ أَتَبْذُ - حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْوُهَا مَصْبَا  
نَسَكْتُ مِنْهَا فِي الرِّجَاجَةِ شَرِبَةً \* كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَا



من قهوة جاءتك قبل مزاجها \* عطلاً فالبسما المزاج وشاحاً  
 شكّ الزئال فؤادها فكأنها \* أهدت إليك برمجها نقاحاً  
 صفراء تفتش النورس فلا ترى \* منها بين سوى السبات جراحاً  
 ومنها :

لا تبك ليل ولا تطرب الى هند \* وأشرب على الورد من حمراء كالورد  
 كأمسا اذا انحدرت في حلق شاربها \* أجذته حمرتها في العين والحد  
 فانحمر ياقوتة والكأس لؤلؤة \* من كف لؤلؤة ممشوقة القد  
 نسقيك من طرفها نحرًا ومن يدها \* نحرًا لك من سكرين من بد  
 لي نشوتان والنذمان واحدة \* شيء خيضت به من دونهم وحدي

كان الأعمى يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشمس حلت الحملًا \* وطاب وقت الزمان واعتدلاً  
 وغنت الطير بعد عجمتها \* واستوفت النحر حولها كلاً  
 واكتست الأرض من زخارفها \* ونشئ ثياب نخاله حلاً  
 فاشرب على جنة الزمان فقد \* أصبح وجه الزمان مقبلاً  
 من قهوة تذهب الهموم فلا \* أزهب فيها الملام والعدلاً  
 كرخية ترك الطويل من العبد \* خش قصيراً وتبسط الأمل  
 تلعب لمع السراب في قدح الـ \* لقوم اذا ما حبأها اتصال  
 يقول صرف اذا مزجت له \* من لم يكن للكثير محتملاً  
 فسق هذا بقدر طاقته \* وأحمل على ذا بقدر ما احتمالاً  
 عجبنا بشيئين من طبائعها \* حسن وطيب ترى به المثلاً



كان أبو نواس لا يُستَشَدُّ شيئاً من شعره إلا أنشد هذه القصيدة :

وَحَيْمَةَ فَأَطُورُ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ \* تَهْمُ بِدَا مَنْ رَامَهَا بِزَيْلِ (١)  
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَأَهْ ظِلَّامُهَا \* وَإِنْ وَاجَهَتْهَا آذَنْتُ بِدُخُوبِ  
 حَطَلْنَا بِهَا الْأَهْكَالَ فَلْهُجِيرَةٍ \* عُبُورِيَّةٌ تُدَكِّي بِغَيْرِ قَيْلِ (٢)  
 ثَانَتْ قَلِيلًا ثُمَّ فَاتَتْ بِمَلَقَةٍ \* مِنْ الظِّلِّ فِي رَتِّْ الْأَبَاءِ ضَلِيلِ (٣)  
 كَانَا لَدَيْهَا يَنْبَغِي عِطْفِي نَمَامَةٍ \* جَعَا زَوْرُهَا عَنْ مَبْرَكٍ وَمَقِيلِ  
 حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا \* بِصَبَاءٍ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ تُمُومِ  
 إِذَا مَا أَنْتَ دُونَ اللَّهِاءِ مِنَ الْفَتَى \* دَعَا مُهْمٌ مِنْ صَدْرِهِ بِرَجِيلِ  
 فَلَمَّا تَوَقَّى الشَّمْسَ جَنَحَ مِنَ الدُّجَى \* تَصَايِدُ وَأَسْتَجْمَلُ غَيْرَ جَمِيلِ  
 وَطَاطِبْتُ مِنْ أَهْوَى الْحَدِيثِ كَمَا بَدَا \* وَذَلْتُ صَعْبًا كَلَفَ غَيْرَ ذَلِيلِ  
 فَنَفَى وَقَدْ وَسَدْتُ يُسْرَى خَدَّهُ \* أَلَا رُبَّمَا طَالَبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ  
 وَأَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِمَقْوَى مُسَاعِدِ \* وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبِ وَخِيلِ  
 وَأَصْبَحْتُ أَلْحَى السَّكْرَ وَالسُّكْرَ حَسِينِ \* أَلَا رُبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ تَقِيلِ  
 كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مَقْتَرُ \* عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ  
 سَأْنِي الْفَتَى إِمَّا جَلِيسَ خَلِيفَةٍ \* يَقُومُ سَوَاءً أَوْ خُفِيفَ سَبِيلِ  
 بِكُلِّ فَتَى لَا يُسْتَطَارُ جَنَائُهُ \* إِذَا نَوَّهَ الزُّخْفَانِ بِاسْمِ قَيْلِ  
 لَنَخْمَسَ مَالَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ \* أَمْحَى يَطْنِيَةَ اللَّطِيَّاتِ أَكْوَ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ عَوْدٌ عَلَى النَّدَى \* وَلَيْسَ جَوَادٌ مَقْتَرُ كَبَخِيلِ

(١) الناطور : حافظ النخل والكرم والزرع وفي النازع : الناطر والناطور بالطاء المهملة حافظ الزرع ، من كلام أهل المواد وليس مربي محض . (٢) الزيل مصدر كالزال . (٣) أى منهزى هاجرة ، وعبرية نسبها إلى الشعرى المبور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد . (٤) أى توفقت فى البحر عند زوالها . وفاتت بملقة ، أى دخلت عليهم من تلك الخيمة المغلقة التى ثبتت على الأبواب الضعيف من العصب الرث فلم تقو الشمس وعليهم لم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظلاما ولكنه شمس وظل ، فشبهت بالمنذور من الجن ، أى المنزوح .



فإن استريد أنشد هذه القصيدة الأخرى :

كان الشبابُ معليةً الجهل .. وعسَّ النَّضحكاتِ والمزَلِ  
 كان الجبالُ إذا أرمدتُ به .. ومشيتُ أخطرَ صَيِّتِ النعلِ  
 كان البليغُ إذا نطقتُ به .. وأصاحتِ الآذانُ للمُلي  
 كان المشفقُ في مآربه .. عند الفتاةِ ومديكِ التَّبلِ  
 والامْرِى حتى إذا عزمتُ .. نفَّيتُ أغانِ يدِي بالفعلِ  
 فالآنُ صرْتُ الى مقاربة .. وحططتُ عن ظهر الصَّبارِ خَلِ  
 والراح أهواها وإن رزأتُ .. بُلَّغَ المعاشِ وقُلَّتْ فضلي  
 صفراءُ مجدها مرَّازيها .. جَلَّتْ عن النَّظَرِ والمُنيلِ  
 ذُحِرْتُ لآدمَ قبل خَلْقِهِ .. فقتلته بِحُظْوَةِ القَبْلِ  
 فأناك شيءٌ لا تلاميُسه .. إلا بحسنِ غيرِ رِزَةِ العقلِ  
 فترودُ منها الميئُ في بَشِير .. حُرَّ الصَّفيحةِ ناصعِ سَهْلِ  
 فإذا علاها الماءُ ألَسها .. حَيًّا شبيهَ جَلالِ الجبلِ  
 حتى إذا سكنتُ جَواعِها .. خَطَّتْ بمثلِ أكارِجِ النَّمْلِ  
 خطَّينِ من شقٍّ ومجتمع .. غُفِّلَ من الإعْجامِ والشُّكْلِ  
 فاعذِرْ أخاك فإنه رجلٌ .. مرَّنتُ مسامعُه على العَدْلِ

ومن طيب شعره، والشرط الأول من القصيدة لفظ ابن الدِّمينة :

أعاذلُ ما على وجهي قُصُومُ .. ولا عِرْضِي لأوَّلِ مَنْ يَسُومُ  
 يفضُّني على الفتيانِ أُنَى .. أَرِيْتُ فلا أَلَامَ ولا أَلُومَ  
 أعاذلُ إن يَكُنْ بُردَايَ رَمًا .. فلا يَعلَمُكُ بينهما كَريمُ  
 شَقِيقَتُ من الصبا واشتقُّ مِنِّي .. كما اشتَقْتُ من الكرمِ الكُرومُ  
 فاستِ أَسُومُ للبداتِ نَفْسِي .. مياومةً كما دفعَ الغريمُ



ومتصلٍ بأسباب المعالي \* له في كل مكرمة قديم  
 رفعت له النداء بقم فقلها \* وقد أخذت مطالعها النجوم  
 بتقدية تزال النفس فيها \* وتمتحن الخؤولة والعموم  
 فقام ولت من أخوين هاجا \* على طرب وليلها بيم  
 أجز الزق وهو يحتر رجلا \* يحور به الناس ويستقيم  
 سئل الندمان ما أولته منها \* وسلها ما احتوى منها الكريم  
 كلا الشخصين متصف ولكن \* قضت وطرا وذا منها سقيم

وقال :

إني صرفت الهوى الى قير \* لم تبذله العيون بالنظر  
 اذا تأملت ما ظلمك آل \* بإقرار أنه من البشير

ومن قوله :

يا شقيق النفس من حكم \* نمت عن ليلى ولم أتم  
 فاستغنى البكر الى آخرت \* بنجمار الشيب في الرحم  
 نمت آنصات الشباب لها \* بعد ما جازت مدى المرم  
 فهي لليوم التي بزلت \* وهي زب الدهر في القدم  
 عنت حق لو اتصلت \* باسان ناطقي وقم  
 لأحبت في القوم مائلة \* ثم قصت قصة الأم  
 فرعتها بالمزاج يد \* خلقت للسيف والملم  
 في تدامى سادة زهر \* أخذوا اللذات من أم  
 فتمشت في مفاصلهم \* كتمتى البرء في السقم  
 فعلت في البيت اذ مزجت \* مثل فعل الصبح في الظلم  
 فاهتدى سارى الظلام بها \* كاهتداء السفر بالعلم



ومن طَرْدِيَّاتِ أَبِي نَوَاسٍ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ :

أَنْعْتُ كَلْبًا أَهْلُهُ مِنْ كَدَّةٍ \* قَدْ سَعِدَتْ جُدُودُهُمْ بِمَحَدَّةٍ  
فَكُلَّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ \* وَكُلَّ رِفْدٍ نَالَهُمْ مِنْ رِفْدِهِ  
يَقْلُ مَوْلَاهُ لَهُ كَعْبِدُهُ \* بَيْتُ أَذْنَى صَاحِبٍ مِنْ مَهْنِهِ  
وَإِنْ عَمِيَ جَلَّاهُ بِبُرْدِهِ \* ذَا غُرَّةٍ عَجَّلَا بِزَيْدِهِ  
تَلَّذُّ مِنْهُ الْعَيْنُ حَسَنَ قَدِّهِ \* يَا حُسْنَ شِدْقِيهِ وَطَوَّلَ قَدِّهِ  
تَلْقَى الطَّبَاءُ عَسًا مِنْ طَرْدِهِ \* يَشْرَبُ كَأْسًا شُدَّهَا مِنْ شَدِّهِ  
\* يَا لَكَ مِنْ كَلْبٍ نَسِيجٍ وَخَيْدٍ \*

### أَبُو نَوَاسٍ وَجَنَانُ

قال أبو الفرج: كانت جَنَانُ هذه جاريةَ آبِ عَبْدِ الوَهَابِ بْنِ عَبْدِ المَجِيدِ التَّقْفِيِّ، وكانت حلوةً جميلةً المنظرَ أديبةً، ويقال: إن أَبَا نَوَاسٍ لم يَصْدُقْ فِي حُبِّ امْرَأَةٍ غَيْرَهَا، وقيل له يوما إن جَنَانَ قد عَزَمْتُ عَلَى الْجَلْبِ، فكانَ هذا سَبَبَ حُبِّهِ وَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَا يَفُوتُنِي الْمَسِيرُ مَعَهَا وَالْجَلْبُ عَامِي هَذَا إِنْ أَقَامَتْ عَلَى عَزِيمَتِهَا، وَقَالَ وَقَدْ جِئْتُ وَطَادَ :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَفْنَيْتُ عَمْرِي \* بِمَطْلَبِهَا وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ  
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهَا \* يَقْرِبُنِي وَأَعِيتُنِي الْأُمُورُ  
حَجَجْتُ وَقُلْتُ قَدْ حَجَّجْتَ جَنَانُ \* فَبِجَمْعَتِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ

قال مَنْ شَهِدَهُ حِينَ جِئْتُ مَعَ جَنَانٍ وَقَدْ أَحْرَمَ: لَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ جَعَلَ يَلْبِي بِشِعْرِ وَيَحْدُو بِهِ وَيَطْرَبُ، فَفَنَى بِهِ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِنَّمَا مَا أَعْدَلْتُ \* مَالِيكَ كُلَّ مَنْ مَلَكَ  
لِيَنَّكَ قَدْ لَيْتُ لَكَ \* لِيَنَّكَ إِنْ الْحَمْدُ لَكَ  
وَالْمَلِكُ لَا شَرَّكَ لَكَ \* وَاللَّيْلُ لَمَّا أَنْ حَلَكَ



والساجدات في القلَّك \* على جِجَارِي المَسَلَّك  
 ما خاب عبدُ أمَلَك \* أنت له حيثُ مَلَك  
 لولاك ياربُّ هَلَك \* كلُّ نبيٍّ ومَلَك  
 وكل من أهل لك \* سبَّح أو لبَّى فَلَكَ  
 يا غططاً ما أخضك \* عَجَل وبادر أجَلَك  
 واختم بخير عملك \* لييك ان الملك لَكَ  
 والحمدُ والنمَّةُ لك \* والعزُّ لا شريك لك

وفيها يقول :

جَفَنُ عيني قد كاد يس \* قطع من طوبى ما اختلج  
 وفؤادى من حرج \* بك والمجير قد نَفَّج  
 خبريني فديتك قد \* سعى وأهل متى الفرج  
 كان مبعادنا نرو \* جَ زيادٍ فقد نرج  
 أنت من قتلٍ طائِد \* بك فى أضيق الحرج

قال الأصمغاني : قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي : دخلنا على أبي نواس نتودعه  
 فى عِلته التى مات فيها ، فقال له على بن صالح الهاشمي : يا أبا على ، أنت فى أول يوم من أيام  
 الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هَتَاتٌ ، قُبَّ الى الله عز وجل ،  
 فبكى سامةً ثم قال : سائِدُونى سائِدُونى ، ثم قال : أأخَوْفُ بالله عز وجل وقد حدثنى حماد  
 ابن مسلم عن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « لكل نبيٍّ شفاعَةٌ وإنى اختبأتُ شفاعتى لأهل الجائر من أمتى يومَ القيامة » أقرانى  
 لا أكونُ منهم ؟



ومن قوله في مرض موته :

دَبَّ فِي السَّقَامُ عَلَوًا وَسُفْلًا . وَأَرَانِي أَمُوتُ حُضُوعًا فُضُوعًا  
لَيْسَ تَمِضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا . نَقَصْنِي بِمَرِّهَا فِي جُزْأٍ  
نَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةِ نَفْسِي . وَتَطَلَّبْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نَفْسُوا  
لَهَفَ نَفْسِي عَلَى لَيْلٍ وَأَيَّامٍ . مِمْ تَجَاوَزْتُهُنَّ لِقَابًا وَفُتُوا  
قَدْ أَتَاكَ كُلُّ الْإِسَاءَةِ فَالِد . هُمْ صَفْعًا عَنَّا وَغَفْرًا وَعَفْوًا

ثم قال :

شِعْرِي أَتَاكَ مِنْ لَفْظٍ مَيِّتٍ . صَارَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقْفًا  
قَدْ بَرَتْ جِسْمَهُ الْحَوَادِثُ حَتَّى . كَادَ عَنْ عَيْنِ الْخِلَالِ يَبْحَثُ  
لَوْ تَأَمَّلْتَنِي تُبَيِّرَ وَجْهِي . لَمْ تَجِدْ مِنْ كَلْبٍ وَجْهِي حَرْقًا  
وَلَكَّرْتَ طَرَفَ عَيْنِكَ فِيمَن . قَدْ بَرَّاهُ السَّقَامُ حَتَّى تَعْنَى

وكان عمر أبي نواس تسعا ونحسين سنة ، وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة

السلام بست سنين ( سنة ١٩٨ ) .



٢ - العتّابي<sup>(١)</sup>

قال أحمد بن سَهْل: تذاكرنا شعرَ العتّابي فقال بعضنا: فيه تكلف، ونَصَره بعضنا،

فقال: شيخ حاضر، ويحكم! أيال إن في شعره تكلفا وهو القائل:

رُسِّلَ الضمير اليك تَمَرِي \* بالشوى ظالِمَةً وحَسَرِي

مَرَجِيَّاتٍ<sup>(٢)</sup> ١٠ يَدِي \* نَـصَلَ الوَجَانِ بعدَمَسَرِي

مَا جَفَّ للعينين مَر \* لَدُنْكَ بِأَقْرِيرِ العينِ بَحْرِي

فَأَسْلَمَ سَلِمَتَ مَرَأً \* مِنْ صَبُونِ أَيْدِي مَعَرِي

(١) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابي التميمي من ولد عات بن أسيد ثم من بني علب بن وائل، شاعر متروك طبع مطبوع منصرف في مود الشعر مقدم، من شعراء الدولة العباسية، وكان مقطعا إلى الرامكة بوصفه الرشيد ووصلوه به، طبع هذه كل ملح ومضت فوائده به.

وكان حسن الإعراد في شعره ورسائله وله مصنفات في المخطوط والأدب والفقه وكان يقيم في رأس عين بعيدا عن دور الخلفاء والأمراء. وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب يجره معه إليه فساء، وسأله ليس ليطع وحررة وحسب، وعلى كتمه ملحمة حامية بعير سراويل، فطأ وقع الحمر فقدمه إلى الرشيد أمر بأن يهرش له حبرة وتقام له وطيفة ففعلوا، فكانت المائدة إذا تقدمت إليه أحدها رقاقة وملحها وحلظ الملح فاة اب فأكلها، فإذا كان وقت اليوم دم على الأرض، والتخدم يعقدونه ويتصحبون من نعله. ووال الرشيد عنه فاحبروه فأمر طرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد القيلى وهو في منزله فسلم عليه وانسب له فخرج به وقال له «ارمع» فقال «لأذك المخلص» قال «وا حاحك» قال «دابة ألع عليها إلى رأس عين» قال: «سلام»، فطع الرشيد المخلص فقال «لا حاجة لي بذلك ولكن أأمر أن تشتري لي دابة أطلع عليها» فقال لعلاه «أعص منه فاتح له ما يريد» فعص منه فعدل به العتّابي إلى سوق الحبر فقال للعلام: «إما أمرني أن اتاع لك دابة» فقال له «انه أرسل معي وه يرسلني إليك فان حملت ما تريد والا انصرف. فعص منه فاشترى حمارا مائة وحسين درهمًا وقال ادفع له ثمعه - ففعله انه فرك الحمارة بما مرشحة عليه وبردة وساقاه مكتوفتان، فقال له يحيى بن سعيد «صحبني! أمتلئ بحمل سلف على هذا» فصحك وقال «ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك» وعصى إلى رأس عين.

توفي سنة ٢٢٠ هـ وتجد أحسابه في الأمان (ح ١٢ ص ٢) وهواب الزمات (ح ٢ ص ١٣٧).

(٢) أي متبلعات بالقليل حتى يصل اليك.



إِنَّ الصَّبَابَةَ لَمْ تَرَخْ \* مَنَى سَوَى عَظِيمِ مُبَرَّى  
وَمَدَامِ عَبْرَى عَلَى \* كَيْدِ عَيْلِكَ الدَّهْرَ حَرَى

أَوْ يَهَالُ إِنَّهُ مَتَكَلَّفٌ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ مَخْصُصَيْنِ \* إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ  
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ \* لَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرٌ شَاكِرُ

وَيَجِدُ الرَّشِيدُ عَلَى الْعَتَابِيِّ فَنَدَخَلَ سِرًّا مَعَ الْمُتَطَلِّمِينَ بَغِيرِ إِذْنٍ ، فَثَلَّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَذْنَبْتُ النَّاسَ لَكَ وَلِنَفْسِي فَيْكَ ، وَرَدَدْنِي أَبْتِلَاؤُهُمْ إِلَى شُكْرِكَ ، وَمَا مَعَ تَذَكُّرِكَ قَنَاعَةَ بَغِيرِكَ ، وَلَيْتَمَ الصَّبَاتُ لِنَفْسِي كُنْتُ لَوْ أَغَانِي طَلِكَ الصَّبْرِ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

أَخِضَّنِي الْمَقَامَ الْغَمْرَانِ كَأَنَّ غَرَنِي \* مَنَّا خُلِبَ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ  
أَتَرَكْنِي جَذَبَ الْمَعِيشَةِ مُقْتَرَا \* وَكَفَاكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تِكْفَانِ  
وَتَجْعَلُنِي سَهْمَ الْمَطَامِعِ بَعْدَ مَا \* بَلَّغْتَ يَمِينِي بِالنَّدَى وَلِسَانِي

فَأَعْجَبَ الرَّشِيدَ قَوْلُهُ ، وَنَحَرَجَ عَلَيْهِ انْخَلَعَ ، وَقَدْ أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

كَلَّمَ الْعَتَابِيُّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي حَاجَةِ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : لَقَدْ تَزِدُّ كَلَامَكَ الْيَوْمَ وَقَلَّ ، فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ لَا يَقُلْ وَقَدْ تَكْتَفِنِي ذَلِكَ الْمَسْأَلَةُ وَحَيْرَةُ الطَّلَبِ وَخَوْفُ الرَّدِّ ؟ فَقَالَ : وَاقَهُ لَنْ قَلَّ كَلَامَكَ لَقَدْ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ ، وَقَضَى حَاجَتَهُ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ لَوْلَهُ : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكْتُبُوا أَنْفَاسَ كُلِّ نَوْمٍ بَيْنَ عَمْرٍو الْعَتَابِيِّ فَضْلًا عَنْ رِسَالَتِهِ وَشِعْرِهِ ، فَلَنْ تَرَوْا أَبَدًا مِثْلَهُ .

وَقَفَّ الْعَتَابِيُّ بِيَابِ الْمُمْؤِنِ يَتَمَسَّحُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ ، فَصَادَفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ جَالِسًا يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ أَمْرِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَخَلْتَ فَافْعَلْ ، قَالَ لَهُ : لَسْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِحَاجَتِهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَاجِبًا فَقَدْ يَفْعَلْ مِثْلُكَ مَا سَأَلْتُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً ، وَجَعَلَ زَكَاةَ الْمَالِ رِفْدَ الْمُسْتَعِينِ ، وَزَكَاةَ الْإِلَهَاءِ إِعَاظَةُ الْمَلُوهَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَقْبِلٌ عَلَيْكَ بِالزِّيَادَةِ إِنْ شَكَرْتَ ، أَوِ التَّغْيِيرَ إِنْ كَفَرْتَ .



وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأنني أدعوك إلى ازدياد نعمتك وأنت تأتي، فقال له يحيى: أقبل وكرامة، ونرج الإذن ليحيى، فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن أستاذنا المأمون للعتابي، فأذن له .

وقيل له : لو تزوجت، فقال : إني وجدت مكابدة العقّة أسرع عليّ من الاحتفال لمصلحة العيال .

قال دجيل : ما حسدت أحدا قط على شعركا حسدت العتابي على قوله :

هَيْئَةُ الْإِخْوَانِ قاطعة \* لأنني الحاجات عن طلبه

فإذا ما هبت ذا أمل \* مات ما أملت من سببه

كان العتابي جالسا ذات يوم ينظر في كتاب، فتر به بعض جيرانه، فقال : أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له ؟ فأفشد العتابي قوله :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَهْوَامًا إِذَا تَقَفُّوا \* ذا اللب ينظر في الآداب والحيكم

قالوا وليس بهم إلا نقاسه<sup>(١)</sup> \* أنافع ذا من الإقتار والعلم

وليس يدرون ما الخط الذي حرموا . - لحام الله - من علم ومن فهم

ومن قوله أيضا :

لئن كانت الدنيا أنالك ثروة \* فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

لقد كشف الإثراء منك مخازيا . من اللوم كانت تحت ستر من الفقر

وقال أيضا :

رحل الرجاء إليك مغتربا \* حشيت عليه نوابئ الدهر

ردت إليك تدامتي أمل . وثا إليك عتائه شكري

وجعلت حبيبك عتب موعظة . ورجاء عفوك منتهى أمل

لما سعى منصور التمرى بالعتابي إلى الرشيد أعتاظ عليه فطلبه، فسّره جعفر بن يحيى

عنه مدة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما في نفسه وأمنه، فقال يمدح جعفر بن يحيى :



ما زلتُ في غمرات الموت مُطَرَّحًا \* قد ضاق عني فسيحُ الأرض من حيلي  
ولم تزل دائباً تسي بطفك لي \* حتى اختلست حياتي من يدئ أجلي  
عاد جده الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مُصعب كلثوم بن عمرو العتّابي في علّة  
أصلها، فقال الناس : هذه خَطَرَةٌ خَطَرَتْ ، فبلغ ذلك العتّابي ، فكتب الى عبد الله بن  
طاهر :

قالوا الزيارة خَطَرَةٌ خَطَرَتْ \* ويحارُّ يرك ليس بالخطر  
أبطل مقاتلهم بثانية \* تستغد المعروف من شكري  
فلما بلغت أبياته جده الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو وإسحاق فعاداه مرة  
ثانية .

كانت له امرأة من باهلة ، فلما مضى الى رأس حين قالت له : هذا منصور التمرى :  
قد أخذ الأموال غلّي نساءه وبنى داره وأشترى ضياعاً وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول :  
تلوم على ترك النفي باهليّة \* ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد  
رأت حولها النسوان يرقلن في الثرى . مقلّدة أعناقها بالقلائد  
أسرك أنى نلت ما نال جعفر \* من العيش أو ما نال يحيى بن خالد  
وأن أمير المؤمنين أغصني \* منعهما بالمُرَهقات البوارد  
رأيت ريعات الامور مشوبة \* بمستودعات في بطون الأساود  
دعني تَجَنِّي مَيْتِي مطمئنة \* ولم اتجتم هول تلك الموارد

لما قدم العتّابي مدينة السلام على المأمون أدن له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم  
الموصل ، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبيلاً ، فلم فردّ عليه وأدناه وقربه حتى قُرب منه ، فقبل  
يده ، ثم أمره بالجلوس بخلّس ، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه بالسان دُلِق طلق ،  
فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظن الشيخ أنه استخف به ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ، الإبناس قبل الإبناس ، فاشتبه على المأمون قوله . فنظر الى إسحاق . مستغهما ،



فلو ما اليه وغمره على معناه حتى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار، فأُتي بذلك، فوضع بين يدي العتّابي وأخذوا في الحديث، وغمر المأمون إسماعق بن إبراهيم عليه، بفصل العتّابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه إسماعق، فبقى العتّابي متعجبا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أأناذني في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم سَلْ، فقال لإسماعق يا شيخ، من أنت وما اسمك؟ قال: أنا من الناس وأسمى كُلَّ بَصَلٍ، فتهتم العتّابي وقال: أما أنت فعروف وأما الاسم فمتكر، فقال إسماعق: ما أقل إنصافك! أنتكر أن يكون اسمي كل بصل، واسمك كلثوم، وكلثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتّابي: لله ذلك! فاجتهد، أناذني يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصفتني به؟ فقال المأمون: بل ذلك موافق عليك وتأمر له بمثله: فقال له إسماعق: أما إذ أقررت بهذه فتوهمني تجذني، فقال: ما أظنك إلا إسماعق الموصلي الذي يفتأهي إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت، وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون — وقد طال الحديث بينهما —: أما إذ قد اتفقتما على المودة فانهصرا متتادمين، فانهصرف العتّابي إلى منزل إسماعق فأقام عنده.

قال عثمان الورّاق: رأيت العتّابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له: وَيَحْك! أما تستحي؟ فقال لي: أرايت لو كنا في دار بها بقر كنت تستحي وتحشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا، قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، فقام فوَحَظَ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم: روي لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنه لم يدخل النار، فما بقي أحد إلا أخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبة أنه ويقدره حتى يبلغها أم لا. فلما تفقروا قال لي العتّابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

قال الفضل: رأيت العتّابي بين يدي المأمون وقد أسس، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون، فإزال المأمون يَنْهَضه رويدا رويدا حتى أقبله فنَهَضَ.



وكتب كلثوم بن عمرو العتّابي الى صديق له يستجديه :

أما بعد — أطل الله بقاءك وجعله يمتدّ بك الى رضوانه والجنة — فإنك كنت  
عندنا روضة من رياض الكرم، تبهج النفوس بها، وتستريح القلوب اليها، وكنا نغنيها  
من النجعة<sup>(١)</sup> أستمأما لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وأذخارا لثورتها، حتى أصابتنا سنة<sup>(٢)</sup>  
كانت عندى قطعة من ميني يوسف أشتدّ علينا كلبها، وغابت قطتها، وكذبنا غيومها،  
وأخفقتنا بروقها، وفقدنا صالح الإخوان فيها، فانتجعتك<sup>(٣)</sup>. وأنا بانتجاعى إياك شديد الشفقة  
عليك، مع علمى بأنك موضع الرائد<sup>(٤)</sup>، وأنت تغطى عين الحاسد. والله يعلم أنى ما أعدك  
إلا فى حومة الأهل. وأعلم أن الكريم اذا أستجيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير،  
لم يُعرف جوده ولم تظهر همته. وأنا أقول فى ذلك :

إذا تكرمت عن بذل القليل ولم \* تقدّر على سعة لم يظهر الجود

بث السؤال ولا تمنعك قلته \* فكل ما سدّ فقرا فهو محمود

قل فشا طره جميع ماله .

(١) النجعة : طلب الكلا فى موضعه . (٢) الكلب : القحط وبلاء الشتاء ومرض يصيب

الكلاب . (٣) الرائد : الطالب . (٤) الحومة ها : الجاعة والطائفة .



(١١)

## ٣ - دعي

شاعر متقدم مطبوع هجاء خييت اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزراءهم ولا أولادهم ولا ذنباؤه أحسن إليه أم لم يُحسن، ولا أظنت منه كبير أو صغير .

وكان دجل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه . وقصيدته : «مدارس آيات خلت من تلاوة» من أحسن الشعر وقاصر المدايح المَقُولَة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم، فلم يبيعها قطعوا عليه الطريق فأخذوها؛ فقال لهم : إنها إنما تُراد لله عز وجل وهي محزمة عليكم، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفته، فأعطوه فردكم، فكان من أكفانه .

قال إبراهيم بن المهدي للأموون قولا في دجل يحرضه عليه؛ فضحك الأموون وقال : إنما تحرضني عليه لقوله فيك :

يا معشر الأجناد لا تَهْتَبُوا \* وَأَرْضُوا بما كان ولا تَسْخَطُوا  
فسوف تُعْطُونَ حَنِينِيَّةً \* يَلْتَذُّهَا الْأَمْرُدُ وَالْأَثْمَطُ  
وَالْمُعْبِدَاتُ تُقْوَادُكُمْ \* لا تَحِلُّ الكَيْسَ ولا تُرَبِّطُ  
وهكذا يَرْزُقُ قَوَادَهُ . خليفَةُ مُصْحَفِهِ الْبَرَبَطُ

- (١) هو دجل بن علي بن رزيق من خراة، أحله من الكوفة وجاء بغداد يطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خييت اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ولا ذنباؤه أحسن إليه أم لم يُحسن، ولا أظنت منه كبير أو صغير، فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى الأموون فإنه هجاهم . تنديدا واحتمل ذلك منه . توفي سنة ٢٤٦ هـ . وتجد أخباره في الاغانى ج ١٨ ص ٢٩ وابن خلكان ج ١ ص ١٧٨ والشعر والشعراء ص ٥٣٩ والفهرست (ص ١٦١) .
- (٢) يريد أصواتا منسوبة الى حنين الحيري الملقب .
- (٣) يريد أصواتا منسوبة الى سعد الحنفي .



قد حَقَّ الْمَكُّ بِأَرْزَاقِكُمْ \* وَصَحَّ الْعِزُّ فَلَا تَسْخَطُوا  
بَيْعَةَ إِبْرَاهِيمَ مَشْقُومَةً \* يُقْتَلُ فِيهَا الْخَلْقُ أَوْ يَقْتَحَطُوا

فقال له إبراهيم : فقد والله هجأك أنت يا أمير المؤمنين ؛ فقال : دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عباد ، فلما رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم : دعبل يحصر على أبي عباد في الهجاء ويحجم عن أحد ! فقال له : وكان أبا عباد أبسط يدا منك يا أمير المؤمنين ؛ قال : لا ! ولكنك حديد جاهل لا يؤمن ، وأنا أحلم وأصفح ، والله ما رأيت أبا عباد مقيلا إلا أضحكني قول دعبل فيه :

أولى الأمور بفساد \* أمرٌ يدرُّه أبو عباد  
تخرق على جلسائه فكأنهم \* حضروا الملحمة ويوم جلال  
يسطو على كتابه بدواته \* قمضتخ بدم ونضج يناد  
وكانه من دير هيرقل مُفْلِتٌ \* حرد يمز سلاسل الأقياد  
فاشدُّ أمير المؤمنين وثاقه \* فأتضح منه بقية الحداد

وكان «بقية» هذا مجنونا في البهارستان .

قال أبو خالد الخزازي لدعبل : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد وتترت الناس جميعا ، فأنت دهرأك كله شريدا طريدا هارب خائف ، فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ! فقال : ويحك ! انى تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا يتنفع بهم إلا على الرعبة ، ولا يبالى الشاعر وإن كان يُجيدا اذا لم يُخف شره ، ولئن يتقيد على عرضة أكثر من يرغب اليك في تشريفه ، وعبوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالحدود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه آتفع بقولك ، فاذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحت آثاك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! إن الهجاء المقذع أخذ بضجع الشاعر من المديح المضرع ، فضحك أبو خالد وقال : هذا والله مقال من لا يموت حتف أفه .



كان سبب خروج دجيل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار، فخرج هو ورجل من أخصب فيما بين العشاء والشمسة، بغلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله ، فلما طلع مقيلا اليهما وثبا اليه بقرحاه وأخذ ما في كفه ، فاذا هي ثلاث ومئات في خرقه ، ولم يكن كيسه ليلتذ معه ، ومات الرجل مكانه ، وأسترد دجيل وصاحبه وجده أولياء الرجل في طلبهما وجده السطان في ذلك ، فطال على دجيل الاستنار فاضطر الى أن هرب من الكوفة ، فادخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد .

قال أحمد بن خالد : كأيوما بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومعا جماعة من أصحابنا ، فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دجيل ، فلما رأناه قلنا : هذا صيدنا ، فأخذناه ، فقال صالح : ما نمنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه وشويناه . وخرج دجيل فسأل عن الديك فعرّف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا لخصدهناه وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دجيل فصلّى الغداة ثم جلس على باب المسجد — وكان ذلك المسجد يجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ويتأهبهم الناس — بغلس على باب المسجد وقال :

أَسْرَ الْمُؤَذِّنُ صَاحُضُ وَضِيؤُهُ \* أَسْرَ الْكَيِّ هَاقًا خِلَالِ الْمَاقِطِ

بَعَثُوا عَلَيْهِ يَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ \* مِنْ بَيْنِ نَافِيَةٍ وَآخِرِ سَامِطِ

يَنْتَازِعُونَ كَانَهُمْ قَدْ أَوْتَقُوا \* خَافَانِ أَوْ هَزَمُوا قِبَائِلَ نَاعِطِ<sup>(١)</sup>

نَهَشُوهُ فَأَتْرَمَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ \* وَتَهَشَّمَتْ أَفْقَاؤُهُمْ بِالْحَاسِطِ

فكتبها الناس عنه ومَضَوْا ، فقال لي أبي ، وقد رجع الى البيت : ويحكم ! ضاقت عليكم المأكَل فلم تعبدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دجيل ! ثم أُنشدنا الشعر ، وقال : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته وبعتت به الى دجيل وإلا وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك . قال أحمد بن أبي كامل : كان دجيل ينشدني كثيرا هجاء له ، فأقول له فيمن هذا ؟ فيقول ما أستحقه أحد بعينه بعد ، وليس له صاحب ، فاذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر .

(١) قيلة من همدان ، وأمله جل زلواه ضلوا اليه .



كان دعبيل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وهو خرجته وفهمه وأدبه، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه، فقال بهجوه :

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابته \* يستفرغ النسم من سماء قرضابه  
ما إن يزال وفيه العيبُ يجمعه \* جهلا لأعراض أهل المجد عيابه  
إن طابى لم يعب إلا مؤدبه \* ونفسه طاب لما عاب آدابه  
فكان كالكلب ضراء معكبه \* لغيره فعدا فاصطاد كلابه  
كان دعبيل يقول : ما كانت لأحد قط عندي مئة إلا تمتت موته .

كتب دعبيل الى أبي نهشل بن حميد الطوسي قوله :

إنما العيش في منادمة الإخوان \* ن لا في الجلوس عند الكعاب  
ويصرف كأنها ألسن البر \* في اذا استعرضت رقيق السحاب  
إن تكونوا تركم لذة العود \* ش حذار العقاب يوم العقاب  
فدهوني وما ألد وأهوى \* وأدعواي في صدر يوم الحساب

قال محمد بن زكريا الفرغاني: سمعت دعبلا يقول في كلام جرى «لأسك» فأنكرته عليه؛ فقال : دخل زيد أنطيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : «يا زيد ما وُصف لي رجل إلا رأيته دون وصفه لأسك» يريد غيرك .

قال عمرو بن مسعدة : حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له المأمون : أى شيء تروى لأخى خراعة يا قاسم؟ فقال: وأى أخى خراعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف فيهم شاعرا؟ فقال: أما من أقسمهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين، وأما من مواليهم فظاهر وأبنة عبد الله، فقال : ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبيل ! هات أى شيء عندك فيه؟ فقال: وأى شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى يجاهم، فقرر إحسانهم بالإساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بلزاة سيئة منه؟ قال : حين يقول ماذا؟ قال : حين يقول في المطالب بن عبد الله



أبن مالك، وهو أصدق الناس له وأقربهم منه، وقد وفد إليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه، ولم يمتعه ذلك أن قال فيه :

إِضْرِبْ نَدَى طَلْعَةِ الطُّلُحَاتِ مِتِّدَا \* بِلُؤْمِ مَطْلِبٍ فِينَا وَكُنْ حَكَمًا  
تُخْسِجُ نُخْرَامَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ \* فَلَا تَحْسَ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا

فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وألطفه وأدهاه، وجعل يضحك . ثم دخل عبد الله ابن طاهر فقال : أى شئ تحفظ يا عبد الله لدجل ؟ فقال : أحفظ أبياتا له فى أهل بيت أمير المؤمنين ؛ قال : هاتها ويحك ! فأنشده :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ \* أَيَّامِ أَرْفُلٍ فِي أَثْوَابِ لَذَائِ  
أَيَّامِ غَضَنِ رَطِيبٍ مِنْ لَيَّاتِهِ \* أَصْبُوَالِي غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّاتِ  
دَعِ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتٍ مَطْلَبُهُ \* وَأَقْنِفْ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهَّالَاتِ  
وَأَقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَاتِلُهُ \* نَحْوِ الْهُدَاةِ بَنَى بَيْتَ الْكَرَامَاتِ

فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكركم ما لا يناله فى وصف غيرهم .  
ومن قول دجل وفيه غناء :

أَيُّ الشَّبَابِ وَأَيَّةُ سَلَكَا \* لَا أَيْنَ يُطْلَبُ مَضَلٌّ مِنْ هَلَكَا  
لَا تَعْجِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ \* ضَحِكَ الْمَشَبُّ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
يَا لَيْتَ شِعْرَى كَيْفَ يَوْمُكَ \* يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكََا  
لَا تَأْخُذُوا بِقُلَامَتِي أَحَدًا \* قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي أَشْتَرَكَا

قال إبراهيم بن المدبر : لقيت دجبل بن علي قتلته له : أنت أجسّر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول :

إِنِّي مِنَ الْقِسْمِ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ \* قَتَلَتْ أَخَاكَ وَشَرَّفَتْكَ بِمَقْعَدِ  
رَفَعُوا مَحَلَّكَ بَعْدَ طَوْلِ نَحْوِهِ \* وَأَسْتَقْدُوكَ مِنَ الْخَضِيضِ الْأَوْهَدِ



وأولها :

أخذ المشيبُ من الشباب الأعيد • والثابتُ من الأنام بمَرُصد  
فقال : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خَشَبِي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبني عليها .

كان دجل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت  
الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه وينساربونه ويبرون به ، وكان إذا لقيهم وضع  
طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بقلاميه : نمسف وشعف ، وكانا مغنيين ، فأقعدهما يفتيان  
وسقامهم وشرب معهم وأنشداهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه  
ويصلونه . وأنشد دجل لنفسه في بعد أسفاره :

حَلَلْتُ عَمَلًا يَقْصُرُ الْبَرْقُ دُونَهُ • وَيَجْزَعُهُ الْطَيْفُ أَنْ يَنْجَسَ

قال البحرى : دجل بن حل أشعر عندى من مسلم بن الوليد ، لأن كلام دجل  
أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصب له .

كان المعتصم يُغض دجلا لطول لسانه . وبلغ دجلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب  
الى الجبل ، وقال يهجوه :

بكى لِسَنَاتِ الدِّينِ مَكْتَلِبُ صَبْ • وَفَاضَ بَقَرَطُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ غَرَبُ  
وَقَامَ إِمَامٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِدَايَةِ • فَلَيْسَ لَهُ دِينٌ وَلَيْسَ لَهُ لُبْ  
وَمَا كَانَتْ الْأَنْبَاءُ تَأْتِي بِمِثْلِهِ • يُمَلِّكُ يَوْمًا أَوْ تَدِينُ لَهُ الْعُرْبُ  
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا • مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ إِذْ عَظُمَ الْخَطْبُ  
مَلُوكُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْكُتُبِ سَبْعَةٌ • وَلَمْ تَأْتِ عَنْ مَآثِرِهِمْ كُتُبُ  
كَذَلِكَ أَهْلُ الْكَهْفِ فِي الْكَهْفِ سَبْعَةٌ • خِيَارٌ إِذَا عُلُوًّا وَنَافِلُهُمْ كَلْبُ  
وَلِأَنِّي لِأَعْلَى كَلْبِهِمْ عَنْكَ رَفْعَةٌ • لِأَنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ  
لَقَدْ ضَاعَ مُلْكُ النَّاسِ إِذْ سَاسَ مُلْكُهُمْ • وَصَيِّفٌ وَأَشْنَسٌ وَقَدْ عَظُمَ الْكَرْبُ  
وَفَضَّلَ بَنُ مَرْوَانَ يُسَلِّمُ نُفْلَةً • فَظَلَّ لَهَا الْإِسْلَامُ لَيْسَ لَهُ شَعْبُ



لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه :

قد قلتُ إذ غَيَّبوه وأنصرفوا \* في خير قبرٍ لخير مدفون  
لن يجبر الله أمةً فقدت \* مثلك إلا بمثل هارون  
فقال دعبل يمارضه :

قد قلتُ إذ غَيَّبوه وأنصرفوا \* في شرِّ قبرٍ لشر مدفون  
إذهب إلى النار والعذاب فما \* خلَّقتُك إلا من الشياطين  
مازلت حتى عقدت بيعةً من \* أضرت بالمسلمين والدين  
وقال في ذلك وفي قيام الوائلي :

الحمد لله لا صبر ولا جلد \* ولا عزاء إذا أهلُّ البلاء قدوا  
خليفة مات لم يحزن له أحد \* وأترقام لم يفرح به أحد  
ولقد أحسن في وصف سفر سافره، فقال ذلك السفر عليه، فقال فيه :  
ألم يأنٍ للسفر الذين تمحلوا \* إلى وطني قبل الممات رجوع  
فقلت ولم أملك سوا بقى عبدة \* تطلقن بما ضمت عليه ضلوع  
تبين فكم دأب تهترق شملها \* وتتمل شيت عاد وهو جميع  
كذلك الليالي صرُفهن كما ترى \* لكل أناس جُدْبَةٌ وربيع

ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفرى وهجرى ومسلقى  
حتى أعود .

ومن قول دعبل وفيه غناء :

سرى طيف لي حين آن هبوب \* وقضيت شوقا حين كاد يذوب  
فلم أر مطروقا يحمل برحلة \* ولا طارقا يقري المني ويثيب  
ومن قوله :

لقد عجبت سألني وذاك عجب \* رأت بي شيئا عجته خطوب  
وما شيتني ككبره غير أني \* بدهر به رأس الفعيم يتيب



وقال في صالح بن عطية الأحمم وكان من أفتح الناس وجهاً، وخطاب فيها المعتصم :

قل للإمام إمام آل محمد \* قول امرئ حبيب طيك تحام

أنكرت أن تفتزعك صليمة \* في صالح بن عطية الجتام

ليس الصنائع عنده بصنائع \* لكنهن طوائف الإسلام

إضرب به جيش المدفؤانه \* جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام : ما زال دجل مائلاً إلى مسلم بن الوليد مقراً بأستاذيته، حتى ورد عليه

بجرجان بغفاه مسلم، وكان فيه بخل، فهجره دجل وكتب إليه :

أبا محمد كنا عبيد مودة \* هواناً وقلباناً جميعاً معاً

أحوطك بالغيب الذي أنت حاطي \* وأجزع إشفافاً من أن توجعاً

فصيرتني بعد استكائك منهما \* لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعاً

غششت الهوى حتى تكادت أصوله \* بنا وأبتذلت الوصل حتى تقطعاً

وأزلت من بين الجوانح والحشى \* ذخيرة ود طالما قد تمنعاً

فلا تلحيني ليس لي فيك مطمع \* تمزقت حتى لم أجد لك مرقعاً

فهبك يميني استأكلت ققطعتها \* وجشمت قلبي صبره قشجعاً

ثم تهاجراً فما ألتقيا بعد ذلك .

أجرى الرشيد على دجل رزقا سنياً ، فكان أول من حرّضه على قول الشعر . فوافقه ما بلغه

أن الرشيد مات حتى كافاه على فعله من العطاء السنّي والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول

بأقبح مكافأة ، وقال فيه يهجوه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام :

وليس حق من الأحياء نعلمه \* من ذى يمان ومن بكر ومن مضر

إلا وهم شركاء في دمائهم \* كما تشارك أيسار على جرد

قتل وأسر وتحريق ومنهبة \* فعل القزاة بأرض الروم والخزر

أرى أمة معذورين إن قتلوا \* ولا أرى لبني العباس من صدر



أُرْبَعُ يَطْلُوسُ عَلَى الْقَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا \* مَا كُنْتَ تَرْجِعُ مِنْ دِينَ عَلَى وَطَرِ  
قَبْرَانِ فِي طَوْسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ \* وَقَبْرُ شَرِّهِمْ هَذَا مِنَ الْمِبَرِّ  
مَا يَنْفَعُ الزَّجْسَ مِنْ قَرَبِ الزَّكِيِّ وَلَا \* عَلَى الزَّكِيِّ بِقَرَبِ الزَّجْسِ مِنْ ضَرَرِ  
هَيْهَاتَ، كُلُّ أَمْرٍ زَوْهَنٌ بِمَا كَسَبَتْ \* لَهُ يَدَاهُ نَقْدٌ مَا شَلَّتْ أَوْ فَذَّرَ

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى للمعتم ناحية من نواحي الشام، فقصده  
اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاء، فكتب اليه دعبل :

ذَلِّتَنِي بِفِرْوَرٍ وَعَدَكُ فِي \* مُتَلَاظِمٍ مِنْ حَوْمَةِ النَّسْرَقِ  
حَتَّى إِذَا شِمْتَ الْعَدُوَّ وَقَدْ \* شِيرَ أَنْتَاصُكَ شُهُرَةُ الْبَلَقِ  
أَنْشَأْتُ تَخْلَفُ أَنْ وَدَّكَ لِي \* صَافٍ وَحَبْلِكَ خَيْرٌ مِنْ حَنْقِ  
وَحَسْبَتِي قَفْعًا بِقَرْقَرَةٍ \* فَوَطِئْتَنِي وَطْأًا عَلَى حَقِّ  
وَنَصَبْتَنِي مَلَأًا عَلَى غَرَضٍ \* تَرْمِيَنِي الْأَعْدَاءُ بِالْحَدَقِ  
وَنَظَنْتَ أَرْضَ اللَّهِ ضَبِيقَةً \* عَنِّي وَأَرْضَ اللَّهِ لَمْ تَضُقْ  
مِنْ غَيْرِ مَا جُرِّمَ سِوَى نِفَةٍ \* مَنَى بِوَعْدِكَ حِينَ قُلْتَ نَفِي  
وَمَوْدَةٍ تَحْنُو عَلَيْكَ بِهَا \* نَفْسِي بِلَا مَنٍّ وَلَا مَلَقِ  
فَلَمَّا سَأَلْتُكَ حَاجَةً أَبَدًا \* فَاشْدُدْ بِهَا قَفْلًا عَلَى غَلَقِ  
وَقَفَّ الْإِخَاءُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ \* هَارٍ فَبَعَثَ بَيْعَةَ الْخَلَقِ  
وَأَعِدَّ لِي قَفْلًا وَجَامِعَةً \* فَاشْدُدْ يَدَيَّ بِهَا إِلَى عُنَى  
أَحْفِيكَ مِمَّا لَا تَحِبُّ بِهَا \* وَأَسْدُدْ عَلَى مَذَاهِبِ الْأَفْقِ  
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَهَا \* وَأَدَانِي بِمَسَالِكِ الْعُرْقِ

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنسده وهو يبتغى :

جِئْتُ بِلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ \* إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَنْبِ  
فَاقْبِضْ ذِهِ أَيْ فَاغْنِنِي رَجُلٌ \* غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ



فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجه إليه بصره فيها ألف درهم ، وكتب إليه :

أعجلتنا فأناك عاجلٌ رُبنا \* ولو آتتظرت كثيره لم يقلل

نفذ القليل وكن كأنك لم تقل \* ونكون نحن كأننا لم فعل

مات دعل بقرية من قُرى السوس ، بعث إليه مالك بن طوق من ضرب ظهره

بمكاز لها نُجٌ مسموم فمات من غد .



٤ - حسين بن الضحَّاك<sup>(١)</sup>

« شاعرٌ ظريفٌ شديدُ الظُّرفِ ، ربما أخطعُ نظيره في شعراء العصر العبَّاسي كلّهُ ، وهو مع ظُرفه وإسرافه في المجون ، قليلُ الفحش في اللفظ . غير مُتَمَّاكٍ على القول الأقيم والألفاظ المنكّرة ، لا يَحْتَرِها ولا يقصد إليها ، وإنما يَعرِضُ لها إذا اضطرَّ إليها اضطراباً وهو على ظُرفه ورقةٌ حاشيته ويحرصه على قَاء اللفظ وطهره شاعرٌ بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، مجرّدٌ إذا فكّر ، مظفرٌ إذا بحث ، موثّقٌ إلى اللفظ المتين ، والأسلوب الرّصين في غير جفوة ولا غفلة ، لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى ، وإنما ينطلق لسانه مع صحبته ، وصحبته سهلةٌ مرسلةٌ غنيةٌ غزيرةُ المادة ، لا تكاد تنضب ، ولا ينالها إعْياء أو كلال ، وحياته كلها عبرٌ وعظات ولكنها عبر وعظات مبتسمة ليست بالمظلمة ولا العابسة ولا باقية ترّكك وتفرّك ، وتجعلُ الحزن والأسى إلى قلبك سيلاً ، ولعلك لا تجد من شعراء هذا العصر رجلاً مثله ، تقرأ أخباره فتظنُّ مبتسماً منذ تبدئ إلى أن تنتهي دون أن تقيس أو تعجب . وربما تجاوزتَ الابتسام إلى الإغراق في الضحك من حين إلى حين ، ولكلّك لن تترك الابتسام إلى الحزن الشديد . وربما اعترضتك في طريقك بحياةٌ محزنة ولكن هذه السحابة رقيقة هادئة هيّنة ، فهي أضعف من أن تزيل ابتسامتك ، وكان هذا الشاعر من المعمرين ، بلغ المائة أو كاد ، وطاصر طبقات من الشعراء ، وألواناً من حاشية الخلفاء ، ولكنه ظلَّ محتفظاً بشخصيته الواحدة المبتسمة ، تغير الناس وأختلفت الظروف ، وظلَّ هو واحداً

(١) هو مولد بأطنة ، ولد في البصرة وقتاً فيها وادم الخلفاء من بني العباس ، وكان حليفاً صامداً وكان مع ذلك حسن التصرف في الظلم ولشعره قبول ورواق ، فهو من المفضين وله معان جديدة في الخركان أبو نواس بأخذها عنه ، ومع أن أبو نواس مات سنة ١٦٨ هـ ، والضحَّاك مات سنة ٢٥٠ هـ فقد تعاصرا لأن مولدهما متقارب لأن ابن الضحَّاك عمر كبيراً . وهو أوّل من تادم الأمين وله فيه مدائح كثيرة ، وعمرهما طويلاً حتى قارب مائة السنة ومات في خلافة المستعين أو المسترصر . ومجد أخباره في الأفاق (ج ٦ ص ١٧٠) وابن حلكان (ج ١ ص ١٥٤) .

(٢) من بحوث صديقي الدكتور د. حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .



لم يتغير. كان خليعا، بل كان يُعرف بالخليج، وكان كثيرَ المحبون مُسْرِفا فيه، وما أحسب أن أبانواس سبقه الى لذة أو برز عليه في مأثم، ولصكته على خلّاعته وإسرافه في المحبون وتهاككه على اللذات، احتفظ طول حياته بشيء من كرم الخلق وطهارة العنصر وجودة الأصل، كأنما كانت هذه اللذات والآثام تتزلق على نفسه وأخلاقه انزلاقا دون أن تترك فيها أثرا باقيا، وإنما كانت الآثار التي تتركها لياليه الساحرة، وأيامه المملوءة بالعَبَث، هذه الأشعار الجميلة الحلوة التي سأظهرك على طرف منها.

فلم يكن هذا الرجل كغيره من الشعراء الذين إنما كانوا يصلون الى الخلفاء بعد الجهد والكَد، وبعد التلطف وحسن الحيلة؛ وإنما كان متصلا بالخلفاء اتصالا شديدا، يعاشرهم ويرافقهم ويتدخل في حياتهم الخاصة، وربما تدخل الى أكثر مما ينبغي. وكان الخلفاء يحثون عنه، ويحرمون على عشرته ويبدلون في ذلك غير قليل من الإلحاح والعطاء، وكان شعره كله أو أكثره مرآة لحياة القصر في أيام طائفة غير قليلة من الخلفاء.»

فترى من هذا الوصف أنه شاعر أديب ظريف مطبوع، حسن التصرف في الشعر حلو المذهب، لشعره قبول ورونق صاف، وكان أبو نواس يأخذ معانيه في التمرير عليها، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبته الناس الى أبي نواس، وله معان في صفتها أربع فيها، وهابى مسلم بن الوليد فانتصف منه، وله غزل كثير جيد، وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف.

قال : أنشدت أبانواس قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي :

بُدأت من نَفحات الورد بالآء<sup>(١)</sup> \* ومن صَبوحك دُرَّ الإبل والنَّاء

فلما انتهيت منها الى قولي

حتى اذا أسندت في البيت وأحضررت . عند الصبوح بَسامين أكفأ

فُضت خواتمها في نعت واصفها \* عن مثل رَقَرة في جفن مرها<sup>(٢)</sup>

(١) الآء : ثمرة واحدة آءة . (٢) المرها : التي لا تكمل .



فصَبَقَ صِغَةً أَفْرَضَنِي وَقَالَ : أَحَسَلْتَ وَاللهَ يَا أَشْقَرَ، فَقُلْتُ : وَيْلَكَ يَا حَسَنَ ، إِنَّكَ أَفْرَضَنِي وَاللهَ، فَقَالَ : بَلَى وَاللهَ أَنْتَ أَفْرَضَنِي وَرَضَنِي ، هَذَا مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ فِكْرِي لَا يَدُ أَنْ يَتَهَيَّ إِلَيْهَا أَوْ اغْوَصَ عَلَيْهَا وَأَقُولُهَا ، فَسَبَقَنِي إِلَيْهِ وَاخْتَلَسَتْ مِنِّي ، وَسَتَلِمَ لِمَنْ يُرَوِّى إِلَيَّ أَمْ لَكَ ؟ فَكَانَ وَاللهَ كَمَا قَالَ ، سَمِعْتُ مَنْ لَا يَعْلَمُ يَرَوِّىهَا لَهُ :

لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ نَحْوَاسَانَ أَمَرَ بِأَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيَجَالِسُوهُ وَيَسَامِرُوهُ ، فَذَكَرَ لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ عَمَدِ الْمُخْلُوعِ ، فَلَمَّا رَأَى أَسْمَهُ قَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي عَمَدِ :

هَلَا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَأَقْتَنَا \* أَبَدًا وَكَانَ لِفَيْرِكَ التَّلَفُّ

فَلَقَدْ خَلَقْتَ خَلَائِفًا سَلَفُوا \* وَلَسَوْفَ يُعَوِّزُ بِعَدْلِكَ الْخَلَفُ

لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَاللهَ وَلَا يَرَانِي أَبَدًا إِلَّا فِي الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَعَاقِبِ الْحُسَيْنُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ هِجَائِهِ لَهُ وَتَعْرِضِهِ بِهِ ، وَأَتَمَحَدَّرُ حُسَيْنٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَقَامَ بِهَا طَوِيلَ أَيَّامِ الْمَأْمُونِ .

قَالَ أَبُو صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَمَعِيَ يَتَانِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي بَيْتَيْنِ ، فَقَالَ : أَنْشِدْهُمَا ، فَأَنْشَدْتُهُمَا :

حَمْدًا لِلَّهِ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا \* بِنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا \* جَمَعْتَ سِمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينًا

فَقَالَ : لِمَنِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ ؟ فَقُلْتُ : لِعَبْدِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ ، فَقُلْتُ : وَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجُودُ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَهُ :

أَوْحَرْنِي فَإِنِّي قَدْ ظَلِمْتُ إِلَى الْوَعْدِ \* مَتَى تُجِزِ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْمَهْدِ

أَعْيِدْكَ مِنْ خُلْفِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَدَأَ \* تَقَطَّعَ أَقْنَامُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ

أَيُّضَلُ قَرْدُ الْحَسَنِ عَنِ بَنَائِلِ \* قَلِيلٌ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَى قَرْدِ

رَأَى اللَّهُ عِبَادَةَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ \* فَمَلَّكَهُ وَاللهَ أَعْلَمَ بِالْعَبْدِ

إِلَّا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عَصَمَةٌ \* مَمْنُونَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ

فَأُطْرُقُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : مَا تَطْلُبُ نَفْسِي لَهُ بِخَيْرٍ بَعْدَ مَا قَالَ فِي أَخِي مُحَمَّدٍ مَا قَالَ .



ومن قوله يرى محمدا الأمين :

أِطْلُ حَرَّتَا وَأَبْكَ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا \* بَحْزَنَ وَإِنْ خِفْتَ الْحِسَامَ الْمَهْنَدَا  
فَلَا تَمُتِ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ \* وَلَا زَالَ تَمَثَّلُ الْمَلِكُ مِنْهَا مُبْتَدَا  
وَلَا فَرِحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ \* وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَا مُشْرِدَا

ولحسن في محمدا الأمين مَرَايَ كثيرة جياد، وكان كثير التحقق به والموالاة له لكثرة إفضاله عليه، وميله اليه، وتهديمه إياه، وبلغ من جزعه عليه أنه خُوِّلَ فكان يُنكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول: إنه مستر وأنه قد وقف على دُعَاة في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعة ضَنَا به وشفقة عليه .

ومن جيد مرثيته إياه قوله :

سَالُونَا أَنْ كَيْفَ نَحْنُ ؟ فَعَلْنَا . مَنْ هُوَ نَحْمُ فَكَيْفَ يَكُونُ ؟  
نَحْنُ قَوْمُ أَصَابِنَا حَدَثُ الدَّهْرِ \* نَرَفَعُنَا لِرَبِّهِ نَسْتَكِينُ  
نَتَمَنَّى مِنَ الْأَمِينِ لِأَيَّامَا \* لَهْفَ نَفْسِي وَأَيْنَ مَنَى الْأَمِينِ  
ومن جيد قوله في مرثيته إياه .

أَعَزَّنِي يَا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي \* مَعَاذَ اللَّهِ وَالْأَيْدِي الْحِسَامِ  
فَهَلَا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا \* وَدُفِعَ عَنْكَ لِي يَوْمَ الْحِمَامِ  
كَأَنَّ الْمَوْتَ صَادَفَ مِنْكَ غُفَا \* أَوْ اسْتَشْفَى بِقُرْبِكَ مِنْ سَقَامِ

وقال أيضا يرثيه :

يَا خَيْرَ اسْرْتِهِ وَإِنْ زَعَمُوا \* إِنِّي عَلَيْكَ لَمُنْتَبِتٌ أَسْفُ  
اللَّهُ يَسْلَمُ أَنْ لِي كَبَدَا \* حَرَمِي عَلَيْكَ وَمَقَلَةٌ تَكْفُ  
وَأَنْ شَجِيتُ بِمَا رُزْتُ بِهِ \* إِنِّي لَأَشْمُرُ فَوْقَ مَا أَصْفُ  
هَلَا بَقِيتَ لَسَدَ فَاقْتَنَا \* أَبَدَا وَكَانَ لِنَفْسِكَ التَّلَفُ  
فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَاْفَا سَلَفُوا \* وَلَسَوْفَ يُعْزِزُ بِعَدِكَ الْخَلَفُ



لا بآت رَهْطُكَ بَعْدَ هَفْوَتِهِمْ \* إِنْ لِرَهْطِكَ بَعْدُهَا شَنْفٌ <sup>(١)</sup>  
 هَنَكُوا بِحَرَمَتِكَ الَّتِي هُنْتُكَ \* حُرِّمَ الرُّسُولُ وَدُونَهَا السُّجُفُ  
 وَتَبَّتْ أَقَارِبُكَ الَّتِي خَذَلْتُ \* وَبَجِيعُهَا بِالذَّلِّ مَعْتَرِفُ  
 لَمْ يَفْعَلُوا بِالشُّطِّ إِذْ حَضَرُوا \* مَا تَفْعَلُ النَّيْرَانَةُ الْأَنْفُ  
 تَرَكُوا حَرِيمَ أَبِيهِمْ قَلِيلًا \* وَالْمُحَصَّنَاتُ صَوَارِخُ هَتَفُ  
 أَبَدَتْ مُتَخَلِّفَهَا عَلَى تَحَشٍ \* أَبْكَارُهُنَّ وَرَتَّ النَّصْفُ  
 سَلَيْتَ مَعَاجِرُهُنَّ وَأَجْنَيْتَ <sup>(٢)</sup> \* ذَاتُ النَّقَابِ وَنُوزَعِ الشَّنْفُ  
 فَكَأَنَّهُنَّ خِلَالَ مُنْتَهَبٍ \* ذُرٌّ تَكْشِفُ دُونَهُ الصَّدْفُ  
 مَلِكٌ تَخَوُّفٌ مُلْكُهُ قَدْرٌ \* قَوَاهِي وَصَرْفُ الدَّهْرِ غَيْرُ غَيْرِ  
 هَيَاتَ بَعْدَكَ أَنْ يَدُومَ لَنَا \* عِزٌّ وَأَنْ يَبْقَى لَنَا شَرَفُ  
 لَا هَيَّيْسُوا مُخَصَّافًا مَشْرِفَةً \* لِلْفَادِرِينَ تَحْتَهَا الْجَدْفُ  
 أَقْبَدَ عَهْدَ اللَّهِ تَقْتُلُهُ \* وَالْقَتْلُ بَعْدَ أَمَانَةٍ سَرَفُ  
 فَسْتَعْرِفُونَ غَدًا بِعَاقِبَةٍ \* عِزُّ الْإِلَهِ فَأَوْرِدُوا وَقْفُوهَا  
 يَأْمَنُ يُحَوِّنُ نَوْمَهُ أَرْقُ \* هَدَّتِ الشَّجُونُ وَقَلْبُهُ لَهْفُ  
 قَدْ كُنْتُ لِي أَمْلًا غَنِيْتُ بِهِ \* فَمَضَى وَحَلَّ مَحَلَّهُ الْأَسْفُ  
 صَرِيحُ النِّظَامِ وَطَادَ مُنْكَرُنَا \* عُرْفَا وَأَنْكِرَ بَعْدَكَ الْعُرْفُ  
 فَالْشَّمْلُ مَشْتَرَفٌ لِقَدْرِكَ وَالْ \* دُنْيَا سُدَى وَالْبَالُ مَنَكْسَفُ

وقال أيضا يرثيه :

إِذَا ذُكِرَ الْأَمِينُ نَمَى الْأَمِينَا \* وَإِنْ رَقَدَ الْخَلِيَّ حَمَى الْجُفُونَا  
 وَمَا بَرَحْتُ مَنَازِلُ بَيْنَ بَصَرِي \* وَكَكَلَوَادِي تُهَيِّجُ لِي شَجُونَا  
 حِرَاصُ الْمَلِكِ خَاطِيَةٌ تَهَادِي \* بِهَا الْأَرْوَاحُ تَنْسُجُهَا فَنُونَا

(١) مبغض مشكور . (٢) جمع معمر الكبر وهو ثوب تتعمر به المرأة أى تشده على رأسها .



تَحْزُونُ عِزَّ مَا كُنْهَا زَمَانُ \* تَلْعَبُ بِالْقُرُونِ الْأَوَّلِينَ  
 فَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعِ \* وَكُنْتُ بِحَسَنِ الْفَتَمِ ضَمِينَا  
 فَلَمْ أَرِ بَعْدَهُمْ حُسْنًا سِوَاهُمْ \* وَلَمْ تَرَهُمْ عِيُونَ النَّاظِرِينَ  
 فَوَاسَفَا وَإِنْ شَتَّتَ الْأَطَادِي \* وَكَاهَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَضَلَّ الْعُرْفَ بِعَدِكَ مُتَّبِعُوهُ \* وَرَفَّقَهُ مِنْ مَطَايَا الرَّاحِبِينَ  
 وَكُنْ إِلَى جَنَابِكَ كُلَّ يَوْمٍ \* يَرْحَنَ عَلَى السَّعُودِ وَيَقْتَبِسُنَا  
 هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي هَوَتْ الْمَعَالِي \* لِمَلَذَّتْهُ وَرِيحُ الصَّالِحِينَ  
 سَتَنْدُبُ بِعَدِكَ الدُّنْيَا جَوَارَا \* وَتَتَدَبُّ بِعَدِكَ الدِّينَ الْمُصَوَّنَا  
 فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ نَبِيٍّ \* وَعَادَ الدِّينَ مَطْرُوحَا مَهِينَا  
 تَعْقِدُ عِزُّهُ مُتَّصِلٌ بِكَسْرِي \* وَيَلْتَقِيهِ وَفْدُ الْمُسْلِمِينَ

وقال أيضا يرثيه :

أَسَفًا عَلَيْكَ سَلَاكَ أَقْرَبُ قُرْبَةٍ \* مَنَى وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَرِيدُ

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي : حسين بن الضحاك أشعر المحدثين حيث يقول :

أَيُّ دِيَابَجَةٍ حُسْنِي \* هَبَجَتْ لَوَمَةً حَزْنِي  
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّا \* هَرَمَ مِنْ فَتْرَةِ جَفْنِي  
 بِأَبَى شَمْسٍ نَهَارُ \* بَرَزْتُ فِي يَوْمِ دَجْنِي  
 قَرَّبْتَنِي بِالْمَنَى حَتَّى \* إِذَا مَا أَخْلَفْتَنِي  
 تَرَكْتَنِي بَيْنَ مَيْعَا \* دَخُلْتُ وَتَجَرْتُ  
 مَا أَرَى فِي مِنَ الْعَبْدِ \* حَوَى إِلَّا حَسَنَ ظَنِّي  
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِ \* رَلَّمَا تَعْرِفَ مِثْلِي  
 أَسْتَعِذُّ أَفْهَمَ مِنْ إِعْرَا \* ضَمِنَ مِنْ أَعْرَضَ، عَنِّي



لما ولى المعتصم أمر بمكاتبة بالقدم عليه ، فلما دخل وسلم أستاذنه في الإنشاد ،  
فأذن له ، فأنشده قوله :

هَلَا سَأَلْتَ تِلْكَ الْمَشَاق \* وَمَنْتَ قَبْلَ فِرَاقِهِ بِسَلَاقِ  
إِنْ الرِّقِيبَ لَيْسَ تَرِيبُ نَفْسًا \* صُعْدًا إِلَيْكَ وَظَاهِرَ الْإِفْلَاقِ  
وَلَيْنَ أَرَبْتُ لَقَدْ تَطَرْتُ بِمَقَلَةٍ \* عَبْرَى عَلَيْكَ تَحْنِينَةِ الْآمَاقِ  
نَفْسِي الْقَدَاءُ لِلْخَائِفِ مَرْقُوبِ \* جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بِسِنَاقِ  
إِذْ لَا جَوَابَ لِمُقْعَمٍ مُصْحِرٍ \* إِلَّا الدَّمُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ

حتى انتهى الى قوله :

خَيْرُ الْوُفُودِ مَبْشَرٌ بِخِلَافَةِ \* خَصَّتْ يَهْجَتَهَا أَبَا إِحْمَاقِ  
وَأَقْبَهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً \* مِنْ كُلِّ مُشْكَلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ  
أَعْطَتْهُ صِفَتَهَا الضَّيَّارُ طَاعَةً \* قَبْلَ الْأَكْثَفِ بِأَوَكِّهِ الْمِثَاقِ  
سَكَنَ الْإِنَانُ إِلَى إِمَامٍ سَلَامِيَةٍ \* عَفَّ الضَّمِيرُ بِهَلْبِ الْأَخْلَاقِ  
لَحْمِي رَحِيمَتِهِ وَدَافِعَ دُونَهَا \* وَأَجَارَ مُمَاقَهَا مِنَ الْإِفْلَاقِ

حتى أتمها ، فقال له المعتصم : أدن مني ، فدنا منه ، فلما قد جوهرنا من جوهر كان بين  
يديه ، ثم أمره بأن يخرج من فمه ، فأخرجه وأمر بأن يُنْظَمَ ويدفع اليه ويخرج الى الناس  
وهو في يده ، ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا فضله ، فكان أحسن ما مَدَحَ به يومئذ .

ومن شعره قوله :

أَمِينَ اللَّهِ تَقَى بِاللَّهِ \* نَعَطَ الصَّبْرَ وَالنُّصْرَةَ  
كِلَا الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ \* كَلَّاكَ اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ  
لَنَا النَّصْرُ بِمَوْنِ اللَّهِ \* وَالْكُفْرَةُ لَا الْقَهْرَ  
وَالْأَرْوَاقُ أَعْدَا \* تَكْ بَوْمُ السُّوءِ وَالذُّبْرُ  
وَكَأْسُ تَلْفِظِ الْمَوْتِ \* كَرِيهَ طَعْمُهَا مُرَّه



مَسَقُونًا وَمَسْقِينَا \* وَلَكِنْ بِهِمِ الْحِرَّةُ

كَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا \* طِينًا وَلَنَا مَرَّةٌ

ومن قوله في غضب حِفْطِةٍ للوائق من زيارته أخرى في نوبتها :

خَفِضْتُ أَنْ زَرْتُ أُخْرَى خِلْسَةً \* فَلَهَا التُّسَى لَدَيْنَا وَالرُّضَا

يَا قَدَّتِكَ الْفَسْ كَانَتْ هَفْوَةً \* فَاغْفِرْهَا وَأَصْفَحْ عَمَّا مَضَى

وَأَتْرَكَ الْعَدْلَ عَلَى مَنْ قَالَه \* وَأَنْسَى جَوْرِي إِلَى حَكْمِ الْقَضَا

فَلَقَدْ نَهَيْتَنِي مِنْ رَقْدَتِي \* وَعَلَى قَلْبِي كَيْتِرَانِ الْغَضَا

كان الواثق يتحفظ جارية له فانت، بغزع عليها وترك الشراب أياما، ثم سلاها وعاد

إلى حاله، فعدا الحسين ليلة وقال له : رأيت فلاة في النوم فليت نومي كان طال قليلا  
لا تمتنع ببقائها، فقل في هذا شيئا، فقال :

لَيْتَ عَيْنَ الدَّهْرِ عَنَّا غَفَلَتْ \* وَرَقِيبَ اللَّيْلِ عَنَّا رَقَدَا

وَأَقَامَ النَّوْمُ فِي مَدَنِهِ \* كَالَّذِي كَانَ وَكُنَّا أَبَدَا

بَابِي زَوْرٌ تَلَفَّتْ لَهُ \* فَتَنَسَّتْ إِلَيْهِ الْعُبْدَا

يَلِينَا أَعْصَكَ مَسْرُورًا بِهِ \* إِذْ تَقَطَّعَتْ عَلَيْهِ كَعْدَا

لما أحبته الحيلة في رضا المأمون عنه روى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْهَضَابِ \* وَشِبَاهِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ

أَنْتَ يَا عَمْرُو قُوَّتِي وَجِيَاتِي \* وَلِسَانِي وَأَنْتَ ظُفْرِي وَنَابِي

أَتُرَانِي أَنْسَى أَيْادِيكَ إِلَيَّ \* حُضْ إِذَا أَسْوَدَ نَائِلُ الْأَصْحَابِ

أَيْنَ أَخْلَاقُكَ الرُّضِيَّةَ حَالَتْ \* فِي أَمِّ أَيْنَ رِقَّةُ الْكَتَّابِ؟

أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَطْمَأَنَّ \* إِنَّ هَذَا لَوَصْفَةٌ فِي السَّحَابِ

فَمَنْ إِلَى سَيِّدِ الْبَرِيَّةِ عَنَى \* قَوْمَةً تَسْتَجِرُّ حُسْنَ الْخَطَابِ

فَعَسَلُ الْإِلَهِ يُطْلِقُنِي عَنْتِي \* بِكَ نَارًا عَلَى ذَاتِ الْتِهَابِ

فلم يزل عمرو يُطَلِّبُ لِمَا مَوْنٍ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَدْرَأَ أَرْزَاقَهُ .



ولما عفا المأمون عنه أمر بإحضاره، فلما حضر سلم، فرد عليه السلام ردًا جافيا، ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك ، هل عرفت يوم قُتل أنى عهد هاشمية قُتلت أو هُتكت ؟ قال : لا ، قال : فما معنى قولك :

وَسَرَّبَ ظِلَاءَ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَاشِمٍ \* هَتَّحْنَ بِدَعْوَى خَيْرِ حَى وَمَيَّتْ  
أُرْدُ بِدَأْمَنِ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ \* عَلَى كَيْدِ حَرَمَى وَقَلْبِ مُقَتَّتْ  
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامَتَيْنِ بِبَيْطَةٍ \* وَلَا بَلَّغْتَ آمَالَهُمْ مَا تَمَنَّتْ

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، وإحسان شعكرته فأنتظني ، وسيد فقدته فأقلقني ، فإن عاقبت فبحقك ، وإن عطفت فبفضلك ، فدممت حين المأمون وقال : قد صفوت عنك ، وأمرت بإدراار رزقك ، وإعطائك ما فات منه ، وجعلت حقوقك امتناعي من استخدامك .

ومن قوله :

وَكَا لَوْدَةَ الْحَمَاءِ حَيَا بِأَحْمَرٍ \* مِنَ الْوَرْدِ يَمْشِي فِي قَرَاطِقِ كَالْوَرْدِ  
لَهُ عِبَاتٌ عِنْدَ كُلِّ نَحْبَةٍ \* بَيْنِيهِ تَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ  
تَمَنَيْتُ أَنْ أَسْقَى بِكَفِّهِ تَرْتِبَةً \* تَذَكَّرْنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْمَهْدِ  
سَقَى اللَّهَ دَعْرًا لَمْ أَرِثْ فِيهِ لَيْلَةً \* خَلِيًّا وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدِ

ومن قوله :

وَإِيَّايَ مُفْعَمَ لِعَزَّتِهِ \* قُلْتُ لَهُ إِذْ خَلَوْتُ مَكْتَنًا  
يُحِبُّ بِاللَّهِ مَنْ يَخْصُكُ بِالْإِلَادَةِ \* هُوَ مَا قَالَ لَا وَلَا تَنَامَا  
ثُمَّ تَوَلَّى بِمُقَلَّتِي خَيْجَلٍ \* أَرَادَ رَجْعَ الْجَوَابِ فَاحْتَشَمَا  
فَكُنْتُ كَأَلْبَتْنِي بِجِلَّتِهِ \* بَرَاءً مِنَ السُّقْمِ فَابْتَدَأَ سَقَمَا

وقال في هوى له :

عَالِمٌ بِحَيِّهِ \* مَطْرِقٌ مِنَ النَّبِيِّ  
يُوسُفُ الْجَمَالِ وَفِرَّ \* عَوْنٌ فِي تَعْلِيهِ



لا وحق ما اتاني \* له من عطيف أرجيه  
 ما الحياة نافعة \* لي على تأييه  
 النعم يشغل \* والجمال يطفيه  
 فهو غير مكتثر \* للذي ألابيه  
 تأييه تزهده \* في رغبتي فيه

ومن قوله في هوى له :

إن من لا أرى وليس يراني \* نصب عيني تمثّل بالأمانى  
 بأب من ضميره وضميري \* أبدا بالمغيب يتجيان  
 نحن شخصان إن نظرت ورو \* حان إذا ما اخترت يسترجان  
 فإذا ما هممت بالأمر أو هم \* بنى بدائه وبدانى  
 كان وفقا ما كان منه وعتى \* فكأنى حكيتُه وحكاني  
 خطرات الجفون منا سواء \* وسواء تحرك الأبدان

ومن قوله :

قذيت من قال لي على خصره \* وغض من جفنه على خوره  
 سمع بأشعارك المليح فما \* يتعك شاد بها على وتره  
 حسبك بعض الذي أذمت ولا \* حسب ليصب لم يقض من وطره  
 وقلت يا مستعير سالفه الـ \* يخشيف وحش الثور من نظره  
 لا تنكرن الحبيب من طرب \* طأود فيك المصبا على كبره

ومن قوله :

سائل بطيخك عن ليلى وعن سهرى \* ومن سناح أهاسى وعن فدى  
 لم يحل قلبى من ذكراك إذ نظرت \* عيني اليك على صفوى ولا سكرى  
 سقيا ليوم سرورى إذ تازعتنى \* صفو المدامة بين الألس والخمر



وفضِّلَ كَأْسُكَ يَا بُنَيَّ فَاشْرِبْهُ \* جَهْرًا وَتَشْرِبُ كَأْسِي غَيْرَ مُسْتَرٍ  
وَكَيْفَ أَشْبِهُهُ نَفْسِي وَالزَّمَنُ \* نَحْرِي وَتَرْفَعُهُ كَفِّي إِلَى بَصْرِي  
فَلَيْتَ مُلَّةَ يَوْمِي إِذْ مَضَى سَلْفَا \* كَانَتْ وَمِلَّةَ أَيَّامِي عَلَى قَدَرٍ  
حَقٍّ إِذَا مَا أَنْطَوْتُ عَنَّا بِشَاشَتِهِ \* صِرْنَا جَمِيعًا كَذَا جَارَيْنِ فِي الْحَقَرِ  
وَمِنْ قَوْلِهِ لَهْوِي كَانَ لَهُ :

تَمَرَّيْتُ بِإِسْرَافِ هَوَايَ فَإِنِّي \* إِذَا أَنْصَرَفْتُ نَفْسِي فَهِيَ بَاتٍ عَنْ رَدِّي  
إِذَا خُنْتُ بِالْغَيْبِ وَدَى فَمَالِكُمْ \* تُدَلِّوْنَ إِدْلَالَ الْمُتَقِمِّ عَلَى الْعَهْدِ  
وَلِي مِنْكَ بَدٌّ فَاجْتَنِبْنِي مَذْمُومًا \* وَإِنْ خِلْتُ أَنِّي لَيْسَ لِي مِنْكَ مِنْ بَدٍّ  
لَمَّا وَلِيَ الْوَائِقِ الْخِلَافَةَ أَنْشَدَهُ حَسِينُ :

أَكَلْتُمْ وَجَدِي لَمَّا يَنْكَمْ \* بَيْنَ لَوْ شَكُوتُ إِلَيْهِ رَيْحُ  
وَأَنِّي عَلَى حَسَنِ ظَنِّي بِهِ \* لِأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَسِمَ  
وَلِي عِنْدَ لِحْظَتِهِ رَوْعَةٌ \* تَحْقِيقُ مَا ظَنَّنَتْهُ الْمُتَهِمُ  
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ لِي \* عَجَبَ وَأَحْسَبُهُ قَدْ عَلِمَ  
وَأَنِّي مُنْقِضٌ عَلَى لَوْعَةٍ \* مِنَ الشُّوقِ فِي كِبْدِي تَضْطَرِّمُ  
عَشِيَّةً وَذَهَتْ عَنْ مَقْلَةٍ \* سَفُوحٌ وَزَفْرَةٌ قَلْبِي سَلِمَ  
لَمَّا كَانَ عِنْدَ النَّوَى مُسْتَعِدَّ \* سَوَى الْعَيْنِ تَمْزِجُ دُمْعًا بِلَمٍ  
سَيَذْكُرُ مِنْ بَانَ أَوْطَانَهُ \* وَيَكِي الْمَقِيمِينَ مَنْ لَمْ يُقِمِ

كُتِبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ فِي يَوْمِ شَكٍّ ، وَقَدْ أَمَرَ الْوَائِقِ بِالْإِفْطَارِ ، فَقَالَ :  
هَزَزْتُكَ لِلصَّبَوحِ وَقَدْ نَهَا \* أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصَّيَامِ  
وَعِنْدِي مِنْ قِيَانِ الْمَصْرَعِ عَشْرٌ \* يَطْلُبُ بِهِنَّ عَاطِقَةُ الْمَدَامِ  
وَمِنْ أَمْثَالِهِنَّ إِذَا أَتَشَبَّهْنَا \* تَرَانَا نَجْتَنِي تَمَرُ الْفَرَامِ  
فَكُنْ أَنْتَ الْجَوَابُ فَلَيْسَ نَفْسِي \* أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حَنْفِ الْكَلَامِ



فوردت رقعةه ، وقد سبقه إليه محمد بن الحارث بن بُسْخَر ووجهه إليه بسلام نظيف الوجه  
ومعه ثلاثة غلابة أقران حسان الوجه ، ومهم رقعة كتبها كما تكتب المناشير ، وختمها  
في أسفلها وكتب فيها يقول :

سِرْ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ يَا أَشْ \* كَلَّ مِنْ خَصْمِي بِلَحْنٍ  
فِي ثَلَاثٍ مِنْ بَنِي الرَّو \* مَ إِلَى دَارِ حُسَيْنٍ  
أَخْطِصُ الْكَهْلَ إِلَى مَوْ \* لَكَ يَا قُتْرَةَ هِنِي  
أَرِهَ الْعُنْفَ أَنَا أَسْتَمْ \* حَى وَطَالِبِهِ بَدِينِ  
وَدَعْ اللَّفْظَ وَخَاطِبِ \* هُ بَغْمِزِ الْحَاجِيزِ  
وَأَحْذِرِ الرَّجْمَةَ مِنْ وَجْه \* نِكَ فِي خُفَى حُنَيْنِ

فمضى معهم .

ومن قوله لمن أعرض عنه :

تَلَيْسَ طِينًا أَنْ رُزِقْتَ مِلَاحَةً \* فَمَهْلًا عَلَيْنَا بَعْضَ نَيْكٍ يَا بَرُّ  
لَقَدْ طَالَ مَا نَكَّأَ مِلَاحًا وَرَبْمَا \* صَدَدْنَا وَتَنَا ثُمَّ خَيْرْنَا النُّهْرُ

وله في هوى تُحِبُّ عنه :

عَلَّنَ مِنْ لَا كَانَ ظَنُّ \* أَمْ بِحَيْبِي خَمَاءَ  
أَرْصَدَ الْبَابَ رَقِيدِ \* مِنْ لَهُ فَاصْتَفَاهُ  
فَإِذَا مَا أَشْتَقُّ قُرْبِي \* وَلِقَائِي مَنَعَاهُ  
جَمَلَ اللَّهُ رَقِيدِ \* هُ مِنْ الشُّوءِ فِدَاهُ  
وَالَّذِي أَفْرَحَ فِي الشَّ \* نَدَنَ قَلْبِي وَلَوَاهُ  
كُلَّ مَشْتَقٍّ إِلَيْهِ \* هُ مِنْ الشُّوءِ فِدَاهُ  
يَتِمَّا مِنْ حَالَتِ الْأَحْ \* رَاسَ مِنْ دُونَ مَنَاهُ



أمره المتوكل بأن ينادمه ويلازمه ، فلم يطلق ذلك لكبرسته ، فقال للتوكل بعض من حضر عنده : هو يطبق الذهاب الى القرى والمواخير والسكر فيها ويسجز عن خدمتك ؛ فبلغه ذلك ، فدفع الى أحمد بن حمدون أبياتا قالها وسأله لإصالتها ، فأوصلها الى المتوكل ، وهى :

أما فى ثمانين وقيتها . \* حذير وإن أنا لم أتحذر  
فكيف وقد جرثها صاعدا . \* مع الصاعدين يتسع أثر  
وقد رفع الله أعلامه . \* عن ابن ثمانين دون البشر  
سوى من أصّر على فتنة . \* والحد فى دينه أو كفر  
وإني لمن أسراء الإله . \* فى الأرض نصب صروف القدر  
فإن يقض لى عملا صالحا . \* أهاب وإن يقض شرا غفر  
فلا تلج فى كبير هتني . \* فلا ذنب لى أن بلغت الكبر  
هو الشيب حل بعقب الشباب . \* فمن ذا يلوم اذا ما حذر  
وإني تقى كيف مضيق . \* وصز بنصر أبى المتحير  
يبارى الرياح بفضل السما . \* ج حتى تبدل أو تحير  
له أكتد الوحي مراثيه . \* ومن ذا يخالف وحى السور  
وما للحسود وأشباهه . \* ومن كذب الحق إلا المجر

فلما أوصلها شيعها بكلام يعذره وقال : لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها ؛ فقال المتوكل : صدقت ، وأمر له بعشرين ألف درهم .



• — محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١)</sup>

كان محمد شاعرا مجيدا لا يُقاس به أحد من الكُتّاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم يُقِلُّ وصاحب قصار ومقطعات . وكان محمد شاعرا يُطيل فيجيد ، ويأتي بالفصاح فيجيد ؛ وكان بليغا حسن اللفظ اذا تكلم واذا كتب .

ولما تولى محمد الوزارة أشتراط ألا يلبس العباء ، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفا بهامل ، فأجيب الى ذلك .

وكان يقول : الرحمة خور في الطبيعة ، وضئف في المنة ، ما رحمت شيئا قط ؛ فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلما وُضِع في الثقل والحديد قال : ارحموني ، فقالوا له : وهل رحمت شيئا قط قُتِرتم ؟ هذه نهادتك على نفسك وحُكِّمك عليها .

لما ماتت أم ابنه عمرو ثاها بقصيدة منها :

يقول لي الخِلاَن لو زُرْت قَبْرَها • فقلتُ وهل غير القَواد لها قَبْرُ  
على حين لم أَدُنْتُ فأَجْهَل قَبْرَها ولم أُلْغِ السَّنْ التي معها الصبر

ومن شعره قوله :

ما أعجب السَّيَّءَ نَزَحَـرَهُ قُحْرَـمَهُ • قد كُتُّ أَحْسَبُ أَى قَدَمَاتِ يَدَى  
مَالَى إِذَا غِثْتُ لَمْ أَذْكَرْ بَصَالِحَةَ • وَإِن مَرِصْتُ فَطَالُ السَّقْمُ لَمْ أَعُدْ

(١) هو أرحم محمد بن عبد الملك بن أمان بن حمزة واستمر ابن الزيات لأن حده (أمان) كان يحمل الرتبة من مواضعه ابن مباد ، وكان قديما عن السلالة الجورانية ، والدوان ، ومحفوظة رسائل حيدة ، وكان في أول مره في حملة الكُتّاب ، وادعى بالانتماء إلى آل - بن م - الميركل قص عليه وامر بأدخاله في تودر - حديد كان ابن الزيات اسمه المصالح - بن وأدات الدواوين المطالين - ال - وقيدته بحصة - رطلا من حديد ، ثم أمر بإخراجه بعد أن مكث فيه أربعين يوما ، فوجدوه ميتا وذلك سنة ٢٣٣ هـ . وعهد زحمته ، الألعى (ح ٢٠ ص ٤٦) وابن حلكان (ح ٢ ص ١٨) .



ومن شعره قوله :

ألم تحب لمكتئب حزين \* خدين صباية وحليف صبر  
يقول اذا سأل به بحر \* وكيف يكون مهجور بحير

وكان لـ محمد بن قيس أشبه لم ير مثله فرأاه وحشاً، فعسى به محمد بن خالد إلى المعتصم  
ووصف له فراحته، فبعث إليه المعتصم فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه :  
كيف العزاء وقد مضى لسبيله \* عا فودعا الأحسم الأشبه  
نبت الوشاة فأمدوك وربما \* بعد القى وهو الأحب الأقرب  
لله يوم مات عني طاعا \* وسليت قرك أي عاقي ألس  
نفس مفرقة أقام فرقتها \* ومعنى ليطيته فريقي فحسب  
هالان اد كمت أذاتك كلها \* ودعا العيون إليك لون محب  
وأختر من ستر الحداثد حرها \* لك حالصا ومن الحل الأعر  
وعدوت طمان الحمام كأما \* في كل عصبو منك صنج يصير  
وكان سرحك إدا علاك عمامة \* وكأما تحت العمامة كوك  
ورأى على بك الصديق حلاله \* وعدا المدق وصدرة يتلهب  
أساك لا رال ادا مبيه \* معنى ولا رالت يميني تنك  
أصبرت منك الباس حين رأيتي \* وقوى حالي من قواك فقص  
ورحمت حين رحمتك بحسره \* لله ما فعل الأحسم الأسب

ولما وب إبراهيم بن المهدي إلى الخلافة أقصر من ماسر التبحر مالا، فأخذ من  
عبد الملك أي محمد عشرة آلاف درهم وقال له : لا أيتها اذا جاءني مال، وم يتم أمره،  
فأستحيى ثم طهر ورضى عنه المأمون، فطالبه إليه أموالهم، فقال : ما أحسنها للسلمين  
وأردت قضاءها من قيتهم، والامر الآن إلى عيري، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة  
حاطب فيها المأمون ومعنى إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال : والله لئن لم تعطني



المال الذي اقترضته من أبي لأوصلن هذه القصيدة الى المأمون، تخاف أن يقرأها المأمون  
 فيستدبر ما قاله ، فيوقع به ، فقال له : خذ مني بعض المال ونجِّم عليّ بعضه ، ففعل ؛  
 والقصيدة قوله :

ألم تر أن الشيءَ للشيءِ حيلةٌ ■ تكون له كالنار تُقدَح بالزَّندِ  
 كذلك جَرَّبَتِ الأمورُ وإنما ■ يذُكُّ ما قد كان قَبْلُ على البَعدِ  
 وظنَّني إبراهيمُ أنَّ مكانه ■ سيَّمتَ يوماً مثْلَ أيامه النُّكْرِ  
 رأيتُ حُسَيْنًا حينَ صارَ محمَّدُ ■ بغيرِ أمانٍ في يَدَيْهِ ولا عَقْدِ  
 فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربة ■ فصيرَه بالقاعِ مُتَعَفِّراً الخَدِّ  
 إذا لم تكن لِقُنْدٍ فيه بَقِيَّةُ ■ فقد كان ما بُلِّغْتُ من خبرِ الجُنْدِ  
 ثمَّ قتلوه بعد أن قتلوا له ■ ثلاثين ألفاً من كُھولٍ ومن مُرْدِ  
 وما نصروه عن يَدِ سَلَفٍ له ■ ولا قتلوه يومَ ذلك عن حَقْدِ  
 ولعَكنَّه القَدْرُ الصُّرَّاحُ وخِفةُ الـ ■ حلومٍ وبُعدِ الرأى عن سُنَنِ القَصْدِ  
 فذلك يومٌ كان للناسِ عِبرةً ■ سبقَ بقاءَ الوَحى في الحجرِ الصَّلبِ  
 وما يومٌ لإبراهيمَ إن طال عمرُه ■ بأبعدَ في المكروهِ من يومه عندِي  
 تذكَّرَ أميرَ المؤمنينَ مَقامَه ■ وأَيمانَه في الهزلِ منه وفي الحَدِّ  
 أما والذي أُمِيتَ عبدًا خَليفةً ■ له شرُّ إيمانِ الخليفةِ والعَبدِ  
 إذا هزَّ أَعوادُ المنابرِ بأَسِنِه ■ تَفَنَّى بِلِيلٍ أو بِيَمَّةٍ أو هِنْدِ  
 فوالله ما من قُوَّةٍ نَزَعَتْ به ■ اليك ولا مِيلَ اليك ولا وَدِّ  
 ولكنَّ إخلاصَ الضميرِ مَقَرَّبٌ ■ إلى الله زُلْفَى لا يَنِيدُ ولا تُكْذِبُ  
 أتاك بها كُرمُها اليك بأنْفِه ■ على رَءْمِه وأَسْتَأذَنَ اللهَ بالْحَدِّ  
 فلا تَتَرَكَنَّ للناسِ موضعَ شُبْهَةٍ ■ فإنَّكَ مَجْزَى بِحَسَبِ الذِّرِّ تُسَدِّي  
 فقد غلطوا للناسِ في نَصَبِ مِثْلِه ■ ومن ليسَ للصورِ بابنٍ ولا المَهْدِي



فكيف بمن قد بايع الناس وألحقت      ببعته الرُّجُلان غَوْرًا إلى تَجْدِ  
ومن سَكَتَ تسلُّمُ الخِلافة سمعه      يُنَادِي به بين السَّاطِطِينَ من بُعْدِ  
وَإِذَا أَمْرِي سَمِيَّ بِهَا قَطْ نَفْسِهِ \*      ففارقها حتى يُغَيِّبَ في القَهْدِ  
وتزعمُ هَذِي التَّائِيَّةُ أَنَّهُ \*      إمام لها فيما تُسِرُّ وما تُبْدِي  
يقولون سُنِّيَّ وَآيَةُ سُنَّةِ \*      تَمِّمُ بِصَمَلِ الرَّاسِ جَوْنَ الْقَفَا جَمْدِ  
وقد جعلوا رُخْصَ الطعام بهذه \*      زعيمًا له باليُنِّ والكوكب السَّعْدِ  
إذا ما رَأَوْا يوما غَلَاءَ رَأَيْتَهُم \*      يَمْتَحِنُونَ تَحَنُّنًا إلى ذاك المَهْدِ  
وإِقْبَالُهُ في العِيدِ يُوجِفُ حَوْلَهُ \*      وَيَجِفُ الجِيَادُ واصطِكَ القَنَا الجُرْدِ  
وَرَجَالُهُ يَمِشُّونَ بِالْبَيْضِ قَبْلَهُ \*      وقد تَبِعُوهُ بالقَضِيبِ وبالْبُرْدِ  
فَإِنْ قُلْتَ قَدْ رَامَ الْخِلَافَةَ قَبْلَهُ      فلم يُؤْتَ فيما كان حَاولَ مِنْ جَدِّ  
لَمْ أَجْزِهِ إِذْ خَيَّبَ اللَّهُ سَعْيَهُ      على خَطَا إِذْ كَانَ مِنْهُ عَلَى عَمْدِ  
وَلَمْ أَرْضَ بَعْدَ الْعَفْوِ حَتَّى رَفَعَهُ      وَلَئِمَّ أَوَّلُ بَلْتَعَشْدَ وَالرَّوْمِ  
فَالَيْسَ سِوَاهُ خَارِجِي رَمَى بِهِ      إِلَيْكَ سَنَاهُ أَرَأَى وَالرَّأْيِ قَدْ يُرْدَى  
تَعَادَتْ لَهُ مِنْ كُلِّ آوَبٍ عَصَابَةٌ      دَنَى بَوْرِدُوا لَا يَصْدِرُوهُ عَنِ الْبُورِدِ  
وَمَنْ هُوَ فِي بَيْتِ الْخِلَافَةِ تَلْتَقِي      بِهِ رُكَّ لَابَاءَ فِي فِرْوَةِ الْمَجْدِ  
فَوَلَاكَ مَوْلَاهُ وَجُدَّتْ جَنْبُهُ \*      رَجُلٌ تَجْمَعُ الْقَائِدُ الْمُسَاهِدِينَ فِي غَمْدِ  
وَقَدْ رَاجَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ نَهْنِ \*      رَأَيْتُ ذِمَّ وَحَدَا بِهِ أَيُّمًا نِيَجَا  
يَقُولُونَ لَا تَتَّبِعْ مِنْ آبِنِ مَيْمَةِ      حَبِيرٍ عَلَى الْإِثْرَاءِ ذِي مِرَّةٍ جَلَا  
فَدَا إِذْ دَهَانَتْ نَفْسُهُ دُونَ الْفَتَا \*      عَلَيْهِ لَبِي الْحَالِ ثِيَابُ مَنْ يَنْدَى  
حَلِي حَبْنِ عَمَلِ النَّاسِ صَنَقَ أَكْفَهُ      شَرُّ بَنِ مَرْيَمَ الْيُودِيَّةِ وَالْمَسِيدِ  
فَمَا كَانَ بِنَا مِنْ أَبِي الضَّمَّةِ غَيْرُهُ      كَرِّمَ كَتَمِي مَا فِي الْقَبُورِ وَفِي الرَّدِّ  
وَجَرَدَ إِبْرَاهِيمَ لَوْتَ نَفْسَهُ \*      زَائِدِي سَلَا حَانُوقِ ذِي مَبْعَةِ نَهْدِ



وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده . فليس بمذموم وإن كان لم يتحيد  
فهذه أمور قد يخاف ذوق النهى \* مفتتها والله يحسدك الرشيد  
وكانت الخلافة في أيام الواثق تنور على إيتاخ وكتبه سليمان بن وهب ، وصلى أثناس  
وكتبه أحمد بن الخصب ، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها الى الواثق على أنها  
لبعض أهل العسكر ، وهى :

يا بن الخلائف والأملك إن تُسيبوا \* حُزنت الخلافة عن آباءك الأول  
أجرت أم رقدت عينك عن عجب \* فيه البرية من خوف ومن وهل  
وليت أربعة أمر العباد معا \* وكلهم حاطب في جبل عتيل  
هذا سليمان قد ملكت راحته \* مشارق الارض من سهل ومن جبل  
ملكته السند والشعرين من عدن \* الى الجزيرة فالأطراف من ملل  
خلافة قد حواها وحده لمضت \* أحكامه في دماء القوم والنقل  
وابن الخصب الذى ملكت راحته \* خلافة الشام والغازين والفصل  
فيل مصر فجر الشام قد جرى \* بما أراد من الاموال والحلل  
كانهم في الذى قسمت بينهم \* بنو الرشيد زمان القسم للدول  
حوى سليمان ما كان الأمين حوى \* من الخلافة والتبليغ للأمل  
وأحمد بن خصب في إمارته \* كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل  
أصبحت لا ناصح يأتيك مستترا \* ولا علانية خوفا من الجبل  
سل بيت مالك أين المال تعرفه \* وسل تراجك عن أموالك الجمل  
كم في حبوسك ممن لا ذنوب لهم \* أسرى التكبذ في الأفياد والكجل  
سميت باسم الرشيد المرتضى فيه \* تسمى الأمور الى ثغرى من الزلل  
عش فيهم مثل ما عاتت يدها معا \* على البرامك بالتهديم للأقل

فلما قرأ الواثق هذا الشعر غاطه ، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصب ،  
وأخذ منهما ومن أسبابهما أثنى ألف دينار فجعلها في بيت المال .



٦ - آيُنُ الْبَوَابِ<sup>(١)</sup>

لما أتى المأمونُ بشعر آيُنِ الْبَوَابِ الذي يقول فيه :

أَيْخُلُ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ \* عَلَى وَقْدِ أَفْرَدْتُهُ بِهِوَى فَرْدِ  
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ \* فَلَمَّكَه وَأَتَقَهُ أَعْلَمَ بِالْعَبْدِ  
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ .. مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ

فقال المأمون : أليس هو القائل :

أَعْنَى جُودًا وَأَيْكُنَا لِي عَمْدًا \* وَلَا تَذَنُّرًا دَعْمًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدًا  
فَلَا فِرْحَ الْمَأْمُونُ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ \* وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا شَرْدًا مُطَوَّدًا  
وَاحِدَةً بِوَاحِدَةٍ ، وَلَمْ يَصْلِهِ بِنْيٌ . وَلَمَّا سَخِطَ عَلَيْهِ قَالَ قَصِيدَةً يمدح بها ، ودسَّ مَنْ  
غَنَاهُ فِي بَعْضِهَا لَمَّا وَجَدَ مِنْهُ نَشَاطًا ، فَسَأَلَ : مَنْ قَالَهَا ، فَأَخْبَرَهُ ، فَرَضِيَ عَنْهُ وَرَقَّه إِلَى رَسَمِهِ  
مِنَ الْخَلِصَةِ ، وَهِيَ :

هَلْ لِلْحَبِّ مُعِينٌ \* إِذْ شَطَّ عَنْهُ الْقَرِينُ  
فَلَيْسَ يَسْكِي لَشَجْوَالٍ \* حَزِينٍ إِلَّا الْحَزِينُ  
يَا ظَاغَنَا غَابَ عَنَّا \* غَدَاةَ بَارَنَ الْقَطِيعِ  
أُبْكَى الْعَيُونَ وَكَانَتْ \* بِهِ تَقَفَّرَ الْعَيُونَ  
يَا أَيُّهَا الْمَأْمُونُ أَلِ \* حَبَارَكَ الْمَيَمُونُ  
لَقَدْ صَفَّتْ بِكَ دُنْيَا \* لِلْسَّالِمِينَ وَدِينُ  
عَلَيْكَ نُورٌ جَلَالٌ وَنُورٌ مُلْكٌ وَسِينُ

(١) هو عهد الله من شتاب من أُنس تباري ، وحسن عتبه ورحمة معه رزية لى الشيخ من يوسف - فزلوا  
عده بواسطه ، فأتموا به سنة بها - فأحضرها ودرلوا طوبى لى - من ١٠٠١ ، ثم اعطوا من الدولة العباسية الى الربيع  
لخدمه ، وكان عهده من مده هذا يختلف البعض من اربيع على خمسة اختلافه ، وكان صاحب الشعر قليله وراوية لاحد  
الخطاه عالمًا بأمرهم .



القول منك قَمَال \* والظن منك يقين  
 ما من يديكَ شِمال \* كلنا يديك يمين  
 كأنما أنت في الجوّ \* د والتقى هارون  
 مَنْ نال من كل فضل \* ما ناله المأمون  
 تألّف النَّاسَ منه \* فضل وجود ولين  
 كالبريدو عليه \* سكينه وسكون  
 فالرزق من راحتيه \* مقسم مضمون  
 وكل خصلة فضل \* كانت فنه تكون

ومما يغنى فيه قوله :

أَفَقِ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمَعْتَبُ كَمْ تَعْبُو؟ \* فلا التأتى عن سَأْمَاكَ يُسَلِّ ولا القربُ  
 أَقُولُ خِدَاةَ أَسْمَعْبِرَتْ مِمَّ عَلَيَّ؟ \* من الحب كربُ ليس يُشْبِهُه كرب  
 إِذَا أَبْصَرْتُكَ الصَّبْرُ مِنْ بَدْ غَايَةِ \* فأدخلت شكَا فبك أَتَبَّكَ الْقَلْبُ  
 وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْحُوكُ لَقَادَهُمْ \* نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدْلِكَ الرِّكْبُ

أما ابن البواب حين جَآه الخليفة وَعَلَتْ سِنَّتُهُ عَنْ الْخِدْمَةِ، فَرَحَلَ إِلَى أَبِي دُلْفَ  
 الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ، فَوَهَبَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَعَادَ بِهَا إِلَى بَغْدَادَ، فَا  
 نَعَلَتْ حَتَّى مَاتَ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ رَبَابُ \* وَتَأْتِ فُلَيْسَ لَهَا إِلَيْكَ مَابُ  
 وَتَصْرَمْتُ مِنْهَا الْمَهْودُ وَغُلَقْتُ \* مِنْ دُونَ نَيْلِ طِلَابِهَا الْأَبْوَابُ  
 فَلَا تُصِيقُ عَنِ الْمَهْوَى وَطِلَابُهُ \* فَالْحَبُّ فِيهِ بَلِيَّةٌ وَصَدَابُ  
 وَأَخْصُ بِالْمَدْحِ الْمَهْتَبُ سَيِّدَا \* نَقَعَاتُهُ لِلْجُنْدِيِّينَ رِغَابُ  
 وَإِلَى أَبِي دُلْفٍ رَحَلْتُ مَطِيقِي \* قَدْ شَفَّهَا الْإِرْقَالُ وَالْإِتْعَابُ



قتلونا قُلَّ الجبال ودونها \* مما هَوَتْ أهوية وشعاب  
 فاذا حلتُ لدى الأمير بأرضه \* نلتُ المني وتفتت الآرابُ  
 ملكٌ تأتِلُ عن أبيه وجده \* مجَّدًا يقصِّر دونه الطُّلابُ  
 وإذا وزَّنت قديمَ ذى حَسَبٍ به \* خَضَعَتْ لفضل قديمه الأحسابُ  
 قومٌ علَّوا أملاكَ كُلِّ قبيلة \* فالناسُ كلَّهم له أذئابُ  
 ضربتُ عليه المكوماتُ قبائها \* فعلا العمودُ وطالت الأطنابُ  
 حَقِمَ النساءُ بمنله وتعطلت \* من أن تُقَمِّنَ مثله الأصلابُ



٧ - الخُرَمِيّ<sup>(١)</sup>

كان متصلاً بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جَيَّاد، ثم رثاه بعد موته، فقيل له : يا أبا يعقوب، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مرثيتك وأجود؛ فقال : تتأ يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد .

وهو القائل في عياليه :

أُصْنِي إِلَى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي \* إِذَا أَتَقِينَا عَمَّنْ يُحِبُّنِي  
أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ السَّلامَ وَأَنْ \* أَفْصَلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْذُّونِ  
أَسْمِعْ مَا لَا أَرَى فَأَكْزُهُ أَنْ \* أَخْطِئَ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ  
قَدْ عَيَّنِي الَّتِي يُفْعَتُ بِهَا \* لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يُؤَاتِينِي  
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا \* تَعْمِيدَ نَوْحٍ فِي مُلْكٍ قَارُونِ  
حَقٌّ أَخِلَاتِي أَنْ يَسُودُونِي \* وَأَنْ يُعْزَوُا عَنِّي وَيَكُونِي

وهو القائل :

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَأَيْكَ بَعْضًا \* فَإِنَّ الْبَعْضَ عَنْ بَعْضٍ قَرِيبُ  
يُمْتَنِّي الطَّيِّبُ شَفَاءَ عَيْنِي \* وَهَلْ غَيْرُ الْإِلَهِ لَهَا طَيِّبُ

(١) هو مصنف بن حسان ويكنى أبا يعقوب، من أئمة، وهو القائل :

لَا أَمْرُ مِنْ مَرَاهِ الْعَمَلِ الدَّاسِي \* عَمْرِي الْأَعَاجِمُ جَدًّا طَلَسَ الْحَرِي

وكان مولد أبي حريم الذي قال لأبيه : خريم الناعم . وهو خريم بن عمرو بن حمزة بن عوف بن سعد بن دباب . وعنى أبو يعقوب الحريري بعد ما استقر ، وكان يقول في ذلك شعرا ، فيه قوله :

إِنْ تَكْ صِنِي خَبَا نَوْدَهَا \* فَكَمْ ثَلْهَا مَوْعِينِ حَبَا  
قَلَمٌ يَسْمُ قَلَمِي وَلَكُمَا \* أَرَى نَوْدَ عَمِي إِلَيْهِ مَرَى  
فَأَسْرَجَ مَعَهُ إِلَى مَوْدِهِ \* مَرَا حَا مِنْ الدُّلَى شَفَى الْعَمَى



وقال يذكر بغداد والفتنة التي كانت بها :

قالوا ولم يلعب الزمانُ بيده \* لماد وتفتّر بها عواثرها  
 إذ هي مثل العروس باديها \* مهول للفتى وحاضرها  
 جنة ديا ودار مقبلة \* قل من الثابت وأثرها  
 دت خلوف الدنيا لما كنها \* وقل معسورها وطايرها  
 وأصرجت بالنعم وأتعبت \* فيها بلداتها حواضرها  
 فالقوم منها في روضة أثف \* أشرق غب القطار زاهرها  
 من غره العيش في بلهنية \* لو أن دنيا يوم طامرها  
 دار ملوك رست قواصدها \* فيها وقرت بها منارها  
 أهل الملا والثرى وأديّة الـ \* غخر إذا عتدت مفاخرها  
 أفراخ نسمي في لاد مملكة \* شد عراها لها أكابرها  
 فلم يزل والزمان ذو غير \* يقدح في ملكها أصاغرها  
 حتى تسافت كأسا ممتلئة \* من فتنة لا يقال عاثرها  
 وأقرقت بعد ألفة شيما \* مقطوعة بينها أوامرها  
 ياهل رأيت الأملاك ما صنعت \* إذ لم يزعها بالنصح زاجرها  
 أورد أملاكنا قوسهم \* هوة غي أعيت مصادرها  
 ما صرنا لو وقت بموتقها \* وأستحكمت في الثقي بصائرنا  
 ولم نسا فك دماء شيعتها \* وتبعل فية تكابرنا  
 وأفتننا الدنيا التي جمعت \* لها ورغب النفوس ضائرنا  
 مازال حوض الأملاك [ ... ] \* مسجورها بالهوى وساجرنا  
 تبق فضول الدنيا مكثرة \* حتى أبيضت ككرها ذخائرنا



- يبيع ما بجمع الأبوّة له \* أبناء لا أربحت متاجرها  
 يا هل رأيت الخناب زاهرة \* يروق ميث البصير زاهرها  
 وهل رأيت القصور شارعة \* تُمكن مثل الدمي مقاصرها  
 وهل رأيت القرى التي فرّس الـ \* أملاكك تحضرة دسّاكرها  
 محفوفة بالكروم والتخيل والـ \* زيمان قد ديمت عجايرها<sup>(١)</sup>  
 فإنها أصبحت خلايا من الـ \* بإنسان قد ديمت عجايرها<sup>(١)</sup>  
 قفراً خلاء تنوى الكلاب بها \* ينكر منها الرسوم دائرها  
 وأصبح البؤس ما يفارقها \* إلقاها والسرور هاجرها  
 بزند ورد والياسرية والـ \* شطّين حيث آتت معابرها  
 وبالرحى والخيزرانية الـ \* حبا التي أشرفت قناطرها  
 وقصر عبدي بهرة وهدي \* لكل نفس زكت سرائرها  
 فإين حراسها وحارسها \* وإين مجبورها وجايرها  
 وإين خصياتها وحشوتها \* وإين سكانها وطامرها  
 إين الجرادية الصقالب والـ \* أحشش تعدو هذلا مشافرها  
 يتصدع الجند عن مواكبها \* تعدو بها سُرّاً ضوامرها  
 بالسند والهند والصقالب والـ \* خوية شحيت بها برابرها  
 طيراً أبابيل أرسلت عشا \* يقدم سودانها أحامرها  
 إين الظباء الأبقار في روضة الـ \* حلك تهادي بها غراتها  
 إين غضاراتها ولذتها \* وإين مجبورها وجايرها  
 بالمسك والعنبر ايماني والـ \* يلتجئ شجوبة مجاميرها  
 يرقلن في الخنز والمجاسد والـ \* حوسر مظلومة مزامرها

(١) كذا في الطب في حوادث سنة ١٩١ هـ، طبع بلاي وطلع أ. ربا .



فَايُنْ رَقاصها وَزَامِرها \* يُجِينْ حيث آتَتْ حَلِجِرها  
 تَكَادُ أَمَماعُهم قُتِلَ اذا \* طارِضْ عِيْدانَها مَزَامِرها  
 أَمَتْ بِكَوْفِ الحمارِ خالِيَةً \* يَسْعَرها بِالْجَحِيمِ ساعِرها  
 كَأَنما أَصْبَحَتْ بِساحَتِهم \* حادٌ وَمَسْتَهْم صَراصِرها  
 لا تَمْلُكُ النَفْسُ ما يَأُوتِها \* من حادِثِ الدَهرِ أَوِيّا كَرها  
 تُغْضِي وتَمسِي دَريَّةً غَرَضاً \* حيث أَسْتَقَرَّتْ بِها شَراشِرها  
 لَأَسْهَمِ الدَهرِ وَهُوَ يَرُشِقُها \* تُخْطِطُها مَرَّةً وَباقِرها  
 يابِؤَسَ بِضِدادِ دارِ مَمْلُكَةٍ \* دارَتْ عَلى أَهلِها دَوائِرها  
 أَهْلُها اللهُ ۞ طاقِها \* لَمّا أَحاطَتْ بِها كَبائِرها  
 بِالْخَسِيفِ وَالْقَذَفِ وَالْحَرِيقِ وَبِالْ \* حَرْبِ الَّتِي أَصْبَحَتْ تُسْاورُها  
 كَمَ قَدْ رَأَيْنا مِنَ المَعاصِي بِها \* كَالْمَاسِرِ السَّوِّءِ ... ...  
 حَلَّتْ بِبُضْدادِ وَهِيَ آمِنَةٌ \* داهِيَةٌ لَمْ تَكُنْ تُحاذِرُها  
 طالَمَها السَّوِّءُ مِنْ مَطالَمِها \* وَأَدْرَكَتْ أَهْلَها جَرائِرها  
 رَقِيَ بِها الدِّينَ وَأَسْتَخَفَّ بِذِي الِ \* غَضَلِ وَعَمَرَ النِّسْكَ فَادِها  
 وَخَطَمَ العَبْدُ أَنْفَ سَيِّدِها \* بِالزَّغَمِ وَأَسْتَمْبَدَتْ غُضادِها  
 وَصارَ رَبُّ الجِيرانِ فَاسِقُهم \* وَأَبْقَرَ أَمْرَ الدُّرُوبِ ذائِرُها  
 مِنْ يَرِ بِضِدادَ وَالْجَنُودُ بِها \* قَدْ رَاقَتْ حَوْلَها عِسا كَرها  
 كُلُّ طَحُوتٍ شَبِها بِاسِلَةٍ \* تُسْقِطُ أَجْبالُها زَما كَرها  
 تُلقِي بَنَى الرِّدى أَوائِسَها \* يُرَهِّقُها لَلْقائِ طاهِرها  
 وَالشَّيْخُ يَمْدُو حَزْماً كَلْبَها \* يُقْلِمُ أَعْجازَها يَماورِها  
 وَلزَّهَرٍ بِالْقَوْلِ ماسِدَةٌ \* مَرْقُومَةٌ صُلْبَةٌ مَكاسِرها  
 كَتائِبُ المَوْتِ نَحْتَ أَلوِيَةٍ \* أَبْرَحَ مَنصُورُها وَناصِرها



يُعلم أن الأقدار واقعة \* وقعا على ما أحب قادرها  
فتلك بندق ما بين من الـ \* مدله في دورها عصافرها  
مخوفة بالردى منطقـة \* بالصقر عصفورة جبارها  
وين شط القوات منه الى \* دجلة حيث آتت مآبرها  
كهادي السقراء نافرـه \* تركض من حولها أشاقرها  
يُحرقها ذا وذاك يهـلما \* ويشغى بالنهاب شاطرها  
والعكرخ أسواقها معطـة \* يستتر عيارها وطائرها  
أنجرت الحرب من سواقطها \* آساد غيل غلبا ثساورها  
من البواري ترأسها ومن الـ \* نخوص اذا آستلأمت مغافرها  
تغدو الى الحرب في جواشنها الـ \* صفوف اذا ما علت أساورها  
كتائب الهرش تحت رايته \* ساعد طرأرها مقارها  
لا الرزق تبغى ولا العطاء ولا \* يحشرها للقاء عاشرها  
في كل درب وكل ناحية \* خطارة يستل خطرها  
بنل هام الرجال من قلق الـ \* صخر يزود المقلع باثرها  
كأنما فوق هامها علف \* من القعا الكندر حاج نافرها  
والفوم من تحتها لم زبل \* وهي ترائى بها خواطرها  
بل هل رأيت السيوف مضلة \* أشهرها في الأسواق شاهرها  
والخيل تستتر في أزقتها \* بالترك مسنونة خناجرها  
والنقط والنار في طرائقها \* وهابيا للدخان عامرها  
والتهب نعدوبه الرجال وقد \* أبليت خلايلها حرارها  
معضوبيات وسط الأزقة قد \* أبرزها للعيون مآثرها  
كل رؤسود الضحى مخبأة \* لم تبد في أهلها عابرها



بَيْقَصَة خِذْر مَكْنُونَة بَرَزَتْ • للناس مَنشُورَة فَمَازَتْهَا  
 تَعَدُّ فِي ثَوْبِهَا وَتُحِيلُهَا • كَبَّةٌ خَيْلَ زَيْمَتِ حَوَافِرِهَا  
 تَسَالُ أَيْنَ الطَّرِيقَ وَالْهَمَّةُ • وَالنَّارُ مِنْ خَلْفِهَا تَبَادَرُهَا  
 لَمْ تَجْتَلِ الشَّمْسُ حَسَنَ بَهْجَتِهَا • حَتَّى آجَلَتْهَا حَرْبٌ تُبَاشِرُهَا  
 يَأْهَلُ رَأَيْتِ الْفَكْلَى مُؤَلَّوْلَةً • فِي الطَّرْقِ تَسْمَى بِالْجَهْدِ بَاهِرُهَا  
 فِي إِثْرِ نَعِشٍ عَلَيْهِ وَاحِدُهَا • فِي صَدْرِهِ طَعْنَةٌ يَسَارُورُهَا  
 فَرَفَاءُ تُقَلِّقُ الشَّارَ مِنْ يَدِهَا <sup>(١)</sup> • يَهْزَاهُ بِالسَّانِ شَاجِرُهَا  
 تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَتَهْتِفُ بِالْ • شَكْلٍ وَمِنْ الدَّمُوعِ خَاصِرُهَا  
 غَرَّغَرُ بِالنَّفْسِ ثُمَّ أَسْلَمَهَا • مَعْلُولَةً لَا يُخَافُ ثَاوِرُهَا  
 وَقَدْ رَأَيْتِ الْفَتِيانَ فِي عَرَصَةِ الْ • مَعْرَكِ مَعْفُورَةٍ مَنَاحِرُهَا  
 كُلُّ فَنَى مَنَاعُ حَقِيقَتِهِ • تَنَسَّقِي بِهِ فِي الْوَعَى مَسَاعِرُهَا  
 بَانَتْ عَلَيْهِ الْكَلَابُ تَهْشُهُ • مَخْضُوبَةً مِنْ دِمِّ أَظْافِرِهَا  
 أَمَا رَأَيْتِ الْخِيُولَ جَائِلَةً • بِالْقَوْمِ مَنَكُوبَةً دَوَائِرُهَا  
 تَعْتَرُّ بِالْأَوْبِجِ الْحَسَنِ مِنْ الْ • قَتْلَى وَظَلَّتْ دِمَا أَشَاعِرُهَا  
 يَطْلُتْ أَجَادَ قَبِيَّةٍ مُجْهِدٍ • يَفْلِقُ هَامَاتِهِمْ حَوَافِرُهَا  
 أَمَا رَأَيْتِ النَّسَاءَ تَحْتَ الْمَجَا • نِيقَ تَعَادَى شُعْنًا ضَفَائِرُهَا  
 عَقَائِلُ الْقَوْمِ وَالْمَجَازِّ وَالْ • حُنْسُ لَمْ تُخْتَبَرْ مَعَاصِرُهَا  
 يَحْمِلُنَ قَوَاتٍ مِنَ الْعَظِيمِ عَلَى الْ • أَكْثَافِ مَعْصُوبَةٍ مَعَابِرُهَا  
 وَذَاتُ هَيْشٍ مَنَنْكَ وَمُقَصَّةٌ • تَسْدُخُهَا مَحْزَرَةٌ تُمَازِرُهَا  
 تَسَالُ عَنْ أَهْلِهَا وَقَدْ مُلِيتِ • وَأَبْتَرُ عَنْ رَأْسِهَا غَفَائِرُهَا  
 يَا لَيْتَ مَا وَالِدُهَا ذُو دُوبٍ • تُرْجَى وَأُخْرَى تُخْشَى بَوَادِرُهَا

(١) هكذا في هامش النسخة الأوربية من الطبع. وفي نسخة بولاق وأورما (في صلبها) :

• عَرَفَاءُ بِقِ الشَّارِ مَرِيدُهَا • وَهِيَ رَوَايَةُ طَاهِرِهَا التَّحْرِيفُ وَمَسَادُ الْحَقِيقَةِ •



هل ترجعن أرضنا كما هَيَّيْتَ \* وقد شأهت بنا مصايرها  
 مَنْ مُبْلَغُ ذَا الرَاسِينِ رِيسَا \* لَا تَأْتِي لِلنَّصِيحِ شَاعِرُهَا  
 بَأَن خَيْرِ الْوَلَاةِ قَدْ عَلِمَ الذَّ \* سَأَسْ إِذَا عُدْتُ مَآثِرُهَا  
 خَلِيفَةُ اللَّهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ الِ \* حَامُونَ سَائِسُهَا وَجَابِرُهَا  
 سَمَتْ إِلَيْهِ آمَالُ أُمَّتِهِ \* مِنْقَادَةُ بَرَّتْهَا وَفَاجِرُهَا  
 شَامُوا حَيَا الْعَدْلِ مِنْ تَحَايِلِهِ \* وَأَفْخَرَتْ بِالتَّقَى بِصَائِرِهَا  
 وَأَحْمَدُوا مَتَكَ سِيرَةٍ جَلَّتِ الِ \* شَكَ وَأُخْرَى صَحَّتْ مَعَاذِرُهَا  
 وَأَسْتَجْمَعْتُ طَاعَةَ بَرْقُوكَ لَدِ \* حَامُونَ تَجْمِيدِهَا وَظَائِرُهَا  
 وَأَنْتَ تَمْتَعُ فِي الْعَالَمِينَ لَهُ \* وَمَقْلَةُ مَا يَكِلُ نَاطِرُهَا  
 فَاشْكُرْ لَذَى الْعَرْشِ فَضْلَ نِعْمَتِهِ \* أَوْجَبَ فَضْلَ الْمَزِيدِ شَاكِرُهَا  
 وَأَحْذَرُ فِدَاءَ لَكَ الرِّبْعَةَ وَالِ \* أَجْنَادُ مَامُورُهَا وَأَمْرُهَا  
 لَا تَرْدَنْ تَحْمِرَةَ بِنَفْسِكَ لَا \* يَصْدُرُ عَنْهَا بِالرَّأْيِ صَادِرُهَا  
 عَلَيْكَ مَخْضَا حَاهَا فَلَا تَلْجِ الِ \* خَمَرَ مُتَجَجَّةَ زَوَاوِرُهَا  
 وَالْقَصْدَ إِنْ الطَّرِيقَ ذَوُ شُعَبٍ \* أَشَامُهَا وَعَثَا وَجَائِرُهَا  
 أَصْبَحَتْ فِي أُمَّةٍ أَوَائِلُهَا \* قَدْ فَارَقَتْ هُنَّهَا أَوَائِرُهَا  
 وَأَنْتَ سُرُورُهَا وَسَائِسُهَا \* فَهَلْ عَلَى الْحَقِّ أَنْتَ قَاسِرُهَا  
 أَدَبَ رِجَالًا رَأَيْتَ سِيرَتَهُم \* خَالَفَ حَكْمَ الْكَلْبِ سَائِرُهَا  
 وَأَمَدَدَ إِلَى النَّاسِ كَفَ مَرَحَةٍ \* ثَسَدَ مِنْهُمْ بِهَا مَفَاقِرُهَا  
 أَمَّا كَلَّ الْعَدْلُ إِذْ هَمَّتْ بِهِ \* وَوَاقَتْ مَدَّهُ مَقَادِرُهَا  
 وَأَبْصَرَ النَّاسُ قَصْدَ وَجْهِهِمْ \* وَمَا كَتَّ أُمَّةً أَخَايِرُهَا  
 تُشْرَعُ أَعْنَاقُنَا إِلَيْكَ إِذَا الِ \* سَادَاتُ يَوْمَا بَجَتْ عَشَائِرُهَا  
 كَمْ عِنْدَنَا مِنْ نَصِيحَةٍ لَكَ فِي الدَّ \* وَقُرْبَى عَزَّتْ زَوَاوِرُهَا



وحرمية قرأت أوامرها • منك وأمرى هل أنت ذاكرها  
 سقى رجال في العلم مطلبهم • راعىها باكر وبأكرها  
 دونك ضراء كالوذيلة لا • تفقد في بلدة سواثرها  
 لا طمعا قتلها ولا بطرا • لكل نفس نفس تؤامرها  
 ميرها الله بالنصيحة وال • خشية فاستدجت مرآثرها  
 جاءتك محكي لك الأمور كما • يفشّر بزّ التجار ناشرها  
 حلتها صاحباً أخا حقية • يظلّ عجبا بها يحضرها

ومن جيد شعره قوله :

الناس أخلاقهم شتى وإن جيلوا • على تشابه أرواح وأجساد  
 الخير والشر أهل وكتلوا بهما • كل له من دواعي نفسه هاد  
 منهم خليل صفاء ذو محافضة • أرمى الوفاء أواخيه بأوتاد  
 ومشر الفدر عني أضالعه • على سريرة تهر غلها باد  
 مشاكس خدع جتم غوائله • يبدى الصفاء ويغنى ضربة الهادي  
 يأتيك بالغي في أهل الصفاء ولا • ينقك بسمى بإصلاح لإفساد

ومن جيد شعر الحريري قوله :

أضاحك ضيفي قبل إزال رجلي • ويخصب عندي والمحل جديب  
 وما الخصب للأضياف أن يكثر القري • ولكننا وجه الكريم خصيب

ومن جيد شعره قوله :

زاد معروفك عندي عظاما • أنه عندك محفور صغير  
 وتاسيه كأن لم تاته • وهو عند الناس مشهور كبير

وهو القائل :

وإن أشد الناس في الحشر حسرة • لمؤرت مالي غيره وهو كاسبه  
 كفى سقها بالكهل أن يتبع الصبا • وأن باقي الأمر الذي هو عائبه



وَيُسْتَجَادُ لَهُ قَوْلُهُ :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ نَيْبَةٌ \* لَهَا مَصْعَدٌ وَعَرٌّ وَمُنْتَحَدٌ سَهْلٌ  
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يَنْبُلُهُ \* إِذَا مَا أَتَقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ  
وَأَعْلَمَ حِلْمًا لَيْسَ بِالْفَلْتِ أَنَّهُ \* لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ ضَرَائِبِهِمْ شَكْلٌ  
وَأَنَّ أَخِلَاءَ الزَّمَانِ غَنَائِهِمْ \* قَلِيلٌ إِذَا الْإِنْسَانُ زَلَّتْ بِهِ التَّعَلُّ  
تَرَوُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا لَغِيَرِهَا \* فَقَدْ شَمِرَتْ حَذَاءً وَأَنْصَرَمَ الْحَبْلُ  
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْغَدِ \* لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ طَوَارِقِهَا أَلْشَكْلُ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ يَقُولُ :

أَبَا لَصْبَغْدَ بَأْسٌ إِذَا تَعَيَّرَنِي بِجُمْلٍ \* سَفَاهًا وَمِنْ أَخْلَاقٍ جَارَتِي أَلْجَهْلُ  
فَإِنْ تَفْخَرِي يَا جَمْلٌ أَوْ تَجْمَلِي \* فَلَا تَخْرُ إِلَّا فَوْقَهُ الدِّينَ وَالْعَقْلُ  
أَرَى النَّاسَ شَرْطًا فِي الْحَيَاةِ وَلَا يُرَى \* لِقَبْرِ عَلَى قَبْرِ عِلَاءٍ وَلَا فَضْلُ  
وَمَا ضَرَّتْنِي أَنْ لَمْ تَلِدْنِي يُحَايِرُ \* وَلَمْ تَشْتَمَلْ جَرْمٌ عَلَيَّ وَلَا عُكْلُ

وَهُوَ الْقَائِلُ :

مَا أَحْسَنَ الْغَفِيرَةَ فِي حِينِهَا \* وَأَقْبَحَ الْغَفِيرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ  
مَنْ لَمْ يَزَلْ مَتْنِهَا عَرْسَهُ \* مُتَأَصِّبًا فِيهَا لِرُبِّ الظُّنُونِ  
أَوْشَكَ أَنْ يُفْرِيهَا بِالَّذِي \* يَخَافُ أَنْ يُرْزَا لِلْعَيُونِ  
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا وَضَعُهَا \* مِنْكَ إِلَى عَرِيضٍ صَحِيحٍ وَدِينِ  
لَا تَطْلُعْ مِنْكَ عَلَى رِيْبَةٍ \* فَيَتَّبِعُ الْمُقْرُونُ جَبَلَ الْقَرِينِ



٨ - عبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup>

كان يحمل من علو المترلة ويظلم القدر ولطف مكان من الخلفاء، يُستغنى به عن التقريظ له والدلالة عليه، وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يُدفع، وفي السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه أحد.

وكان أديبا ظريفا جيد الغناء، نسب إليه صاحب الأغاني أصواتا كثيرة أحسن فيها وقلها أهل الصنعة عنه، وله شعر رائع ورسائل ظريفة، فن شعره قوله :

نحن قومٌ تليُّنا الحَدَقُ النُّجُ \* لُ على آتنا تليين الحديد  
طَوُّعُ أيدي الطُّبَّاءِ تَقْتَادُنَا الْعِي \* بن وقتاد بالطَّعَانِ الْأَسْوَدَا  
تَمْلِكُ الصَّيْدَ ثُمَّ تَمْلِكُنَا إِلَيْهِ \* ضُ المصوناتُ أَمِينًا وَخُدُودَا  
تُنْقِي مَحْطِنَا الْأَسْوَدَ وَنُخْشِي \* تَحْطِطُ انْخِشَفَ حِينَ يُبْدِي الصُّبُودَا  
قَرَانَا يَوْمَ الْعَرِيبَةِ أَحْرَا \* رَا وَفِي السَّلَامِ لِلْغَوَانِي عَيْسَا

أعطاه المأمون مآل مصر لسنة، نراجها وضياعها، فوجهه كله وفرقه في الناس ورجع صفرًا من ذلك، ففاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوم مقدّمه، فأنشده أبياتًا قالها في هذا المعنى، وهي :

(١) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق كان سيدا نبيلًا على الامة شهما، وكان المأمون كثير الإحسان طيبه، حسن الالتفات إليه لذاته ورعاية خلق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته، وكان واليا على الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحراء من أعمال نيسابور وأكثرها فيها الفساد واتصل الخبر بالمأمون بعث إلى عبد الله وهو بالدينور بأمره بالخروج إلى خراسان، فخرج إليها وحارب الخوارج وقدم نيسابور في رجب سنة ٢١٥ هـ. وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة، فلما دخلها طمرت مطرا كثيرا، فقام إليه رجل بزمن حانوته وأنشده :

قد لحظ الناس في زمانهم \* حتى إذا جئت بجئت بالدرور  
فيضان في ساعة لما قدما \* فرحبا بالأمير والمطر

تولى الشام والعراق ومصر. وتوفي سنة ٢٣٠ هـ. ومجد ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٩) والأخاني



نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَعْيُنُ خَاضِعَةٌ \* لِلنَّائِبَاتِ أَيْبَاً غَيْرَ مُهْتَمِّمٍ  
إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ أَلْتُ بِهَا \* حَوَّيْنِ بِمَدِّكَ فِي شَوْقِي وَفِي أَلَمِ  
أَقْفُو مَسَاحِيكَ اللَّائِي تُخَصِّصَتَ بِهَا \* حَتَّى الشَّرَّكَ عَلَى يَثَلٍ مِنَ الْأَلَمِ  
فَكَانَ قَضَائِي فِيهَا أَنِّي تَبَعٌ \* لِمَا سَنَّتْ مِنَ الْإِنْسَامِ وَالنَّعَمِ  
وَلَوْ وُكِّلْتُ إِلَى نَفْسِي حَيَّتْ بِهَا \* لَكِنْ بَدَأَتْ فَسَلِمَ أَعْجَزُ وَلَمْ أَلَمِ

فضحك المأمون وقال : والله ما نَفِصْتُ طيلك مكزمة نلتها ، ولا أهدوئة حسنَ عندك ذكرها ، ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك افتقرت ، ولم تقدر على كَم شعثك وإصلاح حالك . وزال ما كان في نفسه .

لَمَّا فَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ مَصْرَ سَوْغَةِ الْمَأْمُونِ نَرَا جُهَاً ، فَصَبَدَ الْمُبْتَرِّ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَجَازَ بِهَا كُلَّهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ أَلْفٍ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَهَا ، فَأَتَاهُ مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ أَعْلَمُوهُ مَا صَنَعَ بِالنَّاسِ فِي الْجَوَائِزِ وَكَانَ عَلَيْهِ وَاجِدًا ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمُبْتَرِّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنَا مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ جَهَاءٍ وَظَلَمٍ ، فَلَا يَغْلُظُنَّ عَلَى قَلْبِكَ ، وَلَا يَسْتَخْفَنَكَ الَّذِي بَلَغَكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

يَا أَعْظَمَ النَّاسِ عَفْوًا عِنْدَ مَقْدِرَةٍ \* وَأَعْظَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْجُودِ لِمَالٍ  
لَوْ أَصْبَحَ النَّيْلُ يَجْرِي مَاءُهُ ذَهَبًا \* لَمَّا أَشْرَتْ إِلَى تَرْزِيٍّ بِمِثْقَالِ  
تُفْلِي بِمَا فِيهِ رِقِّ الْحَمْدِ تَمْلِكُهُ \* وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعَاضَ الْحَمْدَ بِالْعَالِي  
تَفَكَّ بِالْبَسْرِ كَفَّ السُّرْمَ مِنْ زَمَنِ \* إِذَا اسْتَطَالَ عَلَى قَسْوِمٍ بِإِقْلَالِ  
لَمْ تَحُلْ كُفَّكَ مِنْ جُودٍ يُخْتَبِطُ \* وَمُرْهِفٍ قَاتِلٍ فِي رَأْسِ قِتَالِ  
وَمَا بَتَّتْ رَعِيْلَ الْخَيْلِ فِي بَلَدٍ \* إِلَّا عَصَفَتْ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالِ  
إِنْ كُنْتُ مِنْكَ عَلَى بَابٍ مَنَّتَ بِهِ \* فَإِنَّ شُكْرَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى بَالِ  
مَا زِلْتُ مُقْتَضِبًا أَوْلَا بِجَاهِرَةٍ \* مِنْ أَلْسِنِ خُصْنٍ فِي صَدْرِي بِأَقْوَالِ



فضحك عبد الله ومُربما كان منه وقال : يا أبا السَّراء، أفرَضني عشرة آلاف دينار ف  
أسميتُ أملكها، فأقرضه فدفعها إليه .

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثرا  
مقدما، فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بمواثر سلية هناك وقبل ذلك، ثم إنه وجد عليه  
في بعض الأمر بفقهه وظهر له منه بعض ما لم يحبه، فرجع حينئذ الى بغداد وقال :

إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَا \* لَا مُبْدَأَ عُرْفًا وَإِحْسَانًا

لِحَسْبُنَا اللَّهُ رِضِينَا بِهِ \* ثُمَّ بَعْدَ اللَّهِ مَوْلَانَا

يعنى به المأمون، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون، فاستحسنه ووصله ولماها، فبلغ  
ذلك عبد الله بن طاهر، فغاضه ذلك وقال : أَجَلْ ! صنعنا المعروف الى غير أهله فضاع .

ولعبد الله أُلحانٌ صاغها، فمنها ومن غنارها وصلودها ومقدمها لحنه في شعر أخت  
طاحية فإنه صوتٌ نادر جيدٌ صحيحُ العمل مُزدوج النغم ، يَنْ لَيْنٌ وَشِدَّةٌ عَلَى رَسْمِ الْحِدَاقِ  
من القُتَمَاء، وهو :

هَلَا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرَكُمْ \* نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غَلَّةٍ صَادِي

الطاعنُ الطعنة النجلاء يتبعها \* مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزْبَادِ

ومن غنائهِ أيضا :

رَاحَ صَحْبِي وَطَوَدَ الْقَلْبَ دَاءُ \* مِنْ حَبِيبِ طَلَابِهِ لِي عَنَاءُ

حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُلْغِي لَشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءُ

مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يَحِبُّ فَإِنِّي \* لَيْسَ لِي مَا حَيَّتُ عَنْهُ عَزَاءُ



## ما قيل في هجاء الأمين وورثته

قيل في هجائه :

لم نبّيك لماذا للطرب \* يا أبا موسى وترويح اللب  
 ولترك الخمس في أوقاتها \* حرصاً منها على ماء العنب  
 وشيف أنا لا أبكى له \* وعلى كؤثر لا أخشى العطب  
 لم تكن تعرف ما حد الرضا \* لا ولا تعرف ما حد الغضب  
 لم تكن تصلح لللك ولم \* تُعطك الطامة بالملك العرب  
 أيها الباكي عليه لا بكت \* عين من أبكالك إلا للعجب  
 لم نبّيك لما عرضتنا \* للجانيق وطورا للسلب  
 ولقوم صيروننا أعبدًا \* لهم يبدو على الرأس الذنب  
 في عذاب وحصار مجهد \* سدّد الطرق فلا وجه طلب  
 زعموا أنك حي حاشر \* كل من قد قال هذا قد كذب  
 ليت من قد قاله في وحدة \* من جميع ذاهب حيث ذهب  
 أوجب الله علينا قتله \* فاذا ما أوجب الأمر وجب  
 كان والله علينا فتنة \* غَضِبَ الله عليه وكتب

وقال عبد الرحمن بن أبي الهذيل يرثيه :

يا غريب جودى قد بُت من وذمه \* فقد فقدنا العزيز من ديمه  
 ألوت بدنياك كف نائبة \* وصرت مفضى لنا على يقمه  
 أصبح للوت عندنا علم \* يضحك سنّ المنون من علمه  
 ما استزلت ذرة المنون على \* أكرم من حلّ في ثرى رجمه  
 خليفة الله في بريته \* تقهر أيدي الملوك عن شيمه



يَشَقُّ عَنْ نوره دُجَى ظُلُمِهِ \* يَشَقُّ عَنْ وَجْهِهِ سَنَا قَمَرٍ \*  
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَوَانِبِهَا \* اذْ أُولَعَ السَّيْفُ مِنْ نَجِيمِ دَمِهِ \*  
 مَنْ مَسَّكَتْ نَفْسُهُ بِمَضْرَعَةٍ \* مِنْ عُمَمِ النَّاسِ أَوْ ذَوَى رِجْلِهِ \*  
 رَأَيْتُهُ مِثْلَ مَا رَأَاهُ بِهِ \* حَتَّى تَذُوقَ الْأَمْرَ مِنْ سَقَمِهِ \*  
 كَمْ قَدْ رَأَيْنَا عَزِيزَ مَمْلُوكَةٍ \* يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ خَدَمِهِ \*  
 يَا مَلِكًا لَيْسَ بِعَدِهِ مَلِكٌ \* لَخَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَيْمِهِ \*  
 جَادَ وَحَى الَّذِي أَمَلَتْ بِهِ \* نَحَى غَزِيرَ الْوَكَيْفِ مِنْ دَيْمِهِ \*  
 لَوْ أَحْبَبَ الْمَوْتُ عَنْ أَحَى نَفْسِهِ \* أَسْوَى فِي الْعِزِّ مُسْتَوَى قَدَمِهِ \*  
 أَوْ مَلِكٍ لَا تَرَامُ سَطْوَتُهُ \* إِلَّا مَرَامَ الشُّتَيْمِ فِي أَجْمِهِ \*  
 خَلَدَكَ الْعِزُّ مَا سَرَى سَدَفٌ \* أَوْ قَامَ طِفْلُ الْعَشَى فِي قَدَمِهِ \*  
 أَصْبَحَ مُلْكٌ إِذَا أَثَرَتْ بِهِ \* يَفْرَعُ سَنَ الشُّقَاةِ مِنْ نَدَمِهِ \*  
 أَثَرُذُو الْعَرْشِ فِي عِدَاكَ كَمَا \* أَثَرُ فِي عَادِهِ وَفِي إِمْرِهِ \*  
 لَا يُبْعَدُ اللَّهُ صَيُورَةً تَلَيْتَ \* لَخَيْرِ دَاجٍ دَعَاهُ فِي حَرَمِهِ \*  
 مَا كُنْتُ إِلَّا كَلِمَ ذِي حُلْمٍ \* أَوْجَحَ بَابَ السُّرُورِ فِي حُلْمِهِ \*  
 حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتَهُ رَقْدَتُهُ \* عَادَ إِلَى مَا آخَرَاهُ مِنْ عَدَمِهِ \*

وقال أيضا يرثيه :

أَقُولُ وَقَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْفِرَارِ \* سَقَيْتَ النَّيْثَ يَا قَصْرَ الْقَوَارِ \*  
 رِمْتَكَ يَدُ الزَّمَانِ بِسَهْمِ صَيْنٍ \* فَصِرْتَ مُلَوَّحًا بِدُخَانِ نَارِ \*  
 أَيْنَ لِي عَنْ جَمِيعِكَ أَيْنَ حَلَوَا \* وَأَيْنَ مَزَارِعِهِمْ بَعْدَ الْمَزَارِ \*  
 وَأَيْنَ عِمَادُ وَأَبْنَاءُ مَالِي \* أَرَى أَطْلَالَهُمْ سُودَ الدِّيَارِ \*  
 كَأَن لَمْ يُؤْتَسَوْا بِأَنْبِيَسَ مُلْكٍ \* يَطْلُوعُ عَلَى الْمُلُوكِ بِخَيْرِ جَارِ \*  
 إِمَامٌ كَانَ فِي الْحَدَثَانِ هَوْنًا \* لَنَا وَالنَّيْثُ يَمْنَحُ بِالْقَطَارِ \*



لقد ترك الزمانُ بَنَى أبيه \* وقد غمرتهم سُود البحار  
 أضاعوا شمسهم بقرتِ بحيس \* فصاروا في الظلام بلا نهار  
 وأجلوا عنهم قرا منيرا \* وداسَتْهم خيولُ بني الشرار  
 ولو كانوا لهم كفواً ومثلاً \* إذا ما توجوا تيجانَ حار  
 ألا بآب الأمامِ وآرثاه \* لقد حَرِمَ الحشى منّا بنار  
 وقالوا الخلدُ بيع فقلتُ ذلاً \* يصير بيائمه الى صغار  
 كذاك الملكُ يتبع أوليه \* إذا قُطِعَ القرار من القرار  
 وقال مُقدِّس بن صَيْغِي يرثيه :

خليل ما أنتك به الخطوبُ \* فقد أعطاك طاعته النجيب  
 تملت من شماتِغ المنايا \* منّا ما تقوم لها القلوبُ  
 خلالَ مقابر البستانِ قبر \* يُجاور قبره أسدٌ غريب  
 لقد عَقَلْتُ مُصِيبته على من \* له في كل مَكْرمة نصيب  
 على أمثاله العبراتُ تُدرى \* وتُهتِك في ماتمه الجيوب  
 وما أدخرتُ زُبيدة عنه دما .. تُحَصُّ به النسيبة والنسيب  
 دعوا موسى أبنه لبكاء دَهِير \* على موسى أبنه دخلَ الحزيب  
 رأيتُ مَشاهدَ الخلفاء منه \* خلاءً ما بساحتها يُحْيِب  
 لِهَيْتِكَ أنى كهلٍ عليه \* أذوبُ وفي الحشى كيدُ تَذوب  
 أَصِيبَ به البعيدُ غَفَر حزنًا \* وعابنَ يومه فيه المرئِب  
 أنادى من بطون الأرض شخصاً \* يحسركه النداء فما يُحْيِب  
 لئن قَتَتِ الحروبُ اليه نفساً \* لقد بَقِعتِ بمصره الحروب



وقال نزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

نحير أمارم قام من خير عنصر \* وأفضل سارم فوق أعواد منبر  
لوارث علم الأولين وفهمهم \* وللك المأمون من أم جعفر  
كثت وعني مُستهل دموعها \* إليك ابن عمي من جفوني وتجرى  
وقد مَسَى ضُرٌّ وذلُّ كآبة \* وأرق عني يا ابن عمي تفكرى  
وهبت ليا لاقيتُ بعد مصابه \* فأمرى عظيم مُتَكَرِّج مُتَكَر  
ساشكو الذي لاقيتُه بعد فقهه \* إليك شكاة المستهام المُفْهَر  
وأرجو لما قد مرَّ بي مذ قددته \* فانت لبني خير ربٍّ مُغَيَّر  
أتى طاهر لاطهر ألقه طاهرا \* فما طاهر فيما أتى بظَهَر  
فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا \* وأنهب أموالى وأحرق أدري  
يَسَّرَ على هارون ما قد لقيته \* وما مرَّ بي من ناقص الخلق أهور  
فإن كان ما أسدى بأمر أمرته \* صبرتُ لأمرٍ من قدير مُقَدَّر  
تذكر أمير المؤمنين قراحي \* فديتُك من ذى حرمة مُتَدَكَّر

وقال أيضا يرثيه :

سبحان ربك رب العزة الصمد \* ماذا أضلنا به في ضلعة الأحَد  
وما أصيب به الإسلام قاطبة \* من التضمُّع في ركنيه والأود  
من لم يصب بأمير المؤمنين ولم \* يُصبح يهلكه والمُهم في صُعد  
فقد أصهت به حتى تبيّن في \* عقل ودين وديار وفي جسد  
يا ليلة يستكى الإسلام مُنتها \* والعالمون جميعا آخر الأبد  
غدرت بالملك الميمون طائرُه \* وبالإمام وبالضُرْغامة الأسد  
سارت إليه المنايا وهي تُريه \* فواجهته بأولاد ذوى عَدَد  
بشورجين وأغصام يقودهم \* قریش بالبيض في قميص من الزرد



فصادفوه وجيذاً لا ميعين له \* عليهم طائب الأضفار بالمد  
 بخوصه المنايا غير مُتَتَبِع \* قد أفاك من مُسَيِّمٍ فَرَدَ  
 يلقى الوجوه بوجه غير مُبْتَذَل \* أبهى وأثنى من القويبة الجُدُ  
 واحسرتا وقريش قد أحاط به \* والسيف مُرْتَعِدٌ في كف مُرْتَعِدِ  
 فما تحرك بل ما زال متصباً \* منكس الرأس لم يُبدئ ولم يُعد  
 حتى إذا السيف وافى وسط مفرقه \* أذنته عنه يدها فعل مُتَّعِدِ  
 وقام فاعتقت كفاه آتبه \* كضيق شرس مستسبل ليد  
 فاجتره ثم أهوى فاستقل به \* للأرض من كف ليت تُخرج حرد  
 فكاد يفتله لو لم يُكَاثِرْه \* وقام منقلبا منه ولم يكعد  
 هذا حديث أمير المؤمنين وما \* قصص من أمره حرقا ولم أزد  
 لا زلت أُنذبه حتى المات وإن \* أخنى طيه الذي أخنى على لبس

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه أن لبابة أبة علي بن المهدي قالت

اليثنين الآتين وقيل أنهما لابنة عيسى بن جعفر وكانت مُملَكة بمحمد :

أبيك لا للنعم والأنس \* بل للعالي والريح والترس

أبي على هالكٍ لُجعت به \* أرملني قبل ليلة العرس



هجاء يحيى بن أكرم<sup>(١)</sup>

وصدناك في المجلد الأول أن نذكر مثلاً من الهجاء قاله بعض الشعراء في يحيى بن أكرم، وما هو ذا :

أزقه برّح الموى وسدّمه \* ومّله الحبّ فبات يالّمه  
 طوراً يُعانيه وطوراً يُسّمه \* مثل الحريق في الحشا يضرّمه  
 ففاضت العين بدمع تسجّمه \* نمت عليه كلّ شوق يكتّمه  
 وباح بالحب الذي يُججّمه \* وبات والقلب يُسايي همّه  
 من لهيب قد تراه يرحّمه \* أصبح بالبأساء عاراً أقمّمه  
 طال تصاييه وطال سقمه \* وتلى الجسم ورقت أعظمّه  
 يشهدني الله على من يظلمه \* بمنعه طعم الكرى ويحرّمه  
 وأما له بصيرم من لا يصيرمه \* أصبح هذا الدين رثاء ريمّه  
 عطله الجور وطال قديمه \* تحت من الجور طيه ديمّه  
 فباد مغنى ربه وأرسمّه \* إلا بقايا قومه وجمّه  
 أوطنه الجور فاضى معلّمه \* يرود فيه شأوه ونعمّه  
 من يشهد الجور فتحن تعلّمه \* أنوك قاض في البلاد نعلّمه  
 يقول حقاً لا تُبَيّت ترجمه \* مدّ وليّ الحكم أبيع حرّمه  
 وأثبكت من القضاء حرّمه \* وأضطربت أركانه ودعّمه  
 والله بينيه ونحن نهديمه \* ياليت يحيى لم يلد أكنّمه  
 ولم تغطأ أرض العراق قديمه \* ملعونة أخلاقه وشيمه<sup>(٢)</sup>

(١) اطّردنا كتبناه عن يحيى بن أكرم في المجلد الأول (ص ٤٤٠) .

(٢) حذوا بعد هذا البيت

أربعة أبيات رأينا أنها تافى الآداب العامة .



والله والله لقد حلّ دمه \* لو أن للدين عمادا يدعمه  
 يميل عنه الميل أو يقوّمه \* لكان قد رتب عليه ماتمه  
 أرجو ويقض الله لا يسألّه \* من وجهه هذا ولكن يقصّه  
 \* بالسيف إذ حلت عليه نقمه \*



## وصف ثورة بغداد وحريقها

أما ما أصاب بغداد من سلب ونهب وتحريق وتخريب وقتنة شعواء وقتل ودماء،  
فإن ترك الكلمة في ذلك لشعراء ذلك العصر .

قال الأعمى يصف دمار الحرب :

تقطعت الأرحام بين المثار \* وأسلمهم أهل التني والبصائر  
فذاك انتقام الله من خلقه بهم \* لما أجتموه من ركوب الجائر  
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة \* ولا نحن أصلحنا فساد السرائر  
ولم نسمع من واعظ ومدكر \* فنبجح فينا وعظناه وآمر  
فابك على الإسلام لما تقطعت \* عراه وربى ضره كل كافر  
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم \* فن بين مقهور مرز وقاهر  
وصار رئيس القوم يحل نفسه \* وصار رئيسا فيهم كل شاطر  
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة \* ولا يستطيع البر دقعا لفاجر  
ترام كأمثال الذئاب رأث دما \* فأمته لا تلوى على زجر زاجر  
وأصبح تساق القبائل بينهم \* تسلى على أقرانها بالخناجر  
فابك لقتلى من صديق ومن أخ \* كريم ومن جار شقيق مجاور  
ووالدة تبكى بحزين على أبنا \* فيكى لها من رحمة كل ظائر  
وذايت حليل أصبحت وهى أيم \* وتبكي عليه بالدموع البوادر  
نقول له قد كنت عزاء وناصرا \* فنيب عنى اليوم عزى وناصرى  
وأبك لإحراق وهدم منازل \* وقتل وإنهاب اللهى والذخائر



وإبراز ربات الخلدور حواسرا \* نرجس بلا تجمير ولا بمازور  
 تراها حيارى ليس تعرف مدعياً \* نوافر أمثال الظباء النواصر  
 كأن لم تكن بنداؤ أحسن منظرأ \* وملهى راته عين لآء وفاظر  
 على هكنا كانت فأذهب حسنأ \* وبند منها التمل حكم المقادر  
 وحل بهم ماحل بالناس قبلهم \* فاضخوا أحاديثا لبأد وحاضر  
 أبنداؤ يا دار الملوك ومختى \* صروف المنايا مستقر المنابر  
 ويا جنة الدنيا ومطلب الغنى \* ومستبط الأموال عند الضرائر  
 أبني لنا اين الذين عهدتهم \* يحلون في روض من العيش زاهر  
 وأين ملوك في المواكب تقتدى \* تشبه حنا بالنجوم الزواهر  
 وأين القضاة الحاكون برأيسهم \* لورد أمور مشكلات الأوامر  
 أو القائلون الناطقون بحكمة \* ورصيف كلام من خطيب وشاعر  
 وأين مراح للملك عهدتها <sup>(١)</sup> \* منخرقة فيها صنوف الجواهر  
 ترش بماء المسك والورد أرضها \* يقوح بها من بعد ريح القاهر  
 وروح الندامى فيه كل عشة \* الى كل قياس كريم العناصر  
 وأين قيام تستجيب لنغمها \* اذا هولباها حين المزامر  
 وأين الملوك القرم من آل هاشم \* وأشياهم فيها اكتفوا بالمعاذر  
 يروحون في سلطانهم وكانهم \* يروحون في سلطان بعض العشائر  
 يحادل عما نالهم كبرائهم \* قتالتهم بالكره أيدى الأصاغر  
 فأقسم لو أن الملوك تتأصروا \* كزالت لها خوفا رقاب الجبابر



وقال عمرو بن عبد الملك الوزاق يبكي بغداد ويهجو طاهرا ويعرض به :

من ذا أصابك يا ببغداد بالعين \* ألم تكوني زماة قُترة العين  
 ألم يكن فيك أقوامٌ لهم شرف \* بالصالحات والمعروف يلقون  
 ألم يكن فيك قومٌ كان مسكنهم \* وكان قُرْبهم زينا من الزين  
 صاح الزمانُ بهم بالبين فاقترضوا \* ما ذا الذي بفتحني لوعة البين  
 أستريحُ الله قوماً ما ذكرتهمو \* ألا تحذر ماء العين من عيني  
 كانوا ففرقهم دهرٌ وصدعهم \* والذهر يصدع ما بين الفريقين  
 كم كان لي مُسعد منهم على زنتي \* كم كان منهم على المعروف من عون  
 لله درُ زمانٍ كان يجمعنا \* أين الزمانُ الذي ولّى ومن أين  
 يا من يُحترَب ببغداداً ليعمرها \* أهلكَت نفسك ما بين الطريقين  
 كانت قلوبُ جميع الناس واحدة \* عيا وليس يكون العين كالدين  
 لما استبقتهم فرقتهم فرقا \* والناس طراً جميعاً بين قلوبين

ولبعض فتيان بغداد :

بكيتُ دماً على بغداد لما \* فقدتُ حضارة العيش الأنيق  
 تبدلنا هموماً من سرور \* ومن سعة تبدلنا بضيق  
 أصابتنا من الحساد عينٌ \* فأفنت أهلها بالمنجنيق  
 فقومٌ أحرقوا بالنار قسراً \* ونائحةٌ تسوح على غريق  
 وصاحبةٌ مُكادى وأصابها \* وباكيةٌ لفقدان الشفيق  
 وحوراء المدامع داتٌ دَلَّ \* مضمخة الحاسد بالخلوق  
 تَهْتَر من الحريق الى اتهاب \* ووالدها يفر الى الحريق



وَسَالِيَةُ الْفَزَالَةِ مُقَاتِلِيهَا \* مَضَاهِكُهَا كَلَالَةُ الْبُرُوقِ  
 حَيَارَى كَالْمَلْدَايَا مُبْهِكَرَات \* طِيمِنُ الْقَسَالِيدُ فِي الْحُلُوقِ  
 يُنَادِينَ الشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقٌ \* وَقَدْ نُقِدَ الشَّفِيقُ مِنَ الشَّفِيقِ  
 وَقَوْمٌ أُخْرِجُوا مِنْ ظِلِّ دُنْيَا \* مَتَاعُهُمْ يُبَاعُ بِكُلِّ سُوقِ  
 وَمُغْتَرِبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُلْقَى \* بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ  
 تَوْسَطَ مَنْ قَتَلَهُمْ جَمِيعَا \* فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَى الْفَرِيقِ  
 فَلَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ \* وَقَدْ هَرَبَ الصَّدِيقُ مِنَ صَدِيقِ  
 وَمَهْمَا أَتَى مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى \* فَإِنِ ذَاكَ دَارَ التَّوَقُّفِ



# بيان المصادر العربية والافرنجية الهامة

التي عولنا عليها في المراجعة لكتاب عصر المأمون

ثبتت لك هنا الهام من مراجع الكتاب عدا دواوين الشعراء ومعجمات اللغة التي أشرنا اليها في مواضعها من الكتاب وهوامشه . وهي :

المصادر باللغة العربية :

- |  |  |
|--|--|
| تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوط .                                     | تاريخ الطبري ، طبعة مصر وليدن .                                      |
| تاريخ المشارقة لصليبا بن يوحنا ، مخطوط .                           | تاريخ الكامل لابن الأثير، طبعة مصر.                                  |
| تاريخ بغداد لمخطيب البغدادي ، مخطوط .                              | تاريخ مروج الذهب للسعودي ، طبعة مصر وباريس .                         |
| تاريخ بغداد لابن طيفور (الجزء السادس طبعة أوربا) .                 | تاريخ يعقوبي ، طبعة لندن باشراف السيوهتسما .                         |
| تاريخ التشرع الاسلامي للرحوم الخضرى بك ، طبعة مصر .                | تاريخ أبى الفدا لللك المؤيد ، طبعة الأستانة .                        |
| تاريخ الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن طباطبا ، طبعة أوربا . | تاريخ علماء الأندلس لأبى الوليد عبدالله محمد بن يوسف ، طبعة أوربا .  |
| تاريخ النجوم الزاهرة لابن تغريدى ، طبعة أوربا .                    | تجارب الأمم لابن مسكويه ، طبعة مصر.                                  |
| البدع والتاريخ لأبى زيد البلخى ، طبعة باريس سنة ١٨٩٩ «أرنست لرو» . | تاريخ العبر والمبتدا والخبر لابن خلدون ، طبعة مصر .                  |
| الآثار الباقية للبيرونى ، طبعة ليسك .                              | الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى ، طبعة لندن .                     |
|  | نظم الجوهر لابن البطريق ، طبعة أكسفورد سنة ١٦٥٩ لستشرق ادوار بوكوك . |



تراجم الحكماء للقفطى ، طبعة مصر .  
طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنبارى ،  
طبعة مصر .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبعة  
مصر .

وفات الوفيات لابن شاکر الکتبی ،  
طبعة مصر .

الملل والنحل للشهرستانى ، طبعة مصر .  
ألف باء ليوسف البلوى ، طبعة مصر .

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ،  
طبعة دار الكتب .

فتوح البلدان للبلاذرى ، طبعة ليدن .  
كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ،  
طبعة ليدن .

كتاب البلدان لليعقوبى ، طبعة ليدن .  
مسالك الممالك للاصطخري ، طبعة  
ليدن .

المسالك والممالك لابن حوقل ، طبعة  
ليدن .

أحسن التقاسيم للقسى ، طبعة ليدن .  
المسالك والممالك لابن نرداذبه ، طبعة  
ليدن .

الأحلاق النفيسة لابن رسته ، طبعة ليدن .  
حسن المحاضرة للسيوطى ، طبعة مصر .  
بلوغ الأرب فى أحوال العرب للألوسى  
طبعة بغداد .

مقدمة الياذة هويموس تعريب الهستانى  
طبعة مصر .

مختصر تاريخ الدول لأبى الفرج المطلبى ،  
طبعة بيروت .

تاريخ الاسحاق ، طبعة أوروبا .  
فتوح الشام للواقدي ، طبعة مصر .

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، طبعة  
مصر .

ولاة مصر وقضائها للكندى ، طبعة  
بيروت .

مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعى ،  
طبعة مصر .

كشف الظنون لحاجى خليفة ، طبعة  
الأساتنة وليسك ومصر .

المستطرف للإبشهى ، طبعة بولاق .

معجم البلدان لياقوت الحموى ، طبعة  
ليسك ومصر .

المزهر للسيوطى ، طبعة بولاق .  
الأحكام السلطانية للاوردى ، طبعة  
أوروبا .

أعلام الناس للاتيدى ، طبعة مصر .  
كتاب المعارف لابن قتيبة ، طبعة أوروبا .  
معجم الأدياء لياقوت الرومى ، طبعة  
مصر وشراف مرجليوت .

الفهرست لابن النديم ، طبعة ليسك .  
طبقات الأئم لابن صاعد ، طبعة بيروت .

طبقات الأطباء لابن أبى أصيعة ،  
طبعة مصر .



كتاب الكشكول للعالمى ، طبعة مصر .  
 سراج الملوك للطرطوشى ، طبعة مصر .  
 كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ، طبعة  
 لندن .  
 كتاب الخراج لأبى يوسف ، طبعة  
 بولاق .  
 تاريخ الوزراء المنسوب للصولى ، طبعة  
 بيروت .  
 أشهر مشاهير الاسلام ، للرحوم رفيق  
 العظم بك ، طبعة مصر .  
 كتاب نفع الطيب ، طبعة مصر وأوربا .  
 مفاتيح العلوم للخوازمى ، طبعة مصر .  
 مفيد العلوم للخوازمى ، طبعة مصر .  
 كتاب المواهب الفتحية للرحوم  
 الشيخ حمزة فتح الله ، طبعة مصر .  
 كتاب السيرة لابن هشام ، طبعة مصر .  
 مقدمة ابن خلدون ، طبعة مصر .  
 خطط الشام للاستاذ محمد كرد علي ،  
 طبعة دمشق .  
 مجموعة مجلة المشرق ، طبعة بيروت .  
 مجموعة مجلة المجمع العلمى ، طبعة دمشق .  
 مجموعة مجلة الهلال ، طبعة مصر .  
 مجموعة مجلة المقتطف ، طبعة مصر .  
 بعض فصول ومباحث من المجلة  
 الآسيوية .  
 حديث الأربعة للدكتور طه حسين ،  
 طبعة مصر .

حضارة الاسلام فى دار السلام لجميل  
 منقور ، طبعة مصر .  
 كتاب الأغانى للأصبهانى ، طبعة بولاق  
 والساسى .  
 الجزء الأول من كتاب الأغانى ، طبع  
 مطبعة دار الكتب المصرية .  
 نهاية الأرب ، طبع مطبعة دار الكتب  
 المصرية والنسخة الفتوغرافية  
 بالدار .  
 صبح الأعشى ، طبع مطبعة دار الكتب  
 المصرية .  
 كتاب التاج المنسوب للجاحظ ، طبع  
 مطبعة دار الكتب المصرية .  
 كتاب الأمالى لأبى على التالى ، طبع  
 مطبعة دار الكتب المصرية .  
 كتاب الكامل للبرد ، طبعة مصر .  
 كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، طبعة  
 مصر .  
 العمدة لابن رشيقي ، طبعة مصر .  
 كتاب المحاسن والمساوى لليبقي ، طبعة  
 فردرك شوالى .  
 كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ ، طبعة  
 لندن .  
 كتاب البخلاء للجاحظ ، طبعة مصر .  
 كتاب الحيوان للجاحظ ، ( نسخة  
 فتوغرافية محفوظة بدار الكتب  
 المصرية ) .



حلبة الكيت، طبعة بولاق .  
 خزانة الأدب لابن حجة الميمني، طبعة  
 بولاق .  
 خزانة الأدب للبغدادي، طبعة بولاق .  
 محاضرات الفلسفة لستلائله بالجامعة  
 المصرية .  
 محاضرات علم الفلك بالجامعة المصرية  
 للسير كرونيو، طبعة روما .  
 مفتاح السعادة ومصباح السيادة  
 لطاشكبري زاده، طبعة  
 حيدرآباد .  
 محاضرات الشيخ عبد الوهاب النجار  
 بالجامعة المصرية .  
 محاضرات المرحوم الشيخ محمد المهدي  
 بالجامعة المصرية .  
 محاضرات الأستاذ الخضرى بك في تاريخ  
 الأمم الإسلامية، طبعة مصر .  
 محاضرات الأستاذ الخضرى بك في تاريخ  
 الدولة الأموية، طبعة مصر .  
 التمدن الإسلامى للرحوم جورجى بك  
 زيدان، طبعة مصر .  
 تاريخ آداب اللغة العربية للرحوم  
 جورجى بك زيدان، طبعة مصر .  
 طبقات ابن سعد، طبعة أوروبا .  
 طبقات الشافعية للسبكي، طبعة مصر .  
 المنشور والمنظوم لابن طيفور .  
 رسالة بنى أمية للمحافظ، خطية .

منهل الرقاد في علم الانتقاد لقسطاكي  
 الحمصى بك، طبعة مصر .  
 محاضرات الأستاذ الاسكندري  
 المدرس بدار العلوم، طبعة مصر .  
 الوسيط للأستاذ الاسكندري المدرس  
 بدار العلوم، طبعة مصر .  
 أدبيات اللغة العربية للأستاذ مصطفى  
 صادق الرافعي، طبعة مصر .  
 أدبيات اللغة العربية للرحوم طائف  
 بركات بك وزملائه، طبعة مصر .  
 مذهب الأغاني للرحوم الخضرى بك،  
 طبعة مصر .  
 بلاغة العرب للدكتور أحمد ضيف،  
 طبعة مصر .  
 الشعر والشعراء لابن قتيبة، طبعة ليدن .  
 طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي،  
 طبعة ليدن ومصر .  
 كتاب الأذكياء لابن الجوزي، طبعة  
 مصر .  
 العقد الفريد لللك السعيد، طبعة مصر .  
 العقد الفريد لابن عبد ربه، طبعة  
 مصر .  
 لطائف المعارف للثعالبي، طبعة ليدن .  
 عيون الأخبار لابن قتيبة، طبعة  
 دار الكتب وأوروبا .



رسائل البلقاء للأستاذ محمد كرد علي ،  
طبع مصر .

جوهرة أشعار العرب لأبي زيد ، طبعة  
مصر .

المفضليات للضبي ، طبعة مصر .

حماسة البحترى ، طبعة بيروت .

الصناعتين لأبي هلال العسكري ، طبعة  
مصر .

الموشى لأبي الطيب ، طبعة أوروبا .

ديوان الحماسة لأبي تمام ، طبعة مصر .

مجانى الأدب وشرحه ، طبعة بيروت .

مختارات البارودى ، طبعة مصر .

حياة الحيوان للدميرى ، طبعة مصر .

عيون التواريخ لابن شاعر الكهبي

(أجزاء منه محفوظة بدار الكتب

المصرية) .

الفرج بعد الشدة للتونجى ، طبعة مصر .

كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله

محمد بن عبدوس الجهمشيارى طبعة

فيتا سنة ١٩٢٦

كتاب الاشتقاق لابن دريد الأزدي

طبعه جوتجن سنة ١٨٥٤

الأوراق للصولى ، خطية .

مطبوعات تذكاري جيب الانجليزية

وخاصة مؤلفات الأستاذين

مرجليوث وبرون .

زهر الآداب للمصرى ، طبعة مصر .

المشتبه فى أسماء الرجال للذهبي ، طبعة

أوروبا .

الوافى بالوفيات للصفدى (المحفوظ

بدار الكتب المصرية تحت

رقم ١٢١٩) .

أخبار أبي نواس لابن منظور ، طبعة

مصر .



## المصادر الانجليزية :

- Histoire des Arabes par Cl. Huart: Paris.  
 Life of Mohamet by Sir W. Muir. (London).  
 The Life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam by Ameer Ali. (London).  
 D. S. Margoliouth: Mohammed and the Rise of Islam. (London) in "Heroes of the Nations' Series".  
 H. Lammens: "Etudes sur les règnes des Califs Omayyades Moawia 1<sup>er</sup> et Yasid 1<sup>er</sup>". (Beyrouth).  
 Library of Universal History (N. Y.).  
 History of Arabic Literature: Cl. Huart. (London).  
 A Literary History of Persia: Ed. G. Browne. (London).  
 A Literary History of the Arabs by R. A. Nicholson. (London).  
 Short History of the Saracens by Ameer Ali, (London).  
 The Caliphate: its rise decline and fall by Sir W. Muir. (London).  
 Annals of the Early Caliphate by Sir W. Muir. (London).  
 Baghdad during the Abbasid Caliphate by G. le Strange. (Oxford).  
 Encyclopaedia of Islam. (Luzac).  
 Encyclopaedia Britannica. (London).  
 La Grande Encyclopédie. Paris.  
 The Historians' History of the World by H. S. Williams. (New York).  
 Ency. of Religion & Ethics by I. Hastings. (London).  
 The History of the Decline and Fall of the Roman Empire by Gibbon. (London).  
 The History of Philosophy in Islam by J. de Boer translated by Jones. (London).  
 Muhammedanische Studien by Ignaz Goldziher, (Halle).  
 Histoire des Musulmans d'Espagne Jusqu' à la Conquête de l'Andalusie par les Almoravides by R. Dozy. (London).  
 Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory by D. B. Macdonald. (London).  
 Margoliouth's Works Etc.  
 R. Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes. 1927.  
 Bibliothek Arabischer Historiker und Geographien: Hans V. Mzik. (Leipzig).



٢٠٠٠ -

---

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٩/١٩٩٨/٢٠٠٠)

---